د. فتحي جوهر المزوري

كرامةُ الإنسانِ في الكتبِ السماويةِ

دراسةٌ مقارنةٌ



كَرامةُ الإنسانِ في الكُتبِ السَّماوية

دراسة مقارنة

د. فتحي جوهر المزوري

الطبعة الاولى
٢٠١٥

الكتاب: كرامةالإنسان في الكتب السماوية

المؤلف: د. فتحي جوهر المزوري

الغلاف والتصميم: آيوار عبدالله

عدد النسخ: (١٠٠٠) نسخة

الطبـعـة: الأولـــى – ٢٠١٥

اسم المطبعة: رۆژهەلات / اربيل

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات: (٨١٣) لسنة (٢٠١٤ م)

هذا الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه تقدم بها المؤلف الى مجلس كلِّية العلوم الإسلامية في جامعة صلاح الدِّين لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية/ تخصص تاريخ ومقارنة الأديان.

المقدِّمة

الحمد لله الذي أعزَّ الإنسان، وأكرمه وأبدع خلقه على أحسن صورة من سلالة من طين، واختاره لحمل الأمانة التي أبى حملها أهل السَّموات الأرضين، وأدام هذا العزَّ والتكريم بإنزال الشرائع وراعى فيها إنسانية الإنسان، والصَّلاة والسَّلام على الأنبياء المكرمين، أصفياء الخلق المختارين....وبعد:

إنَّ من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان، هو أنَّ الإنسان متميِّز عن باقي المخلوقات في التكوين والصورة والمنزلة، وأنَّ الله أعطاه من المواهب والإمكانات، وكلَّفه بأصعب المهمات، ما يجعله يستحق المنزلة الرفيعة والتكريم الإلهي، الذي أراد له.

هذا التكريم، في حدِّ ذاته، منحة إلهية للإنسان دون غيره من المخلوقات، وقيمة موضوعية مشتركة بين جميع شعوب العالم. وطبيعة الإنسان تأبى إلاَّ أن

يعيش الإنسان كريماً، وتأبى أن تنتهك حرماته أو تصادر ممتلكاته، أو تغتصب أرضه أو يتعرَّض جسده للتعذيب والامتهان. ولا تتحقق للإنسان هذه الكرامة إلاَّ من خلال تعامله وتواصله الحسن مع غيره، فهي خلاصة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

لقد جاءتْ الرسالات السَّماوية لإقرار هذا المبدأ العظيم، فقد جاء موسى عليه السلام ليعيد لبني إسرائيل كرامتهم، بعد أن عاشوا في الذلِّ والعبودية لفرعون، وعيسى عليه السلام جاء لإنقاذ بني إسرائيل من الضلالة والشرك والحياة الحيوانية وتعدِّيهم لحدود الله، ومحمد ﷺ جاء لإخراج النَّاس من الشِّرك والوثنية ووأد البنات والحروب المهلكة والعادات الضارَّة بالإنسانية، إلى العدل والنور الإلهي. وجعلتْ هذه الكتب الإنسان محور الخطاب الإلهي، وبقيتْ فلسفة التكريم جوهر الفكرة الإنسانية في الرسالات السَّماوية لم تتغيَّر، رغم تغيُّر مضمون الفكرة الإنسانية العامة، ليدل على أنَّ الإنسان له اعتبار وكرامة. وأنَّ هذا التكريم ليس حكراً على شعب بعينه، ولا جنس دون غيره، ولا خاصاً بأهل دين دون ما عداه؛ وإنَّما التكريم هو لمطلق الإنسان.

فقد أكَّدتْ هذه الكتب أنَّ التفاضل الموجود بين الخلق ليس بالعنصر ولا باللَّون ولا بالجنس ولا باللُّغة ولا بالنسب، ولا بأيِّ صفة من الصِّفات اللَّصيقة بالإنسان، وإنَّما هو التَّقوى المفتوحة أبوابها لكلِّ إنسان، لأنَّ الفضل والمنزلة الرفيعة لا يتحقق للإنساني إلاَّ داخل هيكل الدِّين، باتباع الوحي الرّباني، والعبودية الكاملة لله. وأيُّ إهمال لهذه المهمة، وأيُّ ابتعاد عن نور الوحي؛ يبعد الإنسان عن الكمال البشري ويلحقه بالدّواب والأنعام.

هكذا خلق الله الإنسان ليكون مكرَّماً، فهو لا يخلق العباد لإهانتهم، أو إهانة فريق وتكريم فريق آخر، بل المجتمعات هي التي تأبى إلاَّ أن يكون بينها الكريم والأكرم واللئيم، لأسباب ناشئة عن طبيعة الإنسان والمجتمعات، ووفقاً

للظـروف والمصـلحة. والكتـب السَّـماوية تلغـي هـذه المعـايير المألوفـة في المجتمعات، وتؤكِّد أنَّ الأكرم ليس صاحب السلطان، ولا المقرَّب من السلطان، ولا الأغنى، ولا الأعزُّ نفراً، وإنَّما الأكرم هـو الأتقـى. فمَن أراد أن يكـون هـو الأكرم من غيره، فليتَّقِ الله، لأنَّه هو المعيار لرعايـة الحقـوق، وإنْ كـان النّـاس يتمايزون فيما بينهم بصفات ليس بمقدور الإنسـان أن يتجاوزهـا، مثـل الـذكاء والغباء والنشاط والكسل والجمال والقبح ...... فإنَّ القرآن الكريم لا ينكر ذلـك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]، فهـذه الآيـات وغيرهـا لا تكـرِّس التمايز، وإنَّما هو اعتراف بالمواهب الإنسانية الـتي وهبهـا الله للإنسـان، وجعـل أصحابها محل اختياره، فمَن وهبها قادر على سلبها، وليس لمَن وهبه الله مثـل هذه المواهب أن يحتقر ويؤذي ويستعبد ويعتدي وينحرف بها، فإنَّ ذلك ظلم.

والغريب – رغم ما وهب للإنسان– نجد أنَّ الإنسان نفسَه محتقر مـن قبـل الإنسان نفسه، وهو الكائن الوحيـد الـذي ظـلَّ يطالـب بالحصـول علـى حقوقـه الأساسية المهدورة من قبل الإنسان نفسه. والأغـرب مـن ذلـك، أنَّـك لا تجـد أيَّ كائن من الكائنات، يتعامل مع أفـراده المعاملـة الـتي يتعامـل بهـا الإنسـان مـع

---

(١) سورة الزمر(٩).

(٢) سورة المجادلة(١١).

(٣) سورة الملك(٢٢).

(٤) سورة الأنعام(٥٠).

أخيه الإنسان، حتّى كثرتْ الأحقاد والعداوات، وذهب هذا الإنسان إلى اتخاذ كلّ ما آتاه الله من فكر وتسخير للكون في سبيل إفناء بني الإنسان، من غير تحرُّجٍ ولا تأثُّم، ولكن هذه الغرابة قد تزول، إذا أدركنا أنَّ أصل الشَّر وانتهاك الحقوق والفساد وسفك الدِّماء كامن في تسلُّط الإنسان على الإنسان، وأنَّ هذا التسلُّط أخذ أشكالاً متعدِّدة ومتنوعة عبر التاريخ البشري، وهذا التسلُّط – في أكثر الأحيان– يصبح أكثر وحشية ودموية عندما يصبح هذا الإنسان مصدراً لوضع القيم والقوانين للآخرين والترفع عليهم.

والمشاكل القائمة في العالم اليوم– في نظر الباحث– سببها فساد الجانب الأخلاقي والإنساني، والعلاج يكمن في تهذيب الأخلاق والضمير، والشيء الوحيد الذي يهذِّبهما هو الدِّين المنزّل بأوامره ونواهيه ودعوته إلى القيم والأخلاق، فإذا سيطر هذا الدِّين على النفوس، فإنَّ المشاكل تُحَل. ولكن لا بدَّ من أن ينظر هذا الدِّين إلى الإنسانية كلِّها على أنها أمَّة واحدة، لا فرق بين جنس وجنس، ولون ولون.... ويستند هذا الدِّين إلى خالق النَّاس ويتوائم مع الفطرة الإنسانية، لا يحاربها ولا يعاندها، ولكن يهذِّبها ويوجِّهها إلى الخير، وهذه الخواص وغيرها لا تكاد تجدها إلاّ في الإسلام، دين الفطرة الإنسانية.

ولهذا ينكر قول من يقول، أنَّ مبدأ حقوق الإنسان الأساسية وتحقيق كرامته كامن، أصولياً، في محتوى دنيوي، لا دخل للدِّين فيه. إذ لولا الدِّين ومبادؤه؛ لما كان للإنسان قيمة، فالدِّين هو الذي يعيد للإنسان اعتباره الإنساني من خلال تشريعاته ومبادئه وقيمه. ومن أجل ذلك، فقد جاءتْ هذه المحاولة في البحث عمَّا يحقِّق الكمال الإنساني من خلال الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والقرآن)، يقيناً أنَّ ما تقدِّمه هذه الكتب عن الإنسان، إنَّما يصبُّ في مصلحة الإنسان. والجمع بين هذه الكتب في هذه الدراسة– رغم

التحريف الذي حصل في التوراة والإنجيل في نظر المسلمين– جاء اعتباراً على كونها رسالات سماوية، ولا نقصد به التساوي المطلق بينها، من حيث صِّحة المصدر والشمول في المحتوى؛ وإنَّما الهدف بيان الحق، فيما يوجد في التوراة والإنجيل عن الإنسان وحقيقته، وما يوجد عند اليهود والنصارى، الذين يتباهون بالدِّفاع عن الإنسان وحقوقه. فالهدف من الدراسة هو بيان حقيقة ما هو موجود عن الإنسان ومنزلته، وهل فعلاً أنّ هذه الكتب حافظت على إنسانية الإنسان من خلال طرح مبادئها وتشريعاتها وأحكامها؟ وأيُّها أوفق وأنسب لحال ولطبيعة الإنسان رغم تغيُّر الأحوال والأزمان؟.

أسباب اختيار الموضوع

لا شكَّ أنَّ أيَّ عمل يقوم به الإنسان تقف وراءه أسباب، وأهم أسباب اختيار هذا الموضوع تندرج في النقاط التالية:

١- محاولات البعض لاستبعاد الدِّين بشكل عام، والإسلام بشكل خاص، عن الحياة، في وضع القوانين والدساتير والإعلانات التي تخدم الإنسانية، في الدول الإسلامية والغربية، وتفريغه من المعاني الإنسانية، وحصره في الفروض والعبادات والأوامر والنواهي، ظنّاً منهم أنَّ الدِّين هو سبب البلاء والشقاء الذي أصاب المجتمعات، وأنَّه دين المساجد فقط، لا دين الحياة.

٢- تأكيد القرآن الكريم واهتمامه بالإنسان وحقيقته، بحيث نجد أنَّ في أكثر الآيات الإنسان حاضر فيها بشكل من الأشكال.

٣- إنَّ بين الشعوب والأديان قاسماً مشتركاً، على خلاف معتقداتها وتقاليدها وألوانها، وهذا الخلاف لا يحول دون قواعد وقيم مشتركة، بل متداخلة، وخاصة في المجال الإنساني، ومنها معاني الكرامة الإنسانية.

٤- اختلاف حديث الكتب السَّماوية عن الإنسان وحقيقته في بعض الجوانب، وحتّى يتأكّد لنا أنَّ هذا الاختلاف ليس بسبب طبيعة الإنسان، ولا بسبب اختلاف حديث الله عن الإنسان، وإنَّما السبب هو وقوع التحريف والعمل البشري في هذا الحديث. فالله سبحانه وتعالى له حديث واحد عن الإنسان، إذْ لا يُعقل أن يتعدَّد هذا الحديث.

٥- الاهتمام المتزايد في الأوساط العلمية بحديث الإنسان عن الإنسان، بحيث يضع الإنسان تفسيراً لهذا الإنسان وحلولاً لمشكلاته الحياتية، تختلف تمام الاختلاف -في بعض المجالات- عن حديث الكتب السَّماوية وتفسيراتها وحلولها.

٦- إنَّ الدراسات الدِّينية المقارنة تفتح لنا المجال للوقوف على العظمة التي اشتمل عليها القرآن الكريم في كلِّ المجالات، ولأنَّ الحقّ لا يعرف قيمته، إلاَّ بمعرفة نقيضه من الباطل.

٧- تباهي الغرب بأنَّه صاحب الحق في الدِّفاع عن الإنسان وحقوقه الأساسية، وأنَّ مبدأ حقوق الإنسان من اختراع الغرب المسيحي، ومحاولة تفريغ القرآن الكريم من هذه المبادئ الإنسانية، مع العلم أنَّه أكّد على رعاية هذه الحقوق وجعل الحفاظ عليها من أوامر الدِّين، قبل الغرب بأربعة عشر قرناً.

٨- التأكيد على أنَّ نقطة الانطلاق التي تستند إليها المؤسسات في حماية حقوق الإنسان، هي الكرامة الإنسانية، والمصادر التي تعتمد عليها هذه المؤسسات هي الأديان، فهي تؤدي دوراً بارزاً في تعميق الكرامة الإنسانية، على الرغم من محاولات البعض على استبعاد الدِّين.

٩- بيان خلو الكتب المنزلة على الأنبياء -عدا المحرَّفة- من جميع ما يسيء إلى البشرية أو يؤذيهم، لأنَّ العلّة التي تحطُّ من قيمة الإنسان وكرامته، لا تكمن في تطبيق التكليف الإلهي، الذي يساوي بين جميع الأمم والشعوب المؤمنة، ولكنّها تكمن في مخالفة الإنسان لهذا التكليف.

صعوبات البحث

من أبرز الصعوبات التي واجهتْ الباحث في هذه الدراسة؛ ضخامة الكتاب المقدَّس، بعهديْه القديم والجديد، واختلاف الترجمات، حتّى في الفقرة الواحدة، وصعوبة الفهم، وقلّة التفسيرات حول نصوص هذا الكتاب، وإنْ وجدتْ فإنَّها تفتقر إلى الدِّقة والموضوعية والشمول، وخاصة المتعلِّقة بالإنسان، حيث تتسم بالتحيُّز والحماس والتحايل وقلّة الاستدلال والأخذ بظاهرها.

ومن الصعوبات أيضاً، كثرة ما كتب عن الإنسان وحقوقه، بعيداً عن

المفاهيم الدِّينية، وخاصة في الغرب، إمَّا عمداً، أو تجاهلاً، بدعوى أنَّ الدِّين لا يقدِّم ما يخدم الإنسان والمفاهيم الإنسانية. ومن جانب آخر، كثرة ما كتب في الدراسات المقارنة، بين الكتب السَّماوية، وخاصة في الإسلام، إلاَّ أنَّ هذه الدراسات اتسمتْ بطابع النَّقد، مع التأكيد على جوانب العقيدة والتشريع. بحيث يصعب على الباحث دراسة كل ما كتب عن الإنسان والخروج بنتيجة مرضية.

ومن الصعوبات كذلك، طبيعة الموضوع الذي نحن بصدد البحث عنه، بحيث لا تستطيع أن تحصره في نطاق معين، نظراً لكونه يعالج موضوعاً هو بطبيعته واسع وغير منضبط من جهة، ويتناول ويعالج قضية البحث في كتب ثلاثة، هي في أصولها واسعة وشائكة، من جهة أخرى.

الدراسات السابقة

على الرغم من كثرة ما كتب عن المشترك بين الأديان والدراسات المقارنة في الكتب السَّماوية، وكثرة ما كتب عن حقوق الإنسان في الغرب وفي الإسلام، قديماً وحديثاً، إلاَّ أنَّ الباحث لم يقف على دراسة وافية سواء كانت تأليفاً أو رسالة أكاديمية، في المجال الذي نحن بصدد البحث عنه.

وقد قام بعض الباحثين المسلمين بدراسات وافية عن الإنسان وحقيقته وحقوقه في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال، كتاب:(كرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام) للمؤلف أحمد محمد عركز. وكتاب:(مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف) للدكتور أحمد بو شلطة، وكذلك كتاب:(مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم) للدكتور الشاهد البوشيخي، و(كرامة الإنسان في القرآن الكريم) لِثناء علي مخيمر، وكتاب:(كرامة الإنسان في القرآن الكريم) لمحمد عايد الجراد، إلاَّ أنَّها بقيت دراسات منحصرة في القرآن الكريم، ولم

تتطرّق إلى الكتب السّماوية الأخرى.

منهج البحث

١- إنَّ هذه الدراسة لكونها تبحث عن المفاهيم الإنسانية في الكتب السَّماوية؛ فقد أسميتها:(كرامة الإنسان في الكتب السماوية....دراسة مقارنة)، ولكون المفاهيم الإنسانية غير مستوعبة ومنحصرة في جوانب معينة، بل هي تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، ولكون ضخامة وسعة الموضوع، الذي نحن بصدد البحث عنه، لذا يتعذر على الباحث أن يبحث في كلِّ الجزئيات ويقارنها ببعضها، فالدراسة إذن ليستْ مقارنة نصٍّ بنصٍّ ولا حكم بحكم، أو قضية بقضية، على وجه الشمول في كلِّ القضايا المتعلقة بالإنسان والواردة في الكتب السَّماوية، بل حاولتُ قدر المستطاع إبراز الحقائق الموجودة في تلك الكتب، وبيان وجه الحقِّ والصواب، من بين تلك القضايا، والتي هي أقرب إلى الحقِّ والواقع، وتتناسب مع المعطيات التي تتطلبها طبيعة الإنسان وحياته، وقرَّرها الباري عزَّ وجلَّ منذ أن خلق الإنسان، وأثبتها في تلك الكتب.

٢- إنَّ الدراسة تبحث عن المفاهيم الإنسانية في الكتب السَّماوية ومقارنتها، لذا حاولتُ أن لا أخرج من واقع النصوص قدر المستطاع، في الاستدلال وإصدار الأحكام.

٣- اعتمدتُ على الكتاب المقدَّس(العهد القديم والعهد الجديد) الذي يعتمد عليه جميع الكنائس المسيحية(الكاثوليكية) في الشرق الأوسط، والذي تصدره دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط في لبنان. أمَّا عن كيفية الاستدلال بالنصوص والإشارة إليها، ففي العهد القديم ذكرتُ في الحاشية إسم السفر، ورقم الإصحاح، ثمَّ رقم الفقرة. وفي العهد الجديد (الإنجيل)،

ذكرتُ إسم الإنجيل فالإصحاح فالفقرة.

٤- فضَّلتُ في هذه الدراسة عدم الاعتماد على نصوص إنجيل برنابا، لكونه ليس متداولاً بين المسيحيين، ولأنَّهم لا يؤمنون بصحَّته.

٥- أشرتُ إلى الآيات الكريمة في أماكنها في سور القرآن الكريم، وخرَّجتُ الأحاديث الواردة في البحث، بذكر المصدر من كتب متون وتخريج الأحاديث المعتمدة، وذلك بذكر الباب، إنْ وجد، وذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث، وذكر درجته في غير الصحيحين.

٦- عزوتُ المعلومات إلى مصادرها، نصّاً أو معنىً، فإذا كانتْ المعلومة مأخوذة معنىً من مصدر أو أكثر، فقد أشرتُ إليها بـ(ينظر). أمَّا إذا كانتْ مأخوذة نصّاً، فقد اكتفيتُ بذكر المصدر. وفي الحالتيْن ذكرتُ إسم المصدر وإسم المؤلف ورقم الصفحة، والجزء إنْ وجد، وتركتُ المعلومات الأخرى على أساس ذكرها في ثبت المصادر والمراجع.

٧- تعاملتُ في البحث مع كلمة(التوراة) على أنَّه لفظ مذكر، على الرغم من أنَّه مؤنث لفظاً وكتابةً، لكون التوراة ليستْ كلمة عربية، ولتقدير أنَّ الأصل أن نقول : كتاب التوراة.

٨- شرحتُ الألفاظ والمصطلحات الغامضة في البحث، وترجمتُ لبعض الشخصيات الواردة فيه، وخاصة الغربية، وعلّقتُ على الفقرات التي تحتاج إلى تعليق.

٩- أمَّا عن كيفية البحث في صلب الموضوع، فقد قسَّمته إلى مسائل أو فقرات، في كلِّ مسألة أو فقرة بحثتُ عنها في التوراة، ثمَّ في الإنجيل، ثمَّ في القرآن الكريم، مراعياً في ذلك الترتيب الزمني والأسبقية في النزول، لأنَّ القرآن الكريم يقدِّم التوراة والإنجيل في بيان الحقائق المشتركة التي وردتْ

في تلك الكتب، وأكّد عليها القرآن الكريم. ثمَّ ختمتُ المسألة أو الفقرة بذكر أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بينها.

خطّة البحث

وقد جاءتْ الدراسة مشتملة على مقدِّمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة. في الفصل التمهيدي تمَّ التعريف بمصطلحات الكرامة والحقوق والإنسان، ثمَّ العلاقة التي تجمع بين الكرامة والحقوق، وكذلك العلاقة بين الحقوق والواجبات. وفي الفصل الأول وفي عدة مباحث، تعرَّفنا على حقيقة الإنسان وأهميته في الكتب السَّماوية. أمَّا الفصل الثاني فقد خصّصناه لمعرفة مفهوم التكريم في الكتب السَّماوية. وفي الفصل الثالث تمَّ التطرُّق إلى أهم مظاهر التكريم في الكتب السَّماوية، وفي الفصل الرابع حاولنا إلقاء الضوء على كيفية معالجة الكتب السَّماوية للعادات والمبادئ والمفاهيم التي تنافي الكرامة والقيم الإنسانية. أمَّا الفصل الخامس فقد كان من نصيب المرأة، للدور المهم الذي تمارسه المرأة في الحياة من جهة، ولما قيل من أنَّها مهدورة الحقوق والكرامة في ظل معطيات ومفاهيم الدِّين من جهة أخرى. هذا وقد اشتمل البحث، بفصوله الستة، على مباحث ومطالب وفقرات كثيرة ذكرتها في صفحة المحتويات ولم أذكرها هنا تجنباً للتكرار.

وختاماً لا أدَّعي الكمال لهذا العمل، فالكمال لله وحده، ولكن أسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، رغم الهفوات والأخطاء، وأن يجعل ثوابه في ميزان حسناتي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاَّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم....آمين.

فــصل تـــمهيـــدي

مفهوم الكرامة والإنسان والحقوق والعلاقة بينها

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول : مفهوم الكرامة

المبحث الثاني : مفهوم الحقوق

المبحث الثالث : مفهوم الإنسان

المبحث الرابع: الإنسان محور الرسالات السّماوية

المبحث الخامس : العلاقة بين الكرامة والحقوق

المبحث السادس: العلاقة بين الحقوق والواجبات

المبحث الأول
مـــفهـــوم الكرامـــة

المطلب الأول : تعريف الكرامة لغة

الكرم ضد اللُّؤم، وكرَّمه:كنصره وغلب فيه، وأكرمه وكرَّمه:عظَّمه ونزَّهـه، والكريم: الصفوح، أوالذي كرَّم نفسه عـن التـدنُّس بشـيء مـن مخالفـة ربـه، أو الجامع لألوان الخير والشرف[1]، وقيل:الكريم؛ الـذي يعطـي مـن غـير سؤال[2]. والكرامة:إسم يوضع للإكرام، والتكريم والإكرام بمعنى واحد، وهو التفضـيل[3].

---

(١) لسان العرب. ابـن منظـور ١٣/٥٤. وتـاج العـروس. محمـد الحسـيني. ٣٣/٣٣٧. القـاموس المحيط. الفيروز آبادي /١٤٨٩.

(٢) الفروق اللغوية. العسكري. ص٤٥٢.

(٣) الصحاح. الجوهري. ٦/٢٩٩. والقاموس الفقهي. سعدي أبو جيب. ص٣١٧.

والمتكرِّم:البليغ الكرم، المنزَّه عمّا لا يليق بجنابه الأقدس[١]. والكرامة: إسم للإكرام، وهو إيصال الشيء الكريم، أي النفيس إلى المكرَّم[٢].

وقد ورد لفظ (كريم) في القرآن الكريم في آيات عديدة، وبمعاني مختلفة، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾[٣]، أي المختوم أو الحسن، وقَالَ تَعَالَى:﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[٤]، قال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعاً لكلِّ شيء نفتْ عنه فعلاً تنوي به الذَّم[٥].

وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[٦]، أي: يُحمد ما فيه، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[٧]، أي: سهلاً ليِّناً، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[٨]،أي: كثيراً، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[٩]، أي: حسناً، و قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[١٠]، أي: فضَّلتَ، وقَالَ تَعَالَى:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[١١]، أي:العظيم، وقَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ

---

(١) الفروق اللغوية. العسكري. ص١٧١.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف . محمد عبدالرؤوف المناوي. ٦٠١/١.

(٣) سورة النمل (٢٩).

(٤) سورة الواقعة (٤٤).

(٥) لسان العرب . ابن منظور ٥٥/١٣ .

(٦) سورة الواقعة (٧٧).

(٧) سورة الإسراء من الآية (٢٣).

(٨) سورة الأحزاب من الآية (٣١).

(٩) سورة النساء من الآية (٣١).

(١٠) سورة الإسراء من الآية (٦٢).

(١١) سورة المؤمنون من الآية (١١٦).

كَرِيمٌ ﴾[1]، أي: عظيمٌ مفضلٌ[2]. وقد صـرَّحتْ الآيـة الكريمـة:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا ﴾[3]، كَرَّمْنَا ﴾[3]، بلفظ:(كرَّمْنا)، وهو مـن الكرامـة، لا مـن الكـرم، أي: المتصـور بهـا الكرامة المعنوية الأصيلة الملازمة لطبيعة الإنسان[4]، وهو تضعيف (كرُم)، أي: أي: جعلنا له كرماً، أي: شرفاً وفضلاً، وهـذا هـو كـرم نفـي النقصـان، لا كـرم الحال[5].

المطلب الثاني : تعريف الكرامة اصطلاحاً:

ليس المقصود بالكرامة، في هذه الدراسة، الكرامة التي تعني الأمر الخـارق للعادة، كما في منظور علماء التوحيـد، ولكـن المقصـود بهـا المعـاني الإنسـانية الرفيعة المتأصِّلة والمتعلّقة بذات الإنسان.

وفي ضـوء تلـك المعـاني، تكـون الكرامـة إسمـاً معنويـاً فضفاضـاً غـير منضبط، لذا لا نستطيع أن نضع تعريفاً جامعاً، لكلِّ المعاني المتعلقة بهـا، ولم نطّلع على تعريف مبسَّطٍ متَّفق عليـه، ولكـن نسـتطيع أن نضـع تصـوراً عامَّـاً، حول المعاني والمفاهيم الـتي تحتويهـا كلمـة (الكرامـة)، وبسـبب وجـود علاقـة متلازمة بين الكرامـة والحقـوق، فقـد أوضـح العلمـاء معـاني الكرامـة مـن خـلال ربطهـا بـالحقوق الأساسـية للإنسـان، فالكرامـة: هـي الأحسـاس المعنـوي بالشَّخصـية الإنسـانية، والحـق في حمايـة الكرامـة: هوالأحسـاس المـادِّي بهـذه

---

(١) سورة النمل من الآية (٤٠).

(٢) لسان العرب. ابن منظور. ١٢/٥١٠.

(٣) سورة الإسراء من الآية(٧٠).

(٤) مشكلات وحلول د. مصطفى السباعي ص٩٢.

(٥) الفروق اللغوية. العسكري. ص٤٥٢. ومحاسن التأويل. القاسمي. ١٧/٦٢٠١ .

الشَّخصية[1]، فهي مصدر الحقوق الأساسية كلِّها، وحق لا يتجزأ للإنسان ودليل ودليل إنسانية الإنسان[2]، وهي عصمة وحماية، وعزَّة وسيادة، واستحقاق وجدارة[3]، وهي منحة إلهية، وسياج من الحرمة والعصمة والصيانة، تصون صاحبها، وهي تاج من الشرف والنبل، يتغاضى صاحبها أن ينظر إلى نفسه نظرة احترام وتكريم[4].

والكرامة: قيمة موضوعية مطلقة، متعلِّقة بالذات الإنسانية، لاتدرّج فيها ولا انقسام، وهي مغرس القيم الاخلاقية، وجميع حقوق الإنسان[5].

وعلى هذا، فالتعريف الحسِّي غير وارد في المعاجم اللّغوية المعتمدة، وهذا يدل على أنَّه ليس هناك اختلاف، في الدلالة، بين الكرامة في اللّغة، والكرامة في الاصطلاح، أو قد يكون اللّفظ معرَّفاً، والمعرَّف لا يعرَّف كما هو معلوم.

المطلب الثالث : مفهوم الكرامة

ليس هناك مفهوم أكثر مركزية من مفهوم كرامة الذات الإنسانيّة، فالإنسان نفسه له قيمة موضوعية رائعة، فإذا لم نعترف له بالكرامة، لم نفهم لِمَ لا نعامله كالجماد، لأنَّه إذا جُرِّد الإنسان من الكرامة، سُوي بينه وبين الجماد في

---

(١) ينظر: حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلاميَّة. د.عبدالسلام الترمانيني. ص٢٦. والمشترك الإنساني. د.راغب السرخابي. ص٣٩٠.

(٢) حق الحريَّة في العالم. د.وهبة الزحيلي. ص١٥.

(٣) الإنسان في القرآن الكريم.د.محمد لطفي الصبّاغ. ص٥٠, نقلاًعن: نظرات في الإسلام. د. عبدالله درّاز ص٩٧.

(٤) نفس المصدر. ص١٠١ . والسلام والعدل والعوامل التي تهددهما. مقال د. مصطفى داماد. ص٢١٢.

(٥) الذات والآخر في الشرق والغرب. د.حسن شحاتة. ص٩٩-١٠٠.

المعاملة[1].

فعلينا أن نتصوَّر الإنسان موجوداً متميِّزاً عن غيره من الأشياء، يتمتَّع بمخزون خاص، ودوافع ذاتية معينة....وحينئذٍ يمكن تصوُّر بعض الثبوتات له مثل: الكرامة، الحقوق، العدالة ...الخ[2]،

ومعرفة هذا التصوُّر في حقيقة الإنسان، لا تأتي إلاَّ من خلال عقيدة دينية، تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول[3]، .

وبهذا تكون الكرامة حقّاً مقرَّراً للإنسان، منذ أن خلقه الله، ولباساً ألبسه إيَّاه، وهي تتمثَّل في منحه شرفاً وفضلاً، وهي مطلقة غير مرتبطة بجنسه أولونه أو وطنه أو عشيرته أوحسبه ونسبه، أو قوته ومكانته، وملازماً لحياته لايمكن أن تنفكَّ عنه، كما لا يمكن لأحد أن ينتزعها منه، فهي لا تُعطى ولا توهب[4]، من قبل الإنسان.

والكرامة التي أُعطيتْ للإنسان نستطيع أن نقسِّمها إلى الطبيعية (الفطرية)، والمكتسبة. وقد أشار القرآن الكريم إلى نوعيْ الكرامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[5]، وهي الكرامة الفطرية التي أُعطيتْ للإنسان منذ

---

(١) ينظر: نفس المصدر. ص٩٩.

(٢) حقوق الإنسان بين الإعلانَين. محمد علي تسخيري. ص١٦.

(٣) الإنسان في القرآن. عبَّاس محمود العقّاد. ص٥.

(٤) ينظر: التفسير المنير د.وهبة الزحيلي. ١٥/١٢٤. وحق الحياة البشرية. بو مدين بلختير. ص١٠٧–١٠٨. والإسلام وحقوق الإنسان. صبحي عبده سعيد. ص١٧–١٨. وعلم القانون والفقه الإسلامي. سمير عالية. ص١٣٢.

(٥) سورة الإسراء (٧٠)

الولادة، وأطلق عليها علماء الغرب "كرامة بلا استحقاق"[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]، وهي الكرامة المكتسبة، التي يكتسبها الإنسان من خلال التقوى والالتزام بمنهج الله[3]. وهذا السياق للكرامة، موجود أيضاً في المسيحية ، حيث توجد الكرامة الطبيعية، والتي تأتي من خلال الخلاص[4]، والخلاص يأتي –حسب عقيدة المسيحيين– من خلال الإيمان بالمسيح.

إنَّ رؤية المسيحيين لكرامة الإنسان، بهذه الطريقة المزدوجة، تذكّرهم بأنّه يجب عليهم ألاّ ينسوا أبداً أن ثَمَّةَ كرامةً إنسانية أساسية، تعود للإنسان، قبل أيِّ درجة من الكرامة النسبية، التي يستطيع كلُّ واحد أن يكتسبها، من خلال إنجازاته أو فضائله الخاصة[5].

من هذا يفهم، أنَّ الكرامة الفطرية هي كرامة ثابتة لا تتغيَّر، يتساوى فيها الإنسان العاقل وغير العاقل، والمعوَّق وغير القادر على التفكير، والذي لم يولد بعد، والذي مات فالكل يتمتَّع بكرامة إنسانية يستحق الاحترام. أمَّا المكتسبة، فهي نسبية يتفاوت فيها النَّاس، بحسب ما يقدِّمون وما يقومون به من الفضائل والاعمال، وهي الكرامة التي يمكن سلبها، وذلك بحسب الاعمال أيضاً.

وبهذا المعنى، إذا سلبت الكرامة، فإنَّها لا تعوَّض بشيء. يقول هاينريج شنايدر، وهو أحد علماء اللاّهوت المسيحي المعاصرين: كلُّ شيء له إمَّا ثمن،

---

(١) الإسلام يسائل المسيحية. أندراوس بشتة. ص١١٢.

(٢) سورة الحجرات (١٣).

(٣) حقوق الإنسان بين الفكر الإسلامي والتشريع الوضعي .هايل عبدالمولى. ص٢٩.

(٤) ينظر: القيم– الحقوق– الواجبات. أندراوس بشتة. وعادل ثيودور . ص٩٩.

(٥) ينظر : نفس المصدر . ص٩٩

وإمَّا كرامة، فما له ثمن يمكن أن يوضع عوضاً عنه شيئاً آخر معادل له، أمَّا ما هو أرفع من كلِّ ثمن وبالتالي لا يتحمل أيَّ معادل له، فهذا له كرامة... وأنَّ انتهاك كرامة الإنسان هو في الوقت نفسه انتهاك لكرامة الله، وهو بالتالي انتهاك لكرامة البشر أجمعين[1]، وهو ينطلق في هذا الحكم، ممَّا ورد في الإنجيل: ((والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني))[2].

ومعلوم أنَّ للبشر أخطاء، لا يليق بهم أن يتورَّطوا فيها، وأنَّ لهم مسالك ما كان ينبغي أن تقع منهم، ولكن كرامة الجنس البشري – في جملته– لا تسقط بهذه الأخطاء وأنَّ نعمة إيجاده وإمداده لا تهدر لهذه الثغرات البشرية[3]، وهذا يفهم من جواب الله تعالى للملائكة حيث قال:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

وقد جاءتْ تفسيرات علماء المسلمين للآية:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[5]، تَفۡضِيلٗا ﴾[5]، مؤكِّدة على أنَّ الكرامة البشرية لا تسقط بمجرد الاتيان بالمنكرات، وإنَّما هي باقية وملازمة للإنسان . قال أبو السعود (٨٩٦–٩٨٢هـ) في تفسير الآية: إنَّ الله كرَّم بني آدم قاطبة تكريماً شاملاً، برِّهم وفاجرهم، أي: كرَّمناهم بالصُّورة والقامة المعتدل، والتسلُّط على ما في الأرض والتمتُّع بها

(١) القيم الحقوق الواجبات. مصدر سابق. ص٧٩ وص٦٤.

(٢) إنجيل لوقا (١٦:١٠). وفي ترجمة أخرى:((...ومن رفضكم رفضني, ومن رفضني رفض الذي أرسلني)).

(٣) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. الشيخ محمد الغزالي .ص١٣.

(٤) سورة البقرة (٣٠).

(٥) سورة الإسراء (٧٠).

والتمكّن من الصناعات[1].

وقال الآلوسي(١٢١٧-١٢٧٠هـ): جعلناهم برَّهم وفاجرهم ذوي كرم وشرف ومحاسن جمّة، لا تحيط بها الحصر[2]. وقال الشوكاني(١١٧٣-١٢٥٠هـ): هذا إجمال لذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني آدم، أي: كرَّمناهم جميعاً وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة[3].

ولقد فضّلهم بالعقل والنطق والتميِّز والعلم واعتدال القامة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء والتسخير للأشياء، وتناول الطعام بالأيدي، ورفعة طهارتهم بعد الموت[4].

والمقصود العام من الشرائع السَّماوية والقوانين، هو حفظ نظام الأمَّة، والمحافظة على حياة الإنسان، ولكن لا تعني استبقاء الإنسان حيَّاً، يحيى أي حياة، بل لا بدَّ من أن يحيى الحياة الكريمة التي أرادها الله له[5]، لأنَّ الله خلقه في أحسن تقويم، وأراد له أن يكون كريماً سيِّد المخلوقات مسخِّراً له الكون وما فيه، وهذه الكرامة يستمدُّها الإنسان من ذاته، غير مرتبطة باللّون أو الدِّين أو الجنس أو القوة أو العشيرة أو الحسب والنسب والمنزلة .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبو السعود. ١٨٦/٥.

(٢) روح المعاني .الآلوسي . ١١٧/١٥.

(٣) فتح القدير .الشوكاني . ٣٥٠/٣.

(٤) ينظر : الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز. أبو الحسن الواحدي ٦٤٢/١. والكشّاف .الزمخشري. ٦٣٥/٢. وتفسير النسفي. ٢٦٧/٢. وتفسير الجلالين ٣٧٣/١.

(٥) ينظر : حق الحياة البشرية- دراسة مقاصدية قانونية- مصدر سابق. ص١٠٤.

المبحث الثاني
مفهوم الحقوق

المطلب الأول : تعريف الحقّ لغة

الحقوق جمع حق، وهوضدّ الباطل، وكلُّ حق يقابله واجب، وهو إسم من أسماء الله تعالى، والإسلام، والقرآن. ويقال: حق الأمر، يحق حقاً، صار حقاً وثبت[1].

الحق هو الموجود الثابت، الذي لا يسوغ إنكاره، ويقال للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، وقدر مايجب، في الوقت الذي يجب، نحو: قوْلك حقٌ وفعْلك حقّ[2].

---

(١) الصحاح. الجوهري. ص٢٤٩. ولسان العرب . ابن منظور ٤/١٧٦-١٧٧.

(٢) التعريفات .الجرجاني. ص٩٤. وتاج العروس .محمد الزبيدي. ٢٥/١٦٦.

وتقول: حقَّ الشيء يحق حقاً، وجب وجوباً [1]، وحقيقة الشيء منتهاه وأصله المشتمل عليه. وقيل: فلان حقيق بكذا، بمعنى: خليق، وهو مأخوذ من الحق الثابت[2]. والحق : هو الثابت بلا شكّ، وهو الأمر المقضي، والحزم، والواجب ، والنَّصيب ، واللازم، والصدق ، والعدل، والمال، والملك، والموجود، والإسلام، والقرآن، والموت.....الخ[3]. وقد ورد لفظ(الحق) في القرآن الكريم معرَّفاً بـ(ال) مائة وأربعاً وتسعين (١٩٤) مرة، وورد بدون (ال) ثلاثاً وثلاثين (٣٣) مرة ، وورد لفظ :(حقاً) سبع عشرة (١٧) مرة، ولفظ : (حقه) ثلاث(٣) مرات[4]. وعلى هذا الورود المتعدِّد في القرآن الكريم، فإنَّ للحق معاني عديدة ومختلفة، حسب المواضع التي ورد فيها، وجامعها: ما يكون للإنسان بموجبه من حرِّية التصرُّف في شيء ما، أو الامتناع عنه[5].

المطلب الثاني : تعريف الحقّ اصطلاحاً

لم يعطِ العلماء المسلمون القدامى تعريفاً جامعاً مانعاً للحقِّ، بالرغم من كثرة ذكره وتعدُّد معانيه، وكثرة استعمالهم له، في المواضيع المختلفة، ربَّما لوضوحه، من جهة واعتمادهم على معناه اللُّغوي، من جهة أخرى [6].

---

(١) تهذيب اللغة . أبو منصور بن أحمد الأزهري. ٣٧٤/٣.

(٢) الصحاح. الجوهري. ص٢٨٢. والمصباح المنير .الفيومي. ١٤٣/١-١٤٤.

(٣) القاموس المحيط .الفيروز آبادي. ص١١٢٩-١١٣٠. والمعجم الوسيط. مجموعة مؤلفين. ص١٨٩.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبدالباقي. ص٢٠٨-٢١٢. وحقوق الإنسان- دراسة مقارنة في النظرية والتطبيق- د.محمد الرشيدي. ص٣٠.

(٥) حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي. د.محمد عبدالعزيز أبو سخيلة. ص١٠.

(٦) ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان .القطب طبلية. ص٣٢.وحقوق الإنسان السياسية. د.ساجر

فقد استعمل فقهاء الشريعة لفظ الحق في معناه العام الشامل لكلِّ حق، كالأعيان والمنافع والمصالح والشفعة وحق الخيار والحقوق المجردة، مثل: حق الانتفاع، والطلاق، والحضانة والولادة، والحقوق المتعلقة بالعقار: كحق الشرب والسيل، وحق الجوار، وحق الطريق، وحق التصرُّف والحرِّية والإرادة، والحقوق الناشئة عن العقود والالتزامات[1].

على الرغم من ذلك، فقد عرَّفه العلماء بتعريفات عدّة، الغرض منها بيان المعنى الإجمالي للحق، القريب من المعنى اللغوي. فقد جاء في اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع ، يطلق على الاقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك[2]. وهو إسم يطلق على كلِّ صورة فكرية أو قولية، مطابقة لما عليه الشيء الذي تحكيه هذه الصورة، وجوداً أو عدماً[3].

وعرُّف الحق بأنَّه: "ما يستحقه الرجل"، و"ما استحقه الإنسان"[4]. وهذان التعريفان يكتنفهما الغموض، كما يلزم منهما الدور، لأنَّ معرفة الاستحقاق متوقّفة على معرفة الحق، ومعرفة الحق متوقفةعلى معرفة الاستحقاق، ولقصر الأول على الرجل دون المرأة ، وهي صاحبة أهلية الحقوق[5].

الجبوري. ص٥٩.

(١) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده. د.فتحي الدريني. ص١٨٣-١٨٥. نقلاًعن: حقوق الإنسان السياسية. د. ساجر الجبوري, نفس المصدر ص٥٩.

(٢) الحضارة الإسلامية. د.حسن حبنكة الميداني. ص٣٧.

(٣) التعريفات. الجرجاني. ص١٢٠.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الرقائق. إبن نجيم. ١٤٨/٦.

(٥) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده.مصدر سابق . ص١٨٥. نقلاً عن: حقوق الإنسان

وجاء في تعرّيف آخر بأنّه: الموجود من كلّ وجه، والذي لا ريب في وجوده، ومنه :السحر حق، والعين حق، أي: موجود في أثره [1]. وجاء أيضاً بأنّه:"حكم يثبت"[2].

وقد علّق الدكتور مصطفى الزرقاء على التعريف الأخير بقوله : وهذا مبهم لا يبيّن حقيقة مفهوم الحق ومميّزاته، التي يجب أن يكشف عنها التعريف، وعلى هذا فقد عرَّفه بأنَّه: اختصاصٌ يقرِّر به الشرع سلطة أو تكليفاً[3]. وعرَّف الحق بعض المحدَثين بأنَّه: مصلحة مستحقة شرعاً[4].

أمَّا علماء الأصول، وخاصة الحنفية منهم عند تعرُّضهم إلى فعل المكلَّف الذي به حكم الله فقد قسَّموه إلى أربعة أقسام[5]:

- حقُّ الله : وهو ما يتعلق به النفع العام للعالم، ولا يختص به أحد.
- حقُّ العبد: وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة .
- ما اجتمع حقُّ الله وحقُّ العبد فيه، وحقُّ الله فيه غالب .
- ما اجتمع حقُّ الله وحقُّ العبد فيه، وحقُّ العبد فيه غالب .

يقول الإمام القرَّافي(٦٢٦-٦٨٤هـ): أنَّ حق الله هو أمره ونهيه، وحق العبد هو مصالحه، ويرى أنّه ما من حق للعبد إلاّ وفيه حقُّ الله تعالى، وهو

السياسية.مصدر سابق .ص ٦٠.

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام .عبد العزيز بن أحمد البخاري . ١٩٥/٤.

(٢) المدخل إلى نظرية الالتزام العامة . د.مصطفى الزرقاء. ص١٥.

(٣) نفس المصدر. ص١٥. بالهامش .

(٤) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده. مصدر سابق. ص١٩١. والحق والذمة. الشيخ علي الخفيف ص٣٧. نقلاً عن : حقوق الإنسان السياسية . مصدر سابق. ص٦٠.

(٥) التقرير والتحبير . ابن أمير الحاج. ١٣٩/٢-١٤٤.

أمره بإيصال هذا الحق إلى مستحقيه، وعلى هذا، فيوجد حقُّ الله تعالى دون حقِّ العبد، ولا يوجد حقٌّ للعبد إلاّ وفيه حقُّ الله تعالى، وقد اعتبر الإمام القرَّافي الفيصل بين حق الله وحقِّ العبد هو إمكانية الإسقاط[1]، فقال: فكلُّ ما للعبد إسقاطه، فهو الذي نعني به حقُّ العبد، وكلُّ ما ليس له إسقاطه، فهو الذي نعني به حقُّ الله تعالى[2]. وقال التفتازاني(٧٢٢-٧٩٢هـ): أنَّ حق الله هو ما يتعلق به النفع العام، من غير اختصاص بأحد، وأمَّا حقُّ العبد: فهو ما يتعلَّق به مصلحة خاصة[3].

وعند فقهاء القانون، تعتبر فكرة الحق من الأفكار التجريدية التي يصعب تحديد معناها تحديداً يكشف عن طبيعة الحقِّ وجوهره، حتَّى ذهب البعض إلى إنكار فكرة الحق[4]، وهذه الصعوبة لم تمنع فقهاء القانون من إعطاء مفهوم عام للحقِّ، وقد ظهرتْ هذه المحاولة في اتجاهات ثلاثة: الاتجاه الشخصي والموضوعي والمختلط، فالحقُّ في الاتجاه الشخصي هو: قدرة أو سلطة أرادية

---

(١) المراد به: إسقاط الحق أو الملك، لا إلى مالك، ولا إلى مستحق. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية . ٢٢٦/٤. وليس المقصود بالإسقاط هنا العملية النفسية التي تعني: أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من النَّاس أو الأشياء, تنزيهاً لنفسه وتخففاً ممَّا يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب. ينظر: أصول علم النفس. د. عزت راجح. نقلاً عن: الإسقاط في مناهج المستشرقين. د. شوقي أبو خليل. ص١٥.

(٢) الفروق أو أنواء البروق في أنواع الفروق . الإمام القرافي. ٢٥٦/١.

(٣) شرح التلويح على التوضيح . التفتازاني. ٣٥١/٢.

(٤) من هؤلاء الفقيه ديجي الألماني, الذي يرى أنَّ إرادات الأفراد متساوية, وبالتالي فليس هناك إرادة فوق إرادة أخرى, ممَّا يعني أنَّه لا توجد حقوق تثبت لبعض الأفراد دون البعض. ينظر: دروس في نظرية الحق . د.محمد لبيب شنب. ص٤. ودروس في أصول القانون . د.جميل الشرقاوي. ص٢٢٨.

تثبت لصاحب الحق. أمَّا في الاتجاه الموضوعي فهو: مصلحة يحميها القانون. وفي الاتجاه المختلط فهو: أنَّ الحقَّ إذا كان قدرة إرادية، فهو في الوقت نفسه مصلحة يحميها القانون[1]. وقد تعدَّدتْ تعاريف القانونيين للحقِّ، إلاّ أنَّنا نميل إلى ترجيح الدكتور محمد شريف لتعريف الحقِّ عند القانونيين بأنَّه: وضع شرعي يجعل للشَّخص الاختصاص بمنفعة ماديَّة أو معنوية[2].لأنَّه يجمع بين المنافع والحق، ومعلوم أنَّ الحق عبارة عن منافع مادية ومعنوية.إلاّ أنّ هذا التعريف أيضاً خاص بالإنسان لايشمل حق الحيوانات والنباتات وحقوق الله تعالى.

المطلب الثالث : مفهوم الحقوق

يعتبر موضوع حقوق الإنسان من المواضيع الشائكة، نظراً لأنَّ موضوعه واسع في مضمونه، خطير في آثاره، وتنبع سعته من شموله على مجموعة كبيرة من الحقوق المدنية او السياسية او الاجتماعية...الخ.

وتنبع خطورته، من تدخله في حياة الإنسان اليومية ، وفي نشاطاته المختلفة، وأيُّ إنكار لحقٍّ من تلك الحقوق في النهاية، قد يكون إنكاراً لوجود الفرد ولكرامته[3].

حيث نجد أنَّ الفقهاء حاولوا وضع تعريف لحقوق الإنسان، منها: هو مكّنات طبيعية ، اقتضتها طبيعة آدمية الإنسان، الروحية، والقلبية، والغريزية،

---

(١) المدخل إلى العلوم القانونية . توفيق حسن فرج. ص٤٤٥.

(٢) تجديد الفكر الإسلامي . د.محمد شريف أحمد. ص١٣١-١٣٢.

(٣) ينظر : حقوق وواجبات الإنسان العامة . د.منصور صالح العواملة. ٣/٨.

والمادية، والجسدية[1].

وعرّفها آخرون: هي التي يعتقد أنَّ كلَّ البشر ينبغي أن يتمتَّعوا بها، لأنَّهم آدميِّون، وينطبق عليهم الشرط الإنساني، أي أنَّ هذه الحقوق ليست منحة من أحد، ولا تستأذن فيها السلطة، وهي لا تمنحها ولا تمنعها[2]. وورد في تعريف آخر: مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان، واللّصيقة بطبيعته، والتي تظلُّ موجودة، وإنْ لم يتمُّ الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك، حتَّى ولو انتهكتْ من قبل سلطة ما[3].

والمقصود بحقوق الإنسان: تلك المبادئ والقوانين العامة التي اتفقتْ عليها الأديان والقوانين الدولية، فيما يتعلق باحترام حقوق الإنسان، في مجال عقيدته وحريته وثقافته ....وهي حقوق كفَّلتها الشريعة الإسلامية، وجميع الأديان والقوانين الدولية [4]، على تفاوت في مقدار إمكانية التمتّع بها.

نجد أنَّ المواثيق والمعاهدات الدولية، لم تضع تعريفاً لحقوق الإنسان، فقد اقتصر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديباجته، على التأكيد بأنَّ الاعتراف بالكرامة المتأصِّلة، في جميع أعضاء الأسرة البشرية، وبحقوقهم المتساوية الثابتة، هو أساس الحق والعدل والسلام في العالم، وبيَّن أنَّ تجاهل حقوق الإنسان وازدرائها، قد أفضيا إلى أعمال أثَّرتْ في الضمير الإنساني، وأكَّدتْ على ضرورة وجود حماية قانونية لحقوق الإنسان[5].

بل إنَّها في الإسلام دين، لأنَّ الإنسان يثاب ويعاقب عليها، وأنَّها فريضة

---

(١) نفس المصدر . ٣/٨.

(٢) حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني . د.فيصل شطناوي. ص١٢.

(٣) الحريات العامة وحقوق الإنسان . د.محمد سعيد مجذوب. ص٩.

(٤) حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية. ص٧.

(٥) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠/١٢/ ١٩٤٨م. في الديباجة.

على كلِّ مسلم، وشريعة في عنق كلِّ إنسان، وبها يشمل الأمَّة روح التعاون والإخاء[1]، واصطلح عليها(الحقوق) لأهميتها واحتراماً للكرامة والقيم الإنسانية، وهي متَّصلة بالإنسان، بمجرد ولادته، وتستمر حتَّى ما بعد الموت، وتثبت لجميع النَّاس بشكلٍ متساوٍ[2].

ويبدو لنا أنَّ حقوق الإنسان تتمثل في المعايير الأساسية، التي تفضَّل الله بها على العباد وبما يكفل للنَّاس كافة، أن يعيشوا بكرامة كبشر.

---

(١) ينظر : الإسلام والإنسان د.محمد عبد المنعم الخفاجي. ص٧٢. وكرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام .أحمد محمد عركز . ص٤٩. وحقوق الإنسان في الإسلام . د.محمد الزحيلي . ص٣٦٦.

(٢) ينظر : حقوق الإنسان . د.كمال سعدي مصطفى . ص٨.

المبحث الثالث
مفهوم الإنسان

المطلب الأول : تعريف الإنسان لغة

الإنس:البشر، والإنسان يعني آدم، والجمع: أناسي، والأُنْس بالسكون: ضد الوحشة، والأَنَس، بالفتح: الحي المقيمون. وقيل: أهل المحلِّ، والإنسان أصله: إنسيان، لأنَّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره: أُنَيْسيان، وقيل: سُمِّي الإنسان إنساناً، لأنَّه عهد إليه فنسي. قال أبو منصور: إذا كان الإنسان في الأصل إنسياناً، فهو إفعلانٌ من النسيان، ويدل على ذلك قول ابن عباس (رضي الله عنهما) أنَّه قال: إنَّما سُمِّي الإنسان إنساناً، لأنَّه عهد إليه فنسي[1].

وعلى هذا فمدار مادة الإنسان على أصلَيْن: **الأول** : ظهور الشيء، ومنه :

---

(١) الصحاح . الجوهري . ص٥٨. ولسان العرب . ١/١٧٠-١٧٣. ومعجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. ١/١٤٥.

الإنـس إنـسٌ، لأنَّهـم يؤنَسـون، أي: يبصـرون، خلافـاً للجـنِّ، لأنَّهـم متـوارون. **والثاني:** الأُنْس وهو أُنْس الإنسان بالشيء ، إذا لم يستوحش منه[1].

المطلب الثاني : تعريف الإنسان اصطلاحاً

لقد عُرِّف الإنسان تعريفات مختلفة، فقد حاولتْ كلُّ الفلسفات أن تضع تعريفاً للإنسان وحقيقته، فتخبَّط الفلاسفة في نظرتهم إلى الإنسان، فلم نجد لهم تعريفاً، في وضع الإنسان ومكانته الصحيحة اللاّئقة به فقد ورد :(هو عبارة عن أجسام موصوفة بأشكال مخصوصة، بشرط أن تكون موصوفة بالحياة والعلم والقدرة). وورد أنّه:(حيوان ناطق) [2]. وأيضاً أنّه:(هوشخص بالطينة، ذات بالروح، جوهر بالنفس، إله بالعقل، كلٌّ بالوحدة واحد بالكثرة، فانٍ بالحس، باقٍ بالنفس، ميِّتٌ بالانتقال، حيٌّ بالاستكمال...) [3].

وقد وصل بهم الأمر، في عصرنا، حتَّى وصفوا الإنسان بعدم الأهمية، ممَّا دفع بالبعض إلى القول بأنَّه: (صدفٌ طارئ) [4]، أو هو:(كالآلة للأنتاج) [5].

وجاء في المعجم الوسيط، أنَّ الإنسان: هو الكائن الحيُّ المفكِّر، وجمعه أناسي، وإنسان العين، ناظرها، وإنسان السيف والسهم،حدّها، او الإنسان

---

(١) ينظر : لسان العرب. ١/١٧٣. ومفهوم الإنسان في القرآن والسنة . د.أحمد بو شلطة. ص٢٩.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. رفيق العجم وآخرون. ص٢٨٠. والمعجم الفلسفي.د.جميل صليبا. ١/١٥٧

(٣) موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب. جيرار جيهامي. ص١٢٥.

(٤) ما بعد اللامنتهي. كولن ولسن. ترجمة . يوسف شورو. ص٢٠٧.

(٥) نقلاً عن: حقوق الإنسان في الإسلام .د.محمد الزحيلي. ص٦.

الراقي ذهناً وخلقاً، والإنسان المثالي الذي يقوم بقوى يكتسبها[1]. وعرِّف الإنسان أيضاً بأنَّه: هو الذي خلقه الله لإعمار الأرض ولعبادته[2].

وقال نجم الدِّين البغدادي(٦٥٧-٧١٦هـ): إنَّ العالم على ثلاثة أضرب: عقل محض كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من أمرين وهما الثقلان، فالطرفان لا مشقة عليهما....والثَّقلان واقعة عليهما المشقة، لتنازع العقل والشهوة في مراديْهما، فيبعث الله الإنسان بيْنهما كالمخلِّص بيْن متخاصميْن[3].

والتعريف المناسب للإنسان هو: مخلوق حي، ناطق، عاقل، مكرَّم، متولد من آدم وحواء، مجبول على الأُنس ومخالطة النَّاس، ممتع بالإدراك والقوَّة والكلام والسَّمع والبصر[4].

وعلى الإجمال، فالإسلام يشخِّص الإنسان بذاتيته المتفرِّدة، فلا هو حيواني بحت، ولا كائن نوراني بحت، بل أصله من طين، ثمَّ نفخ فيه الرُّوح[5].

المطلب الثالث : مفهوم الإنسان

عُرِّف الإنسان تعريفات اصطلاحية مختلفة، تميَّز كلُّ تعريف بما طُبع به صاحبه فأهل المنطق وصفوه بالحيوان الناطق، والاجتماعيون وصفوه بالاجتماعي، والاقتصاديون وصفوه بالمقتصد، والهزليون وصفوه بالضاحك،

---

(١) المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى وآخرون. ٢٩/١.

(٢) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. علي محمد الدبَّاس وعلي عليان محمد ص٢٧.

(٣) الانتصارات الإسلامية في مقارنة الأديان .نجم الدِّين البغدادي تحقيق .أحمد حجازي السقا ص١٣٣.

(٤) حق الحياة البشرية .مصدر سابق ص٣١.

(٥) ينظر : الإسلام والأديان .د.مصطفى حلمي ص٨.

والروحانيون وصفوه بالروح، والماديّون وصفوه بالبدن المرئي، ولكن الملاحظ في هذه التعاريف –الإسلامية وغير الإسلامية–أنها تكاد تجمع على أنَّ الإنسان حيوان، ولكن المقصود بحيوانية الإنسان، التي ترددتْ في التعاريف، لا تخرج من أحد وجهين:

الأول: أن يقصد بالحيوان[1]: الحيّ من الحياة، وهو في هذه الحالة يشترك في الحياة مع باقي الكائنات، لأنَّ الحيوان يطلق على كلِّ شيء حيّ، ويراد به دار الحياة الباقية، التي لا تزول ولا موت فيها[2]، من ذلك قَوْلُهُ تَعَالى:﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

الثاني: أن يقصد بالحيوان: البهيمة، دون الإنسان ، ولعلّه المعنى المقصود عند اليونانيين القدامى والأوروبيين المحدَثين، ويظهر ذلك جلياً، في تعاريفهم، ففي كتاب دارون(أصل الأنواع) أو(إنحدار الإنسان)، يحاول إرجاع أصل الإنسان إلى القردة. حيث نجد أنَّ الأوروبيين المتحمِّسين لهذه النظرية قالوا: لولا الثقافة لكان الإنسان العاقل مجرد قرد ...يختلف عنه في البنيان، ويتفوَّق عليه بعض الشيء في الذكاء، ولكن ذلك لا يترفع به عن مستوى الغوريلاّ أو الشمبانزي[4]. ولكن هذه مجازفة كبرى، أن يعتبر الإنسان بهيمة لأنَّ الأمر يحتاج إلى الشروط العلمية حتى يُقحم الإنسان في دائرة البهائم، أو

---

(١) الحيوان: هو الحياة, واو الحيوان ياء, والأصل, (حييان), فقلبتْ الياء واواً, لئلا يلتبس بالتثنية . ينظر : التبيان في إعراب القرآن . أبو البقاء العكبري. ٢/٢٨٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٣/٣٦٢.

(٣) سورة العنكبوت (٦٤).

(٤) ينظر: ما الثقافة .سليم دولة . ص٣٣.

تُقحم البهائم في دائرة الإنسان المشهود له بالكرامة [1]، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[2].

وآيات القرآن لم تجمع بين الإنسان والبهائم إلاّ في قضية الخلق، وتحت مسمًّى(الأنعام) [3]، وذلك لما تعود به هذه البهائم من الخير والنفع للإنسان، قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[4]، وكذلك شبَّهه بالأنعام لأغراض لأغراض بلاغية،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[5]، ومن جهة أخرى، شبَّه الله الإنسان بالأنعام ، في بعدها البهيمي، ولكن ليس تشبيهاً حقيقياً، بل تحذيراً للإنسان من أن يعطِّل الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، وحثًّا للإنسان على تجنُّب الكفر والنفاق حتّى لا يكون كالأنعام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[6]، أي لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح، فهؤلاء لا يسمعون الحق....ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان، كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها، لا تسمع إلاّ صوته، ولا تفقه ما تقول، بل هم أضلّ من الدَّواب، لأنَّها قد تستجيب

---

(١) ينظر: مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف .د. أحمد بو شلطة . ص٣٩.

(٢) سورة الإسراء (٧٠).

(٣) الأنعام هي: الإبل والغنم والبقر . ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي. ٣٨٦/٣.

(٤) سورة النحل (٤–٥).

(٥) سورة المدَّثر(٥٠–٥١).

(٦) سورة الأعراف (١٧٩).

مـع ذلـك لراعيهـا، إذا دعاهـا، وإنْ لم تفقـه كلامـه، بخـلاف هـؤلاء[1]، قـال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[2].

ويمكن أن يفهـم مـن ذكـر لفـظ (الإنسـان) في القـرآن معرَّفـاً، أنَّ المخاطـب بالقرآن الكريم لم يكن يهدف إلى تعريف وبيان للإنسان، وإنَّما كانت المشـكلة في بيان المطلوب من الإنسان[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٤٨٠/١.

(٢) سورة محمد (١٢).

(٣) ينظر : مفهوم الإنسان في القرآن والحديث الشريف. مصدر سابق . ص٤٥.

المبحث الرابع
الإنسان محور الرسالات السَّماوية

إنَّ الإنسان هو المقصود الأول من بين جميع الكائنات، في ابتعاث الرسل واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصحف، فهو الهدف والغاية، فالله سبحانه أراد هدايته، وإرشاده وإسعاده، وأراد إعمار الأرض واستمرار الحياة، وزوَّده بالعقل، ليُميِّز بين الأشياء، وعلَّمه الأسماء كلَّها، ولكن هذا العقل ليس كافياً، لتنازعه مع الشهوة، بل يحتاج إلى مصدر أخر يرشده ويزوِّده بالإيمان ويهيء له أسباب العلم والمعرفة. قال أسبينوزا[1]: (إنَّ بني آدم بحاجة إلى مصدر آخر للمعرفة، ونظم الحياة خارج نطاق العقل الإنساني، وأسمى منه، وهذا

(١) باروخ أسبينوزا هو أحد الفلاسفة اليهود المعاصرين, له نظريات نقدية للدِّين اليهودي, ويعتبر من رواد نقد العهد القديم. وقد رفض الإيمان بالمعجزات, بدعوى أنَّها تتنافى مع قانون الطبيعة. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. د.عبدالوهاب المسيري. ٣/٣٨٠-٣٨١.

نعنيه بالوحي الذي أتى به الأنبياء والرسل)[1]،عليهم السلام .

على مرِّ التاريخ الإنساني، تتابع الرُّسل والأنبياء، وأنزلتْ معهم الكتب، وكلُّها تدور حول محور واحد، وهو الإنسان.(لقد تقدمتْ نبوة الإسلام نبوات كثيرة، ولكنك لو عرضتها على مؤرخ، ينظر في أدوار التاريخ، لم يستطع أن يختتم دور النبوة، في تاريخ الإنسان، في دعوة من تلك الدعوات – على جلالة شأنها– لأنَّها جميعاً قد بدأتْ وانتهتْ قبل أن توجد في أذهان النَّاس، فكرة الإنسانية العامة، وفكرة الإنسان المسؤول المحاسب على أمانة العقل والضمير)[2].

كلُّ هذه الشرائع السَّماوية إنَّما جاءتْ لتأمين مصالح الإنسان، بجلب النفع له ودفع المضار عنه، وترشده إلى الخير، وتهديه إلى الحق، وتدله على البِرّ، وتحذّره من الشرّ، وتقيم له المنارات، لحفظ كرامته وصيانتها. وفي هذا يقول أحمد حسن، وهو أحد الباحثين المعاصرين: لعل أروع ما في الأديان ، ما يشدّني أنا إليها شخصيّاً، هو أنَّها تعظّم من شأن الإنسان، ولا تتركه – في هذا الوجود – نهباً للتشتت والضياع وفقدان الأمل، ويصل الإسلام إلى الذروة، في إظهار هذه الرابطة بين القوة الخالقة والمدبِّرة لهذا الكون، وبين الإنسان، فليس الإنسان في الحقيقة، إلاّ مظهر من مظاهر القوة الإلهية في هذا الوجود ودليل مشيئتها على الأرض[3].

جميع الأديان السَّماوية، في الأساس، تبدأ دعوتها بتوحيد الله تعالى، وتحرير العقول والقلوب من الشرك والأوهام والسخافات، لتحقيق إنسانية

---

(١) رسالة في اللاّهوت والسياسة . باروخ أسبينوزا. ترجمة د.حسن حنفي. ص١٢٣.

(٢) الإنسان في القرآن .عباس محمود العقّاد . مصدر سابق. ص٢٠.

(٣) من قضايا الرأي .أحمد حسن .ص١٠–١١.

الإنسان وليتبوأ مكانته، ويصبح أهلاً للخلافة.

ولقد بيَّن الله تعالى الحكمة من أرسال الرُّسل، وهي تحقيق مصالح الإنسان في عبادة الله واجتناب الطاغوت، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، وقد جمع القرآن الكريم، في آية واحدة، الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[2]، وتؤكِّد الكتب السَّماوية والأحكام الشرعية، على مصلحة الإنسان وأنَّه الغاية المقصودة والهدف المنشود، من كلِّ أصل أو فرع[3].

ومن أشدِّ الكتب السَّماوية اهتماماً بالإنسان، في بيان حقيقته وأصله وميوله ورغباته؛ القرآن الكريم، (فقد أعار القرآن الكريم انتباهاً خاصَّاً للتعليم عن الإنسان، حيث ربع مجموع الآيات يتحدث عن الإنسان، فيصف نوعه وصفاته ويعلِّل تصرفاته، التي تصدر عن كيانه الذي يتضمن بعديْن: الروح والجسد المتحديْن فيه)[4].

والقيمة الحقيقية للإنسان تأتي من خلال القيمة الخُلقية، التي جاءتْ بها الشريعة الإسلامية، والتي تجمع بين الفضل والعدل. ويعلِّق د.مصطفى حلمي على هذه القيمة الخُلقية للشريعة بقوله: إنَّ الشريعة تجمع بين الفضل والعدل، وقيمه الخلقية البالغة في الرُّقي حدّاً لا يجارى، إذ

(١) سورة النحل (٣٦).

(٢) سورة الحديد (٢٥)

(٣) ينظر : حقوق الإنسان .د.محمد الزحيلي .مصدر سابق ص٢٧.

(٤) القيم –الحقوق–الواجبات. مقال د.علي أكبر رشادي ص١٠٦–١٧.

لـــو لم نقرأ عمَّن طبَّقها، وما زلنا مـــــــــــع من يفعل؛ لظننَّـا أنَّهـا مجـرد مثُل عُليا، تصلح لكائن آخر غير الإنسان[1].

وقد عـرض الأسـتاذ عبـاس محمـود العقّـاد آراء الفلاسـفة والعلمـاء حـول الإنسان، وانتهى إلى القـول: أنَّ القـرن العشـرين لم يقـدِّر الإنسـان تقـديراً أكـرم وأعدل من تقدير أهل القرآن...فإذا آمن هذا الإنسان بالله والنبوة، فليس أصـحّ منه، وأصلح لزمان ولا أصلح لعصر الوحدة الإنسانية[2].

---

(١) ينظر : الإسلام والأديان . مصدر سابق . ص٨.

(٢) الإنسان في القرآن . مصدر سابق. ص١٦٠-١٧١.

المبحث الخامس
العلاقة بين الكرامة والحقوق

هنا نحاول أن نتعرَّف على العلاقة التي تجمع بين مصطلح الكرامة والحقوق، هل هما بمعنى واحد من حيث الدلالة على الواقع، أم هناك فرق بينهما؟ يبدو في ضوء ما كتب حول الإنسان وحقوقه، أنَّ الكرامة أعمُّ من الحقوق بل هي أصل الحقوق، لأنَّها ثابتة ولصيقة بالإنسان، فالله سبحانه وتعالى، قد أعطى الإنسان الكرامة قبل أن يثبت له الحقوق. وقد يحصل الإنسان على الحقوق الأساسية ولا تتحقق له الكرامة، كالذي تتوفّر له كلّ وسائل العيش الكريم، من سلطة وأموال ولكنه يعطّل الجوارح، التي هي السبب في الحصول على الكرامة الحقيقية الكاملة. نعم الكرامة الفطرية هي ثابتة، يشترك فيها الكلُّ، البِرّ والفاجر، الصغير والكبير، الذكر والأنثى .....إلاّ أنَّها ناقصة إنْ لم تضف إليها الكرامة المكتسبة التي تأتي من خلال العمل

بـالجوارح والالتـزام بـالاوامر والنـواهي الإلهيـة، فالأصـل في الحقـوق كلّهـا، هـو مراعاة تحقيق الكرامة الإنسانية. إنَّ إقرار الإسـلام لحقـوق الإنسـان، هـو تكـريم لبني آدم، لأنَّ هـذه الحقـوق مـا هـي إلاّ بعـض سمـات الكرامـة الإلهيـة، ومنهـا الحقوق والحرِّيات الاساسية[1].

يقول الدكتور صبحي المحمصاني: (كرامة الإنسان هي ينبوع كلِّ الحقوق، فهي دليل إنسانية البشر...وإذا كانت الكرامـة الإنسـانية منهـل حقـوق الإنسـان جميعاً، فقد كانت وما تزال، غاية جميع القوانين والدساتير الديمقراطية، وعماد حياة الفرد الاجتماعية، وهي أيضاً عماد حرية الشعوب، التي تتمثل في استقلال الدول. ويقول مـن جهـة أخـرى: حقـوق الإنسـان تتعلـق بـذات الإنسـان، وكلـها تدور–إجمالاً– حـول كرامـة الإنسـان، الـتي يرتكـز عليهـا حـق المسـاواة وحـق الحرية، وهذان حقان طبيعيان ملازمان لطبيعة الإنسان)[2].

والإنسان يتلّقى الكرامة من الله، وهذه الكرامة هي أسـاس حقـوق الإنسـان برمتها، فالله قد احتفظ لنفسه بكرامـة الإنسـان، إنَّهـا ملكـه، وهـو وحـده يقـرر بشأنها، ولا يسمح للإنسان بأن تداس كرامته، أو يدوسها هو بنفسه[3].

وفي تقدير الشريعة الإسلامية، فإنَّ الحقوق والكرامـة صـنفان متلازمـان، في الإحساس بالشخصية الإنسانية، لأنَّ الحق هـو الإحسـاس المـادِّي بالشَّخصـية، والكرامة هي الإحسـاس المعنـوي بهـا[4]. وهـذا يعـني أنَّ الكرامـة هـي الأصـل، والحقوق تـأتي تحقيقـاً لهـذه الكرامـة، لأنَّنـا إذا تعرَّفنـا علـى حقيقـة الإنسـان، وأثبتنـا لـه الفطـرة الإنسـانية، يعـني أنَّ لـه كرامـة، وهـذه الفطـرة والكرامـة

---

(١) ينظر : البصيرة الإسلامية . د.محمد شريف . ص١١٦.

(٢) أركان حقوق الإنسان . د.صبحي المحمصاني . ص٦٨–٧٠.

(٣) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي.د.وهبة الزحيلي.٢/٢٢٦–٢٢٧.والإسلام بسـائل المسـيحية. مصدر سابق. ص١٨٠. والقيم –الحقوق–الواجبات .مصدر سابق.ص١٢٩.

(٤) ينظر : حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية . د.عبدالسلام الترمانيني ص٢٦.

المتأصِّلة في الفطرة، توفّران للإنسان ما يبقي له إنسانيته، ثمَّ تأتي الحقوق، التي هي الحالات الطبيعية، والتي يحتاجها الإنسان بفطرته وهذه الحقوق عبارة عن حاجات مادية وعقلية وأخلاقية وتشريعية، للحفاظ على إنسانية الإنسان، والمعيار الذي يكشف عن هذه الحاجات، هي الوجدان[1]، لأن الحقوق لا تقوم على أساس التصور والظنّ، بل تقوم على أساس من الوجدان، كما يقول شيشرون[2].

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان بين الإعلانين . محمد علي تسخيري ص٢١-٢٢.

(٢) شيشرون أو قيقرون(١٠٦ق.م -٤٦ق.م) , خطيب وكاتب ومفكّر وأديب روماني, اشتغل بالسياسة. من أشهر مؤلفاته(في الدولة) و(في الشيخوخة).له خطب شهيرة هاجم فيها بعض الشخصيات الرومانية المشهورة, ودافع عن بعضها. ينظر: موسوعة عالم الأديان. ١٦/ ٥٠.

المبحث السادس
العلاقة بين الحقوق والواجبات

من خلال الحديث عن العلاقة التي تجمع بين الكرامة والحقوق، تبيَّن أنَّ الكرامة متأصِّلة في الإنسان، وأنَّ الحقوق جزء من سمات الكرامة، وبالتالي فإنَّ الحقوق ضرورية للحفاظ على الكرامة، وهذه الحقوق تقابلها واجبات، أو فروض دينية.فهل يمكن أن يتصور أنَّ هذه الواجبات تتعارض مع مبدأ الكرامة ؟ بمعنى أنَّ القيام بأداء الواجبات والفروض، هل يؤدي إلى تقييد الحرِّية، وبالتالي إلى انتقاص الكرامة ؟.

من المؤكّد أنَّ القيام بأداء الواجبات والفروض والإلتزام بالتشريعات، ماهي إلاّ مكمِّلات لمبدأ الكرامة، وخاصة الكرامة المكتسبة التي تأتي من خلال التقوى والعمل الصالح، وأداء الواجبات. يقول الدكتور وهبة الزحيلي: إنَّ التكاليف الإلهية والالتزامات التشريعية، في حدٍّ ذاتها تكريم للإنسان، فكلَّما كان الإنسان مسؤولاً،

كان عزيزاً كريماً[1].

ذهب الفقهاء المسلمون إلى أنَّ الحقوق– أيّاً كانت أنواعها– تقابلها واجبات، فإذا كان الإنسان يملك الحرِّية في أن يفعل ما يشاء، فعلى الآخرين يقع واجب عدم التعرض له، ولكن هذا الواجب، قد يترتَّب على الشَّخص نفسه، بحيث لا يفعل ما يضرّ بالآخرين، وهكذا تتقابل حقوق الإنسان وواجباته[2]، وكثيراً ما يستخدم مصطلح (الحق) بمعنى (الواجب)، مثال ذلك، ما ورد عن الرسول ﷺ ، عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنَّه قال: قال الرسولﷺ: ((إنَّ لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً....)) [3].

وفي المفهوم الغربي السائد للحقِّ، يمثِّل الحق الشَّخصي، لتحديد وضع الإنسان في المجتمع، هو أن يكون صاحب حقوق قبل أي واجبات، هذه هي الطريقة التي يتمُّ فيها التعبير عن الاعتراف بكرامة الإنسان، وبسبب التأكيد على الحقِّ الفردي، في الرؤية الغربية، بشكل عام، وعدم التعادل بين الحقوق والواجبات؛ كان يتعرض هذا المفهوم إلى النقد باستمرار في الوقت الحاضر، ممَّا دفع بمجموعة من الباحثين وكبار الشخصيات في الغرب وأنحاء العالم، بإعداد مشروع إعلان واجبات الإنسان سنة ١٩٩٧م، وكان الهدف من هذا المشروع، أن يضعوا إلى جانب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م، وبدرجة متساوية، إعلاناً عاماً عن واجبات الإنسان، حتّى يكون أساساً للتعادل بين الحقوق والواجبات.

وقد قيل إنَّ للواجب في الإسلام، الأولوية على الحقِّ، وهذا القول بعيد عن مفهوم الإسلام للحق والواجب، (فكلٌّ واحد له حقوق بقدر ما عليه من واجبات، ومن

---

(١) حق الحرية في العالم .مصدر سابق ص١٧.

(٢) المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان . د.ساسي سالم الحاج ص١١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. باب القسم على أخيه. ٢/٦٩٤. رقم(١٨٦٧). وباب صنع الطعام. ٥/٢٢٧٣. رقم(٥٧٨٨).

ثمَّ، يقوم بين الحق والواجب توازن كامل) [1]، لأنَّ التأكيد على مبدأ تحقيق الذات (الحقوق) دون المبالاة بالآخرين(الواجبات) والتطبيق الجذري للحرِّية الشَّخصية، دون اعتبار حرِّية الآخرين، يقضي على الحرية[2]، ويقضي على التوازن بين الحقِّ والواجب، وبالتالي يقضي على الكرامة نفسها.

بل ذهبتْ الشريعة الإسلامية إلى اعتبار الواجبات ضرورية لممارسة الحقوق، مثال ذلك: الحقُّ في العمل، الذي هو حقٌّ للإنسان، وفي الوقت نفسه واجب عليه، قالَ تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[3].

وأكَّد بعض الباحثين أنَّ هناك ارتباطاً لغوياً أو تلازماً بين كلمتيْ (الحق) و(الواجب) إلى درجة أنَّه يستحيل الفصل بينهما، فكلُّ حقٍ واجب، وكلُّ واجبٍ حقٌّ، وكل حقٍّ، لأيِّ إنسان، إنَّما يقابله واجب على إنسان آخر، أوعلى الجماعة، سواء بالقيام بالعمل أو الامتناع عنه[4].

الحكم ذاته يصدق على الحقِّ في طلب العلم، فهو ليس مجرَّد حق، وإنَّما هو فريضة شرعية، عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال:((طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم)) [5]، وكذلك حقُّ المشاركة في إدارة شؤون الدولة، ليس مجرَّد حقّ، وإنَّما هو واجب شرعي، عن حذيفة ﷺ أنَّه قال، قال ﷺ:((من أصبح والدنيا أكبر همّه فليس من الله في شيئ، ومن لم يتق

---

(١) العدل في العلاقات بين الدول والأديان. أسطفان هامر.ترجمة عبدالمجيد مردامادي.ص١٨٥.

(٢) ينظر : القيم –الحقوق–الواجبات. مصدر سابق.ص٣٧٧.

(٣) سورة التوبة(١٠٥).

(٤) ينظر : الإسلام وحقوق الإنسان. د.محمدعمارة.ص١٥. ومقاصد الشريعة الإسلامية. علال الفاسي. ص٢٢٥.

(٥) سنن ابن ماجه. ٨١/١.رقم(٢٢٤). والجامع الكبير. السيوطي. ٣٩٢٦/١.رقم(٤٢). وقال السيوطي: حديث حسن.

الله فليس من الله في شيئ، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم))[1].

هذا الارتباط بين الحقوق والواجبات، إنْ دلَّ على شيء، إنَّما يدل على الوحدة بين المصطلحيْن، في المنظور اللُّغوي والشَّرعي، على حدّ سواء.

(١) المستدرك على الصحيحين. الحاكم. كتاب الرقاق. ٣٥٢/٤. رقم(٧٨٨٩). قال الذهبي في تلخيص الحبير:أحسب الخبر موضوعاً. لأنّ الحديث مروي عن إسحاق ومقاتل بن سليمان، وهما متّهمان بالوضع، وليسا بثقتين.

الفصل الأول

حقيقة الإنسان في الكتب السّماوية

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: حقيقة الإنسان في التوراة

المبحث الثاني: حقيقة الإنسان في الإنجيل

المبحث الثالث: حقيقة الإنسان في القرآن الكريم

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف حول حقيقة الإنسان في الكتب السّماوية

المبحث الأول
حقيقة الإنسان في التوراة

تمهيد في طبيعة الدِّين اليهودي

نحن المسلمين نؤمن بأنَّ الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام فيه هدىً ونور، يحكم بها النبيُّون من بعده، ولا نؤمن بكلِّ مافي العهد القديم، الذي هو جملة من آراء وأقوال أنبياء وأحبار بني إسرائيل المحرفة، دوِّن في فترات تاريخية متباينة، يربو على ألف عام، ودِّون فيه أحداث التاريخ اليهودي، وجعلوه كتاباً مقدَّساً.

وعقيدة اليهود الحقَّة هي عقيدة التوحيد الخالصة، التي تقرُّ بالوحدانية واليوم الآخر، والثواب والعقاب، وفيها تشريعات تنظِّم للإنسان الحياتين، الدنيوية والأخروية ولكن خلال التاريخ اليهودي الطويل، جرى التحريف في هذه العقيدة وهذه التشريعات، ومزجوا بين العقيدة والشعب والتاريخ، بشكل يجعل

أمر الفصل بينها مستحيلاً.

لهذا فإنَّ أيَّة محاولة للفصل بين الدِّين والدولة، يبدو مستحيلاً في إسـرائيل، بسبب الصلة التاريخية الوثيقـة بـين الـدِّين والشـعب[1]، والـذي كـان يهوديـاً في الدِّين، كان يهودياً في القومية، والعكس صحيح[2].

فالـدِّين عنـد بـني إسـرائيل، هـو التـاريخ، والتـاريخ هـو الـدِّين، وحتَّـى في العصر الحاضر، كما في العصور الماضية، يعتبر اليهود الـدِّين جـزءاً مـن الدولـة وخاضعاً لسياستها، وإلى هذا المعنى يشير عبّاس محمود العقّاد بقولـه: (وكـان معنى الكفـر في الديانـة الإسـرائيلية، كالخيانـة الوطنيـة في هـذه الأيـام، فكانـت للشعوب آلهة، ويؤمن الإسرائيليون بوجودها، ولكنَّهم يحرِّمون عبادتهـا كتحـريم الانتماء إلى دولة أجنبية، فربُّ الشعب أحقُّ بولائه وعبادته من الأرباب الغرباء)[3].

ولأنَّ اليهودية تكاملتْ من خلال وصايا عدد من الأنبياء، ولم تؤسَّس علـى يد مؤسِّسٍ واحد، لذا فإنَّ تاريخ عقيدة اليهود، هو قصَّة كلِّ طوائفـه، ولم تكـن اليهودية عقيدة إيمان بقدر ما كانتْ طريقة حياة– عدا العصور التي حكـم فيهـا الأنبياء–ولم تكن مجرَّد دين لهم، بل كانتْ محكومتهم، ولهـذا ديـنهم لم يصـبح ديناً عالمياً، لأنَّ اليهودية لم تهتم إلاَّ باليهود[4]، فبقيتْ ديانـة قبليـة منحصـرة في جماعة خاصة، مختلفة عن بقية البشر، وحسب زعمهم، فـإنَّ الـربَّ هـو الـذي

---

(١) ينظر: إسرائيل وشعوبها. موريس بن سيمون. ترجمة د.نعيمة شومان. ص١٥٥–١٥٦. وموسوعة اليهود واليهودية. د.عبدالوهاب المسيري. ٥/٦٨.

(٢) اليهودية والغيرية. ألبرتو دانزول. ترجمة د. ماري شهرستان. ص٢٠٦.

(٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. عبَّاس محمود العقّاد. ص١٥٤.

(٤) ينظر: قصة الديانات. سليمان مظهر. ص٢٥٢–٢٥٣.

يأمرهم بذلك، حيث جاء:((لا يدخل عموني ولا موآبي[1]، ولا أحد من نسله في جماعة المؤمنين بالربِّ، ولو في الجيل العاشر، وإلى الأبد)) [2].

وهناك ارتباط وثيق بين الشعب والأرض، فالأرض مقدَّسةٌ،(لأنَّ الله يقطن فيها، ولهذا فهي أرض الربِّ)[3]، وقدسية هذه الأرض تفوق أيَّ أرض أخرى، لارتباطها بالشعب المقدَّس، فالشعب مقدَّس، لارتباطها بالإله، والمكان مقدَّس، لأنَّها أرض الآباء والأجداد، والزمان (التاريخ) مقدَّس، لأنَّه تاريخ شعب مقدَّس، والكتاب الذي يدوِّن أحداث تاريخ هذا الشعب، هو أيضاً مقدَّس، فهناك علاقة عضوية حلولية بين الشعب والأرض والتاريخ[4].

---

(١) عمون وموآب–حسب ماورد في سفر التكوين(١٩:٣٠–٣٨) – هما من أولاد لوط عليه السلام وهما من أولاد الزنى, بعدما زنى لوط– والعياذ بالله– بابنتيه في مغارة بصوغر, وهو في حالة السكر, فولدتْ الكبرى ابناً وسمَّوه موآب, وهو أب للموآبيين, وولدتْ الصغرى أيضاً ابناً وسمَّوه عمون, وهو أب للعمونيين.

(٢) سفر التثنية(٢٣:٤). ويعلِّل التوراة سبب استبعاد بني عمون وبني موآب من الدخول في اليهودية, لأنَّهم لم يستقبلوا بني إسرائيل عند خروجهم من مصر, وإنَّما قاتلوهم. ينظر سفر التثنية(٢٣:٥–٦). إلاَّ أنَّ الحقيقة الموضوعية ترفض هذا التعليل, لأنَّه ورد في نفس السفر دعوة اليهود إلى عدم إكراه الأدوميين(نسبة إلى أهل تلك القرية التي أهلك فيها قوم لوط عليه السلام) , لأنهم أخوتهم, ولا إكراه المصريين, لأنَّهم كانوا نزلاء عندهم. ينظر: سفر التثنية(٢٣:٨). ومن المعلوم أنَّ المصريين ليسوا من اليهود, وأنَّهم قاتلوا بني إسرائيل عند خروجهم, كالعمونيين والموآبيين, وهذا يؤكِّد أنَّ السبب في منعهم, أنَّهم ليسوا من اليهود, وورد في التوراة أيضاً, أنَّه يرفض دخول ابن الزنا ومرضوض الخصيتين, ومقطوع العضو التناسلي في الدخول في جماعة المؤمنين بالربِّ. ينظر: سفر التثنية(٢٣:٢). وكأنّ الفحولة شرط لدخول اليهودية ! .

(٣) سفر هوشع(٩:٣).

(٤) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. ٥/١٦. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. ص٦٥. كلاهما للدكتور عبدالوهاب المسيري.

من المؤكّد أنَّ اليهودية قد تأثَّرتْ بالشعوب الأخرى، نتيجة التأثير والتأثّر والاختلاط والاضطهاد والحروب والحملات العسكرية الكثيرة والمستمرة، التي تعرض لها اليهود خلال تاريخهم الطويل.

لهذا من المستحيل تفهّم الديانة اليهودية ما لم نأخذ بعين الاعتبار، وبشكل مستمر، الدِّيانات والثقافات التي ترعرعت في وادي الفرات.....فالأصول القضائية البابلية، وكذلك الطقوس الدِّينية، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشَّرائع اليهودية، في الأصول القضائية والطقوس الدِّينية[١].

من أجل ذلك، فإنَّ دراسة التاريخ اليهودي يُعدّ ركناً هامّاً في معرفة العقيدة اليهودية، التي اصطبغتْ بصبغة الأحداث على مرِّ التاريخ، فإنَّ الإحاطة بتاريخهم يوضح حقائق كثيرة محيطة بهذه الديانة. يقول عبّاس محمود العقّاد: لا يعرف التاريخ لهؤلاء القوم فترة واحدة جمعتهم على الألفة والوئام مع جيرانهم[٢].

فاليهود هم الذين صنعوا الدِّين، بما يوافق مصالحهم وأهدافهم، وليس الدِّين عندهم هو الذي يصنع الإنسان، بما يخدم المصالح الإنسانية جمعاء[٣]، وحتَّى الوصايا العشر[٤]، التي هي صلب العقيدة اليهودية، تفتقر إلى الوضوح

---

(١) ينظر: التوراة تاريخها وغاياتها. سهيل ديب. ص٤٩

(٢) الصهيونية العالمية. عبّاس محمود العقّاد. ص٤١

(٣) ينظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية. د.رشاد الشامي. ص٢١-٢٣. واستراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية. د. إبراهيم الشهابي.ص١٢

(٤) هي وصايا موسى العشر, وهي أساس الشريعة اليهودية, أنزلت على موسى في سيناء, عندما ذهب موسى ﷺ لملاقاة ربِّه على الجبل, وكتبت على لوحيْن حجريْين, وهي: لا يكن لك آلهة سواي- لاتصنع لك تمثالاً...-لا تحلف باسم الرب باطلاً-أذكر يوم السبت لتقدسه- أكرم أباك وأمك-لا تقتل-لا تزن- لا تسرق- لا تشهد شهادة زور- لا تشته بيت

والتحديد، وورد في التوراة ما يناقض هذه الوصايا، فتقول الوصايا:(لاتقتل)، ولم يبين هل القتل للإنسان أم يشمل الحيوان، وفي نصوص أخرى[1]، يدعو إلى قتل النّاس شيوخاً وأطفالاً، وتقول: (لاتسرق)، وفي مكان آخر يؤكّد التوراة أنَّ موسى كان يدعو أتباعه إلى سرقة المصريين[2]، فهذه الوصايا –بشكل عام– لم يكن المقصود منها الحثَّ على الفضيلة والنهي عن الرذيلة، بل كان المقصود منها التحذير من بعض الأمور التي كانوا يرتكبونها، ويعتقدون أنَّها تولد أخطاراً، وتعقّب نتائج وخيمة تعمُّ الجماعة، ولا تقتصر على الظالم، ولهذا جاءتْ الوصايا بصيغة النهي والنفي، حيث لا يوجد كلمة –في هذه الوصايا– تعادل الإيمان أو آمن، أو تطلب الإيمان، بل كلُّها تطلب النِّظام والدِّفاع[3]، وتنهي عن الفواحش، التي كانتْ واقعة بين اليهود، أي جاءتْ علاجاً لواقع مريض.

المطلب الأول: حقيقة الإنسان وأهميّته في التوراة

الإنسان في التوراة مخلوق على صورة الله ، فقد جاء: ((فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر)) [4]، ولهذا نجد في الفكر اليهودي أنَّ

غيرك......ينظر: سفر الخروج (٢٠:١-١٧). وسفرالتثنية (٥:٦-٢١).

(١) هناك نصوص كثيرة في التوراة تؤكّد على قتل غير اليهود, على سبيل المثال راجع سفر التثنية(٢٠:١٦-١٨). وسفر يشوع(٦:٢١). وأسفار صوئيل الأول والثاني. والملوك الأول والثاني. وسترى العجب العجاب.

(٢) سفر الخروج(٣:٢١-٢٢).

(٣) ينظر: الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة. أحمد إسماعيل. ص١٦٨-١٦٩. واليهودية والغيرية . ألبيرتو دانزول. ترجمة. د. ماري شهرستان. مصدر سابق. ص١٠٩.

(٤) سفرالتكوين(١:٢٧).

المسافة بين الإله والإنسان تختفي، ويصبح الإله المقدَّس لا يختلف كثيراً عن الشعب المقدَّس، فالشعب يتصف بقدسية تعادل قدسية الإله[1]، وعلى هذا الأساس ميَّز اليهود أنفسهم عن بقية الشعوب، وأنَّهم خلقوا من طينة هي أرفع من الطينة التي خُلق منها الآخرون. ومن أجل هذا فالكتاب المقدَّس، من حيث المرجعية الدِّينية، تقدِّس الاضطهاد وتجعل منه مثالاً أعلى للحياة، بل واجباً، وأصبح النبذ والإقصاء خارج حدود الضمير، ومع التوراة أصبح الضمير مهاناً، والحس النقدي ملغاً[2]، والذي يدرس التوراة، فيما يتعلق بحقيقة الإنسان ووصفه، يجد ازدواجية واضحة في وصف الإنسان، حيث هناك اتجاهان، اتجاه يصف الإنسان على أنَّه لا يساوي شيئاً، واتجاه ينكر ضعف الإنسان، ويذهب إلى التأكيد على عظمته.

فالاتجاه الأوَّل، يبيِّن حدود الإنسان بالمقارنة مع السَّموات، فهو ليس إلاَّ حفنة من تراب وسريع الزوال، حيث جاء: ((يذكر أننا تراب نحن، الإنسان كالعشب أيَّامه، وكزهر الحقل يزهر، تعبر ريح فلا يكون، ولا يعرف وصفه من بعد)) [3]، و((وكعشب سرعان ما يزول، في الصباح ينبت ويزهر، وعند المساء يذبلُ وييْبَسُ..... وتفنى سنواتنا كالتُّراب)) [4].

ويطلق على هذا الإنسان، في بعض الأحيان، الحشرة وابن آدم تلك الدودة[5]. ووصل الحال بهم إلى الشكِّ في الإنسان وقدسيته، حيث ورد:((كيف

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩/٥. وشريعة المحرقة. محمد المديني. ص ١٤٣–١٤٥.

(٢) ينظر: اليهودية والغيرية. مصدر سابق. ص٢١١.

(٣) سفر المزامير(١٠٣: ١٤).

(٤) سفر المزامير(٩٠: ٦–٩).

(٥) سفر أيوب(٢٥: ٦).

لا، ومصير بني البشر والبهيمة واحد، فكما يموت الإنسان، تموت هي ولهما نسمة واحدة، وما للإنسان فضل على البهيمة، لأنَّ كلاهما باطل، كلاهما يصيران إلى مكان واحد، وكلاهما من التراب وإلى التراب يعودان)) [١]. **والاتجاه الثاني**، يصف الإنسان على أنَّه أكبر من الملائكة، وسلَّطه الله على جميع البهائم، حيث جاء: ((ولو كنت نقصته عن الملائكة[٢] قليلاً، وبالمجد والكرامة كلَّلته، سلَّطته على أعمال يديك))[٣].

يقول أحد حاخامات[٤] اليهود، في شأن الإنسان وعظمته: كلَّما مرَّ رجل وامرأة على الطريق تسبقه الملائكة وتصيح: افتحوا الطريق، افتحوا الطريق، افسحوا المجال لصورة الله[٥]. ولكن مَن الذي يفتح الطريق أليس هو الإنسان نفسه؟! الإنسان يفتح الطريق للإنسان، أيُّهما على صورة الله؟ الذي يفتح الطريق أو المارّ ؟! إلاَّ إذا كان يقصد الرجل والمرأة اليهودية ؟. وفي ضوء التوراة أيضاً، أصبح هذا الإنسان مصدر تهديد، بعدما أكل من شجرة معرفة الخير والشرِّ، حيث يقول:((وقال الربُّ: صار آدم كواحد منَّا، يعرف الخير

---

(١) سفر الجامعة(٣:١٨-٢١).

(٢) ورد في الأصل العبري للتوراة:(وجعلته ناقصاً قليلاً عن الآلهة) , إلاَّ أنَّ سبب العدول عن ذكر ذلك, وتحريف كلمة الآلهة إلى الملائكة, كما يقول د.هوستن: هو عدم الجرأة والشجاعة عند اليهود.ينظر: أديان العالم. د.هوستن سميث. ترجمة سعد رستم. ص٣٤٨.

(٣) سفر المزامير(٨:٦).

(٤) حاخام كلمة عبرية جمعه(حاخاميم) ومعناها (الرجل الحكيم) أو(العاقل) , ويطلق هذا المصطلح على المعلمين من علماء اليهود الذين لهم الحق في شرح النصوص الدينية. ينظرموقع الموسوعة الحرَّة : http||ar.wikipedia.org. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/١٩.

(٥) أديان العالم. د.هوستن. ترجمة سعد رستم. مصدر سابق. ص٣٤٨.

والشـــــــــرَّ، والآن لعلَّه يمد يده إلى شجـــــرة الحياة أيضاً، فيأخذ ويأكل منها، فيحيا إلى الأبد، فأخرج الربُّ آدم من الجنَّة)) [1].

المطلب الثاني: وظيفة الإنسان في التوراة

يبدو من خلال نصوص التوراة، أنَّ الهدف من خلق الإنسان ووظيفته الأساسية، ليستْ العبادة، كما ورد في القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، بل لوظيفتيْن أساسيتيْن، **الأولى: هي** الإنماء والإكثار والتسلُّط على الأرض واخضاعها، حيث جاء:((فقال لهم: أنموا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها، وتسلَّطوا على سمك البحر وطير السَّماء، وجميع الحيوان الذي يدبُّ على الأرض)) [3].

الثانية: هي حراسة الأرض وخلافتها: ((فأخرج الربُّ الإله آدم من جنَّة عدنٍ، ليفلح الأرض التي أخذ منها))[4].

وحتّى عندما كان آدم وحوّاء في الجنَّة، فإنَّ مهمَّتهما أيضاً كانتْ الحراسة والفلاحة: ((وأخذ الربُّ الإله آدم وأسكنه في جنَّة عدنٍ، ليفلحها ويحرسها)) [5].

[5]. صحيح أنَّ الحراسة والفلاحة من العبادة أيضاً، إلاَّ أنَّ التوراة لم يتطرق إلى إلى العبادة ولم يتأكد عليها كما في القرآن الكريم.

---

(١) سفر التكوين(٣:٢٢-٢٣).

(٢) سورة الذاريات(٥٦).

(٣) سفر التكوين(١:٢٨).

(٤) سفر التكوين(٣:٢٣).

(٥) سفر النكوين(٢:١٥).

المبحث الثاني
حقيقة الإنسان في الإنجيل

تمهيد في طبيعة الدّين المسيحي

الدِّين المسيحي، في جملته، وصايا ومواعظ أخلاقية يدعو إلى التسامح والمحبة والإخلاص والزهد في الدنيا، وعدم التكالب عليها، وإبراز القيم الأخلاقية وإنضاجها[1].

والمسيحية ترتكز أساساً على شخصية المسيح، فالدِّين يأخذ اسمه، وكلُّ المعتقدات تدور حول المسيح، والأعياد تتعلّق بأحداث وقعتْ في حياة المسيح، ورمز العقيدة— وهو الصليب— يشير إلى معاناة المسيح، والصلوات موجهة إلى المسيح.....

(١) ينظر: قرءآت في الكتب المقدَّسة.عبدالرحيم محمد ص١٢٠.وأخلاق الإنجيل.البير باير.ترجمة عادل العوا ص٤.

(لأنَّ المسيحيين يعتبرون أنَّ الله نفسه لايمكن أن يخاطبه إنسان عادي) [(١)]، وأنَّ مفتاح العقيدة المسيحية هو أنَّ عيسى كان في الواقع السبب في وجودها، وأنَّه هو الذي يحافظ على تماسكها بأجمعه، على الرغم من وجود أوجه مختلفة للمسيحية، شرقية وغربية، ومجامع مسكونية عديدة، وعقائد مختلفة، وانشقاقات الكنيسة، على مدى ألفي عام[(٢)].

المسيحية مالتْ كثيراً إلى الجانب الروحي، وركّزتْ على المعاني الإنسانية والأخلاقية، فلو تسأل أيَّ مسيحي: ما هي المسيحية؟ يقول وببساطة: المسيحية تعني المحبّة[(٣)]، فهي رسالة إنسانية، تهدف بالأساس، إصلاح ما أفسده اليهود من القيم النبيلة والتشريعات السمحة، يقول الإنجيل على لسان المسيح: ((ماأرسلني الله إلاّ إلى الخراف الضالّة من بني إسرائل)) [(٤)]، فهو لم يأتِ بشريعة دنيوية:((لا تظنوا أنِّي جئتُ لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئتُ لأبطل بل لأكمل)) [(٥)]. ولم يقم تلاميذه الحواريّون بوضع الشرائع والقوانين، لذلك بقي أتباعهم مطلقي الأيدي ، يواجهون كلَّ زمان بما يناسبه من الشرائع والأحكام[(٦)].

---

(١) ينظر : نظرة عن قرب في المسيحية .بربارا براون. ترجمة مناف حسين الياسري ص١٣.

(٢) ينظر: كيف تكون مسيحياً في عالم غير مسيحي ص١٧٣. نقلاً عن: نفس المصدر ص١٣. ومدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى .عادل ثيودور ص١٤٥–١٤٧.

(٣) يقول أحمد عبدالوهاب: المحبة هي أكثر من كلِّ مواهب الروح التي تثير العجب, وأكّدتها المسيحية, إلاّ أنَّه يجب القول, أنَّه مهما كانت نظرياتها اللاّهوتية الرسمية, فقد بقيتْ المسيحية أقلُّ في جانب المحبة, عمَّا هي في جانب الكراهية. ينظر: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة .أحمد عبدالوهاب. ص٢٥١.

(٤) إنجيل متى (٢١:١٥).

(٥) إنجيل متى (١٧:٥).

(٦) ينظر : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.الشيخ محمد الغزالي

على الرغم من أنَّ عيسى عليه السلام أكَّد مراراً أنَّه جاء لإقرار التوراة:((ما جئتُ لأبطل بل لأكمل)) [1]، وشدَّد على الالتزام بالتوراة:((إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الشريعة، حتَّى يتمَّ كلُّ شيء)) [2]؛ فقد خالف بعض جوانب شريعة التوراة، في سبيل إقرار الجانب الأخلاقي، على الرغم من تحذير التوراة من مخالفة شريعتها، حيث ورد: ((مَن دنَّس السبت يُقتل قتلاً، كلُّ مَن يعمل فيه ينقطع من شعبه)) [3]، وعيسى عليه السلام قد أجتاز، هو وبعض تلامذته، حقول القمح وهم يسيرون ويقطعون بعض السنابل، فأحتجَّ الفريسيون[4]، وهم غاضبون، فأجابهم عيسى عليه السلام:((السبت إنَّما جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت)) [5]، ومرة أخرى دخل الهيكل[6]، وكان هناك رجل ميِّت، فجعل النَّاس ينظرون هل يخالف السبت؟

ص٣١. وفي مقابلة أجريناها مع الأب بشار متّى وردة, عميد كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاّهوت, في عينكاوة, بتاريخ ٢٥/١/٢٠١٠م، قال: إنَّ الكنيسة الأمّ –الكاثوليك– سمحتْ لبقية الكنائس بالتَّصرف في شؤون المسيحيين الدِّينية والاجتماعية, وفق مصلحتها , والبيئة التي توجد فيها.

(١) و(٢) إنجيل متى(٥:١٧).

(٣) سفر الخروج (٣١:١٤).

(٤) فرقة أومذهب يهودي, وأصل الكلمة آرامي, وتعني:المنعزلون أوالمنفصلون. وهم يقولون: إنَّهم (حسيديم) أي الأتقياء, و(حبريم) أي: الرفقاء, وهي تزعم أنَّها تدافع عن الشريعة, وميَّزوا أنفسهم عن بقية اليهود, وتؤمن بالبعث والمعاد. ينظر: موسوعة الأديان الميسرة. مجموعة من المؤلفين ص٣٩٤.

(٥) إنجيل مرقس(٢:٢٣).ومتى(١٢:١).ولوقا(٦:١).

(٦) هو المعبد اليهودي المقدس الذي بناه النبي سليمان عليه السلام سنة (٧٩٠ ق.م)، إستخدم في بنائه الحجر والخشب والذهب، واستغرق بناءه سبع سنوات. طوله كان ٢٠ متراً وعرضه ١٠ أمتار. ووضع فيه تابوت العهد، الذي فيه ألواح موسى. وخيمة الإجتماع ومكان المذبح....ينظر موقع: http://ar.wikipedia.com. تاريخ الدخول:١/١٢/٢٠١١

فقال للرجل :قم، ثمَّ قال للحاضرين: هـل يحِـلُّ في السـبت عمـل الخـير أو عمـل الشرِّ؟ إنقاذ نفس أم إهلاكها؟ فسكتوا، لأنَّ الإقرار بإمكان عمل الخير، انتهـاك للسبت، فقال عيسى للرجل: مُدّ يدك، فمدَّها فعادتْ صحيحة كالأخرى[1]. وهذا دليل على أنَّـه ألغـى الشـريعة التوراتيـة، وهـو إلغـاء الجانـب العبـادي لحسـاب الجانب الأخلاقي[2].

يعلّق رينان[3]، على تغيير عيسى عليه السلام لبعض نصوص التوراة، أو مخالفتها بقوله: لم يبق يسوع يهودياً...فقد أسَّس ديانة إنسانية، لا على الدَّم، بل علـى القلب، وقد تجاوز موسى، ولم يبق للهيكل ما يسوغ بقاءَه[4].

تؤكّد نصوص أخرى كثيرة، على أنَّ المحبَّة فقط هي الخلاص، وهي قـوام المسيحي كما جاءتْ في الوصايا التي وردتْ في الأناجيل:((تحب الـرب إلهـك مـن كـلِّ قلبـك، ومـن كـلِّ نفسـك، ومـن كـلِّ أفكـارك، وتحـب قريبـك كنفسـك)) [5]، وكذلك:((هـذه وصـيتي، أحبـوا بعضـكم بعضـاً، مثلمـا أنـا أحـبكم)) [6]، وجاء:((بهذا يعرف الجميع أنَّكم تلاميذي، إنْ كان لكم حب بعض لـبعض)) [7]،

---

(١) إنجيل مرقس(٣:١).ومتى(١٢:٩).ولوقا(٦:٦).

(٢) ينظر: أخلاق الإنجيل .ألبير باير.مصدر سابق .ص١٥.

(٣) آرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٣م) , فيلسوف وكاتب ومؤرخ فرنسي, اشتهر بترجمته ليسـوع المسيح التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً, وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والأسطورية الموجودة في الكتاب المقدَّس, واشتهر أيضـاً بتعريفـه للقوميـة, حيـث خاض نقاشاً حادّاً قائلاً: أنَّ الانتماء إلى قوم ليس مسـألة عـرف, بـل مسـألة إرادة. وأصـبح رينان رمـزاً للجمهوريـة الفرنسـية العلمانيـة القوميـة. ينظـر: htpp||ar.wikipedia.org .تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠/٦/٢٠١١.

(٤) ينظر : أخلاق الإنجيل. مصدر سابق.١٣.

(٥) إنجيل مرقس(١٢:٢٨). ومتى(٢٢:٣٥).ولوقا(١٠:٢٧).

(٦) إنجيل يوحنا(١٣:٣٤).ويوحنا(١٥:١٢).

[1]، وجاء أيضاً:((.....فعلينا نحن أن نحبَّ بعضنا بعضاً))[2]، وورد:((ولتكن المحبَّة صادقة، تجنّبوا الشرَّ وتمسكوا بالخير، وأحبُّوا بعضكم بعضاً كأخوة، مفضِّلين بعضكم على بعض في الكرامة)) [3]، وكذلك ورد:((ولتكن المحبَّة شديدة بينكم قبل كلِّ شيء، لأنَّ المحبَّة تستر كثيراً من الخطايا)) [4].

وقد ربطتْ الأناجيل هذه المحبَّة بالإيمان بالمسيح:((الذي يؤمن به،لا يدان)) [5]، وجاء:((والذي يؤمن بالابن له حياة أبدية)) [6]، وأنَّ هذا الإيمان ليس شيئاً، دون الفضيلة والعمل:((ليس كلُّ مَن يقول لي يا رب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي في السَّموات)) [7]، وورد:((إنَّ مَن يسمع ويعمل يبني بيته فوق الصخر، وأمَّا الذي يسمع ولا يعمل، فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض دون أساس، فصدمه النهر، فسقط حالاً، وكان خراب ذلك البيت عظيماً)) [8]، وجاء أيضاً:((ليس المستقيم من يسمع النطق، بل الذي يسمع الكلمة ويقبلها ويثمر)) [9].

من جانب آخر، وردتْ نصوص تؤكِّد أنَّ الخلاص فقط يأتي من خلال الإيمان دون الفضيلة، بخلاف النصوص السابقة، حيث جاء، أنَّ الذي يحبُّ الله

---

(١) إنجيل يوحنا(١٣:٣٥).

(٢) إنجيل يوحنا(٤:٧–١١)

(٣) رسالة بولس الى أهل رومة(١٢:٩–١٠).

(٤) رسالة بطرس الأولى(٤:٨–٩).

(٥) إنجيل يوحنا(٣:١٨).

(٦) إنجيل يوحنا(٣:٣٦).

(٧) إنجيل متى(٧:٢١).ولوقا(٦:٤٦).

(٨) إنجيل لوقا(٦:٤٧).

(٩) إنجيل مرقس(٤:٢٠).ومتى(١٣:٢٣).ولوقا(٨:١٥).

ويحبُّ قريبه، يحظى بالحياة الأبدية، وأردف بعد هذه الوصية:((إفعل هذا فتحيا)) [1]، وجاء:((فقالوا ماذا نفعل حتّى نعمل أعمال الله؟ فأجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي أُرسل)) [2].

هكذا نجد، أنَّ المسيحية–بطبيعتها–دين روحاني، يهتم كثيراً بالجوانب الأخلاقية والإنسانية، ونصوص الأناجيل–في معظمها–تخاطب العاطفة ولا تخاطب العقل، كما سنوضّحها في المباحث القادمة، إنْ شاء الله تعالى.

المطلب الأول: حقيقة الإنسان في الإنجيل

الإنجيل يصوِّر الإنسان كما صوَّره العهد القديم، من أنَّه صورة الله[3]، وفهم الإنسان مرتبط بمعرفة الله، كما لا يمكن معرفة الله من دون معرفة الإنسان، ولا يمكن أن تعرف الإنسان من دون معرفة الله[4]، وبسبب هذه العلاقة العلاقة بين الإله والإنسان، امتاز الإنسان عن غيره من المخلوقات بأنه يشبه الإله من حيث الفاعلية والعلية، والعقل البشري قبس من الله ، ومخالفته مخالفة للأوامر الإلهية[5].

---

(١) إنجيل لوقا(١٠:٢٨).

(٢) إنجيل يوحنا(٣:٣٦,٦:٢٨,٦:٤٧,٦:٥٤).

(٣) وتشمل صورة الله عموم الجنسين, أي الرجال والنِّساء. ينظر: الخلاصة الشهية في أخصِّ العقائد والتعاليم الأرثوذكسية. أفلاطون مطران موسكو. ترجمة الخوري يوحنا.ص٣٦. كما يتضح ذلك من الكتاب المقدَّس:((صنع الله الإنسان على صورة الله, ذكراً وأنثى)). ينظر: سفر التكوين.(١:٢٧) .

(٤) ينظر : مدخل إلى اللاّهوت الأدبي .الأب بشار متّى.ص٢٣. وروحانية الزواج المسيحي.د.سالم ساكا .ص٦٣.

(٥) ينظر : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط. إيتن جلسون. ترجمة د.إمام عبدالفتاح

يعتقد المسيحي أنَّ الله أنعم على الإنسان دون بقية الخلائق، لأنَّ الله صنعه على صورته وكمثاله، وعلى هذا الأساس، فإنَّ لكلِّ إنسان كرامة، لأنَّ صورة الله معكوسة فيه، وهذه الحقيقة تعطينا احتراماً وهوية[1]، ويعتقد أيضاً، أنَّ رؤية الإنسان من خلال الثالوث[2]، تحفظ له كرامته، ويجعله إنساناً قادراً على استخدام مواهبه وإمكاناته من أجل خير الإنسانية، وهو بذلك يكمل عمل الله الذي بدأ بالخلق، وجعل الإنسان حرًّا ومسؤولاً[3].

يستند كذلك الأنثروبولوجيا[4]المسيحي إلى أنَّ الإنسان مخلوق على صورة الله، في تجدد هويته وغايته، وعلى أنَّه حرٌّ كريم، يتمتَّع بالعقل والذكاء، وأنَّه مخلَّص بالمسيح الذي تجسَّد ومات وقام، ليبيِّن لنا حقيقة الله من جهة، وحقيقة الإنسان، من جهة أخرى[5].

وعلى هذا، فإنَّ المفهوم المسيحي للإنسان ينطلق على أنَّه قيمة مطلقة،

إمام.ص٣٢٨.

(١) ينظر: سفر التكوين(١:٢٧-٣١). واللاّهوت الأدبي. مصدر سابق. ص٢٥. والمبادئ الأساسية.مصدر سابق.ص٨٦.

(٢) هو أساس العقيدة المسيحية, وهو الإيمان بالأب والأبن والروح القدس, وهذه العقيدة لم تكن موجودة في زمن عيسى عليه السلام وإنَّما أُدخلتْ في المسيحية في عهد بولس الرسول, وقد أقرَّها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

(٣) ينظر: مدخل الى اللاهوت الأدبي.مصدر سابق.ص٢٦.

(٤) الأنثربولوجيا كلمة إغريقية مركَّبة من مقطعين,إنثروبوس(Anthropos) , يعني الإنسان. ولوجيا (Logia), يعني دراسة. أي هو دراسة الإنسان أو علم الإنسان(الأنسنة)، وهو علم يدرس الإنسان في أبعاده البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية..... ينظر: الإنسان دراسة في النوع والحضارة. د.محمد رياض ص٩.

(٥) ينظر : المبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة .مصدر سابق.ص٢٤٦-٢٤٧.

على صورة الله ومثاله، وكائن اجتماعي يعيش مع الجماعة[1]، وفي كيانه ما يجعله يتبع ناموس الطبيعة المادية، ولكنه وضع فيه قوة تدعوه إلى ما فوق الطبيعة، وهذا الارتباط بما فوق الطبيعة، جعله ذا كرامة متميِّزة، وجعل من كرامته أمراً كيانياً، لا يمكن لأحد أن ينتزعه عنه [2]، فهو ذو بعدَيْن: آني ولا نهائي، أمَّا من حيث الآني، فهو قابل للتطور والانماء وطلب الكمال لمواهبه، أمَّا من حيث اللاّنهائي، فهو قابل لمعرفة الله ومحبته[3].

والملاحظ هنا، أنَّ الكرامة ولزومها للإنسان لا يختلف في المسيحية والإسلام– كما بيَّنا في الفصل التمهيدي– ولكن هناك اختلاف في سبب وكيفية حصول الكرامة. فالمسيحية تؤكِّد على أنَّ الإنسان مكرَّم لوجود الطبيعة الإلهية، وما فوق الطبيعة في الإنسان، وارتفع إلى مرتبة التبنِّي الإلهي، من خلال المسيحعليه السلام. أمَّا في الإسلام، فإنَّ الله كرَّم الإنسان في الخَلق والمواهب، والحرية وتسخير الكون له، وجعْله خليفة في الأرض...

---

(١) ينظر : العدل في المسيحية والإسلام.مقال ميشيل عواد .ص٦٢.

(٢) رسالة السنة الأربعون رقم(١١٨). ورسالة الشؤون الحديثة رقم(١٨).

(٣) رسالة السنة الأربعون رقم(١١٨).

المطلب الثاني: أهمية الإنسان ووظيفته في الإنجيل

إنَّ الله لم يخلق الإنسان للبطالة[١]، والكتاب المقدَّس يعلِّمنا أنَّ الله أسند إلى الإنسان بعض المسؤوليات، أولها العناية بالجنة:((وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنَّة عدن ليفلحها ويحفظها)) [٢]، وثانيها: أنَّه خلقه ووضعه في الجنَّة للأمتحان، الذي يحتمل عاملين أساسيين، **أوله**: امتحان الإنسان أمر تمليه الطبيعة الإنسانية، لأنَّه مخلوق حرٌّ عاقل، لابدَّ لهذه الإرادة أن توجد بما تختار، وأن يظهر فعلها بما تقبل أو ترفض. **ثانيه**: امتحان الإنسان ضرورة تمليها الطبيعة الإلهية، إذ أنَّ الله يأمر وينهي على الدوام[٣].

تكمن أهمية الإنسان من خلال الغرض الذي من أجله خلق الإنسان، خلقه الله على صورته، وأودع فيه المواهب والإمكانات لاستكمال الخليقة، فهو أشبه بوكيل الله الذي دفع إليه الجنَّة كي(يفلحها ويحرسها) فجعله الله حرَّاً ومسؤولاً، يعمل عمل الخليقة فهو شريك الله[٤]، لأنَّه خلق على صورته، وأعطاه الحرِّية في التَّصرف، في عمل الخليقة، وأنَّ الله قد فرض على الإنسان في هذه الحياة، إقامة العدل والبرِّ بغيره، وأخذ النَّاس جميعاً بالرحمة، هذه هي قوانين الله العليا، التي يجب أن تخضع لها قوانين الدولة وتسترشد بها كافة الأحكام الوضعية، حسب التصور المسيحي[٥].

---

(١) هذه عقائدنا. كلايد تارنر . ص٥٤.

(٢) سفرالتكوين (٢:١٥).

(٣) ينظر : قضايا المسيحية الكبرى. الياس مقار.ص٣٦٨-٣٦٩.

(٤) ينظر : مدخل إلى اللاهوت الأدبي.مصدر سابق.ص٢٨.والإسلام يسائل المسيحية.مصدر سابق.ص٢٢٠.

(٥) ينظر : حقوق الإنسان في الفكر الغربي والفكر الإسلامي .د.فضل الله محمد.ص٩٧.

في المعتقد المسيحي المدوَّن في الأناجيل[1]، أنَّ عيسى عليه السلام هو الذي يحاسب الخلائق، في يوم الدينونة، وهوجالس الآن على يمين الرَّب، ولهذا تفقد العقيدة المسيحية شخصية الرسول القدوة، بل تخلط بين النبوة والألوهية[2]، وجعلوا من المسيح عليه السلام إلهاً يُعبد، لأنَّ روح الله قد تجسَّد فيه، فأصبح هو إلهاً يستحق العبادة، بل ذهب بعض المسيحيين إلى عبادة مريم العذراء، لأنَّ روح الله قد أجتازتها، كما يجتاز الماء القناة.

ويعتقدون أيضاً، أنَّ جزءاً إلهياً ما زال باقياً في الإنسان، حتَّى بعد السقوط في الخطيئة،(فالجزء الباقي في الإنسان هو الطبيعة الروحية العقلية التي لا تزال في بني جنسه، والجزء الذي سقط هو الكمال الأدبي) [3]، والدليل على ذلك، ما جاء في الكتاب المقدَّس: ((...ولد له ولداً على شبهه كصورته، ودعا اسمه شيثاً)) [4]. وأمَّا الصفات التي فقدها بعد السقوط، هي صورة الله في المعرفة، وصورة الله في القداسة[5]، وكذلك فقد صورة الله في البِرِّ والنعمة[6].

---

(١) إنجيل متى (٢٥:٣١-٤٦).

(٢) ينظر: قصة الفلسفة د.ول ديورانت. ترجمة أحمد الشيباني.ص٥٧٧. والإسلام والأديان.مصدر سابق. ص٣٥

(٣) علم اللاّهوت النظامي. ص٥٩٧.

(٤) سفر التكوين(٥:١-٢).

(٥) ينظر:أصول الإيمان المسيحي.ج.أ. وليمسون.ترجمة فايز فضيل. ٣٩/١. والقداسة تعني الخلو من الخطيئة والطهارة التامة, وهي أخصُّ صفات الله التي تميِّزه عن جميع الآلهة الوثنية. ينظر: قاموس الكتاب المقدس. ص٧١٨.

(٦) ينظر: المسيح حياة النفس. دوم كولومبا مريون. ترجمة المطران نصر الله الصفير. ص٦٦.

المبحث الثالث
حقيقة الإنسان في القرآن الكريم

تمهيد في طبيعة الدِّين الإسلامي

الإسلام هو دين الفطرة والوسطية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]، حيث جمع بين الروح والجسد، والعقل والنقل، والدنيا والآخرة، بشكل متوازن، وأعطى للعقل دوراً حاسماً في استنباط حقائق الأشياء. والإسلام أيضاً، رسالة عالمية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، تهدف إلى تثبيت القيم الإنسانية الخالدة، وبناء كيان الإنسان والمجتمع على الرحمة والصدق والعدالة والحق، لكي يحقّق من خلاله إنسانية الإنسان.

---

(١) سورة البقرة من الآية(١٤٣).

(٢) سورة الأنبياء(١٠٧).

رسم الإسلام المنهاج القويم، وأنزل الشرائع والأحكام، تربية وتعليماً، ترغيباً وترهيبا.، حتّى يقيم مجتمعاً إنسانياً فاضلاً، بحيث حرَّم الزنا والقتل والربا والخمر وذميم الخُلق وانتهاك الأعراض، تكريماً للنفس البشرية، وارتفاعاً بها من الحيوانية، وحماية لها من المهلكات، وحياطة لهذا الكيان الإنساني، نفساً وروحاً وجسداً، وأباح إشباع الرغبات والغرائز والشهوات، في حدود الحاجة الإنسانية، ولم يقيِّد الفكر والنفس والجسد، بل أعطى لكل ذي حق حقه، في إطار الحاجة والضرورة وحفظ الكرامة.

ورسم القرآن الكريم أيضاً، فلسفة إسلامية متميِّزة، في رؤية الكون والحياة والإنسان، والعلاقات بين الأحياء، فهو يؤكّد على التوحيد في أعلى قمة التنزيه والتجريد للذات الإلهية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]، وأكّد أيضاً على التنوع والتعدد والاختلاف، وهي سنّة إلهية في جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

---

(١) سورة الإخلاص(١-٤).

(٢) سورة الشورى من الآية(١١).

(٣) سورة الحجرات(١٣).

(٤) سورة هود من الآية(١١٨) ؟

لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[1]. وهذا التمايز والاختلاف آية من آيات الله، وله مقاصد في هذا الاختلاف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[2]، وأنَّ علاقة الفرقاء والمختلفين يجب أن تظلَّ في إطار الجوامع الموحدة عند مستوى التوازن والعدل والوسطية.

وأمر الإسلام بالعبادات في حدود الطاقة والاستطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3]، ونهى عن الإفراط والتفريط والتشدُّد والرهبانية في أمور الدِّين، لأنَّ الإسلام مبني على الفطرة والمنطق والعقل ولأنَّ القرآن الكريم هو دستور الله الخالد، جاء إرشاداً للإنسان نحو الخير والفلاح.

وهو لم يأتِ لإرادة فرد أو أسرة أو طبقة أو حزب، وإنَّما جاء لإرادة الله الذي أراد هداية البشر. والقرآن حافل بمظاهر الحفاوة الإلهية بالإنسان، فلو تأمَّلنا يسيراً في القرآن الكريم، لرأينا وجه الحق في بيان قيمة الإنسان ووظيفته ومنزلته ورسالته، حيث لا تجد أكثر الآيات أو فقرات إلاّ وفيها ذكر للإنسان وحقيقة وجوده وتوجيهه وإرشاده وأمره ونهيه، فالإنسان هو الأساس الأول والعنصر الفعَّال في هذا الكون في نظر القرآن.

ومن أجل ذلك، نقول: إنَّ القرآن الكريم أعطانا صورة واضحة لا لبس فيها، عن حقيقة الدِّين والحياة والإنسان والتشريع والعبادة، يخالف كلَّ الأديان

---

(١) سورة الروم(٢٢).

(٢) سورة المائدة من الآية(٤٨).

(٣) سورة الأعراف(٤٢).

السابقة، ويوافق منطق العقل وطبيعة الإنسان، وهذا لا يعني أنَّ الأديان الأخرى تخالف المنطق والعقل، في تصوير الإنسان، بل لا يرقى إلى ما يقدِّمه القرآن الكريم عن الإنسان .

المطلب الأول: حقيقة الإنسان في القرآن الكريم

لقد أعطانا القرآن الكريم حقائق ثابتة ويقينية عن الإنسان، في تكوينه وصفاته وميوله ورغباته، فهو مخلوق مكرَّم، خلقه الله بيديه من طين،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[2]، ونفخ فيه من روحه،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾[3]. والنفخ فيه،أي:الطين، من روحه، والنسبة في لفظ (روحه) إلى الله تعالى، هي نسبة تكريم وتشريف، وليست نسبة تبعيض وتجزيء، فصارتْ الروح نفساً[4]، وعلّمه من علمه،قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[5]، وأسجد له الملائكة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[6]، وفضله على كثير من مخلوقاته،قَالَ تَعَالَى: ﴿

---

(١) سورة المؤمنون (١٢).

(٢) سورة الصافّات (١١).

(٣) سورة الحجر (٢٨-٢٩).

(٤) ينظر : الإنسان والكون. د.زغلول النجار .ص١٩

(٥) سورة الكهف (٦٥).

(٦) سورة البقرة (٣٤).

عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1]، وميَّزه بالبيان والقدرة والعقل والتفكير،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[2]، ويعطينا القرآن الكريم صورة متناسقة، تبيِّن العلاقة بين مكونات الإنسان، في خلقه من طين، ثمَّ نفخ الروح فيه،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[3].

لذا أصبح الإنسان في حاجة إلى نوعين من الحياة، **أحدهما**: إشباع الحاجات والرغبات والغرائز البدنية، **والثانية**: إشباع الروح المتطلعة شوقاً إلى أصلها بالعبادة. والعبادة هي: فعل اختياري منافٍ للشهوات البدنية، تصدر عن نية يراد بها التقرُّب إلى الله طاعة للشريعة[4]، ويقيناً أنَّ هذا يحقق خير الإنسان، ولا تكون قيداً لإرادته.

وجواب الأسئلة عن حقيقة الإنسان لا يأتي إلاَّ من خلال عقيدة دينية تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول[5]، لذا يجب أن نتصورالإنسان موجوداً متميِّزاً عن غيره من الأشياء، يتمتع بمخزون خاص، ودوافع ذاتية معينة، ونؤمن بنظرية (الفطرة الإنسانية)، ثمَّ نتحدث عن الحقوق

---

(١) سورة الإسراء (٧٠).

(٢) سورة الرحمن (١–٤).

(٣) سورة السجدة (٧–٩).

(٤) ينظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. ص٤٨. والذريعة إلى مكارم الشريعة . ص٣٤. كلاهما للراغب الأصفهاني.

(٥) ينظر : الإنسان في القرآن .العقاد.مصدر سابق. ص٥.

والعدالة والكرامة...الخ[1]. فيجب أن يكون للإنسان خط فطري وإطار خاص بالإنسان، إذا تجاوزه لم يعد إنساناً، ونتصور له حقوقاً– بعد الإقرار بالفطرة الإنسانية– تولد معه وتبقى معه، فإذا خرج عنها، خرج عن الصفة الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[2]، وللحفاظ على الفطرة، على الإنسان أن لا يعطّل الحواس والجوارح، وإلاّ خرج عن الصّفة الإنسانية أيضاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾[3].

وإذا عومل هذا الإنسان معاملة تخالف فطرته، كانتْ تلك ممارسة لا إنسانية، تفقدهم حقوقهم، مثال ذلك فرعون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[4]، لأنَّ تعطيل ما وهب للإنسان يفقده إنسانيته، وبالتالي حقوقه.

ومن جانب آخر، يصوِّر القرآن الكريم الإنسان على حقيقته، في وجهه الآخر، حيث يبرز عيوبه ونقصه، وضعفه وطغيانه...فهي صفات ملازمة للإنسان، حرص القرآن الكريم على بيانه. ونستطيع أن نعرض تلك الصفات مختصرةً وكالآتي:

أولاً/ الظلم والجهل: وهي صفتا ضعف في الإنسان، كانتا سبب عدم تحمل

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان بين الإعلانيين الإسلامي والدولي .محمد علي تسخيري. ص١٦.

(٢) سورة الحشر (١٩).

(٣) سورة الأعراف (١٧٩).

(٤) سورة الزخرف (٥٤).

الإنسان للأمانة التي ألقيتْ على عاتقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1].

ثانياً/ الضعف: الإنسان ضعيف في كلِّ أحواله، في البنية والتفكير، والعمل والقوة، والصبر والتحمل... قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[2].

ثالثاً/ الإعراض: إنَّ الله أنعم على الإنسان نعماً كثيرة، ولكن من طبيعته أنَّه كثير الإعراض والنسيان لهذه النعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾[3].

رابعاً/ الخصومة: من طبيعته أيضاً، أنَّه كثير الخصومة والمجادلة، حتَّى مع ربِّه وخالقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[5].

خامساً/ العجلة: إنَّ الإنسان مجبول على العجلة، وسرعة السؤال، عن الخير والشرِّ، لأنَّه لا يعرف أسباب الأمور وعواقبها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[6]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[7].

---

(١) سورة الأحزاب (٧٢).

(٢) سورة النساء (٢٨).

(٣) سورة الإسراء (٨٣).

(٤) سورة الكهف (٥٤).

(٥) سورة النحل (٤).

(٦) سورة الأنبياء (٣٧).

(٧) سورة الإسراء (١١).

سادسا/ القتور: وهو الشحُّ والبُخل والإمساك عن النفقة[1]، فمن طبيعته أنَّه يحبُّ المال على الرغم من أنَّ الإنسان ليس بقليل المال، على العموم، وحرص الإنسان على المال مخالف لصفات خالقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[3].

سابعاً/ الهلوع: وهو شدة الحرص، وأفحش الجزع، والذي لا يصبر على خير ولا شرّ[4]، فإذا أصاب الإنسان الفقر أو المرض، فهو جزوع، وإذا أصابه الخير والغنى، كان منوعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[5].

ثامناً/ المكابدة والكدح: الكبد: هي شدة ومشقة ملازمة للإنسان، والكدح: هو سعي الإنسان بلا انتهاء[6]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾[7]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[8].

---

(١) لسان العرب. ٣٠/٨

(٢) سورة الإسراء (١٠٠).

(٣) سورة الفجر (٢٠).

(٤) لسان العرب. ٧٩/١٥.

(٥) سورة المعارج (١٩–٢١).

(٦) لسان العرب . ١٠/١٣, ٣١/١٣.

(٧) سورة البلد (٤).

(٨) سورة الإنشقاق (٦)

تاسعاً/ الكنود: وهو الحاسد والجاحد للحق ونعم الله، والجاهل لقدره وضعفه[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[2]

عاشراً/ الخسر: وهو النقصان، وذهاب المال والعقل، والضلال والهلاك[3]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[4].

المطلب الثاني: أهمية الإنسان في القرآن الكريم

إنَّ مصطلح الإنسان يتميز بحضور قوي ناشئ عن كونه هو المخاطب بالقرآن دون غيره[5]، وقد ظلَّ الإنسان المحور الأساسي، الذي يدور حوله خطاب القرآن، في سائر الأغراض، وتعود إليه المعاني في سائر المقامات، وليس ذلك في مجال الخطاب التكليفي فحسب، بل في شرح مختلف الأغراض الوجودي، وهو ما يشهد بأنَّ للإنسان مقاماً في القرآن يختلف عن مقام الموجودات الأخرى[6].

من يتأمَّل في القرآن الكريم، يجد أنَّ الإنسان حاضر في أكثر آياته، إمَّا

---

(١) لسان العرب. ١٣/١١٦.

(٢) سورة العاديات (٦).

(٣) لسان العرب. ٥/٦٥-٦٦.

(٤) سورة العصر (١-٣).

(٥) رغم أنَّ القرآن الكريم يبين أن الجنَّ أيضاً معنيٌّ بالرسالة: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ {سورة الجن(١)}، إلاّ أنَّه يبقى الأمر خاصَّاً بالإنسان، ويكاد يجمع المفسِّرون، على أنَّ الرُّسل ليسوا من الجنِّ، بل من الإنس، ويبقى الجنُّ مكَّلفاً بالتبعية. ينظر: تفسير ابن كثير. ٧/٢٨٩. والتحرير والتنوير. ابن عاشور. ٨/٧٦.

(٦) ينظر: مفهوم الإنسان في القرآن والحديث. مصدر سابق. ص١٠٣-١٠٤.

بـذكر اسـم الإنسـان، أو صـفة مـن صـفاته، أو نهيـه عـن المنكـر، أو أمـره بالمعروف، أو إرشاده....أو بذكر ابن آدم، أو النَّاس، أو البشـر. فهـو يتحـدَّث عن الإنسان، ممَّا يعني أهميته. والآيات التي تمجِّد الإنسان وترفع مرتبتـه فـوق كلِّ الكائنات كثيرة، تتناوله لذاته لا لإعتقاده، من حيث تكوينه البشري، قبـل أن يكون يهودياً أونصرانياً أو مسلماً، أبيضَ أو أسـودَ، غنيـاً أو فقـيراً. يقـول فهمي هويدي:(ليس صحيحاً على الإطلاق أنَّ تلك الحفاوة القرآنيـة مـن نصـيب المسلمين دون غيرهم، كما يتصـوَّر الـبعض، ذلـك أنَّ نصـوص القـرآن شـديدة الوضوح في هذا المجال بالذات، فهي تتحدَّث عن(الإنسان) مرة و(بـني آدم) مـرة أخرى و(النَّاس) مرات، وهذا التعميم لا يخفى دلالته عـن أيِّ عقـل منصـف)[1]، وهذه الألفاظ تدل على الجنس البشري. فقد ورد لفظ الإنسان في القـرآن الكـريم خمساً وستين(٦٥) مـرَّة، ولفـظ البشـر سـتاً وثلاثـين(٣٦) مـرَّة، ولفـظ النَّـاس مائتين وأربعين(٢٤٠) مرَّة، وهـــــذا التكرار والتعمـيم ترسِّـخ في ذهـن المسـلم معنى الإنسانية، ووحــــدة الجنس البشري، والتأكيد على المساواة في القيمـة الإنسانية[2].

فضــــلاً عن ذلك، فإنَّ في القـــرآن ســـوراً تحمل أســـماء الأنبيـاء، وسورة باســـم سورة الإنـــسان، وورد كلـــمة (العـالمين) و(الإنـس) و(العبـــاد)، في غيـــر مـا ســـورة وآية، بـل نجـــــد أنّ القـــرآن الكـــريم بـــدأ بالعـــــالمين(الحَمْـدُ لِلـه ربِّ العَـالَمينَ)، وأنتهــى

(١) مواطنون لا ذميون. فهمي هويدي. ص٨١.

(٢) ينظر : الـنفس الإنسـانية في ضـوء القـرآن والسـنَّة. محمـد محمـد المـدني.ص٢٩. والإسـلام والإنسان. د.عبدالمنعم الخفاجي. ص٧. ومفاهيم اجتماعية بـين الإسـلام والـنظم الوضـعية. د.محمد حسن نورالدِّين. ص٥٢–٥٥.

بـالنّـاس(مِنَ الجِنَّةِ والنّاسِ)، ممَّا يعني أنَّ الإنسان هو نقطة البدأ ونقطة الانتهاء في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وظيفة الإنسان في القرآن الكريم

إنَّ نصوص القرآن لا تقرُّ مذهب بعض النَّظريات التي تزعم بعدم وجود غاية وهدف من خلق الإنسان أصلاً، ولا نعتمد على حدسنا وتقديرنا في تحديد وظيفة الإنسان وغاية وجوده، ولا نستطيع أن ندرك حقيقة الإنسان إدراكاً واضحاً، حتَّى ندرك وظيفته وغايته الأساسية من وجوده.

بل نعتمد على الحقيقة الموضوعية لهذا الكائن، الذي له بنية متحركة، يتحرك لأداء وظيفة وتحقيق غاية، وفق إرادة الخالق الذي أراد كمال الخليقة، ونعتمد أيضاً في معرفة هذه الوظيفة على المصدر الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا مجال للخطأ في هذا المصدر[1]، ألا وهو القرآن الكريم، وفي ضوء آياته يمكن أن نقول إنَّ هناك وظائف عدة تقف وراء الغاية من خلق الإنسان، منها:

أولاً/ العبادة: بمعناه الواسع، فعل اختياري- كما نقلناه عن الراغب الأصفهاني في صفحة(٣٩)- ويضيف إليه ابن تيمية(٦٦١-٧٢٨هـ) عنصراً آخر وهو حبُّ الله والإخلاص له. فالعبادة: اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الباطنة والظاهرة[2]، تصدر عن إرادة حرة، فإنْ لم يكن

(١) ينظر : الإنسان في القرآن. د. محمد لطفي الصباغ. ص٢٩-٣٠. والهدف السامي للحياة الإنسانية. مرتضى المطهري. ترجمة محمد علي تسخيري. ص٢٤-٢٨.

(٢) ينظر : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. ابن تيمية. ص١٥٩.

الإنسان حرّاً، فلا معنى للمسؤولية والمحاسبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1]، وغاية خلق الإنسان تظهر جليّاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، أي ليقرّوا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أي، ليعرفوني، وقال الثعلبي: هذا قول حسن، لأنّه لو لم يخلقهم لما عُرف وجوده وتوحيده[3]، فالغاية من وجود الإنسان– كما في ظاهر الآية– هي العبادة[4]، وفائدة هذه العبادة لا تعود إلى الله، لأنَّ الله غني عن العالمين، بل تعود إلى البشر، لأنَّ العبادة في الحقيقة تعيد للإنسان إنسانيته، وليس المقصود منها فقط الشعائر. يقول سيد قطب(١٩٠٦–١٩٦٦م):(ومن ثمَّ يتجلى أنَّ معنى العبادة، التي هي غاية الوجود الإنساني، أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى؛ أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وأنَّ وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً)[5].

---

(١) سورة الإنسان (٣).

(٢) سورة الذاريات (٥٦).

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٧/٥٥–٥٦. جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري. ٢٢/٤٤٤.

(٤) عند بعض المفسِّرين الآية فيها تخصيص, لأنَّ الخلق فيهم العابد وغير العابد. قال القشيري(ت ٥١٤هـ) : والآية دخلها التخصيص على القطع, لأنَّ المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة, حتَّى يقال أراد منهم العبادة. فالآية محمولة على المؤمنين منهم. إلاّ أنَّ البيضاوي(ت٦٩١هـ) والطبري(ت٦٩٤هـ) , وغيرهما, اختاروا قول ابن عباس الذي يقول: أنَّ الله تعالى ما خلق الجنَّ والإنس إلاّ لعبادته والتذلُّل له, دون أن يميل إلى التخصيص, وهو أولى بالصواب, لظاهر الآية. ينظر: أنوار التنزيل البيضاوي. ٥/٢٤٢. والجامع البيان. الطبري. ٢٢/٤٤٤. وجامع الأحكام. القرطبي. ١٧/٥٦. والتحرير والتنوير. ابن عاشور. ٢٧/٢٥–٢٦.

(٥) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٦/٣٣٨٧.

وبهذه الشمولية في مفهوم العبادة، يصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد كالصبر على الشدائد، والرضى بقضاء الله كلُّها عبادة، وكلُّها تحقيق للوظيفة الأولى، التي خلق الله الجنَّ والإنس لها[1]، وحقيقة العبادة تتمثل في استقرار العبودية لله في النفس والتوجُّه إليه بكلِّ حركة في الضمير، وكلُّ حركة في الجوارح، وكلُّ حركة في الحياة، التوجه بها لخالقه، والتجرُّد من كلِّ معنى غير معنى التعبُّد لله[2]، وهذا المعنى نفهمه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

ثانياً/ حمل الأمانة: الأمانة تشريف وتكليف، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[4]، وتعني الامتثال الطوعي لأوامر الله، أو تكليف الله بالخضوع لأحكام الشريعة[5]، وهي تشريف لا يتنازل عنه إلاّ من يتنازل عن كرامة الإنسان، طمحتْ نفسه إليه حرصاً منه، بحسب خصائص نفسه التي وهبها الله له، على أن يحتلَّ المنزلة الرفيعة، التي تؤهلها له الإرادة الحرَّة بشروط التكليف[6].

---

(١) ينظر : العبادة في الإسلام. د.يوسف القرضاوي. ص٩٥.

(٢) في ظلال القرآن. مصدر سابق. ٦/٣٣٨٧.

(٣) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣).

(٤) سورة الأحزاب (٧٢).

(٥) الإسلام يسائل المسيحية .مصدر سابق. مقال محقق داماد. ص١١٢.

(٦) ينظر: الإنسان في القرآن. مصدر سابق. ص٢٤٦. والحضارة الإسلامية. د.حسن حبنكة الميداني. ص٣٩٢.

ذهب القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ) والبيضاوي(ت٦٩١هـ) إلى أنَّ الأمانة هي تكليف، والتكليف أصل الاستخلاف[1]. وساق ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ)، رحمه الله أقوال العلماء عن الأمانة، ثمَّ قال: وكلُّ هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متَّفقة وراجعة إلى أنَّها: التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو إنْ قام بها أثيب، وإنْ تركها عوقب، فقبِلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلاّ من وفّق الله[2].

وأنَّ الله أكرم الإنسان بهذه الأمانة، وهو يعلم أنَّ باستطاعة الإنسان – على الرغم من معرفة الله أنَّه كان ظلوماً جهولاً– أن يسمو على الملائكة، بالعمل الصالح، وأن يهوي إلى مستوى البهائم بالعمل الطالح.

إنَّ حمل الأمانة من أخصٍّ ما يميِّز الإنسانية، في البيان القرآني...فكلُّ الكائنات مسيَّرة، عدا الإنسان والجن، بمقتضى سنن كونية، تخضع لها على وجه التسخير والامتثال، دون تحمل لتبعة ما تعمل...الإنسان وحده هو المسؤول عن عمله، المحاسب عليه ثواباً وعقاباً، ولا يحمل عنه أحد تبعة مسعاه، ولا يفوِّت بغير جزاء[3].

وذهب الزمخشري(٤٦٧-٥٣٨هـ)، والقرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ)، وبعض المعاصرين إلى أنَّ العرض لم يكن عرضاً حقيقياً، بل هو عرض مجازي وتمثيلي، لأنَّه ليس بين الإنسان والسَّموات والأرض والجبال توازن وتقارب، فهي مسخَّرة وغير مطالبة بحمل الأمانة، وليس لها اختيار، بخلاف الإنسان،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٦٤/١٤. وأنوار التنزيل. البيضاوي. ٣٨٨/٤.

(٢) تفسيرالقرآن العظيم. ابن كثير. ٤٨٩/٦.

(٣) ينظر: مقال في الإنسان –دراسة قرآنية– ص٣٩. والقرآن وقضايا الإنسان. ص٦٣.كلاهما لعائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ).

فهو حرٌّ ومسؤول وله القابلية، في حمل الأمانة، ولهذا نجد أنَّ الآية ذيِّلتْ بـ(إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)، لبيان السرّ في صلاحيته للمسؤولية، وعدم صلاحية السَّموات والأرض والجبال[1].

ثالثاً/ الخلافة وعمارة الأرض: الخلافة جزء من الأمانة، بل هي الأمانة العظمى، الملقاة على عاتق الإنسان الذي اختاره الله وميَّزه عن المخلوقات لهدف وغاية، وكلّفه إعمار الأرض، وشرَّفه بالنفخ فيه من روحه، وأورثه الأرض، وحمّله الأمانة والمسؤولية فهو(سيد في هذا الكون وليس سيد هذا الكون) [2]، فوَضْعُ الإنسان في الكون استخلاف واستئمان، وقد أعطاه الله الطبيعة، ولكنه ليس صاحبها، فقد استخلفه وهو بدوره قبل أن يحمل الأمانة، فلا يجوز أن يبدِّدها وكأنَّه وحده في الكون[3]، وقد أعلن الله هذه المشيئة أمام الملائكة، تكريماً للإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4]، وأوجب على الإنسان عمارة الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾[5].

وفي هذه الخلافة يظفر الإنسان بالسعادة، ويحقق الأهداف الواسعة في

(١) ينظر: الكشاف. الزمخشري. ٣/٥٧٣. والجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٤/٢٥٤. والنفس الإنسانية في ضوء الكتاب والسنة. محمد محمد المدني. ص٣٧-٤٢. وحقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنَّة. يسري السيد محمد. ص٥١.

(٢) الإسلام والتحدِّيات المعاصرة. د.محمد عمارة. ١٦٣-١٦٤.

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. مصدر سابق. ١/١٢٦.

(٤) سورة البقرة (٣٠).

(٥) سورة هود (٦١).

الحياة، ويهيئ نفسه للفوز برضوان الله في الآخرة، وهذا الاستخلاف شرف للإنسان، يقابله واجب بعمارة الأرض وأداء المهمة على خير وجه، وإلاّ كان مقصِّراً ومسؤولاً أمام الله، ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان إلى قيام الساعة، بل متى فارق هذا الإنسان العالم، مات العالم، لأنَّه الروح الذي به قوامه[1].

(١) ينظر: روح المعاني. الآلوسي. ١/٢٢٠–٢٢١. وحقوق الإنسان في الإسلام. د.محمد الزحيلي. ص١٧.

المبحث الرابع
أوجه الاتفاق والاختلاف حول حقيقة الإنسان في الكتب السَّماوية

المطلب الأول: أوجه الاتفاق

تتفق الكتب السَّماوية الثلاثة، على أنَّ الإنسان خلقه الله من التراب، وأعطاه الإمكانات والمواهب ليقوم بالمهمات التي وكِّلتْ إليه. وتتفق في أنَّ شيئاً إلهياً قد حلَّ في الإنسان، وهو الروح، كما اتفق التوراة والإنجيل على أنَّ الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، بحيث شبَّهوا الإنسان بالخالق، حتَّى أنَّ المسافة بينهما تنتهي، وأنَّ قدسية الإنسان تماثل قدسية الإله.

وتتفق الكتب السَّماوية أيضاً، على أنَّ الإنسان مخلوق مكرَّم، من حيث المبدأ.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

تختلف الكتب السَّماوية في حقيقة الإنسان ووظيفته في وجوه منها:

١- يؤكِّد التوراة والإنجيل على أنَّ الإنسان مخلوق على صورة الله، بحيث شبَّهوا الإنسان بالخالق، حتَّى أنَّ المسافة بينهما تنتهي، وأنَّ قدسية الإنسان تماثل قدسية الإله. بينما في القرآن الكريم يؤكِّد أنَّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وحافظ القرآن الكريم على قدسية الإله، والفارق الكبير بينه وبين الإنسان، وأكَّد أنَّ الإنسان مهما علا شأنه، فإنَّه يبقى إنساناً، يعتريه الوهن والضعف والقوة والمرض والشيخوخة والموت.....

٢- ويؤكِّدان أيضاً، على أنَّ الإنسان مكرَّم بسبب وجود الجزء الإلهي الكامن فيه، وأنَّه صورة الله. بينما القرآن الكريم يؤكِّد أنَّ سبب تكريم الإنسان، هو ما وهب له من المواهب، وأنَّه خلقه في أحسن صورة، وسخَّر له الكون وما فيه، وجعله خليفة في الأرض، وما وهب له من الوسائل والإمكانات، التي تجعله متميِّزاً عن باقي المخلوقات.

٣- لم يهتم التوراة والإنجيل بالإنسان، في بيان ميوله ورغباته وصفاته وضعفه، كما إهتمّ القرآن الكريم، بحيث ذكر الإنسان بجانبيه، السلبي والإيجابي، وهو حاضر في معظم آياته، لكونه المخاطب بالقرآن، وصفاً وتكليفاً. كما أنَّ التوراة والإنجيل جعلا الإنسان ساقطاً في الأساس، بوجود الشرِّ فيه، وأنَّه غارق في الخطيئة، بينما القرآن الكريم تحدَّث عن سلبيات الإنسان من خلال صفاته وميله إلى الشرِّ، لا على أساس أنَّ الشرِّ أصيل في الإنسان.

٤- إنَّ مهـــــمة الإنسـان، في ضـوء التـــــوراة والإنجيـل، تنحصـر في حراسـة الأرض وتسخيرها وخلافتهـا، بينمـا الإنسـان في القـرآن الكـريم مكلَّـف أوَّلاً بالعبادة، ثمَّ الخلافة وحمل الأمانة وإعمار الأرض وإصلاحها.

الفصل الثاني

مفهوم تكريم الإنسان في الكتب السَّماوية

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم التكريم في التوراة

المبحث الثاني: مفهوم التكريم في الإنجيل

المبحث الثالث : مفهوم التكريم في القرآن الكريم

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في مفهوم التكريم في الكتب السَّماوية

المبحث الأول
مفهوم التكريم في التوراة

صحيح أنَّ التوراة يؤكِّد على أنَّ الإنسان قد خلق على صورة الله، إلاّ أنَّه ليس من السَّهل أن تجد فيه -كما في القرآن الكريم- نصّاً صريحاً يؤكِّد على مكانة الإنسان وكرامته من حيث كونه إنساناً، دون اعتبارات الجنس واللّون والنسب والدِّين، بل على العكس من ذلك، يؤكِّد على نقاوة الجنس اليهودي وأنَّ الله خلقهم من روحه، واختارهم دون بقية البشر، ليكونوا شعبه المختار، ويوهمون أنَّ لهم إلهاً خاصاً، وأنَّ الجنّة من استحقاقهم، والنبوة محصورة فيهم.

هذه النظرة الاستعلائية على جميع الأمم والشعوب، التي تنطلق من تعاليم كتبهم وأقوال حكمائهم، تركتْ فيهم نتائج خطيرة، كان أبرزها عدم تنزيه الله تعالى، وعدم رعاية منزلة الأنبياء وتقديرهم، كما أدّتْ هذه النظرة إلى المساس بكرامة الشعوب الأخرى، والحط من شأنها واحتقارها، الأمر الذي

شجَّع اليهود على العدوان واستغلال الآخر والانعزال والتمركز حول مفاهيم شعب الله المختار.

بالمقابل انطبعتْ في نفوس غيرهم الصورة البشعة عن اليهود، متمثِّلة في المكر والخديعة وأسرار المهن والعمل بالربا، ممَّا أدَّى إلى كرههم واضطهادهم، حتَّى أنَّ لفظ اليهودي صار من الألفاظ المذمومة عند غير اليهود[1].

من جهة أخرى، فإنَّ انحياز التوراة لصالح اليهود، في التشريع والقيم الأخلاقية التي جاء من أجل إقرارها جميع أنبياء بني إسرائيل؛ يقضي على مفاهيم الكرامة الإنسانية. ولا ندّعي أنَّ التوراة خالية من القيم الإنسانية النبيلة، مثل العدالة والمساواة .....إلاّ أنَّ تحريف اليهود المستمر لكتابهم المقدَّس، وتأويله لصالحهم وتركهم له، وجعل التلمود كتابهم المقدَّس؛ قضى، ولو جزئياً، على المبادئ الإنسانية، وإنْ وجدتْ، فإنَّها منحصرة في بني إسرائيل.

من يطالع نصوص التوراة لا يجد تفسيراً شافياً عن الإنسان وكرامته، بمجرد أنَّه إنسان، بعيداً عن الانتماءات، بل نجد انحيازاً واضحاً لصالح الجنس اليهودي، بل أكثر من ذلك، أنَّ الإله نفسه غير منزَّه، وأنَّه موصوف بصفات إنسانية، والأنبياء المكرَّمون ليس لهم المكانة اللاّئقة بهم، وغير اليهود منزلتهم أدنى من منزلة اليهود أنفسهم.

من أجل بيان هذه الحقائق، وخروجاً من باب الاتهام والنقد، فقد أردت إثبات تلك الحقائق من خلال نصوص التوراة في المطالب التالية:

---

(١) ينظر: سفر التاريخ اليهودي. رجا عرابي. ص٢٥٥-٢٥٦. ومغالطات اليهود وردّها في واقع أسفارهم. عبدالوهاب طويلة. ص٣٦.

المطلب الأول: الله وصفاته في التوراة

إنَّ مَن يدرس العهد القديم[1]– بما فيه التوراة– يجد أنَّ الله غير منزَّه، بحيث ترى من جهة أنَّه إلهٌ خاص باليهود، ومن جهة أخرى، يصفونه بصفات لا تليق بالإنسان العادي، فضلاً عن ربِّ العالمين، فقد وصفوه بكلٍّ ما يوصف به البشر.

فهو إله واحد خاص باليهود دون سواهم، وأنَّ وحدانية الإله عند اليهود مرتبطة بوحدانية الشعب اليهودي، فقد خلع الشعب الوحدانية على الإله، فخلع الإله الوحدانية على الشعب، ومن هنا، فإنَّ مجرى الطبيعة والتاريخ والبشر، يدور بإرادة يهوه[2]، وأنَّه إله لم يخلق اليهود، بل اليهود خلقوه، فجاء في صورتهم ومستواهم العقلي[3]، جاء:((وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا،

---

(١) إنَّ مصطلح العهد القديم يطلق على مجموعة من الأسفار المقدَّسة عند اليهود والمسحيين على السواء. وسميتْ هذه الأسفار بالعهد القديم تمييزاً لها عن العهد الجديد(الإنجيل) , وأول من أطلق هذه التسمية هو (ميلوتس) أسقف ساردوس, عام ١٧٠م. والتوراة الذي كان يشير إلى أسفار موسى الخمسة:(التكوين–الخروج–اللاّويين–العدد–التثنية) ,هو جزء من العهد القديم. وأطلق على جميع أسفار العهد القديم, التوراة ,من باب إطلاق الجزء على الكلّ, ويسمَّى كلا العهديْن(القديم والجديد) : الكتاب المقدَّس. ينظر: الكتب التاريخية في العهد القديم. د.مراد كامل. ص٨. ومقارنة الأديان–اليهودية– د. أحمد شلبي. ص٣٦ .وص٢٣٤. ودروس في الكتاب المقدَّس. القس حارث قريصة. ٣٦/١.

(٢) يهوه هو إسم الإله الخاص باليهود, وقد ورد في العهد القديم عدة تسميات يطلق على الإله, منها: يهوه وألوهيم وأدوناي والله, ويلاحظ في الترجمات الحديثة الاقتصار على إطلاق تسمية الله أو الإله.

(٣) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات. مصدر سابق. ص٤٤٥. و الإسلام والمعتقدات القديمة. مصدر سابق. ص١٧٩. والسيف الأحمر– دراسة في الأصول اليهودية المعاصرة. د. جمال البدري. ص٣٥–٣٦. ومثل الذين حُمِّلوا التوراة. د. ليلى حسن. ص١٦٣.

كشبهنا))[1]، والمقصود بالشبه، شبه الجسم، وخوفاً من مذهب وحدة الوجود، والقول بأنَّه روح، وأنَّه حالٌ في كلِّ شيء، فقد وصف اليهود يهوه بأنَّه مشاكل للإنسان في شكله وعواطفه وأسلوب معاشه[2].

من المؤكّد أنَّ موسى عليه السلام جاءهم بالتوحيد الخالص، ولكن اليهود لم يستطيعوا أن يستقروا -بأستمرار- على هذا التوحيد، بسبب عقليتهم الماديِّة، فقد عبدوا العجل وموسى حيٌّ يرزق، ولم ينتظروا مدة أربعين يوماً، ويعلّل ول ديورانت[3]، عدم ثباتهم على التوحيد وعبادتهم العجل بقوله: لأنَّ عبادة العجول كانت لا تزال حيَّة في ذاكرتهم[4]. وكثيراً ما كانوا يقلّدون معبودات الأمم الأخرى المجاورة لهم، والتي كانت لهم حضارة، بناءً على أنَّ المنهزم يقلّد المنتصر غالباً[5]، وكانت عبادة الأوثان باقية فيهم، منذ دعوة إبراهيم وبعد ظهور الأنبياء عليهم السلام، وحتّى في زمن موسى عليه السلام وبعده.

ويكمن حصر الأسباب التي أدَّتْ إلى بقاء وتأثُّر اليهود بالوثنية في ثلاثة أمور[6]:

الأول/ ما تعرض لها اليهود في فترات الاضطهاد والسبيٍّ والاختلاط بالأمم الوثنية، على مدى تاريخهم الطويل.

---

(١) سفر التكوين(١:٢٦).

(٢) ينظر: الإسلام والمعتقدات القديمة. مصدر سابق. ص١٧٩.

(٣) ويليام جيمس ديورانت(١٨٨٥-١٩٨١م) فيلسوف وكاتب ومؤلف أمريكي, من أشهر مؤلفاته(قصة الحضارة)، حيث شاركته زوجته(أريل ديورانت) في تأليف هذا الكتاب. ينظر: www.almarifa.org|index.php . تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٣٠م.

(٤) قصة الحضارة. ول ديورانت. ترجمة عادل زعيتر. ٣٣٨/٢.

(٥) مقارنةالأديان- اليهودية- د. أحمد شلبي. مصدر سابق. ص١٧٢.

(٦) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة. د. فتحي الزعبي. ص٤١٣.

الثاني/ فقدهم التوراة المنزَّل على موسى(عليه السلام) ، ومن ثمّ تحريفهم له أثناء تدوينه من جديد.

الثالث/ الاستعداد النفسي للانحراف، إذ لو لم يكن لديهم هذا الاستعداد للوثنية؛ لكان من الممكن أن يتغلّبوا على ما قاسوه من الاضطهاد والسبيِّ، بل لولا اندفاعهم وطلبهم الوثنية، دون إكراه، لما تعرضوا إلى الاضطهاد والعقوبات الإلهية أصلاً.

بسبب هذه الطبيعة، فقد اقتبس اليهود من الأمم المجاورة لهم أخسَّ ما في حضاراتها من عيوب وعادات ضارّة وخرافات، وتقرَّبوا إلى آلهتها، وقرَّبوا لها القرّابين، كما قرَّبوا لإله قبيلتهم يهوه العبوس الحقود، الذي لم يثقوا به رغم إنذارات أنبيائهم[1].

نظراً لهذه التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد أصبح اليهود ذا نفسية معقّدة وملتوية، وأنَّ أسفار العهد القديم صوَّرتْ هذا الإله فجعلته أشبه بيهودي مثلهم، يحبُّ ما يحبّون ويكره ما يكرهون[2]،

وقد اعتقد اليهود، في مراحل من تاريخهم، في الإله على أنَّه إله قبلي، ينتمون إليه بصلة الدَّم، فهو لهم بمثابة الأب، وحبسوا هذا الإله داخل الإطار الإنساني المحدود، لم يستطع خيالهم أن يتسامى إلى ما وراء الحدود المادية، فخرج في روايات توراتهم في صورة تأباها النَّفس ويمجُّها الذوق، صورة أقرب إلى المادية منها إلى الروح، وهو أمر تنبَّهتْ إليه الأديان الكتابية فيما بعد،

---

(١) ينظر: اليهود في الحضارات الأولى. غوستاف لوبون. ص٢٠. ومقارنة الأديان. مصدر سابق. ص١٨٢.

(٢) موسوعة العقيدة والأديان–اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري– د. فرج الله عبدالباري. ٩١/٥.

وضغطتْ على الناحية الروحية ضغطاً واضحاً[1].

إنَّ الموضوعية يحتّم علينا ألاّ نكتفي بمجرد نقل الأقوال، بل أن نبحث في التوراة ونستدل من خلاله على هذه الحقائق التي ذكرها العلماء، لأنَّ الدَّارس للتوراة يجد أنَّ فكرة الألوهية غير صحيحة، فهو يصوِّر الله في صورة مجسَّمة، ووصفوه بكثير من الصفات التي لا تليق بذاته.

وأوَّل تلك الصفات التي أطلقها اليهود على إلههم، أنَّه إله خاص لبني إسرائيل: ((إنَّك شعب مقدَّس للربِّ، وقد اختارك الربُّ لكي تكون له شعباً خاصاً، فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض)) [2]، ويبدو أنَّ هناك تناسقاً بين شعب الله المختار والإله الخاص، لأنَّ الدِّين الخاص لابدَّ أن يكون له إله خاص، وقد اعتبر الإسرائيليون أنَّ كرامة الله مرتبطة بكرامة الأمّة، ممّا جعلهم يعتقدون أنَّ الله ملزم بأن يحامي عنهم، لأنَّ حمايتهم حماية لكرامته هو، وإذا حدث أن سقطتْ الأمّة، فمعنى هذا، في نظرهم، أنَّ الله نفسه– والعياذ بالله– قد سقط[3].

هذا المعنى أكّده سفر أشعياء، حيث ورد:((لكرامة إسمي أبطيء غضبي، وأردُّ عنك لئلاّ أقطعك))[4].

وهذا الإله الخاص لبني إسرائيل، يصفه الدكتور أحمد سوسة، بأنَّه إله لا

---

(١) ينظر: مصر والشرق الأدنى القديم. د.نجيب ميخائيل. ٢٢٠/٣–٢٢١. وبنو إسرائيل. د. محمد بيومي. مصدر سابق. ٤١٣/٤. والعقائد المشتركة. خالد صلاح. ص١١٠.

(٢) سفر التثنية(١٤:٢).

(٣) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٨١/٣. والشخصية الإسرائيلية. عبده الراجحي. ص٤٧.

(٤) سفر إشعياء(٩:٤٨).

يهمه في العالم والخلق غير اليهود، شعبه المختار، على غرار مبدأ التفريد[1]،عند الأقوام الوثنية[2]، ولكن بسبب طبيعة اليهود المتمرِّدة، يعاقبهم الإله حيث جاء:((وكلّم الربّ موسى فقال: إلى متى يستهين بي هؤلاء الشعبُ، وإلى متى لا يؤمنون بي مع جميع المعجزات التي صنعتها فيما بينهم، سأضربهم بالوباء وأفنيهم...)) [3].

ولا يقف التوراة عند هذا الحدِّ، بل يصف هذا الإله بجميع صفات البشر، فهو تعب من خلق السَّموات والأرض واستراح في اليوم السابع:((وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله)) [4].

وهذا الإله يخلق الإنسان ثمَّ يندم[5]،:((فندم الربُّ أنَّه صنع الإنسان على

---

(١) التفريد هو: تخصيص إله أو جملة من الآلهة بالتعظيم والعبادة, دون ترك الآلهة الأخرى. ينظر: تاريخ الأديان. د.رشدي عليان ود.سعدون الساموك. ص٦٥. وعند الصوفية التفريد تعني: أن يعتقد أنَّه ما ثمَّ في الحياة إلاَّ فرد واحد,هو الله, وإنْ تعدّدتْ وجوداته, بحسب ما يظهر للنَّاس, ولكنّ الحق واحد. ينظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. عبد الرحمن بن عبدالخالق اليوسف. ٢٠/١. وموقع: http//www. salafi.net تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠/٤/٢٠١١م.

(٢) مفصّل العرب واليهود في التاريخ. د.أحمد سوسة. ٩٣.

(٣) سفر العدد(١٤:١١).

(٤) سفر التكوين(٢:١-٢).

(٥) لقد حاول بعض علماء اليهود أن يحمِّلوا نصوص الندم على المجاز, فقال ابن كمونة(ت ٦٧٦هـ) : مَن يفعل ما يفعله النادم منّا يسمّى نادماً مجازاً, وقد نطقتْ التوراة وكتب النبوات, بأنَّ الندم لا يصح على الله, فلا بدَّ من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل, وذلك أنَّه لمَّا أهلك الخلائق بالطوفان أخبر قبل أن يهلكهم, وعبَّر عن ذلك: بأنَّه ندم على خلقهم, تمثيلاً بمَن يندم على شيء فعله. ثمَّ قال: وعلى مثل هذا تأويل كلّ ما ورد من ذلك, بما يناسبه في كتب الأنبياء الذين على ملة موسى, وفي كتب الأحبار. ينظر: تنقيح الأبحاث

الأرض وتأسّف في قلبه)) [1]، وندم أيضاً،أنَّه جعل شاؤل(طالوت) ملكاً:((ندمتُ على أقامتي شاؤل ملكاً، لأنَّه مال عني، ولم يسمع لكلامي)) [2]، وندم على الشرِّ الذي أراد أن ينزله بشعبه، وذلك بعد توسط موسى في ذلك:((....أرجع عن شدة غضبك... فندم الربُّ عن الشر الذي قال إنَّه سينزله بشعبه)) [3]، وهو يرتاح وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من المحرقات، وإنَّه يغضب إذا لم تقدم له بالصورة التي يرضاها: ((....ويوقد الكاهن هذا كلَّه محرقة وقيدة، وترضي رائحتها الربَّ)) [4].

هذا الإله، حسب التوراة، إله غيور، ولكنه لا يميِّز بين بني إسرائيل والمصريين فأمرهم برش الدَّم على بيوتهم لتكون علامة لهم:((...ويأخذون من دمه ويرشونه على جانبي الباب... فيكون الدم على البيوت التي أنتم فيها، علامة لكم، فأراه وأعبر عنكم ولا أفتك بكم)) [5].

وهو يمشي في الجنَّة، ولا يعلم أنَّ آدم وحوَّاء قد أكلا من الشجرة:((وسمع آدم وامرأته صوت الربِّ الإله يتمشّى في الجنَّة عند المساء، فاختبأ من وجه الربِّ، فنادى الربُّ الإله آدم وقال له: أين أنت؟.....هل أكلتَ من الشجرة التي

للملل الثلاث. سعد بن منصور بن كمونة. ص٣٤. وقد ردَّ عليه علماء المسلمين بأنَّ الندم على الله نقيصة, وهو منزَّه عن ذلك, سواء كان حقيقة أم مجازاً. ينظر: مغالطات اليهود. مصدر سابق. ص٤٣٩.

(١) سفر التكوين(٦:٦).وسفر عاموس(٦:٥-٦).

(٢) سفرصموئيل الأول(١١:١٥). وسفر أرمياء(١٨:٧-١٠).

(٣) سفر الخروج(٣٢:١٠-١٤).

(٤) سفر اللاويين(١:١-١٧).و(١٦:٣-١٧).

(٥) سفر الخروج(١٢:٧-١٤).

أوصيتك ألاّ تأكل منها؟))[1]، وورد أنَّ موسى وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله، وأكلوا وشربوا معاً:((ثمَّ صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو[2]، وسبعون من شيوخ بني إسرائيل، فرأوا إله بني إسرائيل، وتحت قدميه شِبْه رصيف من الياقوت.....ثمَّ أكلوا وشربوا معاً)) [3].

وجاء في التوراة أنَّ الربَّ ينتقم من العباد ويخاف منهم ومن وحدتهم، ولهذا شتَّتهم وبلبل ألسنتهم، حتى لا يفهم بعضهم بعضاً:((...ها هم شعب واحد، ولهم جميعاً لغة واحدة، ما هذا الذي عملوه[4]، إلاَّ بداية، ولن يصعب عليهم شيء ممَّا يبنون أن يعملوه، فلْننزل ونبلبل هناك لغتهم حتَّى لا يفهم بعضهم لغة بعض....))[5]. ولو قارنا هذا مع ما ورد في القرآن الكريم، لأدركنا أنَّ هذا الكلام يستحيل أن يكون كلام الله، لأنَّ الله لا يناقض نفسه،قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[6]،وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[7]. فالقرآن يؤكِّد أنَّ الاختلاف في الألسن والألوان، وجعل النَّاس شعوباً وقبائل، هو سنَّة الحياة ، لتحقيق التعارف والتآلف والوئام بين النَّاس ، وليس خوفاً من وحدة البشر، كما يؤكِّده التوراة.

---

(١) سفر التكوين(٣:٨–١٣).

(٢) ناداب وأبيهو هما من أولاد هارون عليه السلام أخو موسى, بحسب ما ورد في سفر اللاويين(١:١٠).

(٣) سفر الخروج(٢٤:٩–١٢).

(٤) بحسب ما ورد في سفر التكوين(١١:١–٥). أنَّهم كانوا يبنون برج بابل, ومدينة عظيمة.

(٥) سفر الخروج(١١:٦–٩).

(٦) سورة الحجرات (١٣).

(٧) سورة الروم (٢٢).

وورد أن يعقوب عليه السلام صارع الله ، فصرعه من المساء إلى الصباح، وأنَّ الله لم يستطع أن يتغلّب عليه: ((....ولمّا رأى أنَّه لا يقوى على يعقوب، ضرب حُقّ وركه...فقال: لا يدعى إسمك يعقوب بعد الآن، بل إسرائيل[١]،لأنَّك غالبتَ اللهَ والنَّاس وغلبْتَ)) [٢].

حسب التوراة فإنَّ موسى يطلب من الربّ أن يسير معهم:((فقال الربُّ: أن أسير معك وأهديك، فأجاب موسى: إنْ كنتَ لا تسير معي، فلا تصعدنا من هنا، كيف يعرف أنَّك راضي عنّي وعن شعبك)) [٣]، وهو يسير أمامهم:((وكان الرَّبُّ يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب، ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم)) [٤]، وهو يحارب عنهم:((لا تخفهم لأن الرَّب إلهكم هو المحارب عنكم)) [٥]، وينزل الرب ويقف أمام الخيمة:((فنزل الربُّ في عمود سحاب ووقف على باب الخيمة ونادى هارون ومريم، فخرجا كلاهما)) [٦].

من يراجع سفر أرمياء[٧]، وسفر المزامير[٨]، وسفرأشعياء[٩]، يرى العجب

---

(١) (إسرا) , في اللغة العبرية يعني: العبد, و(إيل) ,يعني: الإله. فإسرائيل يعني: عبدالله, أو عبدالإله. ينظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ. مصدر سابق. ص٤٩٣.

(٢) سفر التكوين (٣٢:٢٥–٣٠).

(٣) سفر الخروج (٣٣:١٤–١٧).

(٤) سفر الخروج(١٣:٢٢–٢٣). ويعلّل المؤرخ ج. سميث هذا النص بقوله: أنَّ شبه جزيرة سيناء منطقة بركانية, يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين, يضيء في الليل, ويكون عمود سحاب في النهار. نقلاً عن: مقارنة الأديان–اليهودية– مصدر سابق. ص١٨٥.

(٥) سفر التثنية(٣:٢٢).

(٦) سفر العدد(١٢:٥–٨).

(٧) سفر إرمياء(٩:٧ و ١٩:٤).

(٨) سفر المزامير(١٠:٤ و ١٨:٩).

(٩) سفر إشعياء(١٦:٢٦–٢٨ و ٥٩:١٧).

العجب العجاب من الأوصاف الإنسانية التي يصفون بها إلههم يهوه.

يبدو من كلِّ هذا، أنَّ يهوه هو ربُّ بني إسرائيل، ولكنه ربٌّ بشريٌّ غريب، فيه من الأوصاف ما يجعله ليس مرشداً هادياً، وإنَّما يجعله يمثِّل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم[1]، وميولهم النفسية وليس إلهاً عالمياً منزَّهاً، لأنَّ هذه الصفات يستحيل عقلاً وشرعاً أن تكون صفات الإله الذي هو ربُّ العالمين، الذي وصف نفسه بـ:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]، الذي هو هو ربُّ الجبروت والعزة والكمال.

في الحقيقة أنَّ هذه الأمّة لم تفهم حقيقة الذات العلية، ولم تقو عقولهم على تلك الصفات الكاملة والمنزَّه عن كلِّ مظاهر النقص والمخالفة للحوادث، كما أخبر به القرآن الكريم[3].

فيا ترى إذا كان هذا هو موقف التوراة –حاشا التوراة الحقيقي– مع ربِّ العالمين، والخالق العظيم، فكيف يكون موقفه من البشر؟!

المطلب الثاني: كرامة الأنبياء في التوراة

---

(١) ينظر: مثل الذين حُمِّلوا التوراة. د. ليلى حسن. مصدر سابق. ص١٥٢.

(٢) سورة الشورى من الآية (١١).

(٣) ينظر: أضواء على اليهودية. د. محمد أحمد دياب. ص٤٧.

الأنبياء الكرام هم صفوة البشرية، وهم لم يبلغوا هذه المكانة عبثاً، فهم كانوا على درجة كبيرة من الخُلق والانضباط، اصطفاهم الله بين خلقه، وتعهّد لهم بالوحي.

فهم منار السالكين والمهتدين، أراد الله بوجودهم بين النَّاس أن يكونوا الأسوة الحسنة والمثل الأعلى للنَّاس كافّة، وأنَّ الله لا يرسل إلى النَّاس إلاَّ خيارهم وصفوتهم، خلقاً وسلوكاً ونسباً، ووهبهم صفات تميِّزهم عن غيرهم، فامتازوا بصدق الدعوة والأمانة والإخلاص والتوبة، وهم من أشرف أفراد النوع البشري، من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي والعصمة من الزَّلل والزيغ والكذب والبهتان(1).

وقد وصف اليهود بعض الأنبياء عليهم السلام، بأقوال وأوصاف لا تليق بالكفرة، وهم ينزِّهون أنفسهم عن الوقوع في مثل هذه الصفات- وهم جديرون بها- فكيف ينسبونها لنبيّ من الأنبياء ؟، لأنَّ هذه الصفات تتنافى مع وضعهم الاجتماعي، وتتعارض مع خلق الأنبياء، ولا يتوقع صدور هذه الصفات إلاَّ من سفلة النَّاس(2).

يوجد في التوراة صور وأحكام متناقضة، فمرَّة يحرِّم الزنا والفواحش، ويضع الحدود القاسية(القتل والرجم) على مرتكبيها، ومن جهة أخرى يصف

---

(1) ينظر: فتاوى ابن تيمية. 15/30. ولوامع الأنوار البهية. محمد بن أحمد السفاريني. 2/266-267. وبنو إسرائيل. د.محمد بيومي. 3/142. ومقارنات الأديان-بحوث ودراسات- د.محمد الشرقاوي. ص192.

(2) ينظر: الحسام الممدود في الردّ على اليهود. أبي محمد عبد الحق الإسلامي. والسلطان العلوي الشريف سليمان بن محمد. ص57. والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. ص40-48. ومعالم قرآنية. مصدر سابق. ص140-141.

الأنبياء الكرام -كذباً وبهتاناً- بأنَّهم زناة، ويمارسون الزنا، وأنَّ بعضهم من أولاد الزنا.

لاشكّ أنَّ تحريم الزنا والفواحش هو من أوامر التوراة، الذي جاء به موسى عليه السلام، وأنَّ اتهام الأنبياء بالزنا وارتكاب الفواحش والموبقات، من أكاذيب الأحبار والكتبة[1].

فالتوراة الحالية يصوِّر هؤلاء الأنبياء على أنَّهم يرتكبون الموبقات، ويحرصون على الشهوات، يكذبون ويخادعون ويشربون الخمر، ويزنون بالقريبات والبعيدات والمحْرمات، ويسرقون ويستولون على الأموال[2].

من جهة أخرى، يتوسَّعون في دائرة النبوة والأنبياء-خاصة العلمانيين منهم- فيدخلون كلَّ مَن هبَّ ودبَّ، من الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء، استمراراً للوحي والنبوة[3].

ولكن كثرة الأنبياء في بني إسرائيل ليست دليلاً على اختيارهم وتفضيلهم ونقاوتهم، كما يدَّعون، بل هي دليل على انحرافهم وفسادهم وسوء أخلاقهم وتمكُّن الشرِّ في نفوسهم وعدم دخول الإيمان في قلوبهم، بحيث يصعب علاجهم وإصلاحهم. وقد استغلَّ اليهود هذا الحدث، وادعوا أنَّهم الشعب المختار، وأنَّ النبوة محصورة فيهم، وأنَّ فهم اليهود للنبوة ودورها وتطوّرها، مرتبط بما

---

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. د.محمد علي البار. ٣٣٥.

(٢) ينظر: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. مصدر سابق. ص١٤٠-١٤١.

(٣) الإسلام والأديان. مصدر سابق. ص١٧٩. ويعتقد اليهود أنَّ باب النبوة مفتوح, وأنَّهم ما زالوا ينتظرون المسيح المنتظر من نسل داود, وأنَّ كثيراً من العلمانيين في القرن العشرين أدخلوا تيودور هرتزل, مؤسِّس الصهيونية الحديثة, في الأنبياء. ينظر: الفكر الدِّيني اليهودي - أطواره ومذاهبه - د.حسن ظاظا. ص٥-٦.

تعطيه معنى لفظ النبي[1]، ومرتبط بالدور الذي يؤدِّيه النبيُّ، ممَّا يعني تطوراً في طبيعة النبوة ومعناها، وقد أدّى هذا الارتباط، إلى إلتصاق اللّفظة بطابع وظيفي، وهذا الطابع هو الطابع المنفتح للنبوة اليهودية، حيث أصبح في متناول كلِّ شخص أن يؤدي وظيفة أو يلعب دوراً في صياغة حياة الشعب اليهودي، أن يصبح نبيّاً، وربَّما هذا الطابع هو الذي فتح المجال للمرأة[2]،أن تؤدِّي دور النبوة[3].

هذا يؤكّد أنَّ اليهود لم يفهموا رسالة الأنبياء على أنَّهم مختارون من الله

---

(١) النبي: هو المنبأ, المأخوذ من النبأ, أي: الخبر المفيد. ويصحّ فيه معنى الفاعل والمفعول, وهما متلازمان , فالنبي الذي ينبئ بما أنبأه الله, والنبي الذي أنبأه الله, وهو منبئ عمّا أنبأه الله, فإذا أنبأه الله , فهو نبي الله. ينظر: النبوات. ابن تيمية. ص٢٣٥. وفي لسان العرب: النبي مشتق من النباوة, أي الشيء المرتفع, والنبي: هو المخبر عن الله. والتنبأ: هو ادعاء النبوة. ينظر: لسان العرب. ١٦٩/١٤. وعند بني إسرائيل يسمَّى(نابي) , بمعنى الشخص الذي ناداه الله, أو الذي له دعوة عند الله. والفعل الأكدي ((Nabu, يؤدِّي نفس المعنى, وفي شريعة حمورابي,(Nabi) الذي معناه المنادى, أي الشخص الذي شعر بأنَّ الله يناديه. ينظر: بنو إسرائيل. د. بيومي. مصدر سابق. ٢٤/٥. وجاء في قاموس الكتاب المقدس عن النبي: الشَّخص الذي يتكلّم أو يكتب عمَّا يجول في خاطره, دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره, بل هو من قوة خارقة عنه. ينظر: قاموس الكتاب المقدس. ٩٤٩/٢. بيروت. ١٩٦٧م.

(٢) لقد مارست المرأة اليهودية النبوة, وورد في العهد القديم أسماء بعض النسوة اللّواتي لعبنَ دور النبوة والقضاة, خلال التاريخ اليهودي الطويل. وخاصة في عصر القضاة. وسوف نشير إلى بعض الأمثلة في مبحث منزلة المرأة عند اليهود.

(٣) ينظر: الشخصية اليهودية. د.صلاح عبدالفتاح الخالدي. ص١١٦. واليهود في القرآن. عفيف عبدالفتاح طبارة. ص٤٣. وحول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل. م.س. سيجال. ترجمة د.حسن ظاظا. ص٣٥. والإسلام واليهودية–دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين. د.عماد علي عبدالسميع. ص١١٣.

لتبليغ مشيئته، وإنَّما اعتبروهم طائفة من المشعوذين الذين يتلقفون علوم التنجيم والعرَّافة وقراءة الغيب ومعرفة الطالع في مدارس خاصة[1]، وقد استغلَّ بعض المتنبِّئين هذا الوضع، وأخذوا التنبؤ حرفة لهم، وبضاعة يعرضونها، ويتخذون عليها أجراً.

على هذا الأساس بنى اليهود معاملتهم مع الأنبياء، أو ربَّما رفعوا الكهنة[2]،إلى مصاف الأنبياء، أو هبطوا بالأنبياء إلى درجة الكهانة، أو ربَّما لم يكن هناك أي فارق بين الكاهن والنبي والساحر، يخطئ ويقارف الآثام، أبان الأيام الأولى، التي كانت العبادة فيها تقام على مرتفعات كثيرة في البلاد، والتي

(١) ينظر: المجتمع اليهودي. د.زكي شنودة. ص٨٨.

(٢) من الفعل العربي(كهن) , ويعطي معنى وثنياً, وهو التحدُّث بالغيب. والكاهن عند اليهود, هو الذي يقدِّم الذبائح والقرَّابين. وفي المسيحية, هو من نال درجة الكهنوت, أي يمارس أسرار الكنيسة, مثل المعمودية والتوبة والزواج....ينظر: موسوعة الأديان (الميسرة). نخبة من العلماء. ص٢٣٥. والجدير بالملاحظة, أنَّ الكهانة وظيفة, والنبوة ليست كذلك, وهناك فرق بين جوهر العمل , فالكاهن موكول بالشعائر والمراسيم, بينما النبي يهمه جوهر الدِّين وحقيقته , ولكن بالنسبة للتوراة فالأمر مختلف, حيث يوجد ازدواج بين وظيفة الأنبياء والكهنة, ويبدو هذا الازدواج واضحاً في أسفار التوراة, حيث يربط بين الكاهن والنبي, والدليل ما ورد في سفر أشعياء(٧:٢٨) :((حتى الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر)). وسفر أرمياء(٧:٢٦) :((فسمع الكهنة والأنبياء...)). وفي بعض الأحيان يذكر الكاهن قبل النبي, لأنَّ الكهنة أكثر أهمية في المعبد, وكان الأنبياء تبعاً لهم. يقول سفر هوشع(٥:٤) : ((...أنتم أيُّها الكهنة تسقطون في النّهار وفي الليل, ويسقط الأنبياء أيضاً معكم)). والأنبياء الكذبة كانوا آلة في أيدي الكهنة, حيث ورد في سفر أرمياء(٣١:٥) : ((الأنبياء يتنبأون زوراً, والكهنة يجمعون ما تصل إليه أيديهم)) , والذي يؤكِّد هذا الارتباط الوثيق بينهما, أنَّ الأنبياء لم يوجِّهوا أيَّ نقد للكهنة. ينظر: بنو إسرائيل. د. بيومي. مصدر سابق. ٥/٤٤-٤٥.

كانت الأفكار الدينية في أثنائها غير مستقرة نسبياً[1].

لا شكّ أنَّ هذا الفهم الخاطئ للنبوة عند اليهود، هو السبب في جعل النبوة مدنَّسة في أسفار العهد القديم، لدرجة تقشعِّر منها الأبدان والجلود، يتحاشاها للفضلاء من البشر، فضلاً عن الأنبياء الكرام. وللوقوف على حقيقة موقف التوراة المتناقض في حق الأنبياء، نوثِّق هذا الموقف بنصوص التوراة، في حق بعض الأنبياء، وكالآتي:

أولاً/ نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهو أبو البشرية بعد الطوفان، وورد ذكره في التوراة، ولكن بشكل متناقض، حيث ورد من أنَّه كان رجلاً صالحاً:((كان نوح في زمانه رجلاً صالحاً لا عيب فيه، وسلك نوح مع الله))[2]، ومن جهة أخرى، يصفه التوراة على أنَّه شرب الخمر، وسكر حتَّى ذهب عقله، فتعرَّى وانكشفت سوءته، ورآه ابنه حام، وبعد أن أفاق من سكره، لعن كنعان ولم يفعل شيئاً، وحكم عليه بالعبودية لأخوته:((وشرب نوح من الخمر، سكر وتعرى في خيمته، فرأى حام أبو كنعان عورة أبيه، فأخبر أخويه، وهما خارجاً، فأخذ سام ويافث ثوباً وألقياه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء ليسترا عورة أبيهما...فلمَّا أفاق نوح من سكره، وعلم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبداً ذليلاً يكون لأخوته))[3].

هذه هي صورة نوح عليه السلام في التوراة، التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون،

---

(١) ينظر: معالم تاريخ الإنسانية. هـ. ج. ويلز. ترجمة عبدالعزيز جاويد. ص٣٠١-٣٠٢. وبنو إسرائيل-النبوة والأنبياء- مصدر سابق. ٤٥/٥. والإسلام واليهودية. مصدر سابق. ص١١٥.

(٢) سفر التكوين(٦:٩).

(٣) سفر التكوين(٩:٢١-٢٨).

والمنسوب إلى موسى الكليم زوراً وبهتاناً، وما ذنب كنعان– وهو ابن حام–
وربَّما لأجل هذا ورد في التوراة: ((الربُّ إله غيور أعاقب ذنوب الآباء في الأبناء،
إلى الجيل الثالث والرابع ممَّن يبغضونني)) [1].

يعلِّق ابن حزم(٣٨٤–٤٥٦هـ) على قصة نوح في التوراة، ويقول: وهل أصبح أبناء حام عبيداً ؟....ثمَّ نسي المحرِّف وقال بعد ستة أسطر: بنو حام هم: ((كوش ومصرايم وفرحا وكنعان..))، وكوش بن حام ولد له نمرود، الذي أبتدأ جبّاراً في الأرض....وكان أوَّل مملكته بابل، فحاصل هذا الخبر، تكذيب نوح عليه السلام لأنَّ أبناء حام صاروا ملوكاً على أبناء سام، ولم يصبحوا عبيداً كما حكم نوح [2]، بحسب ما ورد في التوراة.

ثانياً/ إبراهيم عليه السلام :

إنَّ اليهود يرجعون أصلهم إلى إبراهيم عليه السلام ويصفه التوراة بأنَّه كان رجلاً بارًّا، وأنَّ الله يدعوه ويباركه:((فأجعلك أمَّة عظيمة، وأباركك وأعظِّم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك)) [3]، وقال له: ((لا تخف يا أبرام، أنا تُرْسٌ لك، وأجرك عندي عظيم جداً)) [4].

من ناحية أخرى، يصوِّره التوراة رجلاً لا همَّ له سوى الغنم والبقر والأتن والجِمال والإماء والعبيد، متخذاً من الوسائل أحقرها وأحطَّها [5]، حيث يروي التوراة قصة هجرته إلى مصر، وعندما اقترب من تخوم مصر، اتفق إبراهيم

---

(١) سفر الخروج(٢٠:٥).و(٣٤:٧).

(٢) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم. ١/١٢٥.

(٣) سفر التكوين(١٢:٢–٣).

(٤) سفر التكوين(١٥:١).

(٥) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٣/١٤٨. والإسلام واليهودية. مصدر سابق. ص٥١٩. وإفحام اليهود. السموأل المغربي. ص١٥٠.

وسارة على أن تقول: أنَّها أخته وليست زوجته، ذلك أنَّ المصريين لو علموا أنَّها زوجته قتلوه، لأنَّها كانت جميلة جداً[1]، وإنْ كانت أخته، فمن أجلها أكرموه[2]، وسرعان ما حدث ما توقعه إبراهيم، فأخذتْ سارة إلى بيت فرعون، ونال إبراهيم خيراً بسببها، إذ أسبغ عليه فرعون أموالاً وافرة ومتنوعة، غير أنَّ المصائب توالتْ على فرعون وآل بيته، بسبب ما فعله فرعون، فاستدعى إبراهيم وقال له– حسب رواية التوراة– : لماذا لم تخبرني أنَّها زوجتك، بل قلتَ أنَّها أختي حتَّى أخذتها زوجة لي ؟. وقال إبراهيم: في الحقيقة هي أختي، ابنة أبي، غير أنَّها ليست ابنة أمي[3]، والأمر نفسه كرَّره إبراهيم مع أبيمالك، ملك جرَّار[4]، فردَّ إليه الملك امرأته، وأعطاه الأموال الوفيرة، من الذهب والفضة[5]، حسب ما ورد في التوراة.

والغريب أنَّ مفسِّري التوراة لم يحاولوا مناقشة هذه الروايات، أو ردِّها أو

---

(١) جمال سارة لاغبار عليه، لأنَّه ورد في صحيح البخاري، كتاب البيوع، وكتاب أحاديث الأنبياء، عن أبي هريرة : أنّ ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن النّاس. وفي النّسائي: من أحسن النّساء. ولكن الثابت من الروايات التاريخية, أنَّ سارة قد تجاوزتْ السبعين من العمر, عندما نزلوا إلى مصر, فيا ترى هل يبقى للجمال أثر بعد أن يتجاوز الإنسان هذا السن ؟!

(٢) سفر التكوين(١٢:١٠–١٣).

(٣) سفر التكوين(١٢:١٤–٢٠). الزواج من الأخت كان جائزاً في زمن إبراهيم عليه السلام ثمَّ نسخ هذا الحكم في التوراة, كما جاء في سفر اللاويين(١٨:٩) : ((...وعورة أختك بنت أبيك, أو بنت أمك...لا تكشف)) , وكذلك الجمع بين الأختين كان جائزاً أيضاً، كما فعل يعقوب عليه السلام وجمع بين ليئة وراحيل ابنتا خاله لابان, ثمَّ نسخ هذا الحكم, كما في سفر اللاويين(١٨:١٨) : ((ولا تأخذ امرأة على أختها)).

(٤) جرَّار مدينة فلسطينية شهيرة في الجنوب, تبعد (١٣) ميلاً إلى الجنوب الشرقي من غزَّة, تعرف الآن بـ(خربة أم الجرّار). ينظر: سفر التكوين(١٠:١٩). وسفر أخبار الأيام الثاني(١٤:١٣). وقاموس الكتاب المقدس. ١/٢٥٤–٢٥٥.

(٥) سفر التكوين(٢٠:١–١٨).

تأويلها، بل كان هدفهم إثبات صحّتها. يقول أحد علماء الغرب : أنَّهـا(القصـة) سقطة تنبيء عن طبيعة إبراهيم غير النبيلة، وتكشف عن أثـر الريـاء والخـداع، وأنَّ إبراهيم–حاشاه– قد عرض طهارة سارة وطهـارة النسـل الموعـود للخطـر، وأنَّه لأمرٌ مخلٌّ بالشرف، أن يسمح لنفسه بأن تجوز سارة هذه المحنة[1].

وراح حبيـب سـعيد، وهـو أحـد المفكـرين المسـيحيين المعاصـرين، يـتهم إبراهيم عليه السلام بالكذب والغش، حرصاً على حياته، وليس احتراماً لسارة[2].

ويذكر الدكتور القس منـيس عبـدالنور[3]، أنَّ المخاصـمة الـتي وقعـتْ بـين إبراهيم وابن أخيه لوط، كانت بسبب كثرة المواشي الـتي أخـذها مـن فرعـون، ويحمِّل لوط وزر هذه المخاصمة، وذهب إلى أنَّ فرعون الوثني قـد علَّـم إبـراهيم درساً عن قداسة الله، وليس العكس، فإبراهيم يرمي بزوجتـه، ويـدوس بشـرفه، وينسى مواعيد الله، من أجل سلامة جسده، وكثرة مكسبه[4].

هكذا ينظر بعض مفسِّري الكتـاب المقـدَّس إلى إبـراهيم عليه السلام الـذي يصـفه القرآن الكريم بأنَّه كان أمَّة، قانتاً لرب العالمين، جامعاً لكـلِّ الفضـائل النبيلـة،

---

(١) ينظر: حياة إبراهيم. د. ف. ب. ماير. ترجمة القس مرقس داود. ص٦٥وص٢٢١. نقلاً عـن: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ١٤٨/٣.

(٢) خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام. حبيب سعيد. ص٤٧. نقـلاً عـن: بنـو إسـرائيل. ١٤٨/٣–١٤٩.

(٣) ولد منيس عبدالنور في أسيوط– مصر سنة ١٩٣٠م لاهوتي مسـيحي معاصـر تلقـى تعليمـه في الجامعة الأمريكية متخصص في اللاّهوت المسيحي, لـه مؤلفـات عديـدة في مقارنـة الأديـان والـدفاع عـن الإيمـان المسـيحي. ينظـر: www.facebook.com|gruop.php .تـاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٣٠م.

(٤) إبـراهيم السـايح الروحـي. القـس منـيس عبـدالنور. ص٢١–٢٥. نقـلاً عـن: بنـو إسـرائيل. ١٤٨/٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3].

ثالثاً/ لوط عليه السلام :

ينسب التوراة إلى لوط عليه السلام أنَّه لم يستجب لأمر الله له، بالخروج من المدينة التي حلَّ عليها عذاب الله، بل دفعه المَلكان دفعاً للخروج، وأنَّ امرأته قد نجتْ معه، بخلاف ما ورد في القرآن الكريم:((فلمَّا طلع الفجر، كان الملكان يستعجلان لوطاً ويقولان له: قمْ خذ امرأتك وابنتيْك الموجودتين هنا......فلمَّا تباطأ لوط أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه، لشفقة الربِّ عليه، وأخرجاه من المدينة)) [4].

ليس هذا فحسب، بل ينسب إليه شرب الخمر والسُّكْر والزنا بابنتيه، والإنجاب منهما، وهذا يأباه الإنسان لشرار النَّاس، فكيف بالأنبياء والرسل ؟ ولكن هذه هي طبيعة اليهود وسلوكهم مع أنبيائهم:((.....وخاف لوط من أن يسكن صوعر[5]، فصعد إلى الجبل وأقام بالمغارة، هو وابنتاه. فقالتْ الكبرى للصغرى: شاخ أبونا، وما في الأرض رجل يتزوَّجنا على عادة أهل الأرض

---

(١) سورة النحل: (١٢٠).

(٢) سورة الحج من الآية(٧٨).

(٣) سورة الممتحنة من الآية(٤).

(٤) سفر التكوين(١٩:١٥-١٦).

(٥) صوعر مدينة صغيرة, قريبة من مدينة سدوم, التي حلَّ بها العذاب, وهرب لوط مع ابنتيه إلى تلك المدينة القريبة. ينظر: سفر التكوين(١٩:٢٠-٢٤).

كلِّهم، تعالي نسقي أبانا خمراً، ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما وضاجعتاه، وهو لا يعلم.....فحملتا ابنتا لوط من أبيهما، فولدتْ الكبرى ابناً وسمَّته موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغرى أيضاً ولدتْ ابناً، وسمَّته بني عمِّي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم)) [1].

لا ريب أنَّ هذا تحريف متعمَّد من كتبة التوراة، للانتقام من أعدائهم من الموآبيين وبني عمون، حيث رفض هؤلاء استقبال بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، ولم يسمحوا لهم بدخول أراضيهم [2]، فوضعوا هذه القصة حتَّى يوهم أنَّهم من أبناء الزنا. ويعلِّق السموأل بن يحيى المغربي [3]، الذي أسلم في القرن السادس الهجري بقوله: هذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي، في التوراة الموجودة بأيدي اليهود، فلم يقدروا على جحدها، فلزمهم أنَّ الولديْن (موآب وبني عمِّي)، هما من أولاد الزنا [4]، وراعوث (روث) من أولاد موآب، وهي جدّة داود ﷺ وجدّة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهم جميعاً من نسل الأصل الذي

---

(١) سفرالتكوين(١٩:٣٠-٣٨).

(٢) سفر العدد(٢١:٢١-٢٨) و(٢٢:١-٧). ورد في التوراة:((ولا يدخل عموني ولا موآبي, ولا أحد أحد من نسله في جماعة المؤمنين بالربِّ, ولو في الجيل العاشر, وإلى الأبد, لأنَّهم لم يستقبلوكم بالخبز والماء, في الطريق عند خروجكم من مصر, ولأنَّهم استأجروا عليكم بلعام بن بعور)). ينظر: سفر التثنية(٢٣:٤).

(٣) السموأل بن يحيى المغربي(١١٣٠م-١١٨٠م) ولد من أسرة يهودية بالمغرب, تنقل بين بغداد وفرغانة طالباً للعلم, وهو عالم رياضي وطبيب, اعتنق الإسلام في القرن السادس الهجري, وله مؤلفات في نقد التوراة منها: إفحام اليهود, وغاية المقصود. ينظر: http||ar.wikipedia.org. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٣٠

(٤) إفحام اليهود. السموأل بن يحى المغربي. ص١٤٨. ومقارنات الأديان. د.محمد الشرقاوي. ص١٩٨.

يطعنون فيه[1].

من جهة أخرى، فإنَّ المعلوم من التاريخ اليهودي، أنَّ الإمامة كانت في الهارونيين(اللاويين)، فلمَّا تولّى شاوُول (طالوت) أمر بني إسرائيل، وانتقلتْ منه إلى داود عليه السلام بقي في نفوس الهارونيين التشوُّق إلى الأمر الذي زال عنهم، فلمَّا جاء عزرا[2]، الكاتب الهاروني، بعد العودة من السبي البابلي(٥٨٧-٥٣٨ ق.م)، ودوَّن التوراة، كَرِه أن يتولّى أيُّ رجل من نسل داود السلطة، فأضاف إلى التوراة هذا الطعن في نسل داود[3]، أي أضاف قصَّة بنات لوط وما فعلنَ مع أبيهنَّ.

هذا هو موقف اليهود من النبي الكريم لوط، الذي كانت دعوته في جوهرها، تدعو إلى الطهر والعفاف والسّمو بقومه، وعدم الوقوع في الشذوذ الجنسي، كما جاء في القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ

---

(١) ينظر: إفحام اليهود. نفس المصدر . ص١٤٩.

(٢) عزرا الناسخ أو الكاتب, هو تعريب أليعازر, كان خادماً للملك الفارسي قورش الأخميني في بابل, بعد أن أخرج نبوخذ نصر(بختنصر) الملك البابلي(٥٨٧ ق.م) اليهود من فلسطين, وقضى على الدولة اليهودية, وساقهم أسرى إلى بابل, ثمَّ استطاع عزرا بمساعدة الملك الفارسي, أن يعيد بناء بيت المقدس, وهو أوَّل الكتبة الذين وضعوا التوراة بعد العودة من السبي, ولهذا سمي بعزرا الكاتب. ينظر: إفحام اليهود. السموأل المغربي. مصدر سابق. ص ١٣٩وص١٥٢. والتوراة تاريخها وغاياتها. سهيل ديب. ص٤٧. ولهذا السبب أصبح عزرا شخصاً مقدَّساً عند اليهود, وربَّما لهذا السبب أيضاً, أطلق عليه اليهود, لقب (ابن الله), كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾.{سورة التوبة من الآية(٣٠)}. إلاَّ أنَّ من العلماء من يذهب إلى أنَّ عزرا ليس هو عزير المذكور في القرآن, لأنَّ أليعازر كان رجلاً صالحاً وكاهناً في خدمة الربِّ, وعزرا كان فاسقاً جاهلاً, رئيس المنشقّين الذين حرَّفوا التوراة. ينظر: إفحام اليهود. ص١٥٢-١٥٣.

(٣) ينظر: إفحام اليهود. نفس المصدر. ص١٥١-١٥٢.

ﭐلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾[1]. فقد جاء اليهود واتهموا لوطاً بالذي جاء من أجل إزالته، ودعا النَّاس إلى الطُّهر وعدم الوقوع في الفاحشة.

رابعاً/ يعقوب عليه السلام :

يعقوب هو إسرائيل، الذي ينتسب إليه اليهود، وسموا ببني إسرائيل، وسُمِّيتْ الدولة اليهودية بـ(إسرائيل) نسبة إلى هذا النبيِّ الكريم، الذي لم يجد كرامة محفوظة عند اليهود في توراتهم، فقد ورد في التوراة، بأنَّه كذب على أبيه إسحاق، حيث قال له:((أنا عيسو ابنك بكرك)) [2]، وهو ليس كذلك، وقوله :((صنعتُ جميع ما قلتَ لي، فأجلسْ وكُلْ من صيدي)) [3]، وهو لم يتصيَّد، وإنَّما ذبح الجدِّي، كما ورد في التوراة.

وأنَّ يعقوب احتال على أخيه عيسو وسرق منه البكورية[4]، والبركة[5]، وأنَّ عيسو صرح بذلك متحسِّراً وقال:((....أخذ بكوريتي، وهاهو الآن يأخذ بركتي)) [6].وجاء في سفر أشعياء وميخا، أنَّ يعقوب قد عصى الله، وأثقل عليه آثامه وأتعبه: ((ولكنَّك يا يعقوب لم تطلبني، فهل تعبتَ مني يا إسرائيل؟ فما جئتني بشاة محرقاتك، ولا أكرمتني بذبائحك.... بل أنت ألزمتني بخطاياك،

---

(١) سورة الأعراف (٨٠-٨١).

(٢) سفر التكوين(٢٧:١٩).

(٣) سفر التكوين(٢٧:٢٠).

(٤) البكورية معتبرة في الشريعة اليهودية, بحيث يكون الأبن البكر وريث أبيه الشرعي, ويأخذ ضعف ما يأخذه أخوته من التركة بعد موت أبيه. ينظر: سفر التثنية(٢١:١٥-١٧).

(٥) سفر التكوين(٢٥:٢١-٣٤).

(٦) سفر التكوين(٢٧:٣٦).

وأتعبتني كثيراً بآثامك)) [1]. ويظهر كتبة التوراة يعقوب في صورة الرجل الذي يُخدَع ويَخدِع، فقد خدعه خاله لابان حيث زوَّجه ليئة بدلاً من راحيل:((...وعند الغروب أخذ ليئة بدل راحيل، وجاء بها إلى يعقوب، فدخل عليها...فلمَّا طلع الصباح، عرف يعقوب أنَّها ليئة، فقال للابان: لماذا خدعتني...)) [2]، وأنَّ يعقوب خدع خاله لابان، ولم يخبره أنَّه هارب:((فهرب وأخذ كلَّ ما كان له، وأنَّ الربَّ أمره أن يفعل ذلك)) [3]. ولم يقف التوراة عند هذا الحدِّ، بل نسب حوادث الزنا إلى بيت يعقوب، فقد زنى شكيم بن حمور[4]، بابنة يعقوب (دينا) [5]، واضطجع ابنه رأوبين مع سرية أبيه بلهة[6]، وكذلك ابنه يهوذا يزني بـ(ثامار) زوجة ابنه عير[7].

هكذا يجعل كتبة التوراة صورة يعقوب عليه السلام ملطخة بالرذيلة والفجور، فإذا كان أبوهم إسرائيل يبدو محتالاً وكاذباً وسارقاً، وأنَّه أخذ البكورية من أخيه، بالتخابث والخديعة، فهل يبقى لبني إسرائيل أي فضل بادعائهم أنَّهم شعب الله

---

(١) سفر إشعياء(٤٣:٢٢–٢٥). وسفر ميخا(١:٢–٨).

(٢) سفر التكوين(٢٩:٢٥–٢٦).

(٣) سفرالتكوين(٣١:١–١٠).

(٤) شكيم بن حمور الحوِّي، هو أمير مدينة شكيم، نزل يعقوب عليه السلام عندهم بعد عودته من سهل سهل آرام، حيث اشترى قطعة أرض ونصب خيمته، وخرجت ابنة يعقوب دينا، ورآها شكيم فأخذها وضاجعها وأذلها، وتعلَّق بها قلبه، وقال لأبيه حمور: خذ هذه زوجة لي.....يراجع للتفاصيل سفر التكوين(٣٣:١٨–٢٠) و(٣٤:١–٣٠).

(٥) سفر التكوين(٣٤:٣). ويذكر التوراة أنَّ بني حمور اتفقوا مع يعقوب وبنيه، على أن يزوِّجوا بنتهم لشكيم، وهم بدورهم يغدقون عليهم الأموال والأراضي وما يطلبون، إلاَّ أنَّ أبناء يعقوب غدروا بهم وأغاروا عليهم ليلاً وقتلوهم عن آخرهم. ينظر: سفر التكوين(٣٤:٣–٣٠).

(٦) سفرالتكوين(٣٥:٢٢).

(٧) سفر التكوين(٣٨:٦–١١).

المختار؟.

خامساً/ موسى عليه السلام :

موسى عليه السلام يُعدُّ من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وإليه يعود الفضل في إنقاذهم من العبودية، وهو المؤسِّس الحقيقي -إنْ صحَّ التعبير- للدولة اليهودية وللتاريخ اليهودي، وقبله لم يكن لليهود تاريخ.

مع هذا، فإنَّ اليهود لم يلتزموا بأوامره، وخرجوا عليه وتذمَّروا، لأنَّه كان السبب في خروجهم من مصر:((فقالوا لهما: الربُّ يرى ويحكم عليكما، لأنَّكما أفسدتما سمعتنا عند فرعون ورجاله، وأعطيتماهم حجَّة لقتلنا)) [١].

والذي يقرأ التوراة، يشعر أنَّ الله عاقب موسى وهارون بالموت[٢]، لأنَّهما- حسب شريعة التوراة- لم يلتزما بما أمرهما الله:((وكلَّم الربُّ موسى فقال: إصعدْ إلى جبل عبَّاريم هذا، انظر إلى الأرض التي أعطيتها لبني إسرائيل، فإذا رأيتها تموت وتنضم إلى آبائك، أنت أيضاً، كما مات أخوك هارون، لأنَّكما

---

(١) سفر الخروج(٥:٢١).

(٢) الموت كان عقاباً لخطيئة آدم وحوّاء:((لأنَّك يوم تأكل منها موتاً تموت)) , فالموت كان من عواقب الخطيئة, فمنذ ذلك اليوم الذي عصى الإنسان الله, أصبح مخلوقاً ميتاً, إنَّ جسده لم يمت يوم أخطأ بالذات, ولكنَّه أصبح عرضة للمرض والوهن, التي تنتهي بالموت, إلاَّ أنَّ الإنسان قد مات روحياً, لأنَّ الموت لا يعني انقطاع الحياة, لكنَّه يعني الانفصال أو الانحلال, لأنَّ الإنسان بسقوطه, أصبح واقعاً تحت حكم الموت, وهكذا يتضح من الكتاب المقدَّس, أنَّ الموت هو عقاب الخطيئة, وأنَّه لولا معصية أبوينا الأولَيْن, لما حكم علينا بالموت. ينظر: هذه عقائدنا. كلايد تارنر. ص٧٦. والمسيحية في الإسلام. إبراهيم لوقا. ص١٥٨. وعلم اللاَّهوت النظامي. ص٦٠٧-٦٠٨. وذهب بعض المسيحيين المعاصرين إلى أنَّ الاعتقاد السائد لدى الآباء بأنَّ الموت عقاب على الخطيئة, ليس صحيحاً, وإنَّما كتب على الإنسان منذ أن خلق. ينظر: الخلاص المسيحي. د. أحمد عجيبة. ص٢٢٧.

تمرَّدتما عليَّ في بريِّة صين...ولم تظهرا قداستي عند الماء بحضرتهم))[1].

وورد أيضاً، أنَّ الله أمر موسى أن يصنع حيَّة من النحاس، لمَّا تذمَّر الشعب من موسى، لأنَّه أخرجهم من مصر، فبسبب ذلك أرسل الربُّ حيَّات نارية، فلدغتْ الشعب، ومات قوم كثيرون:((فقال الربُّ لموسى: اصنع لك حيَّة نحاسية، وارفعْها على سارية، فكلُّ ملدوغ ينظر إليها، يحيا، فصنع موسى حيَّة من نحاس...))[2].

بعد موت موسى أصبحتْ هذه الحيَّة النحاسية مقدَّسة، وعبدها بنو إسرائيل، في فترات لاحقة، حتَّى جاء النبي حزقيال وسحق الحيَّة[3].

ألم يكن يكفي لهذا النبيِّ الكريم أن يرفع يديه إلى السَّماء، ويُقبل دعاؤه، دون اللُّجوء إلى أن يصنع تمثالاً، وهو الذي جاء لمحاربة التماثيل؟!

ويذكر التوراة أيضاً، أنَّ موسى عليه السلام قد أمر بني إسرائيل، قبل الخروج من مصر، بسرقة المصريين ونهب أمتعتهم:((...فيكون حينما تمضون، أنَّكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كلُّ امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها، أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين))[4]، وكرام النَّاس لا يأمرون أتباعهم بالنَّهب والسَّلب، فضلاً عن الأنبياء. يؤكِّد التوراة أنَّ موسى وهارون–عليهما السلام– قد خانا الربَّ، ولم يؤمنا به ولم يقدِّساه، لذا حكم عليهم بالحرمان من الدخول في الأرض المقدَّسة، عقاباً لهما:((فقال الربُّ لموسى وهارون مؤنِّباً: من أجل أنَّكما لم تؤمنا بي، إيماناً

---

(١) سفر العدد(١٢:٢٧–١٤). وسفرالتثنية(٣٢:٤٨–٥٢).

(٢) سفر العدد(٢١:٤–٩).

(٣) سفر الملوك الثاني(١٨:٤).

(٤) سفر الخروج(٣:٢١–٢٢).

يظهر قداستي على مرأى بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان أنتما هؤلاء الجماعة إلى الأرض التي أعطيتها لهم))[(1)].

سادساً/ هارون عليه السلام :

فضلاً عمَّا ذكره التوراة في حقِّ هارون–كما أشرنا إليه في(خامساً)– من أنَّه خان الله ولم يقدِّسه وخان الشعب، فقد اتهمه بأنَّه استغلَّ الفرصة، في غياب موسى، فصنع لبني إسرائيل عجلاً من الذهب، وأمر بني إسرائيل بعبادته، وعبده معهم، وبنى له مذبحاً وذبح له:((...ولمَّا رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قمْ اصنع لنا آلهة تسير أمامنا...فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذَّهب التي في آذن نسائكم وبنيكم وبناتكم، وآتوني بها...فأخذ ذلك من أيديهم...وصنعه عجلاً مسبوكاً....فلمَّا نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيد الربِّ، فبكَّروا في الغد وأصعد محرقات، وقدَّموا ذبائح سلامة))[(2)].

هذا النبي وصفه القرآن بكلِّ تبجيل واحترام، وأنَّه أخو موسى وموآزره وشريكه في الرسالة، وقد برّأه القرآن الكريم من هذه التهمة، التي ألصقها اليهود به، فذكر أنَّ الذي صنع العجل هو السامريُّ وليس هارون، وإنَّما هارون حذَّرهم ونهاهم عن ذلك، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[(3)]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَٰرُونَ أَخِى ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾[(4)]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ

---

(1) سفر العدد(٢٠:١٢–١٣). وسفر التثنية(٣٢:٤٨–٥٢).

(2) سفر الخروج الإصحاح(٣٢) كلّه.

(3) سورة مريم(٥٣).

(4) سورة طه(٢٩–٣٣).

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾[1]. وقد ورد ذكر هارون في القرآن في آيات كثيرة، كلها تؤكد على نبوته وإخلاصه في دعوته وموآزرته لأخيه موسى عليه السلام إلى أن توفاه الله.

سابعاً/ داود عليه السلام :

داود[2]، عليه السلام الذي جمع بين النبوة والمُلك، ويصفه القرآن بالإخلاص في العبودية وأنَّه أوّاب وكثير الرجوع إلى الله، وسخَّر له الجبال والطيور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾[3]، نجد في التوراة ازدواجية واضحة في حقه، حيث ورد أنَّ الله يعاتب سليمان، لأنَّه لم يعمل بما أمره الله، وأنَّه لا يخرِّب ملكه إكراماً لأبيه داود:((فسأخذ المملكة من يدك وأعطيها لرجل من رجالك، لكنِّي لا آخذها في أيّامك، إكراماً لداود أبيك، بل من يد ابنك، ولا آخذ المملكة كلَّها من يده، بل أبقي له

---

(١) سورة طه(٩٠).

(٢) النبي داود عليه السلام في نظر كتَّاب العهد القديم, ليس إسرائيلياً خالصاً, فهو ينحدر– من جهة أمه– من موآب, وراعوث الموآبية هي جدَّة داود, ومعلوم أنَّ نقاء النسب يكون من جهة الأمّ عند اليهود, والموآبيون–حسب التوراة– أولاد الزنا, لأنَّ موآب جاء نتيجة مضاجعة بنت لوط عليه السلام الكبرى أباها, بعدما سقته خمراً. ينظر: سفرالتكوين(١٩:٣٠–٣٨). وخلاصة القول, أنَّ نسب داود عليه السلام مطعون في إسرائيليته, بل مطعون في شرفه وحصانته. ينظر: مقارنات الأديان– بحوث ودراسات– د.محمد الشرقاوي. ص٢١٧. والهدف من تلطيخ شرف داود عليه السلام كما دلَّتْ عليه أسفار العهد القديم, هو أنَّ داود نزع السلطة والملك من بني لاوي, أو الهارونيين, السبط الذي له الحق والخصوصية في الكهانة والسلطة على بني إسرائيل, ولهم حق تفسير العهد القديم.

(٣) سورة ص (١٧–٢٠).

سبطاً واحداً إكراماً لداود عبدي))[1].

ومن ناحية أخرى، يصفه التوراة بأحطّ الصفات وفعل المنكرات، ولم يكتف التوراة بإظهاره أنّه سليل الزنا، بل تحدَّث عن بيت داود وذكر أنَّ أولاده يزنون بأخواتهم، وبنساء أبيهم علانية، أمام أعين الشعب، فأمنون ابن داود يزني بأخته ثامار[2]، وابنه أبشالوم يقيم خيمة على سطح بيت الملك، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع بني إسرائيل[3]، وابنه أدونيا قام بمضاجعة زوجة أبيه الصغيرة، أبْيَشَّع الشمّونية[4].

والذي يراجع سفر صموئيل الأول والثاني، يجد القسوة والوحشية التي سجَّلها، منسوبة إلى داود عليه السلام وأنَّه كان يأمر بقتل النساء والأطفال وحرق المدن.

يقول غوستاف لوبون[5]: ويعرف جميع قرَّاء التوراة وحشية اليهود، التي لا أثر للرحمة فيها، وما على القارئ، إلاَّ أن يتصفّح نصوص سفر الملوك التي تدلنا على أنَّ داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين، وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار. وكان الذبح المنظّم يعقب كلَّ فتح، مهما قلَّ. وكان الأهالي الأصليون يوقفون، فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة... وكان التحريق والسلب

---

(١) سفر الملوك الأول(١١:١٠-١٣).

(٢) سفر صموئيل الثاني(١٣:١-٢٢).

(٣) سفر صموئيل الثاني(١٦:٢٠-٢٣).

(٤) سفر الملوك الثاني(٢:١٣-٢٢).

(٥) غوستاف لوبون(١٨٤١- ١٩٣١م) , مؤلف فرنسي, وهو من فلاسفة علم الاجتماع, ومن المستشرقين المنصفين, دافع عن المسلمين وحقوقهم, انتقد سياسة القهر الأوروبية, له مؤلفات عديدة منها: حضارة العرب. وحضارة العرب في الأندلس. ينظر: غوستاف لوبون في الميزان . د. شوقي أبو خليل. ص١٣.

يلازمان سفك الدِّماء[1].

وداود عليه السلام مبرّئ ممّا نسب إليه من الأوامر، وإنّما هي طبيعة وعقلية الذين كتبوا التوراة، متأثرين بالثقافات السابقة لهم، كما يؤكّد ذلك قاموس التوراة[2]، وهو الرأي الذي يجمع عليه العلماء اليوم، سواء كان من رجال اللاّهوت[3]،أو غيرهم[4].

يتحدث سفر صموئيل الثاني أنَّ داود قد، تآمر على أحد قواده، وهو أوريا الحثِّي، عندما رأى داود امرأة جميلة من على سطح بيته، وهو يتمشى، فأسل إليها واضطجع معها وحبلت المرأة، وبعدما علم أنَّها زوجة أوريا الحثِّي وكان في الجيش، وعندما عاد طلب منه أن يعود إلى بيته، لكنّه نام بباب الملك ولم يعد إلى بيته، بعد ذلك أرسله إلى الحرب وأوصى القائد أن يضعه في مقدِّمة الجيش حتَّى يقتل، وبعد مقتل أوريا، أرسل داود رسلاً، فأخذها وأضطجع معها، فحملتْ منه، وولدتْ أبناً، فدعى اسمه سليمان، وهذا العمل الذي عمله داود، قُبِّح في عينيْ الربِّ[5].

هكذا فالاغتصاب والخيانة والزنا وفقدان المروءة والتحايل والخداع،

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. ص٤٧.

(٢) ينظر: قاموس التوراة. نقلاً عن: التوراة تاريخها وغاياتها. مصدر سابق. ص٢٨.

(٣) اللاّهوت مصطلح عربي يقابله بالإنجليزية (Theology), الذي يتكون من مقطعين من اللغة اللاتينية, (ثيوس–Theos) , ويعني: الإله. و(لوجوس– (Logos, ويعني: العلم, فهو علم الإلهيات. واللاّهوت هو: التأمل المنهجي في العقائد الدينية, وهو مصطلح يشير عادة إلى دراسة العقائد المسيحية. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية.المسيري. مصدر سابق. ١٢/٥. ورجال اللاّهوت, مصطلح يطلق على علماء المسيحية.

(٤) ينظر: التوراة الهيروغليفية. د.فؤاد حسنين. ص٤٦. والإسلام والأديان. مصدر سابق. ص١٣١.

(٥) سفر صموئيل الثاني(١١:١–٢٧) و (١٢:٢٤) و(١١:٢٧).

منسوبة إلى داود عليه السلام وحسب هذا السفر، فإنَّ أوريا الحثِّي أشرف وأنبل وأكثر مروءة وأحسن وفاءً من داود، إذ لم يسمح شهامته من أن يذهب إلى بيته ويستمتع بزوجته، -بطلب من داود- بينما جيش إسرائيل في الخيام والخنادق[1].

ثمَّ يعاقب الله داود بسبب هذا العمل، ويرسل إليه من يمتحنه:((فأرسل الربُّ ناثان إلى داود...فقال له: كان رجلان في مدينة واحدة، واحد غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثير، وأمَّا الفقير فلم يكن له شيء إلاَّ نعجة واحدة...فحمي غضب داود وقال: يقتل الرجل الفاعل ذلك، ويردُّ النعجة أربعة أضعاف...فقال ناثان: أنت هو الرجل، ثمَّ ذكر له ما فعل بأوريا الحثِّي وزوجته، فقال الرب: الآن لا يفارق السَّيْفُ بيتك إلى الأبد، لأنَّك أحتقرتني...هأنذا أقيم عليك الشرَّ من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيتُهنَّ لقريبك، فيضطجع مع نساءك في عينيْ هذه الشمس....)) [2].

ويستمر السفر في اتهام داود عليه السلام، ويؤكِّد أنَّه لم يكن شفوقاً بالضُّعفاء والمعوَّقين، بل كان مبغضاً لهم، وأنَّه أقصاهم من مدينة أورشليم[3].

هذه هي الصورة التوراتية المدنَّسة لداود عليه السلام والتي تخالف تماماً ما ورد في القرآن الكريم، الذي آتاه الله الحكم والنبوة، وهو الذي أحبَّ النّبيُّ ﷺ عبادتَه وصومَه، فقد جاء عن عبدالله بن عمرو أنَّه قال ﷺ:((صمْ أفضل الصيام عند الله صوم داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً)) [4]، وذكْره في القرآن الكريم

---

(١) ينظر: مقارنات الأديان. مصدر سابق. ص٢١٩.

(٢) سفر صموئيل الثاني(١٢:١-١١).

(٣) سفر صموئيل الثاني(٥:٨).

(٤) صحيح البخاري. باب صوم الدهر. ٦٩٧/٢. رقم(١٨٧٥). وصحيح مسلم. باب النهي عن صوم الدهر. ١٦٦/٣. رقم(٢٦٩٦).

مقرون بالثناء والتبجيل.

ثامناً/ سليمان عليه السلام :

يصوِّر التوراة سليمان عليه السلام على أنَّه – بكلِّ بساطة – ابن المرأة التي زنى بها داود عليه السلام ويصوِّره أيضاً، على أنَّه تساوره الشكوك، وعبادة الأوثان، والإعراض عن دين آبائه، والنزول عند رغبات زوجاته الوثنيات:((وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة، مع بنت فرعون: موآبيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحثِّيات، من الأمم الذين قال عنهم الرَّب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، ولا يدخلون إليكم....فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبَّة، وكانت له سبعمائة من النساء السيِّدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نسائه قلبه... أملْنَ قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الربِّ....فذهب وراء عشتروت، إلهة الصيدونيين، وملَك[1]، رجس العمونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الربِّ....فلم يحفظ ما أوصى به الربِّ....فقال الرب لسليمان: من أجل أنَّ ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي، التي أوصيتك بها، فإنِّي أفرِّق المملكة عنك تمزيقاً)) [2].

ذهب ابن كمونة[3] إلى القول : أنَّ داود وسليمان لم يكونا نبييْن، بل كانا

---

(١) مولَك إسم إله من آلهة العمونيين، تعلّقتْ به قلوب اليهود، وعبدوه في فترة من فترات تاريخهم.

(٢) سفر الملوك الأول(١١:١-١٣).

(٣) هو سعد بن منصور(ت٦٧٦هـ) أو(ت٦٨٣هـ) , فيلسوف يهودي, يأتي في المرتبة الثانية بعد موسى بن ميمون في معالجة الفلسفة اليهودية, وفي كتابه: تنقيح الأبحاث, يعالج المسائل الفلسفية كما عالجها الفلاسفة المسلمون. ينظر: http//www.zeidan,com/awham/4.asp . تاريخ الدخول في الموقع:

مَلَكيْن فحسب[1]، ولكن نصوص التوراة لا تؤيِّده، ونسب التوراة إلى سليمان عليه السلام سفراً داعراً ماجناً، يترفع أراذل الشعراء أن يقول ذلك، وسمَّوه نشيد الإنشاد، وفيه من الأوصاف الخليعة التي يتوقف اللِّسان عن ذكرها.

المطلب الثالث: شعب الله المختار

من المؤكَّد أنَّ الاختيار يعني وجود صفات في أشخاص فوق مستوى الأشخاص الآخرين، يجب أن يتمتَّع بها صاحبها، وأنَّ الامتياز يعني التفوّق في الإيمان، وهو أساس المفاضلة بين الأمم والشعوب، وقد وقف الشعب اليهودي أمام العالم ليعلن أنَّه المختار والممتاز والمصطفى من بين جميع الشعوب.

ليس هناك إشكال ومؤآخذة على اليهود في ادِّعاء أنَّهم المختارون من قبل الله، وأنَّه اختارهم من بين الشعوب، لأنَّ الله يهدي مَن يشاء ويختار، ولكنَّ المؤآخذ عليهم، ما ترتَّب على هذا الادِّعاء من أحكام وتشريعات وسوء سلوك، ونظرة دونية إلى بقية الشعوب، وأصبحتْ هذه النظرة الاستعلائية عقيدة راسخة في عقول اليهود.

ولا شكَّ أنَّ عقيدة الاستعلاء وتحقير الآخرين، هي ضلالة وجاهلية، بل هي عقيدة إبليس، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2]،

على الرغم من أنَّ التوراة ينصُّ على أنَّ الاتقياء من جميع الأمم سيكون لهم مصير واحد وحكم واحد:((إنَّ الأجنبي والصريح النسب منكم، سواء عند

٢٠١١/٧/٣٠م.

(١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. ابن كمونة. ص٤٧.

(٢) سورة الأعراف(١٢).

الله)) [1]، و:((شريعة واحدة وحكم واحد، يكون لكم وللغريب)) [2]، وكذلك:((وليكن عندكم الغريب النزيل فيما بينكم كالأصيل منكم، أحبوه مثلما تحبون أنفسكم)) [3]. وهناك إشارات في نصوص عديدة تؤكّد على حقوق الأجنبي وضرورة إكرامه، مثل:((أمَّا دمائكم أنتم فأطلب عنها حساباً، من كلِّ حيوان أو إنسان سفكها، وعن دم كلِّ إنسان أطلب حساباً من أخيه الإنسان، من يسفك دم الإنسان، يسفك الإنسان دمه)) [4]، إلاَّ أنَّ اليهود ضيَّقوا النطاق الدلالي لبعض الكلمات التي تدل على الشمول وجميع البشر، مثل:(رجل) و(أخيك) و(إنسان)، بحيث أصبحتْ تشير إلى اليهود فحسب، وتستبعد الآخرين[5].

هذا الأمر غير مقبول بالمرَّة من قبل الأمم الأخرى، لأنَّ الله لا يفضِّل أحداً على أحد، بسبب الجنس أو اللَّون، بل لكلِّ قوم كرامته، ولكلِّ شعب الحق في الاعتزاز بانتمائه التاريخي، وإنْ كان لشعب أن يتفاخر على غيره، فبما يقدِّمه للإنسانية من قيم رفيعة، وحضارة وسعادة، تتلائم مع إنسانية الإنسان[6]، لأنَّ فكرة شعب الله المختار تحمل مسّاً لكرامة الشعوب الأخرى، وأنَّها تشجِّع

---

(١) سفر اللاويين(١٨:٢٦) و(١٩:٣٤).

(٢) سفر التثنية(٣١:١٢-١٣).

(٣) سفر اللاويين(١٩:٣٣).

(٤) سفر التكوين(٩:٤-٧). وسميتْ هذه الشريعة بشريعة نوح, ويعتبر إطاراً أخلاقياً بين اليهود وغير اليهود. ووصف اليهود المسلمين بأنَّهم من النوحيين, وضُمَّ إلي المسلمين المسيحيون فيما بعد.

(٥) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩٧/٥.

(٦) ينظر: المقاصد الحسنة. السخاوي. ص٢٠٠. نقلاً عن: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. مصدر سابق. ص١٧٦.

معتنقيها على العدوان واستغلال الغير، والاستهانة بالمعاصي والآثام، اتكالاً على مبدأ التفضيل[1].

وعقيدة الاستكبار على الشعوب لا لشيء، ولا لخاصية خلقية، ولا لصفات إنسانية، ولا لمزايا أدبية، بل لذات الشعب، أنّه الشعب المختار[2]، (من بين جميع الأمم اصطفاك، وبالتوراة والشرائع فضّلناك) [3]، اعتقاداً منهم أنَّ الله قد نفخ في كلِّ كائن بشري نفخة الحياة، التي نسمِّيها النَّفس، وأنَّ الله خصَّ اليهودي بنفس اضافية، وهي النفس الإلهية، وهو شعب يقع على حدود الإلهي، وفي قمَّة الهرم الإنساني[4].

ويزعمون أنَّ الله تعالى يحبُّهم دون سائر النَّاس، ويحب طائفتهم وسلامتهم، وأنَّ الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله إلاَّ منهم، وشبّهوا أنفسهم بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشُّوك المحيط بأعالي حيطان الكرم[5].

---

(١) ينظر: اليهود في القرآن. عفيف عبدالفتاح طبارة. ص٤٢-٤٣. قد يقول قائل أنَّ الأفضلية أو أو فكرة الشعب المختار موجودة عند المسلمين أيضاً, فقد رأى جمهور الفقهاء تفضيل قريش على العرب, وتفضيل العرب على بقية الشعوب الأخرى, إلاَّ أنَّ القرآن لا يؤيِّد التفضيل على أساس الجنس أو النسب, بل على أساس الإيمان وما يقدِّمون من أعمال خيِّرة, قَالَ تَعَالَى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾. {سورة آل عمران(١١٠) }. أمَّا اليهود فقد أسَّسوا عقيدة الشعب المختار على أساس الجنس, لا على أساس الإيمان.

(٢) معالم قرآنية. مصدر سابق. ص١٧٦.

(٣) تفسير الوصايا العشر. سعديا غائون. تحقيق. أحمد الهواري. ص٩.

(٤) ينظر: اليهودية والغيرية. ألبرتو دانزول. ترجمة د.ماري شهرستان. ص١١وص٤٠.

(٥) إفحام اليهود. مصدر سابق. ص ١٢١ وص١٢٥. وغاية المقصود. ص٥٧. كلاهما للسموأل المغربي.

هذه النظرة الفوقية لليهود، هي موروثة من التوراة، تعطي اليهود مكاناً بارزاً، ومقرَّراً لمصير الشعوب والأفراد، وبهذه النظرة أراد هذا الشعب أن يكون نبيلاً– رغم الاستمرار في الخطيئة – ولكنَّه عادة أقلُّ من ذلك، أراد أن يكون كريماً، ولكنَّه كان دائماً يقبض يديه، خُلق أكثر من الحيوان، ولكنَّه في كثير من الأحيان، ليس أكثر من حيوان[1].

في نظر اليهود هم شعب مقدَّس، وهذه القداسة قد سرتْ إليهم عندما عقد الإله معه العهد (عهد إبراهيم عليه السلام)[2]، فأصبح اليهود يعيشون داخل دائرة القداسة، وهذه الدائرة تختفي بين الإله المقدَّس– إله اليهود الخاص– والشعب المقدَّس، فهو يوحي إلى الشعب بما يريد، وهو اختارهم، لأنَّهم اختاروه[3]، وتصل هذه القداسة إلى درجة لتصبح قداسة الإله من قداسة الشعب، وليس العكس[4]، لأنَّه إله لم يخلق اليهود، بل اليهود خلقوه[5].

والأرض أيضاً مقدَّسة، لأنَّ الإله أعطاهم هذه الأرض:((لأعطيك هذه الأرض، ميراثاً لك، لك ولنسلك أعطيها)) [6]، وهي (أرض الربِّ) [1]، والتي(

---

(١) ينظر: اليهود والغيرية. مصدر سابق. ص٣٩–٤٠. وأديان العالم. د.هوستن سميث. ص٣٤٩.

(٢) ورد في التوراة من أنَّ الله عقد العهد مع إبراهيم وأعطاه الأرض ولنسله من بعده, وعلامة هذا العهد هو أن يختن كلُّ ذكر. للتفاصيل يراجع سفر التكوين(١٧:١–٢٧)

(٣) الذي يراجع نصوص التوراة, في شأن الاختيار, يستغرب بعد قراءتها ويتساءل من الذي اختار الآخر, أهو الربُّ الذي اختار شعبه, أم هو الشعب الذي اختار ربَّه. ينظر: التوراة تاريخها وغاياتها. مصدر سابق. ص٢٢.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩/٥. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية. مصدر سابق. ص٤٤٥. والسيف الأحمر. د. جمال البدري. ص٣٥–٣٦.

(٥) الإسلام والمعتقدات الدينية. مصدر سابق. ص١٧٩.

(٦) سفر التكوين(١٥:٧).

يرعاها الإله) [٢]، و(الأرض المقدَّسة) [٣]، و(الأرض البهية)[٤].

ونتج عن ذلك، أنَّ اليهود أخذوا يرون أنفسهم أمّة مقدَّسة، حتَّى صاغوا الطقوس الدينية بطابع قومي عميق، يشترك في هذا المفهوم، اليهودي المتديِّن والعلماني[٥].

وهكذا أصبح الشعب المختار أقنوماً من أقانيم الثالوث الحلولي المقدس(الإله– الأرض– الشعب)، فيحلُّ الإله في الشعب، ليصبح مقدَّساً مختاراً، ويحلُّ في الأرض، لتصبح أرضاً مقدَّسةً، ومركزاً للكون[٦].

هكذا يدور في ذهن اليهودي وحدة مقدَّسة، بين الإله والأرض والشعب، ولذا أصبح اليهودي مقدَّساً أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أمميٌّ إسرائيلياً، فكأنما ضرب العزَّة الإلهية، ويستحق الموت....ولو لم يخلق الله اليهود، لأنعدمتْ البركة في الأرض....والفرق بين الإنسان والحيوان، كالفرق بين اليهود وباقي الأمم[٧].

وبسبب هذه القداسة، ما كان اليهود يميلون إلى نشر دينهم بين الأمم، لأنَّ نشره محظور عليهم[٨]، لأنَّهم شعب الله المختار:((أتخذكم لي شعباً، وأكون

---

(١) سفر يوشع(٩:٣).

(٢) سفرالتثنية(١١:١٢).

(٣) سفر زكريا(٢:١٢).

(٤) سفر دانيال(١١:١٦). ورد في التلمود, أنَّ الربَّ قاس جميع البلدان بمقاسه, ولم يستطع العثور على أيّة بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة إسرائيل, سوى أرض إسرائيل. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. ٥/٣٥.

(٥) السيف الأحمر. د.جمال البدري. مصدر سابق. ص٣٥–٣٦.

(٦) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٥/٧٢.

(٧) ينظر: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. د.محمد علي البار. ١٦٠–١٦١. وإسرائيل والتلمود. ص٧٢.

(٨) ينظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب. إسرائيل ولفنسون. ص٧٢. حاولت الصهيونية العالمية

لكم إلهاً))[1]، وكذلك ورد: ((أنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمّة مقدسة))[2]، وأيضاً: ((إنَّك شعب مقدَّس للربِّ إلهك، وقد أختارك الربُّ لكي يكون له شعباً مقدَّساً، فوق جميع الشعوب، التي على وجه الأرض))[3]، وجاء:((أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً))[4].

وورد في التوراة أنَّ الله هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب[5]، وهو إله موسى[6]، ومن ثمَّ هو إله بني إسرائيل جميعاً[7]. هذه النصوص وغيرها كثير، هي التي جعلتْ اليهود يرون أنفسهم على أنَّهم شعب الله، الذي أصطفاه على العالمين، وأنَّ ما عداهم أقلُّ منهم مكانة في سلم الإنسانية، وبالتالي فلا يسمحون أن تكون هذه الميزة لغيرهم من الشعوب[8].

أن تجعل من اليهودية ديناً عالمياً تبشيرياً, لتحقيق أهداف سياسية وتحقيق حلم الصهيونية, في تأسيس دولة يهودية, وقد نجحوا في ذلك, واستطاعوا أن يجمعوا أجناساً متنوعة, تحت مظلة اليهودية, وقد أجمع العلماء, وخاصة علماء الأنثربولوجيا, أنَّ اليهود المنتشرين في أرجاء العالم, لا يكوِّنون, إطلاقاً, مجموعة سلالية خاصَّة, بل إنَّهم مجرد تجمع ديني لأفراد من سلالات مختلفة ومتباعدة. ينظر: الإنسان –دراسة في النوع والحضارة – د.محمد رياض. ص١٥٦.

(١) سفر الخروج(٦:٧).

(٢) سفر الخروج(١٩:٦).

(٣) سفر التثنية(١٤:٢) و (١٠:١٥).

(٤) سفر أرمياء(٣١:٣٣).

(٥) سفر التكوين(١٢:١–٣) و (١٣:١٢–١٨) و (١٥:١٨–٣٠).

(٦) سفر الخروج(٣:١) و (١٤:١٥).

(٧) سفر الخروج(٦:٦–٧).

(٨) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٢١٢/٣.و ١١٩/٥. والحضارة العربية القديمة. د.محمد بيومي. ص٤٠٣.

لكن هذا الاختيار، وبشكل حصري، لشعب واحد وإلى الأبد– كما يفهمه اليهود– يُعدّ من أصعب المفاهيم التي يمكن أن يأخذ بجدية في دراسة الدِّين، لأنَّه ينتهك مبدأ عدم التمييز والعدل والمساواة، الثابت الذي وضعه ربُّ البشر، وأنَّه وجدتْ شعوب أخرى قديمة، اعتبرتْ نفسها ذات مزية خاصة.

من جهة أخرى، فإنَّ التوراة نفسه يؤكِّد في نصوص قاطعة، أنَّ هذا الاختيار مقيَّد:((والآن إنْ أمتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنَّكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب)) [(١)]، وورد:((فإذا سمعتَ هذه الأحكام يا شعب إسرائيل، وحفظتها وعملتَ بها، فجزاؤك أن يحفظ الربُّ إلهك عهده لك، ورحمته التي أقسم عليها لآبائك)) [(٢)].

والنصارى الذين يؤمنون بالعهد القديم، يؤوِّلون نظرية شعب الله المختار، ويزعمون أنَّ الله ترك اليهود واختارهم، ليكونوا شعباً له، وغالوا في ادِّعاء اختيارهم، بحيث جعلوا أنفسهم أبناءً له، وقد جاء في كتاب التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة، لمجموعة من المؤلفين: أنَّه يوجد شعب مختار في المسيح.....لأنَّ كلَكم الذين اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح...فإنْ كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم.....ولدى كلِّ عضوٍ في شعب الله كرامة ومجد، موهوبان من الله بسبب انتساب هذا الشعب للمسيح، الأبن الوحيد الذي سبق وأخذ من الله الآب كرامة ومجداً، ولا يوجد تفاوت في الكرامة لعضوٍ في شعب الله، طالما أنَّ الكرامة والمجد الممنوحان لشعب الله هما أساسا كرامة ممنوحة ومفاضة على الذين صاروا ابناء الله في النعمة[(٣)].

---

(١) سفر الخروج(١٩:٥).

(٢) سفر التثنية(٧:١٢).

(٣) التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة. مجموعة من المؤلفين. ص٤٢–٤٣.

في القرآن الكريم نصوص تؤكّد على تفضيل واختيار بني إسرائيل دون بقية النّاس، وقد يتساءل البعض عن جدوى تلك الآيات، التي تشير إلى هذا الأمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[3]. وكذلك أكّد القرآن الكريم على أنَّ من أمَّة موسى عليه السلام من يستحق الثناء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾[4]؛ إلاّ أنَّ العلماء قد بحثوا وتحدّثوا عن سبب هذا الاختيار والأفضلية، وخلصوا إلى نتيجة واحدة، وهي أنَّ اليهود حملوا رسالة التوحيد، فكانت ميزة لهم ومفضّلين على الأمم الوثنية والمشركة، لأنَّهم اتباع الرُّسل وحملة راية التوحيد، ثمَّ تخلّوا عن أعباء الرسالة، وحرَّفوا وبدّلوا، وتركوا التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتلوا الأنبياء، فاستحقوا اللّعن والطّرد من رحمة الله، ولم يبقَ لهم هذه الأفضلية، لأنَّها مشروطة.

يقول سيد قطب(١٩٠٦–١٩٦٦م): إنَّ تفضيل بني إسرائيل على العالمين، موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأمَّا بعد ما عتوا عن أمر ربهم، وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلّوا عن التزاماتهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللّعن والغضب والذلّة والمسكنة[5].

---

(١) سورة البقرة(١٢٢).

(٢) سورة الأعراف(١٤٠).

(٣) سورة السجدة (٢٤).

(٤) سورة الأعراف (١٥٩).

(٥) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٦٩/١.

ويمكن أن نستخلص من الآيات التي تؤكّد على تفضيل اليهود عدَّة شروط منها[1]:

أ- أنَّه موقوف على مقتضى إيمانهم بموسى، وشريعته التي جاء بها.

ب- أنَّهم استحقوا الثَّناء، بسبب صبرهم الدَّال على قوة الإيمان.

ج- أنَّ تعبير،(لمَّا صبروا)، تفيد الظرفية، فيكون تفضيلهم وجعلهم أئمة، كان محدوداً بظروف وزمان خاص، وهو الزمان الذي تحقق فيه إيمانهم، وهو الرأي الذي عليه أكثر المفسرين.

د- أنَّ (ال) التعريف في (العالمين)، تفيد العهد الذهني، المأخوذ من سياق الآيات التي تعرض قضيتهم.

هـ- ما كان تفضيلهم على المؤمنين العاملين بشريعة الله، ولا تفضيلاً لجنسهم وذواتهم.

نستخلص ممَّا سبق، أنَّ التوراة والقرآن متفقان على أنَّ الاختيار ليس أبدياً، كما فهمه اليهود، وإنَّما هو موقوت على مدى التزام اليهود بأوامر الدِّين، وأنَّهم فقدوا استحقاقهم بعدما نقضوا العهد وأشركوا وعبدوا الأصنام وتعدّوا حدود الله.

---

(١) ينظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن. د.صلاح عبدالفتاح الخالدي. ص ١١٥. واليهود في القرآن الكريم. عفيف عبدالفتاح طبارة. ص٤٢-٤٣. ومعالم قرآنية. مصدر سابق. ص١٠٢-١٠٣.

المطلب الرابع: الأغيار (الغويم)[1] في التوراة

إنَّ النتيجة الحتمية لعقيدة شعب الله المختار، هي وجود نظرة دونية لدى اليهود إلى الشعوب غير اليهودية، وأصبحتْ هذه العقيدة الاستعلائية والنظرة الدونية، شريعة مكتوبة ومقدَّسة، وبنيتْ عليها أحكامٌ شديدة القسوة أهدرتْ الكرامة الإنسانية.

لا شكَّ أنَّ التوراة الأصلية جاء بالحق، في العقيدة والعدالة والأحكام ومكارم الأخلاق والآداب، شأنه شأن الكتب السَّماوية الأخرى، وهذه الحقيقة أكَّدها القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾[2]، إلاَّ أنَّ التحايل والتحريف والطبيعة اليهودية، شوَّهت هذه الحقيقة وفرَّقت بين اليهود وغير اليهود، في الأحكام والتعامل والأخلاق والآداب....

حيث اعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار، دون سائر النَّاس، وما خلق

---

(١) الغويم كلمة عبرية, ومفرده: (غوي) , وتعني: الشعب أو القوم, وترجمتْ هذه الكلمة في النَّص الأنجليزي, إلى الأمم أو الشعوب, وهم غير اليهود. وقد انتقلتْ إلى العربية بـ (غوغاء) , أو (دهماء) , وكانت تنطبق على اليهود وغيرهم, في بداية الأمر على حدّ سواء. إلاَّ أنَّ الكلمة اكتسبتْ إيحاءات بالذَّم والقدح, وأصبح معناها:(الغريب) , أو(الآخر) , إلاَّ أنَّها لا تعطي القارئ غير اليهودي, ردَّة الفعل العاطفية المثيرة, التي تخلقها كلمة(غويم) في الذهن اليهودي, وأنَّها تعني تارة: العدو العالمي المكروه, وتارة تعني: الحبيبات البشرية المحتقرة, أو القطيع الغبي, أو الأرث الذي وعدهم به يهوه. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩٧/٥. والتوراة تاريخها وغاياتها. مصدر سابق. ص٢٤.

(٢) سورة المائدة من الآيتين(٤٣-٤٤).

الله غيرهم إلاّ لخدمتهم. يقول الحاخام أباربائيل، وهو من حاخامات اليهود المعاصرين المتشدّدين: المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان، ليكون لائقاً لخدمة اليهود، الذين خلقتْ الدنيا من أجلهم، لأنَّه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان، وهو على صورته الحيوانية، كلاّ، ثمَّ كلاّ، فإنَّ ذلك منابذ للذوق والإنسانية كلَّ المنابذة، وأنَّ أرواح اليهود مصدرها روح الله، أمَّا باقي الأمم، فليستْ كذلك، لأنَّ أرواحهم مصدرها الروح النجسة[1].

فاليهودي كالذئب يفترس حملاً، يأكل ليعيش، والغويم هم النعاج ، والإبادة الجماعية للغويم هو أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود، وهذا في نظرهم عمل أخلاقي وقانوني[2].

وقد حرَّم اليهود على أنفسهم أكل لحم (الطريفا)، وهي الفريسة التي تفترسها الكلاب والسباع، وجوَّزوا بيعها إلى غير اليهود،حيث ورد:((ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا، بل اطرحوه للكلاب)) [3]، وقد فسَّر بعض اليهود الكلب بغير اليهود، أي أطعموه وبيعوه لمن ليس على دينكم[4]. وجاء أيضاً النهي عن أكل لحم الحيوان الميِّت، بالنسبة لليهودي، وجوَّزوا بيعه للغريب:((

---

(١) الكنز المرصود . د.روهلنج. ترجمة د.يوسف نصر الله. ص٧٥. ومقارنة الأديان–اليهودية– ص٢٧٧.

(٢) ينظر: التوراة تاريخها وغاياتها. مصدر سابق. ص٥٥.

(٣) سفرالخروج(٢٢:٣٠).

(٤) ينظر: غاية المقصود في الرَّد على النصارى واليهود. السموأل المغربي. ص٨٤. قد يردُّ علينا البعض ويقول أنَّ بعض فقهاء المسلمين أيضاً جوَّزوا الانتفاع بالخنزير وهو حرام عليهم, فلماذا تتهم اليهود بالانتفاع به، وذلك ببيعه لغير اليهود؟ ونقول أنَّ المسلمين لم يجوزوا الانتفاع بالخنزير إلاّ لأغراض مخصوصة. ينظر: الشرح الكبير. الرافعي. ٤/٦٥٥. ونهاية المحتاج. الرملي. ٢/٣٨٣. وكذلك أنَّ القضية ليستْ قضية انتفاع, وإنَّما هي التفريق بين إنسان وإنسان, بين اليهود وغير اليهود. أمَّا إذا انتفع به اليهودي نفسه فليس لنا مؤآخذة على ذلك.

لا تأكلوا حيواناً فاطساً[1]، تعطونه للغريب الذي في مدنكم، أو تبيعونـه، لأنَّكم شعب مقدَّس)) [2]، فالازدواجية والتفرقة العنصرية واضحة لا تحتاج إلى تعليق

أطلق اليهود على الرجل غير اليهودي إسم: (شيكتس)، والمرأة غير اليهودية :(شيكسا)، وتعني هذه الكلمة العبرية: حيوان قذر، أو مخلوق كريه[3]، ولم يكن الرسول محمد ﷺ بعيداً عن الإهانات اليهودية، فقد أطلقوا عليه: (فاسول)، أي: الساقط، و:(موشكا)، أي: المجنون. وسموا القرآن الكريم بـ (قالون)، ويعني في العبرية: السوءة. أي أنَّه سوءة المسلمين وعورتهم[4]، وفي صلاة الصبح يشكر اليهودي الله، لأنَّه لم يجعله من الأمم الأخرى[5].في العصر الحديث، ظلَّ هذا القانون العنصري نافذاً في مؤسَّسات الدولة، فحرَّموا الأغيار من معظم مؤسَّسات الدولة، وحتَّى قانون العودة ظلَّ قانوناً لعودة اليهود فقط، دون الأغيار، وفي مؤتمر الدراسات التلمودية سنة ١٩٧٤م، منعوا قيام الطبيب اليهودي بمساعدة المرأة غير اليهودية على الحمل، ومنع الطبيب اليهودي بتداوي غير اليهود[6].

وقد كان لموسى بن ميمون[7]، فتاوى عنصرية، وكتب يقول: لا تثنِ على

---

(١) فطسَ يفطسُ فاطس, أي: الحيوان الميِّت. ينظر: لسان العرب. ١٩٨/١١.

(٢) سفر التثنية(١٤: ٢١).

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩٩/٥.

(٤) ينظر: غاية المقصود. مصدر سابق. ص٨٦.

(٥) ينظر: التاريخ اليهودي. إسرائيل شاحاك. ص١٤٢. ومكانة المرأة في الكتاب المقدس. القس صموئيل زكي. ص١٣. ونحن المسلمين أيضاً نشكر الله على أنَّه جعلنا من المسلمين, ولكن ليس على أساس جنس المسلمين, بل على أساس الهداية والإيمان, واليهود شكروا الله, لأنَّه جعلهم من جنس اليهود, هكذا نفهم النص.

(٦) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ١٩٨/٥.

(٧) موسى بن ميمون هو أبو عمران بن عبدالله القرطبي, أحد فلاسفة اليهود, ويعتبر من أبرز شخصيات الفكر الدِّيني اليهودي. مات سنة ١٢٠٤م. ينظر: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته. د. إسرائيل ولفنسون. ص٢٥.

الكفّار، حتّى لا يظنهم اليهود طيبين، ولا تصفح عن غير اليهود ولا تعطف عليهم ولا ترحمهم، ولا تمنح غير اليهود مكاناً للاستقرار في الأرض المقدَّسة[1]، وهذه النظرة العنصرية والاستعلائية لم تأتِ من فراغ، وإنَّما جاءتْ من إيحاءات التوراة الذي بأيديهم، والذي تدعوهم إلى القتل والحرق والتدمير، لكلٍّ ما هو غير يهودي، واليهود اعتمدوا على نصوص التوراة المحرَّفة، اعتقاداً منهم أنَّها أوامر إلهية:((فقاتلوا مديان كما أمر الربُّ موسى، وقتلوا كلَّ ذكر، ومنهم ملوكهم الأربعة........وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، وجميع بهائمهم ومواشيهم. وغنموا ممتلكاتهم، وأحرقوا بالنّار جميع مدنهم بمساكنهم وقصورها...)) [2]. وليس هذا فحسب، بل عندما عادوا غضب موسى– حسب التوراة– لأنَّهم لم يقتلوا النساء، :((وقال لهم موسى: لماذا أبقيتم الإناث كلهنَّ على قيد الحياة....فالآن أقتلوا كلَّ ذكر من الأطفال، وكلَّ امرأة ضاجعتْ رجلاً..)) [3].

وجاء أيضاً:((فقال الربُّ لموسى:أكتب هذا النصر ذكراً في الكتاب، وقل ليشوع[4]: سأمحو ذكر عماليق[5]، من تحت السماء)) [1]، وكذلك ورد: ((

---

(١) مغالطات اليهود وردُّها من واقع أسفارهم. عبدالوهاب عبدالسلام طويلة. ص٣٦.

(٢) سفر العدد(٣١:٧–١١) و(٣٣:٥٠–٥٥).

(٣) سفر العدد(٣١:١٥–١٧).

(٤) يشوع أو يوشع بن نون, كان خادماً لموسى, ولزمه إلى أن مات موسى عليه السلام ثمَّ خلَّفه في قيادة بني إسرائيل, وقادهم إلى الأرض المقدَّسة, واستطاع أن يهزم الفلسطينيين ويدخل الأرض الموعودة, وقد جاء ذكره في القرآن الكريم, بإسم فتى موسى, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾﴿ سورة الكهف (٦٠) ﴾.

(٥) العماليق أو بنو عماليق, عاشوا في جنوبي أرض كنعان, وتنقلوا في جزيرة سيناء, وكانوا أعداء لبني إسرائيل. ينظر: حاشية الكتاب المقدَّس. ص٨٩. وجاء ذكر العماليق في القرآن

وتقضي على جميع الشعوب الذين يسلمهم إليك الربُ إلهك، ولا تشفق عليهم)) [٢]، وجاء:((ويطرد الربُّ جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكثر وأعظم منكم)) [٣]، وكذلك:((وأمَّا مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهكم ملكاً، فلا تبقوا أحداً منها حياً))[٤]،

وأيضاً:((وقتلوا بحدِّ السيف، إكراماً للربِّ، جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتّى البقر والغنم والحمير)) [٥]، وجاء:((والأجانب يرعون غنمكم، ويكونون فلّاحيكم وكرّاميكم، تدْعون كهنة الربِّ، وتسمَّوْن خدَمَة إلهنا، تأكلون خيرات الأمم وباغتصاب أمجادهم تفتخرون)) [٦]، وجاء:((الغرباء يبنون أسوارك وملوكهم يكونون في خدمتك...فالأمَّة التي لا تخدمك تبيد، ومملكتها تخرب خراباً)) [٧].

لا نفهم من هذه النصوص أنَّ اليهود أمروا بقتل الآخرين من الأعداء من أجل إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله، بل يفهم منها أنَّهم كانوا عقبة أمامهم في محاولتهم الدخول إلى الأرض المقدَّسة، والحصول على الأغنام والعبيد من الأمم الأخرى، ولا يستقيم أن نقارن هذه النصوص بالآيات القرآنية التي تدعو إلى

الكريم, ووصفهم بالقوم الجبّارين,قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾. { سورة المائدة (٢٢) }.

(١) سفر الخروج(١٧:١٤).

(٢) سفر التثنية(٧:١٦). بل هذا الأصحاح من أوله إلى آخره, يؤكّد على الإخلاص لشعب الله, وقتل من سواهم.

(٣) سفر التثنية(١١:٢٣-٢٦) و(١٢:٢).

(٤) سفر التثنية(٢٠:١٦-١٨).

(٥) سفر يشوع(٦:٢١).

(٦) سفر أشعياء(٦١:٥-٧).

(٧) سفرإشعياء(٦٠:١٠-١٢).

قتل الكفّار والمشركين، لأنَّها لا تدعو إلى ذلك لمجرد أنَّهم كفّار، بل لا بدَّ من توفّر الشروط والأسباب، كما دلّتْ على ذلك سنته ﷺ. من تلك الآيات،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، وغيرها من الآيات التي تدعو إلى الدفاع والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله.

من أراد المزيد من هذه القوانين التي وضعها اليهود في كيفية التعامل مع الأغيار، فعليه أن يراجع أسفار صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، فسوف يرى العجب العجاب من قوانين الحرب التي أعلنها اليهود على غيرهم دون مبرر، وبأي حق يقتلون ويحصلون على الغنائم والأراضي التي يمتلكها غيرهم؟ وقد جمع الله في آية واحدة في القرآن الكريم– وبلسان اليهود– حقيقة وطبيعة اليهود مع غير اليهود،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]، أي: لسنا ملتزمين بمراعاة أيِّ شريعة كريمة مع الأميِّين(غير اليهود)، وأموالهم حلال لنا، لأنَّهم ليسوا على ديننا، ولا حرمة لهم في كتابنا، لأنَّهم مشركون[4].

---

(١) سورة التوبة(٧٣).

(٢) سورة التوبة(١٢٣).

(٣) سورة آل عمران من الآية(٧٥). وقد ذهب البعض إلى أنَّ المقصود بالأميِّين في الآية الكريمة هم العرب, بدليل قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ .... ﴾.{ سورة الجمعة(٢) } . إلاّ آية آل عمران جاءت على لسان اليهود, وأنَّهم حتماً لم يقصدوا العرب فقط بكلمة (الأميِّين). ينظر: في ظلال القرآن. ٤١٧/١.

(٤) ينظر: جامع البيان. الطبري. ٥٢١/٦–٥٢٢. ومعالم التنزيل. البغوي. ٥٦/٢. تفسيرالقرآن.

وورد في التوراة أنَّ الديون تسقط في السنة السابعة، إلاَّ في حق الغريب:((كلُّ صاحب ديْن منكم يُعفى أخاه، من بني قومه ممَّا أقرضه لا يطالبه، لأنَّ الربَّ قال بإعفائه، أمَّا الغريب فتطالبه)) [1]، ويعني بالصاحب: قريب الجنس، وبالأخ: المؤمن، وبالغريب: غير اليهود[2].

تفسيرالقرآن. ابن كثير. ٢/٦٦.

(١) سفر التثنية(١٥:١-٥).

(٢) شرح أحكام التوراة. فادي فرج. مصدر سابق. ص٦٧.

المبحث الثاني
مفهوم التكريم في الإنجيل

مفهوم التكريم في الإنجيل، لا يختلف كثيراً عن المفهوم الذي سبق أن تطرقنا إليه في الفصل التمهيدي في الإسلام، بل نستطيع أن نؤكّد، أنَّه لاخلاف بينهما من حيث المضمون، أمَّا من حيث النصوص، فالقرآن الكريم حافل بالحفاوة بالإنسان، في آيات صريحة ومتنوعة، بخلاف الأناجيل، التي لا تكاد ترى نصّاً صريحاً يؤكّد على مبدأ الكرامة، إلاّ أننا نستطيع أن نستنتج، أنَّ جميع المسيحيين–بمختلف فرقهم–متفقون حول مبدأ الكرامة الإنسانية، ووجوب الحفاظ على هذه الكرامة[1].

وأنَّه لا بدَّ من سند شرعي للكرامة، وأنَّ إنساناً متحرراً، من أي مصدر إلهي لا يمكن أن يطالب بالكرامة والمساواة، فالكرامة والمساواة بحاجة إلى

(١) ينظر : مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى. مصدر سابق. ص١٤٦–١٤٧. والمبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة .الأب كميل مبارك.ص٨٣.

شرعية، وهذه الشرعية تكمن في علاقة الإنسان بالله[1]، وآباء الكنيسة لا يفرِّقون بين الرجل والمرأة في الخلق على صورة الله ومثاله، ويعتبرون الرجل والمرأة مستقلين عن بعضهما، ويكرِّمون طبيعتهما بالتساوي، ففضائلهما متساوية ومكانتهما متعادلة، وليست المرأة ضعيفة، إذ الضعف من فعل الجسد[2]. يؤكِّد التصور المسيحي، أنَّ مصطلح كرامة الإنسان غامض، ومثقل بالمعاني، فهي لا توضح هدفاً يجب الوصول إليه، باعتبارها صفة من صفات الإنسان، لا بدَّ من حمايتها[3]، وعلى المسيحيين-كما يقول بطرس بشتة=: تذكر الجانب المقدَّس، في الإنسان، ولا بدَّ من حمايته، وأنَّ هذا المقدَّس، قائم في كرامة الإنسان، التي لا يجوز أن يفقدها، لأنَّها هبة من الله ذاته، حاضرة في قربه واختياره، وفي ممارسة الوجود البشري[4].

إنَّ المبادئ الأساسية الاجتماعية المسيحية، ترتكز على كرامة الإنسان، فلو لم تكن هذه الكرامة، لما كان للمبادئ الأخرى أية قيمة، فهي أساس جميع الحقوق[5].

وتتجسَّد كرامة الإنسان، في الواقع، في مقتضيات الحرِّية والمساواة وحقوق

---

(١) ينظر: العدل في العلاقات بين الدول والأديان.أندراوس بشتة .ص٢٢٣. والإسلام والغرب.عادل ثيودور ص٦٤-٦٥. وهذا المفهوم موجود في الإسلام, لأنَّ الإنسان مكرّم لذاته ولأعتقاده(الكرامة الفطرية والمكتسبة).

(٢) ينظر: سرُّ التدبير الإلهي(التجسد).أسبيرو جبور.ص٧٨. والخلاص المسيحي. د.أحمد علي عجيبة. ص١٢٧.

(٣) ينظر: القيم-الحقوق -الواجبات. مصدر سابق. ص١٨٠.

(٤) ينظر: الإسلام يسائل المسيحية.مصدر سابق.ص١٧٨. والعدل في العلاقات .مصدر سابق. ص٢٢١.

(٥) ينظر : المبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة . مصدر سابق.ص٨٣.

الإنسان كثيراً ما تركز على الكرامة، غير أنَّ الكرامة لا تقدم معياراً يتضمَّن ما تقوم عليه حق الحياة، أو ما تقتضيه الحرِّية والمساواة[1].

ويدعو المجمع الفاتيكاني الثاني، في سبيل حماية كرامة الإنسان، إلى مكافحة حازمة لكلِّ استعباد اجتماعي أو سياسي[2]، ويعبِّر عن تقديره لأولئك الذين يمتنعون عن العنف، في ملاحقة حقوقهم، بقدر ما يمكن أن يتم ذلك، دون المساس بحقوق وواجبات الآخرين[3].

---

(١) ينظر : القيم —الحقوق—الواجبات.مصدر سابق .ص١٨٠.

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني سنة ١٩٦٩م. .رقم(٢٩).

(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني. سنة ١٩٦٩م. رقم(٧٨).

المبحث الثالث
مفهوم التكريم في القرآن الكريم

الإنسان في الإسلام مخلوق مكرَّم، وليس هناك فكرة أو دين قائم الآن وفّى الإنسان حقه من التكريم والرعاية والعناية والعدالة والتحرير مثل الإسلام. وقد تناولنا موضوع تكريم الإنسان في العهديْن(القديم والجديد) ولم نجد فيهما الاهتمام والحرص والشمول، كما هو موجود في القرآن الكريم، فيما يتعلق بجميع جوانب حياة الإنسان، من الولادة إلى ما بعد الموت، وينبغي أن يعرف الإنسان أنَّه مخلوق مكرَّم عند الله وإدراك هذا التكريم ليس صعباً، فقد تمَّ ذلك التكريم منذ الخليقة وباستمرار، ومن نواحي عدَّة، فقد خلقه الله من عنصريْ الطين والروح، وزوَّده بالعقل والاستعدادات اللاّزمة، وفضَّله على كثير من خلقه، وصوَّره في أحسن صورة، وسخَّر له المخلوقات لتكون تحت تصرفه، كلُّ هذا تمكين للإنسان من أداء وظيفته العظيمة، وهي العبادة والأمانة والخلافة وعمارة الأرض، حسب توجيهات ربه.

فينبغي أن يعرف الإنسان حقيقتين معاً، **الأولى:** أن يعرف أنَّه مخلوق ضعيف، أصله من تراب، وسلالته من ماء مهين، **والثانية:** هي أنَّه هو ذلك المخلوق المكرَّم على سائر المخلوقات[1].

وهذا التكريم جاء معلناً من السَّماء، في آية شاملة موجزة، مستوعبة مبيِّنة معظم مظاهر التكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [2]، ومفهوم التكريم في هذه الآية، ذو بعدين: بعد عقلي، بالعقل والتمييز والنطق: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ))، وبعد حضاري، بالحفظ وتدبير المعاش والأكل باليد وركوب البحر والبر والتمتع بالطيبات: ((وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ))[3]، وهذه الآية نص صريح في أنَّ الإنسان أكرم من كلِّ شيء، على ظهر الأرض.

وأنَّ الكرامة حق لكلِّ إنسان وأنَّها ملازمة لإنسانيته، فإذا حُرم منها، لم يكن المجتمع الذي يعيش فيه مجتمعاً متماسكاً سعيداً[4].

قال القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ): كرَّمنا تضعيف كرم، أي: جعلنا لهم شرفاً وفضلاً، وهذا كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة، في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البرِّ والبحر....والصحيح الذي يعول عليه، أنَّ التفضيل إنَّما كان بالعقل الذي هو

---

(١) ينظر : مفهوم الإنسان في القرآن الكريم. مصدر سابق. ص٢٨١.

(٢) سورة الإسراء (٧٠).

(٣) ينظر : الديمقراطية وحقوق الإنسان. د.محمد عابد الجابري. ص٢٠٢-٢٠٥.

(٤) ينظر : مشكلات وحلول. د.مصطفى السباعي. ص٩١.

عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه...[1].

وقال ابن القيِّم(٦٩١-٧٥١هـ): فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها، من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقدِّ المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر واقتناص الأخلاق من البرِّ والطاعة والانقياد[2].

علَّق الشيخ محمد الغزالي(١٩١٧-١٩٩٦م) على مكانة الإنسان بقوله: إنَّ قدر الإنسان في الإسلام رفيع، والمكانة المنشودة له تجعله سيِّداً في الأرض وفي السَّماء، ذلك أنَّه يحمل بين جنبيه نفحة من روح الله وقبساً من نوره الأقدس، وهذا النسب السَّماوي هو الذي رشَّح الإنسان ليكون خليفة الله في أرضه، وهو الذي جعل الملائكة، بل صنوف المخلوقات الأخرى تحنو له وتعترف بتفوّقه[3].

وأنَّ جميع النَّاس سواسية في هذا التكريم، في نظر الإسلام، لذلك قرَّر مبدأ الوحدة الإنسانية، وهو مبدأ طبيعي وحسب التعبير القرآني، إنَّهم أمَّة واحدة، وأنَّ هذه الوحدة تضعف وتتقوَّى طبقاً لمدى إدراك أفراد هذه الأمَّة لمقوماتها، وقدر وفائهم بحقوقها[4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٩٣/١٠-٢٩٤.

(٢) مفتاح دار السعادة. إبن القيِّم. ٢٦٣/١.

(٣) حقوق الإنسان. الشيخ محمد الغزالي. مصدر سابق. ص١١.

(٤) ينظر : الإسلام عقيدة وشريعة. الإمام محمود شلتوت. ص٤٧٢.

(٥) سورة الحجرات (١٣).

علّق الدكتور محمود زقزوق على آية التكريم قائلاً: الكرامة المقصودة هنا، كرامة عامة لكلِّ البشر، دون استثناء، بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، والإنسان الذي منحه الله الكرامة لا يجوز أن يفرط فيها، بأي صورة من الصور، ومن جانب آخر لا يحق لأحد أن يتعرض بالإهانة لإنسان آخر كرَّمه الله، لأنَّ ذلك يُعدُّ عدواناً في حق الله من ناحية، وفي حق الشخص الذي وقعتْ عليه الإهانة من ناحية أخرى، وهذه الكرامة التي أختصَّ الله بها الإنسان دون غيره من الكائنات، ذات أبعاد مختلفة، فهي حماية إلهية للإنسان تنطوي على إحترام عقله وحرِّيته وإرادته[1].

بالكرامة يحمي الإنسان أعداءه، كما يحمي أبناءه وأولياءه، فهي مطلقة، لا تتقيد بجنس أو مكانة اجتماعية، إنَّما هي كرامة للإنسان بغض النظر عن دينه أو جنسه، فلا يصح أن يضطهد أو يظلم أو تسلب حرِّيته[2].

وآية التكريم هي إعلان الله بتكريم الإنسان، وهي في حدِّ ذاتها تكريم. يقول الفخر الرازي(٥٤٣-٦٠٦هـ) في تفسير الآية: إعلم أنَّ المقصود من هذه الآية، ذكر نعمة أخرى جليلة، من نعم الله تعالى على الإنسان، وهي الأشياء التي بها فضَّل الإنسان على غيره[3].

وقد أعاد ابن عاشور(١٢٩٦-١٣٩٣هـ)بيان هذه الأشياء التي أشار إليها الرازي بقوله: وقد جمعتْ الآية خمس منن: التكريم، وتسخيرالمراكب في البرِّ

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية. ص١. والإنسان في التصور الإسلامي.ص٦٧.كلاهما د.محمود زقزوق.

(٢) ينظر: نظرات في الإسلام. مصدر سابق. ص١٦٤.

(٣) مفاتيح الغيب(التفسير الكبير). الفخر الرازي. ٢١/١٠.

والبحر والرزق من الطيبات والتفضيل على كثير من المخلوقات. ويضيف موضِّحاً: جعله كريماً، أي: نفيساً غير مبذول، ولا ذليل في صورته، ولا في حركة مشيه، ولا في بشرته...[1].

قد يقول قائل، إنَّكم تعظِّمون من شأن الإنسان في القرآن، بينما هناك آيات في القرآن تحطُّ من قيمة الإنسان وتنزله منزلة الحيوان، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

الحقيقة أنَّ الإنسان نفسه، وباختياره، يعطِّل جوانب إنسانيته، فهو يتصرف بعكس ما كلَّفنا الله بها. ومن المعروف أنَّ جميع ما كُلِّفنا بها، هو تأكيد لإنسانيَّتنا، ورفع مستواها، والسير بها في خطِّ التميُّز عن الحيوان، فكرامة الإنسان وقيمته أصيلة ومتجذِّرة، إلَّا أنَّ الإنسان لا يحافظ على هذه الكرامة[4]، وإنَّها لمجازفة كبرى، أن يعتبر الإنسان بهيمة دون احترام لخصوصياته، التي تميِّزه عن البهيمة، فالأمر يحتاج إلى كثير من الشروط العلمية حتَّى يُقحم الإنسان في دائرة البهائم، أو تُقحم البهائم في عالم الإنسان المشهود له[5].

وفي ضوء آية التكريم، يمكن استخلاص عدَّة وجوه من وجوه تكريم الله

---

(١) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ١٥/١٦٤-١٦٥.

(٢) سورة الفرقان (٤٤).

(٣) سورة الأنفال (٥٥).

(٤) ينظر: الإسلام. سعيد حوى. ص٢٩٣.

(٥) ينظر: مفهوم الإنسان في القرآن. مصدر سابق. ص٣٩.

للإنسان:

أولاً/ تكريمه بالحمل في البرِّ والبحر: والحمل، الوضع على المركب، من الرواحل[1]، سواء منها تلك التي تحمل في البرِّ، كالخيل والبغال والحمير والإبل، وما صنعه الإنسان في العصر الحديث، من سيارات وقطارات. وفي البحر، كالسفن والبواخر والقوارب. يقول الفخر الرازي(٥٤٣-٦٠٦هـ): وهذا أيضاً من مؤكِّدات التكريم المذكور أولاً، لأنَّه تعالى سخَّر هذه الدَّواب له حتَّى يركبها، ويحمل عليها، ويغزو ويقاتل ويذب عن نفسه، وكذلك تسخير المياه والسفن ليركبها، وينقل عليها، ويتكسَّب بها، ممَّا يختصُّ به ابن آدم[2].

ثانياً/ تكريمه بالرزق من الطيبات: إنَّ الله كرَّم الإنسان من لذيذ المطاعم والمشارب، من أصناف لاتحصى. قال مقاتل(ت١٥٠هـ): السمن والعسل والزبد والحلوى...الخ[3]، وغير ذلك من خيرات الأرض، من(زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللَّذيذة، المنظر الحسن والملابس الرفيعة، على اختلاف أنواعها وأشكالها) [4].

وممَّا يؤكد التكريم والتشريف، أنَّ الإنسان لا يقبل من الأطعمة إلاّ بأحسنها وأجودها وأنظفها، ويتغذَّى منه بألطف أنواعها وأشرف أقسامها، بعد التنقية التامَّة والطبخ الكامل والنضج البالغ، وذلك ممَّا لا يحصل إلاّ للإنسان[5].

---

(١) التحرير والتنوير. مصدر سابق. ١٥/١٦٥.

(٢) مفاتيح الغيب. مصدر سابق. ٢١/١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٠/٢٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٥/٩٧.

(٥) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ١٥/١٦٥.

ثالثاً/ تكريمه بالتفضيل على الخلائق: ومن مظاهر التكريم أن فضَّله على كثير من خلقه، ومن أوضح صور التفضيل، استخلافه في الأرض،(فضلناهم بهذا الاستخلاف في ملك الأرض الطويل العريض، وبما ركب في فطرتهم من استعدادات تجعل المخلوق الإنساني فذّاً بين الخلائق، في ملك الله تعالى) [1]، وهذا العالم بأسره جار مجرى قرية معمورة أو خانٍ معدّ، وجميع منافعها ومصالحها مصروفة إلى الإنسان، والإنسان منه كالرئيس المخدوم والملك المطاع، وسائر الحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد، وكلُّ ذلك يدل على كونه مخصوصاً عندالله بمزيد التكريم والتفضيل[2].

وقد اختلف العلماء في أفضلية الإنسان على الملائكة، فالذين قالوا بأفضلية الملائكة ومنهم ابن عباس والقرطبي، أخذوا بمنطوق الآية، لأنَّ ((وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))، يدل على أن هناك من المخلوقات ما هو أفضل من الإنسان، وكلُّ من أثبت هذا القسم، قال: هو الملائكة، فلزم القول بأنَّ الإنسان ليس بأفضل من الملائكة[3]، واستدلوا –بالإضافة إلى هذه الآية–بأدلة أخرى منها، قال تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[4]وقال تعالى:﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[5]، والحديث المروي عن أبي هريرة

---

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٢٢٤١/٤.

(٢) مفاتيح الغيب. الفخر الرازي. ١٢/٢١–١٣.

(٣) نفس المصدر. ١٤/٢١.

(٤) سورة الأنبياء (٢٦).

(٥) سورة التحريم (٦).

من أنَّ الرسولﷺ قال:((.... إنْ ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم....)) [1].

والذين قالوا بأفضلية الإنسان،أخذوا بدليل الخطاب في الآية. ومذهب الجمهور، أنَّ خواص البشر، من الأنبياء والصدِّيقين، أفضل من خواص الملائكة، الذين خصَّهم الله بالذكر، وعوام البشر، وهم الصالحون، أفضل من عوام الملائكة[2]، وهو الراجح.

رابعاً/ تكريمه بتسخير السَّموات والأرض: إنَّ من لطف الله بالإنسان أن مهَّد له الحياة في الأرض،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3]، كلمة(ذلولاً) صيغة مبالغة وكأنَّ الأرض مائدة بين يدي الإنسان، بكلِّ ما فيها، ليعمل فيها قدرته العضلية ومواهبه الفكرية، ليستخرج كلَّ ما يطمح إليه من أسباب السعادة والنفع[4]، وسخَّر له السموات والأرض، وجاءتْ الآيات القرآنية لتؤكِّد أنَّ الكون كلَّه مسخَّر للإنسان، مذلَّل له في سبيل استثماره، واستغلال مرافقه، وبيَّنتْ هذه الآيات أنَّ التسخير له مظاهر متعددة ومستويات مختلفة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب قول الله تعالى: ويحذركم الله. ٢٦٩٤/٦رقم (٦٩٧٠). ومسلم في صحيحه. باب الحث على ذكر الله. ٦٢/٨. رقم (٦٩٨١). والترمذي في سننه. ٥٨١/٥. رقم (٣٦٠٣).

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة. ابن القيِّم. ٥٢/١. وكبرى اليقينيات الكونية. د.محمد رمضان البوطي. ص٢٤٧.

(٣) سورة الملك (١٥).

(٤) ينظر: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم. د.محمد رمضان البوطي. ص٨٦.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[1]، وسخَّر له جميع المخلوقات،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[2]، وهناك شمولية في التسخير،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[3].

وأنَّ التسخير رفيع دون باقي مظاهر التكريم، لأنَّ جعل كلٍّ ما سوى الإنسان خدم للإنسان، يمكن تسخيرها للإنسان[4]، فالنباتات والحيوانات وغيرها جميعاً في خدمتنا، ولا نملك شكر نعمة واحدة منها، إذ كيف نشكر النعم ونحن لا نستطيع حتَّى إحصاءها،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[5].

---

(١) سورة لقمان (٢٠).

(٢) سورة يس (٧١-٧٢).

(٣) سورة إبراهيم (٣٢-٣٣).

(٤) ينظر: مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم. د.الشاهد البوشيخي. ص٣٤-٣٥.

(٥) سورة إبراهيم (٣٤).

المبحث الرابع
أوجه الاتفاق والاختلاف في مفهوم التكريم

المطلب الأول: أوجه الاتفاق

إنَّ الأمر المتفق عليه، بين الكتب السَّماوية، فيما يتعلَّق بمفهوم التكريم؛ هو أنَّ الإنسان مكرَّم من حيث المبدأ، وأقرَّتْ هذه الكتب الكرامة الفطرية للإنسان، بسبب أنَّه مخلوق على صورة الله، أو أنَّ جزءاً إلهياً قد حلَّ فيه، وهو الروح، وكذلك حرصت الكتب السَّماوية على إثبات الكرامة المكتسبة التي تأتي من خلال التقوى والعمل الصالح، وأنَّ الإنسان أكرم من كلِّ المخلوقات، بما وهب من عقل وحسن صورة وإعطائه مهمة الخلافة وحراسة الأرض.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

نوجز أهم أوجه الاختلاف لمفهوم التكريم في الكتب السَّماوية، في النقاط التالية:

١- إنَّ مبدأ التكريم الذي أقرَّه التوراة في سفر التكوين، نجد أنَّ التوراة نفسه يناقض ويهدم هذا التكريم، ويلاحظ ذلك جلياً فيما ورد في حق الأنبياء عليهم السلام الذين

هم صفوة البشرية، ويجب أن تكون لهم المكانة التي تتطلبه طبيعة النبوة، فهم – بحسب التوراة– متنبؤون لا فرق بينهم والكهنة الذين يمارسون السحر والتنجيم والكهانة، ويقترفون الآثام والموبقات، يتشاءمون ويرتدّون، ويسيرون وراء آلهة أخرى، ولا يسيرون وفق إرادة الله، الذي اختارهم لإنقاذ البشرية. أمَّا الأناجيل، فإنَّ هذا الاتجاه وهذا الموقف من الأنبياء غير موجود، غير أنَّهم غالوا في عيسى‏ وجعلوا منه إلهاً، أو أنَّ روح الله قد حلَّ فيه، على اختلاف فيما بينهم. وأنَّه صلب وقتل وذاق الألم. ولكن ثمَّة أمر يناقض مبدأ التكريم في المسيحية أيضاً، وهو أنَّ إيمانهم بالعهد القديم، وإقرارهم لما هو موجود فيه؛ يعتبر أمراً منافياً لمبدأ التكريم الذي أقرتْه الأناجيل. أمَّا القرآن الكريم، فيصف الأنبياء بأرفع الصفات، وأنَّهم منزَّهون من الوقوع في المعاصي والآثام، ومكرَّمون، وأنَّهم بلغَّوا رسالات ربِّهم بكلِّ صدق وأمانة.

٢– أكَّد التوراة على نقاوة الجنس اليهودي، ليس لشيء، وإنَّما فقط لكونهم ينتمون إلى بني إسرائيل، فهم الشعب الوحيد الذي اختاره الله، ليكون شعبه المقدَّس، وبقية البشر– في العرف اليهودي– ليس لهم ميزة، بل التلمود يعتبرهم بمنزلة الحيوانات، ولا قيمة لهم بالنسبة لليهودي.

بعد مجيء المسيح‏، أوَّل المسيحيون نصوص التوراة التي تتناول مبدأ شعب الله المختار لصالحهم، بحيث اعتبروا أنفسهم الشعب المختار والمخلَّص بالمسيح، وأنَّ اليهود لم يعودوا الشعب المختار بسبب أنَّهم لم يؤمنوا بالمسيح.

وجاء القرآن الكريم، وأعاد الاعتبار للجنس البشري عامة، وأسَّس منهجاً إنسانياً شمولياً، يقاس به جميع القضايا، ولم ينحصر التكريم والأفضلية في جنس أو لون أو نسب، بل جعل المبدأ والأصل الذي يتميَّز به الإنسان المعين عن الآخر، هو التقوى والعمل الصالح، وأكَّد أنَّ الإنسان مكرَّم بمجرد أنَّه إنسان، بغض النظر عن الدِّين والجنس واللَّون والنسب والقومية.

٣– إنَّ ممَّا يلاحظ خلال هذه الدراسة، لمبدأ التكريم في التوراة والإنجيل؛ أنَّهما لم يجعلا عناية الله بالإنسان، من خلال منحه العقل والمواهب والتسخير

والخلافة، من لوازم التكريم للإنسان، وإنَّما أكَّدا على أنَّ الإنسان خلق لمهمة محددة، وهي حراسة الأرض وفلاحتها. بينما القرآن الكريم أكَّد أنَّ منح الإنسان العقل والمواهب والإمكانات وسائر المهمات، من تسخير وخلافة... هو من لوازم التكريم، حيث نجد في آيات عديدة، الربط بين تلك المواهب والإمكانات، الممنوحة للإنسان، وبين التكريم الإلهي له.

الفصل الثالث

مظاهر تكريم الإنسان في الكتب السَّماوية

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مظاهر التكريم في تكوين الإنسان

المبحث الثاني: مظاهر تكريم الإنسان في الحقوق

المبحث الثالث: مظاهر تكريم الإنسان في العبادة

المبحث الرابع: تكريم الإنسان في التشريعات السَّماوية

المبحث الخامس: تكريم الميِّت في الكتب السَّماوية

المبحث الأول
مظاهر تكريم الإنسان في التكوين

المطلب الأول: تكريم الإنسان في الخَلق

أولاً / في التـــوراة:

إنَّ قصة خلق الإنسان في التوراة، تبيِّن أنَّ الله خلق الذكر والأنثى على صورة الله:((فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر، ذكراً وأنثى خلقهم)) [1]، وفي الأصحاح الثاني من نفس السفر يقول:((وقال الربُّ

---

(١) سفر التكوين(١:٢٧). وقد ذهب بعض الكتّاب المسيحيين إلى أنَّه يفهم من قصة الخلق أنَّ الله خلق الذكر والأنثى جنسيْن في واحد. ينظر: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ليو تاكسل. ترجمة د.حسان ميخائيل. ص١١. والظاهرة الدِّينية–نشأة الخلق– .عادل ثيودور الخوري. ص٢٢٠. إلاّ أنَّه لا يفهم هذا المعنى من النَّص, لأنَّ العطف ليس لمطلق الجمع, بل للتوافي والمغايرة, وخاصة أنَّه جاء بعد هذا النص في نفس السفر ما يؤيِّد ذلك, من أنَّ الله بعد أن لم يجد ما يعين آدم؛ قرَّر خلق حوّاء.

الإله: لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له مثيلاً يعينه، فجبل الربُّ الإله جميع حيوانات البرية، وجميع طيور السماء، وجاء بها إلى آدم...فسمَّى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية بأسماء، ولكنَّه لم يجد مثيلاً له يعينه)) [1]، وبعد أن لم يجد ما يعينه من بين ما خلق، قرَّر خلق حوّاء: ((فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق...وبنى الربُّ الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تسمّى امرأة، فهي من امرئ أخذتْ)) [2]،

من هذا النص يفهم، أنَّ حوّاء أو الأنثى، سيتمُّ خلقها بناءً على حاجة آدم، وأنَّها ستكون خاضعة لإرادته، وستكون مسلوبة الإرادة والحرِّية، وتبعاً لهذا النص أيضاً، فقد جاءتْ نصوص التوراة والإنجيل، فيما بعد، لتؤكّد خضوع المرأة للرجل[3].

وبعد أن خلق الله آدم وحوّاء، ونظر إلى كلِّ ما خلق، فرأى أنَّه حسن وجميل ((....ونظر الله إلى كلِّ ما صنعه، فرأى أنَّه حسن جداً...)) [4]، وباركهما وجعلهما سيِّدا المخلوقات: ((فقال لهم: إثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء، وجميع الحيوان الذي يدُّب على الأرض)) [5]، وجعلهما في الجنَّة وأعطاهما مهمّة:((ليفلحها ويحرسها)) [6].

---

(١) سفر التكوين(٢:١٨-٢١).

(٢) سفر التكوين(٢:٢٣-٢٤).

(٣) وسوف نشير إلى بعض الأدلة التي تؤكّد على ذلك في فصل تكريم المرأة.

(٤) سفر التكوين(١:٣١) ،.

(٥) سفر التكوين(١:٢٦-٢٩) ,

(٦) سفر التكوين(٢:١٥).

ولكنَّهما لم يراعيا الوعد، وتعدّيا الحدود، وأكلا من الشجرة المحرَّمة، فكان عقابهما الطرد من الجنَّة، وبعد هذا التكريم كان عقاب آدم:((الأرض ملعونة بسببك، بكدِّك تأكل طعامك منها طول أيّام حياتك....بعرق جبينك تأكل)) [1]، وكان عقاب المرأة:((أزيد تعبك حين تحبلين وبالأوجاع تلدين البنين، إلى زوجكِ يكون اشتياقكِ، وهوعليك يسود)) [2].

بعد الأكل من الشجرة المحرَّمة، يظهر النَّص أنَّ الربَّ خاف منهما، حيث جاء:((وقال الربُّ الإله: قد صار آدم كواحد منَّا، يعرف الخير والشرَّ، والآن لعلَّه يمدُّ يده إلى شجرة الحياة أيضاً، فيأخذ منها ويأكل، فيحيا إلى الأبد))[3].

وبعد الطَّرد من الجنَّة، ورأى الربُّ أنَّ المساوئ قد كثرت، فنَدِم على خلق آدم:((ورأى الربُّ أنَّ مساوئ النَّاس كثرتْ على الأرض، وأنَّهم يتصوّرون الشرَّ في قلوبهم، ويتهيّؤن له نهاراً وليلاً، فندم الربُّ أنَّه صنع الإنسان على الأرض، وتأسّف في قلبه، فقال الربُّ: أمحو الإنسان الذي خلقتُ على وجه الأرض، هو والبهائم والدّواب وطيور السَّماء، لأنِّي ندمتُ أنِّي صنعتهم)) [4].

بعد سرد تلك القصة، التي تشبه الأساطير الشعبية، لم نلمس تأكيداً على كرامة الإنسان، من خلال ربطه بالخالق، وإعطائه الإمكانات والمواهب، بل الإنسان وفق هذه القصة، خُلق لأجل تحقيق مهمة دنيوية.

ثانياً / في الإنــجـيـل[5]:

---

(١) سفر التكوين(٣:١٧-١٩).

(٢) سفر التكوين(٣:١٦).

(٣) سفر التكوين(٣:٢٢).

(٤) سفر التكوين(٦:٥-٨).

(٥) على الرغم من أنَّه لا يوجد في الإنجيل نصٌّ واحد حول خلق الإنسان, ومن حق أي واحد أن يقول ليس هناك نص في الإنجيل متعلق بالخلق , فكيف تكتب في العنوان: قصة الخلق في

لم تضف المسيحية شيئاً جديداً إلى قصة الخلق الموجودة في العهد القديم، بل آمنتْ بها، كما وردتْ تفصيلاتها في سفر التكوين، وحاول هذا السفر، من منطلق رفع شأن الإنسان، أن يصوِّر لنا الإنسان على صورة الله:((وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا)) [1]، ويرى ابن حزم(٣٨٤-٤٥٦هـ)، أنَّه لو لم يقل إلاّ (كصورتنا)، لكان له معنى صحيح، وهوأن نضيف الصورة إلى الله أضافة الملك والخلق، ولكن قوله:(كشبهنا)، منع التأويلات، وأوجب شِبْه آدم لله(عزَّوجلَّ)، وهذا يعلم بطلانه ببديهية العقل[2].

وورد في التوراة أيضاً:((وقال الرَّب الإله: صار آدم كواحد منَّا يعرف الخير والشرّ...) [3]، قال ابن حزم معلّقاً: آدم قد صار كواحد منَّا، مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة، أنَّهم آلهة أكثر من واحد، ولقد أدّى هذا القول الخبيث إلى اعتقاد بعض خواص اليهود أنَّ خلق آدم لم يكن إلاّ خلقاً خلقه الله

الإنجيل, وليس في فحوى الكلام نصٌّ من الإنجيل؟ نقول: لأنَّنا فضَّلنا عدم الخروج من سياق العناوين(عنوان الرسالة والعناوين الفرعية) , وأنَّ قصة الخلق في التوراة مقبولة عند المسيحيين, وعلى هذا, فالاستشهاد بالتوراة كالاستشهاد بالإنجيل.

(١) سفرالتكوين (١:٢٦). وقد ورد في ترجمات أخرى (كمثالنا) , وتتفق طائفتا الكاثوليك والأرثوذكس إلى أنَّ (صورة الله) و(شبهه) لكل منهما معنى خاصاً به. فالمراد بصورة الله, كون الإنسان عاقلاً مختاراً, ويشبه الله, ما ناله من موهبة القداسة الأصلية. أمَّا الكنيسة البروتستانتية, فتعتبر الصورة والشبه بمعنى واحد. أمَّا عن كيفية التماثل القوي بين الله والإنسان, الذي عبَّر عنه كلمتا الصورة والشبه. فقد اتفق الجميع على استبعاد التماثل المادي, إذ أنَّ الله منزَّه عن اللحم والدَّم والمشابهة الجسدية, لأنَّ الله روح, فالمشابهة إذن في طبيعته الروحية. ينظر: قضايا المسيحية الكبرى.القس الياس مقار.ص٣٥٩. وهذه عقائدنا. كلايد تارنر.ص٥٠. والخلاص المسيحي د.أحمد عجيبة. ص١٢٨.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم. تحقيق أبو عبدالرحمن عادل بن سعد. ١/١١٩.

(٣) سفر التكوين (٣:٢١).

تعالى قبل آدم، وأكل من الشجرة، التي أكل منها آدم، فعرف الخير والشر"[1].

حسب المفهوم التوراتي، أنَّ الله سلط الإنسان على جميع الخلائق وأعطاه منزلة أعلى من منزلة جميع الخلائق:((وليسلط على سمك البحر، وطير السماء، والبهائم، وجميع وحوش الأرض، وكل ما يدب على الأرض...وباركهم الله فقال لهم: انموا، واكثروا، واملأوا الأرض، واخضعوها، وتسلّطوا على سمك البحر، وطير السماء، وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض...)) [2].

من صور الكرامة التي أعطيتْ للإنسان، في تصور المسيحيين، أنَّه خلقه في حال البلوغ والكمال، ولم يخلقه طفلاً وضعيفاً، وأنَّه خلقه على صورته وشبهه. وهو الكمال الأدبي الذي فطر عليها، أي على صورته في المعرفة والقداسة والبِرِّ، وخلقه ذات سلطان على الخلائق ورئيساً على الأرض[3]، لأنَّ الكنيسة –حسب المعتقد المسيحي– يسكن فيها الروح القدس، وأنَّ الرَّب لم ولن يترك الكنيسة، ولن يجعلها تخطئ، وأنَّ الرَّب يرشد خطواتها وأفعالها، وأنَّها تحاول أن تصون كرامة الإنسان وشرفه، من خلال تعليمها غيرالمشروط[4].

بعد الانتهاء من الخلق:((ونظر الله إلى كلِّ ما صنعه، فرأى أنَّه حسن جداً)) [5]، ثمَّ يكرِّم الله آدم ويصنع له مثيلاً:((فقال الرب الإله:لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له مثيلاً، يعينه....وبنى الرب الإله امرأة من الضلع، التي

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل . مصدر سابق. ١٢٣/١.

(٢) سفر التكوين (٢٧:٣١).

(٣) ينظر: علم اللاهوت النظامي.ص٥٩٨.

(٤) ينظر : مدخل الى اللاهوت الأدبي.مصدر سابق.ص٤٠.

(٥) سفر التكوين (١:٣١).

أخذها من آدم.. ...هذه تسمى امرأة، فهي من امرئٍ أُخذتْ)) [1]، ومنحه الله الحرِّية والمسؤولية والتصرف في الخليقة.

وفي نفس السفر، نجد أنَّ الله يندم–حسب التعبير التوراتي–أنَّه خلق الإنسان، بسبب أعمال الإنسان الشريرة:((فندم الرَّب أنَّه خلق الإنسان على الأرض، وتأسَّف في قلبه فقال الرَّب: أمحو الإنسان الذي خلقتُ على وجه الأرض، هو والبهائم والدَّواب وطيور السماء، لأني ندمتُ أنِّي صنعتهم)) [2].

لهذا نجد أنَّ هذا الإنسان شرير بطبعه، لا وجود للخير في طبيعته، وأنَّه غارق في الخطيئة[3]، وكلُّ ذلك ليثبتوا الحاجة المستمرة للإنسان لأن يصلب المسيح، وأنَّ الخير خرافة لا وجود لها، ومن يدَّعي وجود الخير فهو كاذب مخادع[4].

هذا ليس افتراء، وإنَّما ورد هذا في كلام علمائهم، حيث قال الدكتور القس وديع ميخائل: يكذب عليك ويخدعك، من يقول أنَّ في الإنسان ميولاً خيرة وشريرة، فالإنسان ساقط ليس فيه الخير البتَّة، وإنْ رأيتَ بعض النَّاس يسلكون في أدب وأخلاق فهو راجع إلى روح الغش والخداع، التي تتملّك الإنسان[5].

---

(١) سفر التكوين (٢:٢٣).

(٢) سفر التكوين(٦:٥–٨).

(٣) هذا المفهوم غير وارد في القرآن, بل يؤكِّد على أنَّ وجود الإنسان الشرّير لا يعني عدم وجود الخير فيه, بل يعني أنَّ الشرَّ هو الغالب,قال تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾. {سورة يوسف (٥٣) }. وقال تعالى:﴿ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.{ سورة الزخرف (٧٨) }.

(٤) ينظر : ملكوت الله في المسيحية واليهودية والإسلام . د.عبدالمجيد الجندي. ص١١١.

(٥) كتاب الخلاص. د.وديع ميخائيل. ص٥. نقلاً عن: ملكوت الله في المسيحية واليهودية والإسلام . نفس المصدر .ص١١١.

ثالثاً /في القـــرآن الكريم:

إنَّ قصة خلق الإنسان في القرآن الكريم واضحة جلية، في جميع مراحلها، وهي حقائق منطقية ثابتة، تتوافق مع ما توصل إليه الأنثروبولوجيا(علم الإنسان)، من حيث خلقه من تراب، ثمَّ جعْل نسله من ماء مهين، وهي خالية من الغموض والتناقض والإشكالية والأسطورية، كما مرَّ معنا في قصة الخلق التوراتية، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5]، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[7]، وقوله:(وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ) ، يدل على قوة

---

(١) سورة ص (٧١).

(٢) سورة الصافات (١١).

(٣) سورة الحجر (٢٦).

(٤) سورة المؤمنون (١٢–١٧).

(٥) سورة غافر (٦٧).

(٦) سورة الطارق (٥–٧).

(٧) سورة العلق (١–٣).

الاتصاف بالكرم، وليس مصوغاً للمفاضلة، فهو مسلوب المفاضلة[1].

وعن كيفية خلق حوّاء في القرآن الكريم، تأتي الآيات مصرّحة واضحة أنَّها خلقتْ من جزء من آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[3].

ومن أهل العلم من المفسرين مَن يذهب إلى أنَّ المقصود بقوله تعالى:(وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، وقوله تعالى:(وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، إنَّها حوّاء، أوَّل امرأة خلقها الله، فالنفس الواحدة هي: آدم والزوج حوّاء و(من)، تبعيضية، ومعناها: أنَّ حواء خلقتْ من جزء من آدم[4].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:((المرأة كالضلع، إنْ أقمتها كسّرتها، وإنْ استمتعتَ بها، استمتعتَ بها وفيها أعوج))[5].

هذا الخلق قد أبدعه الله في أحسن صورة وهيئة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[6]، والتقويم: مِن قام الأمرُ، أي: اعتدل واستقام[7]، والحسن:

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة. يسري السيد محمد. ص٤١.

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الأعراف (١٨٩).

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٢٠٦/٢. والتحرير التنوير. ابن عاشور. ٢١٥/٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه. باب المداراة مع النساء. ١٩٨٧/٥. رقم(٤٨٨٩). ومسلم في صحيحه. باب الوصية بالنساء. ١٠٩٠/٢. رقم(١٤٦٨).

(٦) سورة التين (٦).

(٧) القاموس المحيط. الفيروز آبادي. ص١٤٨٧. مادة (قوم).

هو كلُّ مبهج مرغوب فيه[1]. والتقويم الحسن: في موضع حال من الإنسان[2]، وهذا يقتضي أنَّه تقويم خاص بالإنسان، لا يشاركه فيه غيره[3].

فالتقويم والتحسين من مظاهر التكريم. قال ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ): يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كلّه وينتفع به، ويفرِّق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارّها، في الأمور الدِّينية والدنيوية[4]،

قال ابن العربي(٤٦٨-٥٤٣هـ): ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان[5]، فإنَّ الله خلقه حيَّاً عالماً قادراً مريداً متكلِّماً سميعاً بصيراً مدبِّراً...وهذه صفات الرَّب سبحانه[6]، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ:((إنَّ الله خلق آدم على صورته.. ...)) [7]، يعني: على صفاته، أو على صورة آدم[8]، التي شاء الله أن يخلقه عليها. قال القرطبي: خلق آدم على صورته،

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف. المناوي. ص٢٧٩.

(٢) التبيان في إعراب القرآن. العكبري. ٢٨٩/٢.

(٣) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ٤٢٤/٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٩٧/٥.

(٥) هذا الكلام قد يكون فيه مبالغة ونظر, لأنَّ الله يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ . { سورة التين(٤) } . ولم يقل: أحسن من كلِّ شيء. لأنَّ لله مخلوقات أخرى لم نطّلع على حقيقتها, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . {سورة النحل من الآية(٨) } . حتّى نصدر هذا الحكم.

(٦) أحكام القرآن. ابن العربي. ٤١٥/٤.

(٧) رواه البخاري في صحيحه. باب بدأ السلام. ٢٢٩٩/٥.رقم(٥٨٧٣). ومسلم في صحيحه. باب يدخل الجنة. ١٤٩/٨. رقم(٧٣٤٢). والإمام أحمد في مسنده. ٢/ ٣٢٣. رقم(٨٢٧٤).

(٨) أحكام االقرآن. ابن العربي. ٨٢/٨ . والظلال.سيد قطب. ٣٤٦/٥.

أي على صورة المضروب، أي وجه هذا المضروب يشبه وجه آدم، فيجب أن يُحترم لشبهه، وهذا أحسن ما قيل في تأويله[1] .

ذهب ابن عاشور(١٢٩٦-١٣٩٣هـ) إلى أنَّ حسْن التقويم في الإنسان يخصُّ الروح دون الجسد، حيث قال: إنَّ الآية أفادتْ أنَّ الله تعالى كوَّن الإنسان تكويناً ذاتياً متناسباً مع ما خلق له نوعه من الأعداد، لنظامه وحضارته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى، ولا هو جديراً بأن يُقْسم عليه، إذ لا أثر له في إصلاح النفس...ولأنَّه لو كان هو المراد، لذهبتْ المناسبة التي في القَسَم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد، وإنَّما هو متمِّم لتقويم النفس[2]، واستدل بأدلة، منها: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ:((إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم- وفي بعض الروايات:إلى صوركم-ولكن ينظر إلى قلوبكم)) [3]، وقال تعالى:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[4]، ولمَّا تمَّ خلق الإنسان قال الله تعالى:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[5]، وقال تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٣٩٢/٥. وسبب ورود الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم مرَّ برجل يضرب عبده. فقال: ((اتق الوجه فإنَّ الله خلق آدم على صورته))، وذلك لشرف الوجه على الأعضاء، إذ هو مقر الحسن والجمال. ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٣٩٢/٥.

(٢) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ٣٠/ ٤٢٤

(٣) المعجم الكبير للطبراني. ٢٩٧/٣. رقم(٣٤٥٦). والجامع الكبير.السيوطي. ٨٦٥٤/١. رقم(٢٤٤٠). قال المناوي : فيه ضعف. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير. ٦٤/٥.

(٤) سورة غافر(٦٤)

(٥) سورة المؤمنون (١٤).

صِبْغَةً ﴾[1].

ومن مكمّلات خلق الإنسان في الصورة الحسنة والهيئة البهية والقامة المعتدلة، أنَّ الله زاد هذا الفضل على الإنسان، بحيث أعطاه العقل والنطق والبيان والعلم، وجعله خليفة في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود له

ويمكن بيان تلك المواهب والإمكانات في ضوء الآيات القرآنية وكالآتي:

١- **النطق والبيان**: لقد كرَّم الله الإنسان بأن جعل له القدرة على الكلام، والتعبير عمًّا في الضمير، وإفهام غيره من النَّاس،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[2]، وقد عبَّر القرآن الكريم عن النطق، بالبيان[3]، للإفصاح عمًّا يجول في خاطره من المعاني.

قال ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ) في تفسير قوله تعالى((عَلَّمَهُ البَيانَ)): قال الحسن: يعني النطق، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما: يعني الخير والشر، وقول الحسن أقوى، لأنَّ السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنَّما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها، من الحلق واللّسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها[4].

وقال الجاحظ(١٦٣-٢٥٥هـ): البيان بصرٌ، والعيُّ عمىً، كما أنَّ العلم بصرٌ، والجهل عمىً، والبيان نتاج العلم، والعيُّ نتاج الجهل، والعقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم. فالإنسان ، متبيِّنٌ ومبينٌ، وذلك ما يميِّزه عن العالم، ويحدد موقعه

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٣٨).

(٢) سورة الرحمن (١-٤).

(٣) ينظر : تفسير الجلالين. ص٧٠٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٤٨٩/٧.

ووظيفته في العالم[1].

٢- **العقل:** العقل نعمة عظيمة، وهو مدار التكليف، وهو الذي يميِّز الإنسان عن سائر الحيوانات. وعند اللُّغويين هو المنع والحبس، أي، يمنع صاحبه من تتبع الهوى، ويحبسه عن الغيِّ وأسباب الضلال، وذميم القول والفعل[2]. وعند الجرجاني(٧٤٠-٨١٦هـ): هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن له في فعله، يدرك الفانيات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة[3]، وبه يثبت الإنسان في الأمور، ويميِّز بين الخير والشرِّ والحق والباطل، وهو ركن الاخلاق[4]، وقد يأتي بمعنى الدِّية، لأنَّها تعقل، أي تحبس سفك الدِّماء[5].

وقد ورد في القرآن الكريم مادة(ع-ق-ل) تسعاً وأربعين(٤٩)، مرَّة، وجاء لفظ القلب والفؤاد مرات، ممَّا يعني التنويه بالعقل والتعويل عليه، في أمر العقيدة والتكليف والأمر والنهي، يُحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، ويلام في إهماله والحجر عليه، والإسلام رحَّب بالتفكير في نطاق دائرة العقل، وحدود مداركه، ودعا إلى النظر في خلق السَّموات والأرض وخلق الإنسان، ويحظر فقط التفكير في ذات الله ، لأنَّ ذات الله فوق الإدراك[6].

وقد حثَّ القرآن الكريم الإنسان في استعمال هذه النعمة العظيمة، في سبيل

---

(١) البيان التبيين. الجاحظ. ص٥٥.

(٢) ينظر: معجم مقايس اللغة . ابن فارس. ٦٩/٤.

(٣) التعريفات. الجرجاني. ص١٩٦-١٩٧.

(٤) ينظر : حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة. مصدر سابق. ص٧٧.

(٥) معجم مقايس اللغة. ابن فارس. ٦٩/٤.

(٦) ينظر: إسلامنا. سيد سابق. ص١٩. ومفهوم الإنسان في القرآن والحديث الشريف.مصدر سابق. ص٣٢٤.

إدراك حقائق الأشياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[6].

وقد ذمَّ القرآن الكريم أولئك الذين يعطّلون هذه النعمة العظيمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[7]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[8]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[9].

أنَّ وجود العقل لا دخل للإنسان فيه، فهو من النعم الوهبية لا المكتسبة،

---

(١) سورة النحل (٦٧). وسورة الرعد (٤).

(٢) سورة الروم (٢٨).

(٣) سورة يوسف (١١١).

(٤) سورة الزمر (١٨).

(٥) سورة الرعد (١٩).

(٦) سورة آل عمران (١٩٠).

(٧) سورة الأعراف (١٧٩).

(٨) سورة المنافقون (٣).

(٩) سورة البقرة (١٧٠).

وهو جزء من إيجاد النفس من الخالق سبحانه، للنفس البشرية، وليس له أحكام خاصة به، وإنَّما أحكامه أحكام النفس والجسم عامة.

وقد أدرك الإسلام أنَّ العقل الحرَّ هو أساس بناء الحضارة الإنسانية، وبه تستمر الحياة الكريمة لبني الإنسان[1].

لذا دعا الإسلام إلى الحفاظ على العقل، وشرع حدَّ شرب الخمر، لأنَّ الحفاظ على العقل يعتبر مصلحة ضرورية للإنسان، وإلاّ فَقدَ أعزَّ ما يملك، ومن الوسائل الحاجية للحفاظ على العقل، واعتباره في الأحكام والتصرفات، وضع الفقهاء أحكام الصبي المميَّز والمعتوه والمجنون، وأحكام الحجر على السفيه والمبذِّر[2].

وقد حرَّم الإسلام قليل الخمر للحفاظ على العقل وصيانته، وسداً للذرائع ودرءاً للمفاسد، عن زيد بن
ثابت عن أبيه رضي الله عنهما، أنَّ الرسول ﷺ قال:((ما أسكر كثيره فقليله حرام)) [3]، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ :((كلُّ مسكر حرام)) [4].

هكذا يريد الإسلام الحفاظ على العقل، وقطع دابر الشرِّ عنه، اعتباراً

---

(١) ينظر : الإسلام والحضارة الإنسانية. د. محمد عبدالمنعم خفاجي. ص٩٧-١٠٣. والخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام. د.وهبة الزحيلي. ص١٧-٢٥.

(٢) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام.د.محمد الزحيلي.مصدر سابق. ص٨٩-٩٠.

(٣) المعجم الكبير.الطبراني. ١٣٩/٥. رقم(٤٨٨٠). والسنن الكبرى. البيهقي. ٢٩٦/٨. رقم(١٧٨٥٢). قال الحافظ: ضعيف. ينظر: التقريب. ٣٠٥/١. وقال الذهبي : لايعرف. ينظر: الميزان. ٣٠١/٤. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.باب كل مسكر حرام. ٢١١٩/٥. رقم (٥٢٦٣) و(٥٢٦٤). ومسلم في في صحيحه. باب أن كل مسكر حرام. ٩٩/٦. رقم(٥٣٢٩) و(٥٣٣٠)

واحتراماً وتقديساً له، لأنَّ العقل أهم ميزة للإنسان، يستحق بها التفضيل على غيره، وقد رجَّح القرطبي ذلك بقوله: والصحيح الذي يعوَّل عليه، أنَّ التفضيل إنَّما كان بالعقل، الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله.. ....وقد جعل الله في بعض الحيوانات خِصالاً يفْضلُ بها ابن آدم، كجري الفرس وسمعه وبصره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الدِّيك، وإنَّما التكريم والتفضيل بالعقل[1].

٣- **العلم**: العلم ضد الجهل، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[2]، وكان العلم هوأحد أسباب تفضيل الله تعالى للإنسان على الملائكة حينما أخبرهم أنَّه سيخلفه في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

قال سيد قطب(١٩٠٦-١٩٦٦م): إنَّ الله علَّم آدم الأسماء كلَّها، ليبيِّن للملائكة شرف آدم ومكانته والسرَّ الذي استودعه فيه، بما فضَّله عليهم بالعلم، وهبة العلم تكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق، الذي يفسد في الأرض ويسفك الدِّماء، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وهب سرَّ المعرفة[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٩٤/١٠.

(٢) التعريفات. الجرجاني. ص١٩٩.

(٣) سورة البقرة (٣٢-٣٣).

(٤) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٥٧/١-٦٥.

وبيَّن الله سبحانه أنَّه أعطى الإنسان العلم من عنده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1].

وورد ذِكْر العلم في القرآن الكريم مقترناً مع الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2]، وتعني أنَّ معرفة آدم للأشياء كانت تعليماً إلهياً، وكذلك ذريته، لأنَّه أودع في الإنسان الوسائل التي تؤدي إلى العلم والمعرفة. يقول الزمخشري(٤٦٧-٥٣٨هـ) في تفسيره لهذه الآيات: ....وعلَّم آدم مسمَّيات الأسماء، لأن وجب تعليقه بالأسماء لا المسمَّيات، فإنْ قلتَ فما معنى تعليمه أسماء المسمَّيات؟ قلتُ:أراه الأجناس التي خلقها، وعلَّمه أنَّ هذا إسمه فرس وهذا إسمه بعير وهذا إسمه كذا....وعلَّمه أحوالها، وما يتعلق بها من المنافع الدِّينية والدنيوية[3]. وقد تكلَّم ابن القيِّم(٦٩١-٧٥١هـ) عن فضل العلم، وأنَّه وراء ما وصل إليه الإنسان من الكرامة[4]. ويجب أن نعلم أنَّ الإنسان يأتي إلى الأرض مجرَّداً عن العلم والمعرفة، لكنه مزوَّد بالاستعداد والقوى التي تمكِّنه أن يعلم ويعرف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ... ﴾[5].

وأدوات التعلُّم، كما في الآية، هي السمع والبصر والفؤاد، والفؤاد أو القلب

---

(١) سورة الكهف (٦٥).

(٢) سورة العلق (١-٥).

(٣) تفسير الكشاف. الزمخشري. ١/١٥٥.

(٤) ينظر تفاصيل ذلك في: مفتاح دار السعادة ومنشور ولايتي العلم والإرادة. . ابن القيِّم. ١/٥٢-٥٣.

(٥) سورة النحل من الآية(٧٨).

هو العقل، أو فعل القلب[1]، كما يشهد القرآن الكريم، حيث يأتي العقل بمعنى فعل القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[2]، فالعقل لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الإسم إطلاقاً، بل جاء في جميع الآيات، بصيغة الفعل(يعقلون– تعقلون).

قال الرازي(٥٤٣–٦٠٦هـ): الآية تدل على أنَّ العقل هو العلم، لأنَّ المقصود من قوله:(قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ):العلم، وقوله:(يَعْقِلُونَ بِهَآ): كالدلالة على أنَّ القلب آلة العقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقّل[3].

والعلم مناط تكريم الإنسان، بل إنَّه– فيما نتدبَّر من آيات القرآن– من جوهر إنسانية الإنسان[4]، أي أنَّه لا يمكن تصوُّر الإنسان مجرَّداً من العلم، لأنَّ هذا الإنسان المحدود في أعضائه ومشاعره، يملك طاقات ضخّمة، تجعله سيِّداً لما حوله، بل تجعله ملكاً واسع السلطان محدود النفوذ، لأنَّ الله وهب له عقلاً محيطاً بالأشياء كلِّها ووضع في هذا العقل خاصة باهرة يستمكن بها من معرفة الأسرار والظواهر[5].

هذا التعليم هو الذي ميَّز الله به آدم عمَّا سواه من المخلوقات، بأن أودع فيه القابلية للتعلُّم، وهذا يعني منَّة أخرى، أنَّه جعل له فؤاداً يستقبل

(١) الجامع لأحكام القرآن.القرطبي. ١٧/١٧.وقال في تفسير الآية:﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[(سورة ق(٣٧)]:, أي: لمن كان له عقل يتدبَّر به. فكنَّى بالقلب عن العقل, لأنَّه موضعه. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٣/١٧.

(٢) سورة الحج (٤٦).

(٣) مفاتيح الغيب. الرازي. ٤٠/٢٣.

(٤) ينظر : القرآن وقضايا الإنسان. د.عائشة عبدالرحمن. ٢٠٨.

(٥) ينظر : الإنسان في مرآة القرآن. د.محمد أحمد سحلول. ص٦٨

المعلومات، ويحصل له به التعلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[1]، هذه المصادر هي التي تدخل المعلومات إلى هذا القلب[2].

٤-**الاستخلاف**: الإنسان كائن عظيم أودع الله فيه سرَّ العالم، وتعلَّقتْ به المشيئة الإلهية بالاستخلاف، ومعلوم أنَّ الله لم يستخلف شخصاً بعينه، أو فئة بعينها، بل استخلف النَّاس جميعاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾[3].قال القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ) والطبري(٦١٥-٦٩٤هـ)وغيرهما، أنَّ المقصود بالخليفة، هو: خليفة يخلفني بالعدل بين خلقي، وأنَّ ذلك الخليفة هو آدم، ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين الخلق، ويخلف بعضهم بعضاً[4].

وقد تعددت أقوال المفسرين حول معنى الخلافة[5]، إلاّ أنَّ الرأي الراجح، في المقصود بالخلافة هو النيابة عن الله تعالى.(والنيابة عن الله عزَّوجل ليس بمعنى أن ينوب فلان عن فلان، أي يجعل مكانه، ولكن النيابة هنا، بمعنى أن ينفِّذ ما كُلِّف به، فالله عزَّ وجلَّ وضع هذا الإنسان في موضع أعطاه فيه الحرِّية والاختيار، وزوَّده باللَّوازم الضرورية للقيام بمهمة الخلافة وتعمير الأرض) [6].

---

(١) سورة الملك (٢٣).

(٢) مظاهر تكريم الإنسان في القرآن. د.الشاهد البوشيخي. مصدر سابق. ص٢٢-٢٣.

(٣) سورة البقرة (٣٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٧٥/١. وجامع البيان.الطبري. ٤٥٢/١. ومفتاح دار السعادة.ابن القيِّم. ١٥٢/١.

(٥) ينظر: نفس المصادر . والتحرير والتنوير. ابن عاشور. ٤١٨/١-٤١٩. ومحاسن التأويل. القاسمي. ٩٤/٢.

(٦) مظاهر تكريم الإنسان في القرآن. مصدر سابق. ص٢٧.

فالخلافة وصف عام أو تكليف شمل البشرية كافة، فالنَّاس جميعاً يرثون خصائص آدم عليه السلام ولا فرق في ذلك بين شعب وشعب، ولا جنس وجنس....والخلافة شأن جليل يرفع قدر الإنسان بين الأحياء، بل على الأحياء كافة، ويجعل أثره في الحياة فذًّا، لا يدانيه في جلالته أثر"[1].

وسيادة الإنسان على الخليقة محدودة، زماناً ومكاناً، وهي تعني حق انتفاع ورعاية، وتنطوي على تحمل المسؤولية[2]، ولها وجهان: **الأول**: العلاقة بين الإنسان وخالقه، وهي علاقة عبودية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3].

الثاني: العلاقة بين الإنسان وكلُّ ما استخلفه الله عليه، وهي علاقة سيادة على الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[4]،أي: كلَّفكم بعمارتها، ووسيلة الإنسان لتحقيق العبودية، هي الدِّين والإيمان، ووسيلة تحقيق السيادة على الأرض، هي العلم والعمل[5].

لهذا نجد حتّى الراغب الأصفهاني–الذي يقول الخلافة تعني خلافة الإنسان لله–يضع شروطاً لخلافة الإنسان لله، حيث يميِّز بين مكارم الشريعة والعبادات، لأنَّ الإنسان لا يستحق مقام الخلافة إلاّ بتحرِّي مكارم الشريعة، بطهارة النفس بالتعلم، للتوصل إلى الجود والصبر، ليدرك الشجاعة والحلم والعدالة، لتصحيح

---

(١) ينظر: آدم عليه السلام – فلسفة تقويم الإنسان وخلافته – البهي الخولي. ص١٣٠.

(٢) ينظر: الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم. عبدالرحمن المطرودي. ص٣٦٨.

(٣) سورة الذاريات (٥٦)

(٤) سورة هود (٦١).

(٥) ينظر : جدلية الإسلام. محمد شوقي الفنجري. ص٦٣.

الأفعال، حتَّى يصحَّ لخلافة الله عزَّوجلَّ[1]، لأنَّ الخلافة أداة إنسانية لتنفيذ شرع الله ، تحت قاعدة :(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[2].

وقد أكَّدتْ الآيات القرآنية أنَّ الالتزام بمنهج الله والتقيُّد بالأخلاق، والتمسُّك بالأحكام الشرعية، هي التي تحقق الخلافة الكاملة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[4].

فتخصيص الله للإنسان بأن يكون خليفته في الأرض، ينفِّذ أوامره ونواهيه، في مباشرته للكون، يحمل من التشريف وأعلاء المقام شيئاً كثيراً، إذ الخليفة تتحدد منزلة شرفه وعلوه بمنزلة مستخلفه، فما ظنُّك بمن كان مستخلفه الله جلَّ شأنه[5].

٥- **سجود الملائكة**: إنَّ التكريم الإلهي للإنسان لم يتوقف باختيار الإنسان خليفة في الأرض، بل أمر الملائكة بالسجود لآدم، تعظيماً له واحتراماً، لأنَّ الإرادة الإلهية تعلَّقتْ باختياره، وأنَّ الأمر بالسجود قد تكرَّر في عدَّة سور

---

(١) ينظر : الذريعة الى مكارم الشريعة. الراغب الأصفهاني. ص٢٩.

(٢) موسوعة القواعد الفقهية. د.محمد صدقي البورنو. ٨٧٨/٨. وهو حديث أورده الطبراني بهذا اللفظ عن عمران بن حصين. المعجم الكبير. الطبراني. ١٧٠/١٨ رقم(١٥٠٩١). صحّحه الألباني. صحيح الجامع. ١٤٤/٢. وجاء في الجامع الصحيح للترمذي. ١١٤/٤. رقم(١٧٠٧) هكذا:((السمع والطاعة على المرء فيما أحبَّ وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإنْ أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة النور (٥٥).

(٤) سورة القصص (٥).

(٥) ينظر : قيمة الإنسان. د.عبدالمجيد النجار. ص١٧.

قرآنية[1]، ليذّكر الإنسان–كما يقول د.محمد الزحيلي– بفضل الله تعالى عليه، وليعرف مكانته في الوجود والكون، وليحذّره من غواية الشيطان[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[10].

قال القرطبي(٦٠٠–٦٧١هـ) وسيد قطب(١٩٠٦–١٩٦٦م): أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكرمة، تعظيماً له واعترافاً لفضله، واعتذاراً عمَّا قالوا فيه، وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم وهو سجود تعظيم وتكريم وتسلية وتحيّة، لا سجود عبادة[4]،

وقد جعل الله الخليفة في الأرض وأكرمه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأنَّه تعالى أدخله الجنَّة ونهاه، ليعلم نزوع الآدمية إلى الفساد، وتعرضها للمحنة، وما يجوز عليها من أعراض الضعف والخطأ والنسيان، فكأنَّما هو ابتلاء لها بالخير والشر فتنة[5].

وقد أعلن الله ميلاد الإنسان في حفل من الملأ الأعلى، ويكفي الإنسان ذلك، شرفاً وتكريماً. يقول سيد قطب: هو زيادة في الحفاوة والتكريم، وتحتشد له الملائكة–وفي زمرتهم إبليس وإنْ

---

(١) سورة البقرة (٣٠). وسورة الأعراف (١١) , وسورة الحجر (٢٩). وسورة الإسراء (٦١). وسورة الكهف (٥٠). وسورة طه.

(٢) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام. د.محمد الزحيلي.مصدر سابق. ص٢٨.

(٣) سورة ص (٧٢).

(١٠) سورة البقرة(٣٤).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٩٣/١. وفي ظلال القرآن. ٥٨/١. ومحاسن التأويل. القاسمي. ١٠١/٢–١٠٢.

(٥) ينظر: القرآن وقضايا الإنسان. د.عائشة عبدالرحمن. ص٤٤.

لـم يكـن مـنهم–وتشـهد الملائكـة، ومـا خـلق الله مـن شيء[1].

رابعـاً / أوجـه الاتفـاق والاخـتلاف في قصـة الخَلـق في الكتـب السَّماوية

– أوجه الاتفاق:

تتفق الرسالات السَّماوية في أنَّ الله خلق آدم وحواء من الطين، وأسكنهما الجنَّة أوَّل الأمر، ثمَّ طُردا منها، بسبب المعصية التي ارتكبها آدم وحوَّاء، وتتفق أيضاً، أنَّ خلق حوّاء جاء متأخراً عن خلق آدم، وأنَّها خلقتْ من جزء من آدم، بل أكّد العهد القديم أنَّها خلقتْ من الضلع، ولم يرد في القرآن ما يؤكّد خلقها من الضلع، بل من جزء من آدم، ولكنَّ الأحاديث صرَّحتْ بأنَّها خلقتْ من الضلع. وتؤكّد هذه الكتب من أنَّ السبب الذي أدَّى إلى خلق حوّاء هو حاجة آدم إليها.

– **أوجه الاختلاف**: يمكن إجمال أوجه الاختلاف في قصة الخلق فيما يأتي:

١– إنَّ قصة الخلق الواردة في التوراة، أشبه بقصة أسطورية، أو حكاية شعبية خيالية، ليس فيها مقومات منطقية يقبلها العقل، ولا تقوى أمام النقد العلمي، فهي غامضة وفيها الإشكالية، وليست مرتبَّة ترتيباً منطقياً، وقد أقرَّ المسيحيون هذه القصة، ولم تضف إليها الأناجيل شيئاً جديداً. أمَّا القرآن الكريم، فقد أورد هذه القصة بصورة واضحة ودقيقة في تفاصيلها، يتقبَّلها العقل والذوق السليم، كما أكّد على أنَّ الله تعالى قد أبدع في خلق الإنسان، في أفضل صورة وأحسن تقويم.

---

(١) في ظلال القرآن. ١/٥٨–٦١.

٢- يؤكِّد العهد القديم على أنَّ الله قد ندم على خلق الإنسان، وتأسَّف في قلبه، بسبب الطبيعة المتمرِّدة على الإرادة الإلهية في آدم وحوّاء، ولا يخفى أنَّ هذا الأمر يقدح في عمل الله، بل يقدح في ذات الله سبحانه، ولا نجد شيئاً مماثلاً البتَّة في القرآن الكريم، بل يؤكِّد أنَّ الله قد استمر في منح الإنسان المزايا الحسنة، وأعطاه مزيداً من الإجلال والاحترام.

٣- أكَّد العهد القديم على أنَّ حوّاء هي التي أقدمتْ أوَّلاً وأكلتْ من الشجرة المحرَّمة، وبالتالي استحقَّتْ اللّعنة والأزدراء، وأنَّ الذي أغوتْ حوّاء، هي الحيَّة. وقد حاول بعض مفسِّري العهد القديم التأكيد على أنَّ الذي أغوى هو الشيطان، ولكن على صورة حيَّة، إلاَّ أنَّ النصوص لا تؤيِّد ما ذهبوا إليه. أمَّا القرآن الكريم، فيؤكِّد أنَّ آدم وحوّاء كلاهما قد أكلا من الشجرة المحرَّمة، ولم يلقِ اللّوم على أحدهما، دون الآخر، وأنَّ الذي تسبَّب في إغوائهما هو الشيطان.

٤- يبيِّن العهد القديم أنَّ سبب طرد آدم وحوّاء من الجنَّة هو الأكل من الشجرة المحرَّمة ومخالفة أوامر الله، وكذلك يبدو من نصوص التوراة أنَّ الله أراد إبعاد آدم، خوفاً من أن يمدَّ يده إلى شجرة الحياة فيأكل منها ويحيى إلى الأبد. بينما هذا المفهوم غير وارد في القرآن الكريم، حيث ورد أنَّ سبب طردهما هو العصيان لأوامر الله عزَّوجلَّ.

٥- لم نجد في التوراة الاهتمام بالإمكانات والمواهب التي أعطيت للإنسان، كالعقل والنطق والعلم، والاستخلاف وسجود الملائكة للإنسان، ولم يبيِّن فيه أنَّ الله قد منح الإنسان هذه المواهب تتميماً لهذه الكرامة التي أعطيتْ للإنسان، وأكَّد الإنجيل أنَّ الإنسان غارق في الخطيئة، ولا خير فيه، وأنَّ السبيل الوحيد لإنقاذ الإنسان من الخطيئة هو صلب المسيح،

ولم يعطِ أيَّ دور للعقل والعلم والنطق الذي منحه للإنسان. أمَّا القرآن الكريم، فقد ربط بين الإنسان وبين هذه المواهب، وفتح الآفاق للتفكير، وأكَّد أنَّ الله منح الإنسان العقل والعلم والبيان، لكي يحقق بها ذاته.

المطلب الثاني: تكريم الإنسان في الخُلُق

أوَّلاً / في التوراة:

إنَّ المتأمِّل في العرض القرآني لقصة بني إسرائيل في سورتي البقرة والمائدة، وفي سور أخرى كثيرة، يقف على حقيقة اليهود، ويدرك –كما يقول الدكتور صلاح الخالدي–: أنَّ لهؤلاء نفسية خاصة، رُكِّبتْ تركيباً خاصاً، تعمَّق فيها الغدر والخيانة والحقد والحسد واللُّؤم والمكر والخديعة والتآمر والأنانية والتحريف والتبديل...الخ[1].

وهي أخلاقيات متكررة وثابتة لا تتغيَّر، أينما وجد اليهودي، في أي زمان ومكان– باستثناء الأنبياء وعهودهم– فهو يسلك السلوك اللاأخلاقي نفسه، الذي ينمُّ عن الرغبة في تحطيم الآخرين والتآمر ضدهم، وعدم الولاء للدولة، والانحلال الجنسي، والعمل بالتجارة والأعمال الربوية[2]، وعدم المبالاة من التجنب من المال الحرام، حتَّى إنَّ كلمة (السحْت) لم ترد في القرآن الكريم، إلاَّ في حقِّ اليهود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[3]. ومعنى السحت: هو المال الحرام، الذي

---

(١) الشخصية اليهودية. د.صلاح عبدالفتاح الخالدي. ص١٢٠–١٢١.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٢/٤.

(٣) سورة المائدة(٦٢–٦٣).

يـــذهب بـــدين المـــرء ومـــروءته، ولا بـــركة فـــيه لأهـــله[1].

ومصـدر هـذه الأخلاقيـات والطبيعـة الثابتـة، عنـد اليهـود، هـو كتـبهم المقدسة، التي دوَّنوها بأيديهم، الأمـر الـذي دفـع بـوزير الخارجيـة البريطـاني الأسبق كريستوفر ماهيو إلى القول: أن العهد القديم هو من أشدِّ الكتب بُعداً عن الأخلاق[2].

نحن لا نقول العهد القديم، بل نقـول إنَّ اليهـود هـم أشـد النَّـاس بُعـداً عـن الأخلاق، لأنَّ في جميع الأمم والشعوب –كما يقول الدكتورمصطفى مسلم– مـن يسرق ويزني ويخون الأمانة....ولكنّه يقرُّ على نفسـه بـالإنحراف، وأنَّـه ارتكـب ذنباً ومعصية، ولا يوجد في الأمم من يزعم أنَّـه يتقـرَّب إلى الله بهـذه الإنحرافـات سوى اليهود[3]. فكلُّ ما يرتكبه اليهود بحق الآخرين، مـن قتـل ونهـب وسـرقة وزنى، يزعمون أنَّ الله يأمرهم بها، فبالتالي قيامهم بهـذه الأعمـال، يُعـدُّ تقرُّبـاً إلى الله، وامتثالاً لأوامره، وحاشا التـوراة الحقيقـي أن يـأمر ويشـرِّع مـا يخـالف السنن الإلهية، والعقل والقيم الإنسانية، بـل التـوراة يقـول: لاتقتـل، لا تزنـي، لا تكذب.... واليهود هم الذين ضيَّقوا نطاق هذه الأوامر الأخلاقية في اليهود، أمَّـا غيرهم فلا.

وربَّما السبب يعود إلى أنَّ الوصـايا عنـد اليهـود لم تصـدر عـن أحسـاس خلقي، ولا عـن القـيم الأخلاقيـة، فـالأخلاق مجـرد(تـابو) [4]، والتـابو لا يجـوز

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين. ١/١٤٩. وروح المعاني. الآلوسي. ٦/١٧٩ و٢١/١٨. وعمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ. السمين الحلبي. ص٢٣٣.

(٢) دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية. د.محمد علي البار. ص١٢.

(٣) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. مصدر سابق. ص١٣٦.

(٤) التابو(Taboo), هو الشيء المحرّم أو المحظور, سواء كـان دينيـاً أو عرفيـاً أو شخصـياً. وفي أغلـــب الأحيـــان أنَّـــه يرجـــع لتحـــريم المجتمـــع لشـــيء مـــا. ينظـــر موقـــع:

مسَّه، إمَّا لقداسته أو نجاسته، على السواء، والدليل على ذلك، أنَّ العهد القديم ردَّد كلمة الزنى ومشتقاتها أكثر من(٥٠٠) مرة، في حين أنَّ كلمة (الخُلُق) لم يـرد لها ذكر إطلاقاً[١]. ولكن ورد في العهد القـديم مـا يعتـبر أساسـاً صـالحاً للتعامـل الإنساني، بحيث تساعد على تحقيق العدل والمساواة، حيث ورد: ((لا تشـفقوا، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، والسِّن بالسِّن، واليد باليد، والرِّجـل بالرِّجـل)) [٢].

وكذلك:((لا تنقل خبراً كاذباً، ولا تضـع يـدك بيـد الشـرير لشـهادة الـزور)) [٣]، و:((لا تهدر حق المسكين في دعواه...ولا تسكت عـن إنصـاف المسـكين)) [٤]، وجـاء:((لا تظلـم الغريـب ولا تضـايقه....لا تسـيئ إلى أرملـة ولا يتـيم)) [٥]، وورد:((وقـال للإنسـان هـو ذا مخافـة الـربِّ هـي الحكمـة، واجتنـاب الشرِّ هـو الفطنة)) [٦]، وأيضاً:((قل لجماعة بني إسرائيل كلِّهم: كونوا قدِّيسين، لأني أنـا الـربُّ إلهكـم قـدوس. لـيحترم كـلُّ واحـد مـنكم أمَّـه وأبـاه،.... لاتسـرقوا، لا تكذبوا، لا تحلفوا بإسمي........لا تحتفظوا بـأجرة الأجـير إلى الغـد، لا تلعنـوا الأصم، ولا تضعوا حجر عثرة أمـام أعمـى، لا تجـوروا في الحكـم....لا تسـايروا فقيراً، لاتنشروا النميمة، ولا تشهد بـالزور... لا تـبغض أحـداً في قلبـك....))

---

http||forum.24ar.com. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٠.

(١) ينظر: المعتقدات الدينية القديمة. أحمد إسماعيل. ص١٦٨.

(٢) سفر التثنية(١٩:٢١).ولم يـرد كلمـة الخُلـق في القـرآن إلاّ مـرتين:(إنْ هـذا إلاّ خُلـق الأولـين) وكذلك(إنّك لعلى خُلق عظيم)

(٣) سفرالخروج(٢٣:١).

(٤) سفر الخروج(٢٣:٣-٦).

(٥) سفر الخروج(٢٢:٢٠-٢٢).

(٦) سفر أيوب(٢٨:٢٨).

[1]، إلى غيرها من الأحكام والآداب والأخلاق التي تعدُّ من القيم الفاضلة، التي تبنى عليها المجتمعات، إلاّ أنَّ اليهود حصروا هذه الأحكام والآداب والأخلاق في اليهود دون غيرهم.

وحرصاً منّا على الموضوعية في عرض هذه الحقائق ، وإثبات انحراف اليهود عن القيم الإنسانية لصالح اليهود، وإثبات وجود البذاءة والفحش والزنا في العهد القديم، والتي تنافي العدل الإلهي والقيم الإنسانية، نستدل عليها من خلال التوراة وكالآتي:

١- بعض صفات اليهود في التوراة وأخلاقياتهم:

إنَّ أفضل وأصدق كتاب تناول صفات وأخلاق اليهود، هو القرآن الكريم، ولكنّنا نعدل عن القرآن، ونستدل عليها من التوراة، لأنَّ التوراة مليئة بذكر أخلاقيات اليهود، ومواقفهم من موسى(عليه السلام) وتمرُّدهم عليه، وكذلك موقفهم من الأمم الأخرى.

إنَّ أول صفة يذكرها التوراة لليهود، رغم دعوة موسى(عليه السلام) ومعجزاته المتنوعة، هي الكفر وأنَّهم قوم صلب الرقبة، حيث جاء:((فقال الربُّ لموسى: قمْ أنزل، فسد شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر، وحادوا سريعاً عن الطريق الذي أمرتهم بسلوكه، فصنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له.....وقال الربُّ لموسى: رأيتُ هؤلاء الشعب، فإذا هم شعب قساة الرِّقاب)) [2]، وجاء:((.....لأنَّكم شعب قساة الرِّقاب.....وقل لبني إسرائيل: أنتم شعب قساة الرِّقاب)) [3].

---

(١) سفراللاويين(١٩:١-٣٧).

(٢) سفر الخروج(٣٢:٧-٩).

(٣) سفر الخروج(٣٣:٣-٥).

كذلك يؤكِّد التوراة أنَّ اليهود عند خروجهم من مصر، ومرورهم بالمدن والقرى، استخدموا القتل والوحشية وسفك الدِّماء:((فأسلمه[1]، الربُّ الى أيدينا، فقتلناه هو وبنيه، وجميع قومه، وفتحنا جميع مدنه في ذلك الوقت، وحلَلْنا في كلِّ مدينة قتل جميع الرِّجال والنساء والأطفال، فلم نبقِ باقياً، وأمَّا البهائم فغنمناهم لأنفسنا)) [2]، وكذلك:((وقتلوا بحدِّ السيف، إكراماً للربِّ، جميع ما في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتَّى البقر والغنم والحمير)) [3].

يقول ول ديورانت: لم يعرف تاريخ الحروب مثل إسراف اليهود في القتل والاستمتاع به، لقد قتلوا اثني عشر ألف كنعاني بعد امتلاكهم لمدينتَيْن من مدنهم، وعدَّ اليهود هذا القتل زكاة للربِّ[4].

والشعب اليهودي- بحسب التوراة- كان شعباً متذمِّراً، منذ خروجهم من مصر، وعاتبوا موسى عليه السلام لأنَّه أخرجهم من مصر، رغم ما فعله لهم موسى من المعجزات والعجائب، وأنَّه أخرجهم من العبودية، وقالوا له:((أخرجتنا من مصر التي تدرُّ لبناً وعسلاً، لتقتلنا في البرِّية...ثمَّ أنَّك لم تدخلنا أرضاً تدرُّ لبناً وعسلاً، ولا أعطيتنا ميراث حقل وكرم)) [5]، لأنَّهم مادِّيون متعلِّقون بالدُّنيا، أكثر من تعلُّقهم بعقيدة التوحيد، جاء في بيان ما هم فيه:((وفي الغد ألقى

---

(١) يقصد به الملك سيحون, ملك حشبون, من بني عيسو بن إسحاق, رفض هذا الملك السماح لليهود بالمرور بأرضهم, عندما أرادوا الدخول إلى الأرض المقدَّسة. ينظر: سفرالتثنية(٢:٢٤-٣٠).

(٢) سفر التثنية(٢:٣٣-٣٦). وكذلك(٣:١-٨).

(٣) سفر يشوع(٦:٢١).

(٤) قصة الحضارة. ول ديورانت. ١/٣٢٧.

(٥) سفر العدد(١٦:١٣-١٥).

جماعة بني إسرائيل اللّوم على موسى وهارون وقالوا لهما: قتلتما شعب الربِّ)) [1]، وجاء أيضاً:((وكلّم الربُّ موسى وهارون: إلى متى احتمل هؤلاء القوم الأشرار، الذين يلقون اللّوم عليَّ)) [2].

ومن صفات اليهود التي أكّد عليها التوراة، العصيان والتمرّد على الله، فقد جاء:((تمرَّدتم على ما أمر به الربُّ إلهكم، ولم تثقوا به، ولم تسمعوا لقوله، فمن يوم عرفتكم وأنتم تتمرَّدون على الربِّ)) [3]، وجاء أيضاً:((وقال الربُّ لموسى: سترقد مع آبائك، وهؤلاء الشعب سيقومون عليَّ، ويفْجرون باتباع آلهة غريبة في الأرض التي هم داخلون عليها، ويتركونني وينقضون العهد الذي قطعته معهم)) [4].

وموسى عليه السلام كان يعرف تماماً تمرُّد بني إسرائيل، إذْ جاء عنه:((لأنِّي أعلم تمرُّدكم وعنادكم، لأنِّي وأنا معكم في الحياة، تمرَّدتّم على الربِّ، فكيف بعد موتي)) [5].

وجاء أنَّ اليهود شعب أعوج ملتوِ وأحمق:((فيا لجيل متعوِّج ملتوٍ، أبهذا تعترف بجميل الربِّ أيُّها الشعب الأحمق الجاهل)) [6].

وأنَّهم أيضاً شعب لا أمانة فيهم، وأمّة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم:((بنو إسرائيل لا يتَّعِظون، لأنه لا بصيرة فيهم)) [7]. وعلى هذا المنوال، لا تجد

---

(١) سفر العدد(٦:١٧).

(٢) سفر العدد(١٤:٢٦–٣٥).

(٣) سفر التثنية(٩:٢٣–٢٤).

(٤) سفر التثنية(٣١:١٦).

(٥) سفر التثنية(٣١:٢٧).

(٦) سفر التثنية(٣٢:٥–٦).

(٧) سفر التثنية(٣٢:٢٨–٣٠).

سفراً من أسفار العهد القديم، إلاّ وفيه جملة من الأوصاف التي تدل على الخبث والدناءة والتمرُّد وعدم الثبات على التوحيد.

٢- الزنى وفحش القول:

لقد ورد في العهد القديم كلمات قبيحة ومخلّة بالآداب، وقصص فاضحة، لا تليق بكتاب سماوي مقدَّس- على فرض صحة هذا الكتاب- لا حقيقة ولا مجازاً، ولا يليق أيضاً، أن تصدر مثل تلك الكلمات والقصص من ربِّ العالمين. وقد يقول قائل أنَّها وسيلة تخفيف وزر ما انتشر من آثام في المجتمع اليهودي، نتيجة الاحتكاك بالأمم الأخرى، ولكن ألم يكن باستطاعة كتبة التوراة أن لا يجرأوا على الأنبياء، أو يستخدموا كلمات أكثر قداسة مع الكتاب المقدس[1]؟!
المقدس[1]؟!

ولو فرضنا أنَّ مثل هذا الكلام صادر عن أنبياء بني إسرائيل، وموجهاً إلى الشعب اليهودي الذي خرج عن عبادة الإله الواحد، وعبد الآلهة الوثنية، أما وجد أمثلة أخرى وعبارات مهذبة وألفاظاً غير بذيئة، ليضعها في كتاب مقدَّس، وهل يمكن أن تكون هذه صفات شعب الله المختار[2]؟!

وعلى الرغم ممّا ورد في التوراة من تحريم الزنا:((لا تدنِّس ابنتك بجعلها زانية، لئلاّ يزني أهل الأرض، فتمتلئ بالفواحش)) [3]، ووضع التوراة أحكاماً شديدة القسوة على الزناة – سنأتي إلى ذكر ذلك في مبحث مستقل-؛ نجد في التوراة نصوصاً تدل على أنَّ البغي كانت شخصية مقبولة وموجودة في المجتمع اليهودي، وقد ذكرنا بعض الأمثلة عند الكلام عن أنبياء بني إسرائيل،

---

(١) ينظر: دراسة في التوراة والإنجيل. د. كامل سعفان. ص١١٤).

(٢) ينظر: مغالطات اليهود. مصدر سابق. ص٤٢١.

(٣) سفر اللاويين(١٩:٢٩).

وسنذكر بعض الأمثلة الأخرى، منها:

أنَّ يهوذا، وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام، قد عاشر عاهرة نظير أجر، وكانت هذه العاهرة، كما اتضح فيما بعد، زوجة ابنه عير، وأنجبت المرأة من هذه العلاقة طفلَيْن[1]، وليس في سياق هذا النص الوارد في التوراة ما يدل على رفض الأمر أخلاقياً[2]، ولم يقيموا عليه الحد، رغم تأكيد التوراة على إقامة الحدود على مَن زنى.

وفي سفر يشوع، أنَّه - أي يشوع - أرسل رجلَيْن إلى أريحا، فدخلا إلى بيت امرأة زانية إسمها راحاب، وأعانت هذه المرأة العبرانيين[3]، على دخول أريحا[4]، وفي سفر القضاة، أنَّ شمشون، وهو أحد ملوك اليهود، زار امرأة عاهرة في غزة[5]، وورد أيضاً، أنَّ هوشع -وهو أحد أنبياء بني أسرائيل- تزوّج من زانية حسب أمر الربِّ[6].

---

(١) سفر التكوين(٣٨:١٤-١٩).

(٢) ينظر: الإسلام واليهودية. مصدر سابق. ص٥١٩. ونقول: أنَّ عدم رفض هذا الأمر أخلاقياً, وعدم إقامة الحدِّ عليه, لدليل واضح على أنَّ نبيَّ الله يهوذا بريء من هذه التهمة, وأنَّ القصة منحولة لا أساس لها من الصحة, بل هي الطبيعة اليهودية في النيل من الأنبياء الكرام وقتلهم.

(٣) العبرانيون كان يطلق على قدماء اليهود, وقد اختلف اللُغويون في أصل الكلمة, فمنهم من قال أنَّه نسبة إلى(عابر) أو (عيبر) الجدُّ الخامس لإبراهيم عليه السلام . وقيل نسبة إلى إبراهيم لعبوره نهر الفرات أو نهر الأردن, أو نسبة إلى عبورهم إلى طاعة الله. فكان إبراهيم عبرانياً, وسمي بنو إسرائيل بالعبرانيين, لأنَّهم عبروا البحر. ينظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي. ٤/٧٨. ومجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة. العدد(١٠٧). ص١٢٩.

(٤) سفر يشوع(٢:١-٥).

(٥) سفر القضاة(١٦:١).

(٦) سفر هوشع(١:٢-٥).

وكذلك لا يوجد في التوراة ما ينّص على تحريم البغاء [1]، وتجارة الرقيق الأبيض بل كانت مهنة طبيعية، وتشكّل بقدر كبير جزءً من البناء الاجتماعي والاخلاقي، وتوجد شخصّيات تسلك سلوكاً منافياً للقيم الدينية اليهودية، وحاول حاخامات اليهود تفسير ذلك السلوك، وحاولوا التوفيق بينها وبين الرؤية الدينية العامة، على أنَّها صور جنسية مجازية، وخاصة ما هو موجود في سفر هوشع ونشيد الإنشاد [2]، لأنَّ ما ورد في هذيْن السفريْن، عن الفاحشة والزنا، يمكن تأويلها، لأنَّها تخاطب مملكة إسرائيل التي كانت في حالة ضعف وانحطاط خلقي، وإلاّ فلماذا لم يحاولوا تأويل ما نسب إلى الأنبياء عليهم السلام ؟.

وهكذا باسم الشريعة، تهدر الكرامة الإنسانية، ويصبح الفساد والبغي والزنا، والكلام عنها أمراً عادياً، لأنَّها واردة في كتب اليهود المقدَّسة.

ثانياً / في الإنجيل:

تعتبر الوصايا العشر، أساس المبادئ والتشريع الذي جاء به موسى عليه السلام، وهي نهج الحياة، والقانون الذي وضعه الله في كيان الإنسان، وهي تبيِّن واجبات وحقوق الإنسان في آن واحد، وهي تعبير أيضاً، عن شمولية القواعد السلوكية التي تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة ومقبولة.

---

(١) لقد حرَّم الإسلام البغاء أو المتاجرة بأعراض الإماء والفتيات, واستغلالهنَّ استغلالاً يُحطُّ من كرامتهنَّ, قال تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. {سورة النور(٣٣)}. وسبب نزول الآية, أنَّ جارية عبدالله بن أبي بن سلول شكتْ إلى النبي ﷺ من سوء معاملة سيِّدها لها, فنزلتْ الآية, وحرِّم ذلك تماماً. ينظر: تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٣/٢٩٩.

(٢) ينظر: الإسلام واليهودية. مصدر سابق. ص٥١٩. وموسوعة اليهود واليهودية. ٥/٢٠٣.

فقد أكّدتْ الأناجيل على ما ورد في العهد القديم، من التعاليم الأخلاقية والتشريعات وخاصة الأصحاح الخامس، والتاسع عشر من إنجيل متّى. وورد ما يوهم أنَّه إلغاء لتلك التعاليم، ولكن الأمر ليس كذلك، بل هو إضافة الطابع الأخلاقي المتشدِّد، فقد ورد:((سمعتم أنَّه قيل لآبائكم: لا تقتل، فمن يقتل يستوجب حكم القاضي، أمَّا أنا، فأقول لكم: مَن غضب على أخيه استوجب حكم القاضي، ومَن قال لأخيه: يا جاهل استوجب حكم المجلس، ومَن قال لأخيه: يا أحمق استوجب نار جهنم)) [1].

فالمسيح لم يلغِ عقوبة القتل، ولم ينفِ، وإنَّما أكملها من الناحية الأخلاقية، وهو أنَّ القتل ليس قتل الجسد، بل هو قتل النفوس والأرواح:((وسمعتم أنَّه قيل: لا تزنِ ....أمَّا أنا فأقول لكم: مَن نظر إلى امرأة ليشتهيها، زنى بها في قلبه)) [2].

وجاء:((فإن كنتم تغفرون للنَّاس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم، وإن كنتم لا تغفرون للنَّاس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم)) [3]، وورد أيضاً:((عاملوا الآخرين بمثل ما تريدون أن يعاملوكم)) [4].

وجاء أيضاً:((سمعتم أنَّه قيل:عين بعين، وسن بسن، أمَّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسيء إليكم، مَن لطمك على خدك الأيْمن، فحوِّل له الآخر)) [5].

إنَّ هذه التعاليم المسيحية الأخلاقية، هي تعاليم في غاية الشفافية، تربِّي النفس وتهذِّبها، وتعلِّم الإنسان كيفية التعامل الإنساني بين البشر، وتؤكد أنَّ

---

(١) إنجيل متى (٥:٢١).

(٢) إنجيل متى (٥:٢٧).

(٣) إنجيل متى (٦:١٤–١٥).

(٤) إنجيل متى (٧:١٢).

(٥) إنجيل متى (٥:٣٨–٣٩).

الإنسان عبد للإحسان، وأنَّ التسامح أبلغ أثراً وفعالية من التشدُّد[1].

يعلّق أحمد عبدالوهاب، وهو أحد العلماء المهتمين بعلم مقارنة الأديان المعاصرين، على هذه التعاليم بقوله:هذه التعاليم المثالية في التسامح، غير قابلة للتطبيق، وحتّى المسيح نفسه لم يطبِّق هذه التعاليم، فعندما لطمه أحد الجنود، قائلاً له: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟، وأنَّه لم يدر لـه خدَّه الآخر[2]، بل قال: ((إنْ كنتُ أخطأتُ في الكلام، فقل لي أين أخطأت؟ وإنْ كنتُ أصبتُ، فلماذا تضربني؟))[3].

يقول المؤرخ البريطاني ج. ويلز أستاذ التاريخ بجامعة لندن: أنَّ المسيح لم يلتزم بتعاليمه الأخلاقية[4]، مثل:((من قال لأخيه: يا أحمق يكون قد استوجب نار جهنم)) [5]، بل الأناجيل تظهر لنا المسيح أنَّه يشتم الكثيرين، مثل:((أيهاالحيّات أولاد الأفاعي...)) [6].

وقال:((إذهب عني يا شيطان)) [7]، قاله المسيح ليهوذا وهو أحد حواريه، حواريه، وقال:((إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية، المعدة لإبليس

---

(١) ينظر: العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل.أحمد الباشا.١٣٤/٢. وقرءآت في الكتب المقدسة.عبدالرحيم محمد. ص١٢٠-١٢١.

(٢) ينظر : الإسلام والأديان الأخرى . اللواء أحمد عبدالوهاب .ص١٣٣-١٣٤.

(٣) إنجيل يوحنا (٢٣:١٨).

(٤) ينظر: الإسلام والأديان. مصدر سابق . ص١٣٥. هذا اتهام للمسيح عليه السلام وهو بريء من أن يخالف ما أمره ربه, ثمَّ من يقول ويضمن أن هذه التعاليم الموجودة, هي تعاليم المسيح, وأنَّها من أقواله ؟ فالمؤلف ينطلق من واقع النصوص الموجودة في الأناجيل.

(٥) إنجيل متى (٢٢:٥).

(٦) إنجيل متى (٣٣:٢٣).

(٧) إنجيل متى (٢٣:١٦).

وملائكته)) [1]، ويشتم كذلك الفريسيين الذين استضافوه:((......ياأغبياء ويل لكم أيُّها الفريسيون، فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حين تقول هذا، تشتمنا أيضاً، فقال: وويل لكم أنتم أيُّها الناموسيون[2])) [3].

ونسب إلى عيسى ﷺ ما يتنافى مع مكانة النبوة، وكرامة الإنسان، حيث ورد على لسانه أنَّه شبَّه غير اليهود بالكلاب:((لايجوز أن يؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب)) [4]، وكذلك شبَّه غير اليهود بالكلاب والخنازير:((لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفتَ فتمزِّقكم)) [5].

جاءتْ المسيحية بقيم جديدة غير مألوفة عند اليهود، الذين هم أشد النَّاس حرصاً على الماديات، حيث أكّدتْ أنَّ قيم الدنيا لا تساوي شيئاً بجانب قيم الآخرة:((لا تجمعوا النفائس حيث السوس والصدأ، يتلفان كلَّ شيء، وحيث اللُّصوص ينقبون ويسرقون، لكن اجمعوا واكثروا النفائس في السَّماء حيث السوس والصدأ لا يتلفها...))[6]

ودعتْ المسيحية إلى الاهتمام بالجوانب الروحية، وعدم الاهتمام بالجسد والزهد وعدم الاهتمام بالدنيا، من ذلك:((ليس بالخبز وحده يحيى

---

(١) إنجيل متى (٢٥:٤١).

(٢) الناموس اسم يوناني معناه الشريعة او القانون، ويطلق على شريعة موسى الطقسية والأدبية. والناموسيون هم مفسرو الناموس او التوراة في المجامع اليهودية، ولا فرق بيهم وبين الكتبة.ينظر موقع: http://st-takla.org\full-free

(٣) إنجيل لوقا (١١:٣٧-٤٦).

(٤) إنجيل متى (١٥:٢٦) ولوقا (٧:٢٧).

(٥) إنجيل متى (٧:٦).ولوقا (٦:٣٧-٣٨)

(٦) إنجيل متى (٦:١٩).ولوقا (١٢:٣٣-٣٤)

الإنسان))[1]،وجاء:((ماذا ينفع الإنسان إذا ربح المال وخسر نفسه))[2]، وجاء أيضاً:((لا يقدرأحدكم أن يخدم سيدين، لإنَّه إمَّا أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحقر الآخر لا تقدروا أن تخدموا الله والمال)) [3]، هذه، ونصوص أخرى كثيرة، دعا المسيح من خلالها إلى تغيِّير شامل في سلوك الإنسان في جميع جوانب الحياة، ولكن إذا قارنا هذه التعاليم السمحة، مع أعمال الكنيسة، وحال المسيحيين عبر العصور، نجد أنَّ البون شاسع، وبقيتْ هذه التعاليم حقائق نظرية موجودة في الأناجيل، يتباهى بها المسيحيون .

يقول ابن تيمية(٦٦١-٧٢٨هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4]: وفي النصارى من الرحمة والمودة، ما ليس في اليهود، فليس في الذين يدينون به عداوة ولا بغض، لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله، وسعوا في الأرض فساداً، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين[5]. نجد في النصارى الجانب المتشدد، في تطبيق النصوص المتمثل في الرهبنة[6]، وترك الحياة. ويلاحظ أيضاً، إنكار حقوق الفرد، في الحياة

---

(١) إنجيل متى (٤:٤).

(٢) إنجيل متى (١٦:٣٣).

(٣) إنجيل متى (٦:٢٤). ولوقا (١٢:٢٢).

(٤) سورة المائدة (٨٢).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح . ابن تيمية. ١٠٩/٣.

(٦) الرهبنة: ترك الدنيا والزهد فيها والتخلي عنها اختياراً, وعدم المشاركة في الحياة الاجماعية, الاجماعية, والانقطاع للعبادة المسيحية, والتضحية برغبات النفس وشهواتها, تقرُّباً للمسيح وتشبُّهاً به. ينظر: لسان العرب. ابن منظور ٢٤٠/٦. والأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السَّماوية. د.يعقوب المليجي .ص٢١٨. والرهبانية المسيحية وموقف الإسلام

الطبيعية، وتلبية الحاجات الضرورية والنزعات النفسية، والتأكد على الكبت في الانتقام من الأعداء، حيث جاء:((فإنْ جاع عدوك فأطعمه وإنْ عطش فاسقه، لأنَّك إنْ فعلتَ هذا تجمع جمرة نار على رأسه)) [1]، ولا شك أنَّ هذا عسير على الإنسان، وإسراف في المثالية، ولهذا لم تستطع المسيحية أن تحافظ على نقاء الأخلاق طويلاً، والتأكيد على القيم الفردية، وترك الجماعة، مِمَّا أدّى إلى انقسام المجتمع المسيحي إلى الأقلية المتشدِّدة ، من الرهبان ورجال الكنيسة، وغالبية المجتمع الذي لم يستطع أن يحافظ على الأخلاق المسيحية وتعاليم الكنيسة، وغالبية المسيحيين يرون أنَّ المسيح لم يستطع تنفيذ أغلب القواعد الأخلاقية، لأنَّها مثالية على الأغلب، وظلَّت محيِّرة[2].

الملاحظ في جميع أخلاقيات الإنجيل، أنَّ هناك أخلاقيْن، أخلاق تقول: لاتقتل، لاتستل سيفك، اغفر للآخرين، لاتقاوم الشرَّ، أدرِ خدك الآخر، أبغض حياتك الأرضية. ... وأخلاق أخرى تقول: ابتعِ سيفاً، أقتل المجرم، إخشَ الاضطهاد واهرب منه[3]، فالازدواجية موجودة في معظم أخلاقيات الأناجيل وتشريعاتها.

منها–ضمن موسوعة العقيدة والأديان– د.أحمد علي عجيبة. ص١٣–١٤. وقد نهى الإسلام عن الرهبانية, حيث لا رهبانية في الإسلام, ((وَرُهْبانيةً إبْتَدَعوهَا)). {سورة الحديد: (٢٧) }. وحديث سعد بن أبي وقاص عند الطبراني:((أنَّ الله أبدلنا بالرهبانية, الحنيفية السمحة)) : فتح الباري. ابن حجر. ١١١/٩. وحثَّ على الربّانية, وألَّف الدكتور عبدالرحمن الندوي كتاباً باسم: (ربّانية لا رهبانية).

(١) رسالة رومة (١٢:٢٠).

(٢) ينظر : الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السَّماوية. د.يعقوب المليجي .ص٢٢٢. وتعدُّد نساء الأنبياء ومكانة المرأة. أحمد عبدالوهاب .ص١٧١و١٩٧.

(٣) ينظر : أخلاق الإنجيل .ألبير باير .ص٦٨.

ثالثاً / في القرآن الكريم:

من الدعائم المشتركة والسِّمات البارزة بين الشعوب، قديماً وحديثاً، الأخلاق والفضائل، وقد جاء الإسلام وعمَّم مفاهيم الأخلاق، لتشمل البشرية جمعاء، مهما اختلفت أديانهم وأجناسهم وأحوالهم، وسعى إلى ترسيخ هذه الاخلاق، لتكون هدفاً وغاية من جهة، وتطبيقاً وسلوكاً وواقعاً من جهة أخرى.

وقد كرَّم الإسلام الإنسان بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ورغّب الفرد والمجتمع بمعالي الأمور والتسامي عن المادَّة، وربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، وحضَّ على الخير والفضيلة والتعاون بين النَّاس.

ودعا الإسلام النَّاسَ إلى البرِّ والرحمة والمودة والتعاون والوفاق والصدق والإحسان، ووفاء الوعد وأداء الأمانة، والعدل والمسامحة والعفو والمغفرة، والصبر والثبات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثَّ على النصيحة، وغير ذلك من مكارم الاخلاق[1]، وقد وردتْ آيات وأحاديث تدعو إلى العمل بهذه المعاني الأخلاقية الفاضلة، وجعل العمل بها من صميم الدِّين.

وقد وصف القرآن الكريم نبيَّنا محمداً ﷺ بأكمل وصف وأجمل ثناء، حيث قال:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، وقد أكَّد الرسول ﷺ وجود تلك الصفة في شخصه ورسالته السمحة بقوله عن أبي هريرة‏:((إنَّما بعثتُ لأُتمِّم مكارم الاخلاق))[3]، ووصفه القرآن بالرحمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام. مصدر سابق. ص٦٤.

(٢) سورة القلم (٤).

(٣) مسند الإمام أحمد. ٢/٣٨١. رقم(٨٩٣٩). والسنن الكبرى. البيهقي١٠/١٩١.رقم(٢٠٥٧١). والموطأ. الإمام مالك. ٥/ ١٣٣٠. رقم(٣٣٥٧).

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وحثّ المسلمين على التعاون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2]، وحثّ القرآن على الإيثار،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، ودعا القرآن إلى ردّ الأمانة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[4]، ودعا إلى القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُو ﴾[5]، والآيات التي تحثُّ تحثُّ على مكارم الأخلاق كثيرة.

ووردتْ أحاديث عن النبي ﷺ تدعو إلى الأخلاق الفاضلة، منها: عن تميم الدّاري رضي الله عنه قال، قال ﷺ: ((الدِّين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم))[6]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال ﷺ:((لا يؤمن أحدكم حتّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه))[7]، وعن النعمان بن

---

(1) سورة الأنبياء (١٠٧).

(2) سورة المائدة (٢).

(3) سورة الحشر (٩).

(4) سورة النساء (٥٨).

(5) سورة آل عمران (١٠٤).

(6) رواه مسلم في صحيحه. باب أن الدين نصيحة. ٥٣/١.رقم(٢٠٥).

(7) رواه البخاري في صحيحه. باب من الإيمان أن يحب ... ١٤/١. رقم(١٣). ومسلم في صحيحه. باب الدليل على أنَّ من خصال الإيمان... ٤٩/١. رقم(١٧٩).

بشير ﷺ أنَّه قال ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى)) [1]، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال ﷺ: ((...لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)) [2].

وممَّا لا شكَّ فيه، أنَّ الأخلاق هي التي تزيِّن الإنسانية، وتعلي من شأن الإنسان، وتصون العلاقات بين الأفراد والجماعات وتوثِّقها، وهذه الاخلاق لا تختلف باختلاف الأماكن والأزمان، ولا باختلاف الألوان والأجناس، ولكن تتفاوت نسبتها في مدى الالتزام بها.

رابعاً / أوجه الاتفاق والاختلاف في الخُلُق:

– **أوجه الاتفاق**: إنَّ الأمر الذي لا مراء فيه، هو أنَّ الأديان السَّماوية إنَّما جاءتْ لإقرار التوحيد، ورفع الظلم والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، لأنَّ القيم والاخلاق ثابتة لا تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والأديان والألوان والأجناس، فهي من الدعائم الإنسانية المشتركة، التي تزيّن الإنسانية، وتعلي من قيمة الإنسان، وتبنى عليها المجتمعات، وأنَّ خير ما يمثل القيم الأخلاقية في الكتاب المقدس(التوراة والإنجيل) هي الوصايا العشر، التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون على السواء.

– **أوجه الاختلاف**: إنَّ من الملاحظ عند اليهود، أنَّهم لم يؤكِّدوا على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. باب تراحم المؤمنين. ٨/٢٠. رقم(٦٧٥١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه. باب النهي عن التباغض. ٨/١٠. رقم(٦٧٠١).

الجانب الأخلاقي، ولم يستمروا في التمسك بالقيم الأخلاقية، رغم تجدُّد الأنبياء فيهم، وحرص هؤلاء الأنبياء في دعوتهم إلى الأخلاق النبيلة، بل على العكس من ذلك، فقد مال اليهود إلى الجانب المادي، وابتعدوا عن المعاني الإنسانية، وقد ترك هذا الأمر، آثاراً سلبية في المجتمع اليهودي، بحيث لم يستمر لهم كيان، وتعرضوا إلى القتل والدَّمار، مرات عديدة، خلال تاريخهم الطويل.

من ناحية أخرى، فإنَّ التوراة ورد فيه ما ينافي القيم النبيلة والذوق السليم، حيث دوَّنوا فيها القصص المنافية للآداب، وأقحموا فيها القول الفاحش، الذي يستحيل أن يصدر مثل هذا الكلام من ربِّ العالمين، وأضافوا إلى الأنبياء، عليهم السلام، الفعل الفاحش والدنيء، الذي يتعافاه عامَّة الناس، فضلاً عن الأنبياء الكرام.

وحتَّى في حالة امتثال اليهود للقيم والأخلاق، فإنَّه كان يتمُّ مع اليهودي، أمَّا مع غير اليهود، فلا قيمة لهم.

جاء الإنجيل وأكَّد على الأخلاقيات الموجودة في التوراة، وأضاف إليها الطابع المتشدِّد، إلى درجة أنَّه يستحيل تطبيق تلك المبادئ الأخلاقية في واقع الأمر، لأنَّها أكثر مثالية، وفي غاية الشفافية. ولهذا نجد أنَّ المسيحية مالتْ إلى الجوانب الروحية، ولم تهتم بمطالب الجسد، ممَّا دفع بالمجتمع المسيحي إلى عدم الحفاظ على الأخلاق طويلاً، ومن ثَمَّ انقسم المجتمع إلى أقلية متشدِّدة، اشتغلوا بالرهبنة والانقطاع عن الدنيا، وغالبية متحرِّرة من القيم الأخلاقية. فضلاً عن ذلك، نجد كذلك ازدواجية واضحة في الإنجيل، فيما يتعلق بالأخلاق والتشريع، نصوص تقول: لا تقتل، ولا تستل سيفك، واغفر للآخرين، ونصوص تقول: بِعْ ثوبك واشترِ سيفاً، أقتل المجرم، أهرب من الاضطهاد....

بينما القرآن الكريم، عمَّم مفاهيم الأخلاق، لتشمل الجميع، ولتكون هدفاً وغاية. وجعل التخلّق بالأخلاق الفاضلة من صميم الدِّين، وأكَّد أنَّ محور رسالة الإسلام ومهمة النبيِّ ﷺ هو إكمال مكارم الأخلاق، وأنَّه ما بعث إلاَّ رحمة للعالمين، ولم يمِلْ القرآن الكريم إلى الجانب الروحي أو المادي، بل أكَّد على الوسطية، وراعى الجانبين، وبيَّن الطرق والوسائل التي تؤدي إلى تطبيق المبادئ الأخلاقية.

المبحث الثاني
مظاهر تكريم الإنسان في الحقوق

المطلب الأول : تكريم الإنسان بالحرّية

أوّلاً / الحرِّية في التوراة:

لقد تضمَّن التوراة نصوصاً تؤكِّد حرِّية الإنسان في الاختيار، فقصة أكل آدم وحوّاء من الشجرة المحرَّمة، جاء هفوة وغفلة من الإنسان، لأنَّه كان باستطاعتهما أن لا ينصاعا إلى غواية إبليس[1]، (الحيَّة)، التي أغوتهما.

فهو يصوِّغ مصيره بيديه، من خلال قراراته وبنفسه:((كفُّوا عن الإساءة، تعلّموا الإحسان، واطلبوا العدل، وأغيثوا المظلوم، وانصفوا اليتيم، وحاموا عن الأرملة)) [2].

---

(١) أديان العالم. د.هوستن. مصدر سابق. ص٣٤٩.

(٢) سفر إشعياء(١:١٦-١٧).

وكلُّ الوصايا والأوامر الموجودة في التوراة، تؤكِّد حرِّية الاختيار للإنسان:((إنِّي جعلتُ بين أيديكم الحياة والموت، والبركة واللّعنة، فاختاروا الحياة لتحيوا أنتم وذريَّتكم)) (١).

من أجل الوقوف على حقيقة الحرِّية في جوانبها المختلفة في التوراة، نبحث في حق الحرِّية في الحياة والحرِّية الدينية والردّة.

١- حق الحرِّية في الحياة

حقُّ الحياة حقٌّ مقدَّس في التوراة حيث ورد:((كونوا قدِّيسين لأنِّي أنا إلهكم قدوس)) (٢)، فالحياة لها قيمة عليا، في نظر اليهودي، ويجب عليه بذل أقصى جهده لإنقاذ حياة رفيقه الإنسان، وفق نصوص التوراة، إلاّ أنَّ إنقاذ الرفيق عند اليهود، هو الرفيق اليهودي:((لا تقف على دم قريبك)) (٣)، بمعنى: أنَّك لن تقف متفرِّجاً حينما يسيل دم جارك اليهودي، إذ يبدو أنَّ احترام الحياة ينطبق على حياة الشعب المقدس(٤).

أمَّا غير اليهودي—حسب المبدأ التلمودي— هو أنَّ إنقاذهم ليس واجباً، كما أنَّه محظور عليهم قتلهم. يقول ابن ميمون(ت ١٢٠٤م): بالنسبة لغير اليهود، الذين لا نكون معهم في حالة حرب، يجب أن لا نتسبَّب في موتهم، ولكن يحظر علينا إنقاذهم، إذا كانوا على وشك الموت؛ لأنَّه مكتوب:((لا تقف ضد دم رفيقك))، وغير اليهودي ليس رفيقك(٥).

ووفق التلمود أيضاً، أنَّ حياة الذي يعيش على أرض إسرائيل لها أهمية

---

(١) سفر التثنية(٣٠:١٩).

(٢) سفر اللاويين(١٩:١).

(٣) سفر اللاويين(١٩:١٦).

(٤) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدرسابق. ٥/٥٦.

(٥) التاريخ اليهودي. إسرائيل شاحاك. مصدر سابق. ص١٢٦.

خاصة من الناحية الدينية، ولهم إله. أمّا الذين يعيشون خارجها، ليست لحياتهم أهمية وليس لهم إله، ووفقاً لما قيل لبني إسرائيل:((ولن يقيموا في أرضكم...))[1]، لذا حرص بنو إسرائيل على طرد جميع الوثنيين من أرض إسرائيل. يقول أحد حاخامات اليهود: إنَّ هذا لا ينطبق على المسلمين، لأنَّهم ليسوا وثنيين[2].

وعلى هذا الأساس، فإنَّه لا يجوز أن يؤجر غير اليهودي بيتاً للسكن في إسرائيل، وإنَّما فقد يجوز للتخزين، بشرط أن لا تؤجر ثلاثة بيوت متجاورة[3]، وهكذا اتسمت المبادئ اليهودية بتأكيد شخصية الفرد اليهودي، والحفاظ على حقوقه، حتَّى لو كان على حساب الآخرين.

٢- حق الحرِّية الدِّينية:

لا توجد في التوراة نصوص صريحة في مسألة الحرِّية الدينية، وإنَّما يوجد ما يؤكِّد أنَّ جماعة بني إسرائيل هي المعنية بحمل رسالة التوحيد، بمعنى أنَّهم مجبرون على قبول العقيدة اليهودية، وهي عقيدة الآباء والأجداد، فلا يحق للفرد اليهودي أن يخرج من الإطار الذي رسمته عقيدة شعب الله المختار، وعليه أن يعيش وفق إرادة يهوه، إله بني إسرائيل.

واليهودية لم تكن ديانة تبشيرية، بل هي عقيدة منحصرة في بني إسرائيل، وأحكامها صيغتْ في سبيل الحفاظ على بني إسرائيل.

حتّى أخبار الحروب الموجودة في التوراة، التي تنطوي على القتل

---

(١) سفر الخروج(٢٣:٣٣).

(٢) الأصول المشتركة. خالد رحّال الصلاح. ص١٢٥. والأصول اليهودية. ديفد لاندرو. ترجمة مجدي عبدالكريم. ص٤٠١.

(٣) ينظر: التاريخ اليهودي. مصدر سابق. ص٣٩. والأخلاق في الإسلام مقارنة بالديانات السماوية. د. يعقوب المليجي. ص٢١٠.

والوحشية والاضطهاد، لم تكن حروباً تبشيرية، أملتها ضرورات الدعوة إلى الله، بل كانت حروباً عنصرية تدميرية بكلِّ مراحلها، هدفها احتلال الأرض وقتل الشعوب[1]، ولم تكن تهدف إلى نشر رسالة التوحيد بين الشعوب الوثنية في تلك المناطق.

٣- الردّة في التوراة:

التاريخ اليهودي تكوَّن على مبدأيْن، مبدأ العِرْق، ومبدأ الشعب، فالذي ولد من نسل إبراهيم، هو ينتمي إلى العِرق اليهودي، والذي يقبل العهد مع الله، صار شعباً للعهد، والمستنتج من هذين المبدأيْن، أنَّه لا رجوع إلى الوراء من شعب العهد إلى شعب آخر[2].

والذي يستنتج من نصوص التوراة، أنَّ المرتد يقتل:((وإنْ أغراك في الخفاء أخوك ابن أمك، أو ابنك أو ابنتك، أو امرأتك التي في حرمك، أو صديقك الذي هو كنفسك، فقال لك: تعال نعبد آلهة أخرى لا تعرفها أنت وآبائك.....فلا تلتفتْ إليه، ولا تسمع له...بل أقتله قتلاً... ترجمه بالحجارة حتّى يموت)) [3]، وورد كذلك:((مَن ذبح لآلهة إلاَّ الربِّ فقتله حلال))[4]، وجاء:((إذا ارتدَّ البارُّ البارُّ عن برِّه وفعل الإثم وعمل كلَّ الأرجاس التي يعملها الشرير.... يموت بسبب خيانته وخطيئته)) [5]، وجاء:((إذا وجدتم فيما بينكم في إحدى مدنكم التي أعطاكم الرَّب إلهكم، أنَّ رجلاً وامرأة فعل الشرَّ أمام الرِّب إلهكم، فخالف عهده وذهب فعبد آلهة أخرى، وسجد لها.....فاخرجوا ذلك الرجل أو تلك

---

(١) ينظر: الإرهاب بين التوراة والقرآن. شاكر الحاج. ص٧٤.

(٢) ينظر: مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى. عادل ثيودور. ص١٢٠.

(٣) سفر التثنية(١٣:٧-١٢).

(٤) سفر الخروج(٢٢:١٩).

(٥) سفر حزقيال(١٨:٢٤).

المرأة إلى خارج المدينة وارجموه بالحجارة حتّى يموت))[1].

قد بالغ اليهود في القتل والتمثيل والتعذيب، إنطلاقاً من التعاليم الموجودة في التوراة، مع تأكيد هذه النصوص على التهديد بسوء مصيرهم، إنْ هم اخلوا بتطبيق هذه التعاليم[2].

وقد حاولوا تضييق هذه الحدود، فقالوا أنَّها تطبّق فقط على مَن يريد أن يُضِلّ الآخرين من عبادة الله إلى عبادة الأوثان، وإذا شاء شخص أن يترك عبادة الله، فهذا شأنه، وحق مكفول له، فلم نسمع أنَّ اليهود طبّقوها على إنسان واحد سوى المسيح، وقالوا وحتّى أنَّ المسيح لم يقتل لأنَّه كان يدعو إلى عبادة آلهة أخرى، بل لأنّه أعلن أنَّه الله الظاهر في الجسد في صورة إنسان[3]، إلاّ أنَّ هذا الادّعاء مردود، لأنَّ تاريخ اليهود مليء بالقتل، وأنَّ المسيح عليه السلام لم يقل أنّه الله الظاهر في الجسد، بل هو التشدُّد في التعامل مع المخالفين في المعتقد، الموجود في الكتاب المقدَّس، الذي يؤمن به اليهود والنصارى، وليس له مثيل في القرآن الكريم، ومع ذلك فقد اتهموا الإسلام بأنّه دين القتل، مع العلم أنَّ أحكام الإسلام إنسانيَّتها واضحة وصريحة في هذا المجال.

ثانياً / الحرِّية في الإنجيل:

الحرِّية صفة كيانية للإنسان، أي أنَّها من تكوينه ومن صلب طبيعة

---

(١) سفر التثنية(١٧:٢-٧).

(٢) ينظر: اليهود في كتابهم المقدس. كمال عون. ص٤٣.

(٣) موقع الحوار:www.alhewar aljaree.com . وموقع: www.arab church.com تاريخ الدخول في المواقع: ٢٠١١/٥/١٥. والأمر الذي لا مراء فيه، أنَّ اليهود لم يقتلوا المسيح، لأنَّ الله يقول في القرآن الكريم:((وما قتلوه وما صلبوه))، ولكن حاول اليهود مراراً وتكراراً الوقوع به, كما فعلوا مع الأنبياء السابقين له. فهم قتلة الأنبياء بشهادة التاريخ.

الإنسان، بحيث لا يتخلّى عنها، دون أن يتخلّى عن كيانه، والقوانين هي التي تصون وتمنع الحرِّية من أن تصير ذريعة وسبيلاً للتسلُّط الظالم، من قبل البعض على البعض الآخر[1].

في الفكر المسيحي الإنسان ليس مجبولاً على فعل الخير، كما يتبادر إلى ذهن البعض، بدعوى خلق الإنسان على صورة الله، بل هوحبيس الخطيئة:((خاضعون جميعاً لسلطان الخطيئة)) [2]، لأنَّ وجوده ومحيطه متأثر بحالة الشرّ، الذي أصابه من خلال الخطيئة، التي تسبق وجوده (الخطيئة الأصلية أو خطيئة آدم)، وبذلك يشعر الإنسان بحاجته إلى الحرِّية، والقدرة على فعل الخير[3].

فالإنسان إذا لم يكن مجبولاً على فعل الخير، بل هو حبيس الخطيئة –كما يصوره المعتقد المسيحي– ولا يمكن التخلُّص منها، فأين تكمن الحرِّية والكرامة؟.

فالفرد في المسيحية خُلق دون إرادته، ولكن الله أعطاه الحرِّية ليحصل على الخلاص، ولا يريد خلاصه بدونه[4].

على الرغم من أنَّ الإنسان في المسيحية ليس مجرد جزئية صغيرة، بل هو مخلوق سام، يتمتع بقيم مطلقة، ويسعى إلى أهداف تتعدّى في أبعادها الأهداف الدنيوية، فهو يتمتَّع بحقوق فطرية خالدة، لأنَّه مخلوق من صنع الله، ومآله

---

(١) ينظر : العدل في المسيحية والإسلام .مقال كيرلس سليم.ص١٥.

(٢) رسالة رومة (٣:٩).

(٣) ينظر : مدخل الى اللاهوت الأدبي. مصدر سابق.ص١٢ وص٧٥.

(٤) ينظر : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية .رقم (١٨٤٧). وعلم اللاّهوت النظامي. ص٥٩٩. وهذا المعنى مأخوذ من إنجيل يوحنا (١٣:١) :((وهم ولدوا لا من دم, ولا من رغبة جسد, ولامن رغبة رجل , بل من الله)).

الأبدي يخلع عليه طابعاً قدسياً لا يجوز المساس به، وواجب المجتمع ألاّ يعتبر الفرد أداة بسيطة، أو شيئاً عادياً، بل يجب أن ينظر إليه كغاية في حدِّ ذاته، إذ أنَّ الفرد ما هو إلاَّ صورة السيد المطلق، صورة الله عزَّوجلَّ[1]، نجد أنَّه يبقى رهين الخطيئة البشرية الأولى.

وكذلك تظهر حرِّية الإنسان واختياره في قصة آدم عندما ترك في الجنَّة، وأوصاه بعدم العصيان، أو الخضوع للموت، وكانت له القدرة على اختيار أي الطريقين[2].

تقول الكنيسة: أنَّ الحرِّية التي أُعطيتْ للإنسان، هي لازمة لكرامته، تدل على وهج صورة الله فيه، ليسعى حرّاً مختاراً نحو مبدعه والخير والحق مدفوعاً، وهي من مستلزمات الكرامة، وليس من رغباته وميوله وتحت تأثير ضغط خارجي[3].

لكن هذه الحرِّية غير قادرة، بمفردها، على تمييز الخير والشرّ، وهذا ما يعنيه سفر التكوين، حول منع الإنسان من أن يأكل من شجرة المعرفة، لذلك فالإنسان حرٌّ بقدر ما يتقبَّل وصايا الله[4]، وبقدر ما تتَّجه خبراته نحو الخير[5].

للوقوف على مزيد من الإيضاح حول معاني الحرِّية وملابساتها في الفكر المسيحي، سنتطرق إلى حق الحرِّية في الحياة والحرِّية الدِّينية والرِّدة.

١- حق الحرِّية في الحياة:

تؤكِّد الكنيسة أنَّ حياة الإنسان مقدَّسة، لأنَّها منذ أصلها اقتضتْ عمل الله

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي.مصدر سابق .ص١٠٤.

(٢) ينظر : تفسير أصول الإيمان المسيحي.ج.أ.وليمسن.ترجمة فايز فضيل. ١/٥٢-٥٣.

(٣) ينظر : رسالة فرح ورجاء رقم (٢٧).

(٤) يتظر: رسالة يوحنا بولس الثاني.بعنوان: عظمة الحقيقة.رقم(٣٥).

(٥) يتظر : التعليم المسيحي.مصدر سابق.رقم(١٧٣٣).

في الخليقة، وهي تبقى أبداً على علاقة خاصة بالخالق، غايتها الوحيدة، الله وحده، سيِّد الحياة منذ بدايتها إلى نهايتها، وليس لأحد، في أي ظرف من الظروف، أن يدَّعي لنفسه الحق في أن يدمِّر مباشرة كائناً بشرياً[1]، ولا بدَّ من احترام الحياة البشرية وصيانتها على وجه مطلق، منذ وقت الحبل، ولا بدَّ من الاعتراف بحقوقه، ومنها حقُّ الحياة، الذي لا يمكن تخطِّيه[2].

٢- حق الحرِّية الدِّينية:

من حيث المبدأ الإنسان حرٌّ في قبول أو رفض العقيدة المسيحية. يقول التعليم المسيحي:(ليس من الجائز أن يُكرَه الإنسان على ما لا يبيحه ضميره، وليس من الجائز أن يُمنع من عمل ما يقتضيه ضميره، ولا سيَّما في أمور الدِّين)[3].

وقد وردتْ في الأناجيل نصوص يُفهم منها الحرِّية، في اختيار الدِّين، أو الهداية، حيث جاء:((وعاد يسوع إلى مخاطبة الجموع بالأمثال، فقال: يُشبِه ملكوت السَّماوات ملكاً أقام وليمة في عرس ابنه، فأرسل خدمَه يستدعي المدعوِّين إلى الوليمة، فرفضوا أن يجيئوا))[4].

في هذا يُفهم أنَّ الله يبادر ويدعو، ولكن العباد أحرار، ولهم أن يرفضوا، والحرِّية هي التي جعل المسيح يدهش:((ويتعجب من عدم أو قلَّة إيمانهم))[5]، وقال أيضاً:((أورشليم ، أورشليم، يا قاتلة الأنبياء كم مرة أردتُ أن أجمع

---

(١) ينظر : نفس المصدر .رقم(٢٢٥٨). وروحانية الزواج المسيحي .د.سالم ساكا. ص١٠٥.

(٢) ينظر : نفس المصدر.رقم(٢٢٧٠).

(٣) ينظر : نفس المصدر .رقم(١٧٨٢). ورسالة البابا يوحنا الثالث والعشرون(السلام على الأرض). ١٩٦٣م.

(٤) إنجيل متى(٢٢:٣). ولوقا(١٤:١٥-٢٤).

(٥) إنجيل مرقس(٦:٦).

أولادكِ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم يريدوا)) [1].

وهذه الحرِّية في الاختيار توجب توفر المعرفة، فالذي لا يسمع الدعوة ولا يعرف، لا يستطيع اتباعه، وهذا ما أراده المسيح بقوله:((ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال، ولكن على مكان مرتفع، حتَّى يضيء لجميع الذين هم في البيت...)) [2]. يعلِّق الكاتب المسيحي الأب ب.هرنت على هذه الحرِّية: لا يمكن أن تخاطب إلاَّ كائنات حرَّة، لإنَّه لا يمكن أن تأمر إنساناً يقع من سطح المنزل، بألاّ يسقط[3].

فإنَّ من شأن البشر أن يستجيبوا لنداء المخلِّص، أولا يستجيبوا، ولو أنَّهم لم يسمعوه ولم يكونوا أحراراً في أن يؤمنوا، أولا يؤمنوا، لمَّا كانوا مسؤولين، ولكن اختيار الطريق السوي أو السيء، إنَّما يرجع إليهم، ولذا، فإنَّهم يحاسبون يوم القيامة[4].

يعتقد المسيحيون أنّ آدم حين أخطأ واختار المعصية، فإنَّ حرِّيته عاكست حرِّية الله ومشيئته[5]، ارتكب الخطيئة فدخل الفساد إرادته وطبيعته[6].

---

(١) إنجيل متى(٢٣:٣٧).ولوقا(١٣:٣٤).

(٢) إنجيل متى(٥:١٥).ومرقس(٤:٢١).ولوقا(٨:١٦).

(٣) ينظر : معجم اللاهوت.مادة الإيمان.رقم(٣٩٣).

(٤) ينظر :أخلاق الإنجيل.البير باير.مصدر سابق.ص٣٦.

(٥) من المؤكد أنَّه لاتوجد, في هذا الكون, إرادة معاندة لإرادة الله, وأنَّ ما يقع من الإنسان من خطيئة أو معصية, إنَّما هو في حدِّ ذاته تقصير من الإنسان, بدليل أنَّ الله شرع العلاج للخطايا والمعاصي, وهي التوبة. فلو كانت الخطيئة معاندة لإرادة الله, لكان الأولى أن يهلك الله من يعانده, لا أن يجعل له باب التوبة مفتوحاً.

(٦) سرُّ التدبير الإلهي(التجسد).أسبيرو جبور. مصدر سابق. ص١٥٠.

لكن هذه الحرِّية شوِّهتْ، عندما مارستْ الكنيسة الوصاية على المسيحيين، وأعطتْ لنفسها الحق الإلهي المقدَّس، في التكلُّم باسم الله، حيث يوجد في النظام الكنسي الوساطة بين الله والعباد في مغفرة الذنوب، وقررتْ أنَّه لا مغفرة خارج الكنيسة، وجاءوا بمبدأ بيع صكوك الغفران[1]، في التخلُّص من الذنوب. يقول روجيه جارودي : لقد استبعد القرآن الكريم ملكية الحق الإلهي،

---

(١) صكوك الغفران مصطلح شاع في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في القرون الوسطى, وأول صكّ ظهر في عام (١٠٩٥م) عندما عرض البابا إريان الثاني على الذين يشتركون في الحروب الصليبية, مدَّعين أن صاحبه يتحرَّر جزئياً أو كلّياً من الذنوب الدنيوية, ولم يكن رخصة في ارتكاب الذنوب, وقد دخل على صكوك الغفران عنصر آخر فاضح, وهو وجوب الاعتراف بذنوبه سرًّا أمام الكاهن في السنة مرة واحدة, ويدفع مبلغاً من المال مقابل صكّ يحرِّره الكاهن ليكون دليلاً على تحرُّره من الذنوب ودخول الجنَّة, ودفع هذا الأمر بالمسيحيين إلى عدم الشعور بالندم في أرتكاب الفواحش, طالما هناك وسيلة للتخلّص من الذنوب. وقد كان مارتن لوثر، مؤسس الكنيسة البروتستانتية(١٤٨٣-١٥٤٦م) من أشد المحاربين لفكرة صكوك الغفران, واعتبرها عبثاً وضحكاً على عقول النَّاس. ينظر: قصة الحضارة. ٤٢٨/١٦. ومقارنة الأديان -المسيحية- د.أحمد شلبي.ص٢٥٦. ومحاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة. ص١٥٧-١٥٨. وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية أنَّه إذا لم يعترف الخاطيء بكل خطيئة أمام الكاهن بإخلاص وصدق, لا يغفر له.ينظر: الخلاصة الشهية. أفلاطون مطران موسكو. ترجمة يوحنا حزبون.ص١٣٤. وعلم اللاّهوت النظامي .ص١٣٩ وص٩٨٣. ولا يخفى أنَّ هذه العقيدة تخالف سنّة الله في خلقه, الذي كرَّم هذا الإنسان ولم يجعل بينه وبين خلقه واسطة, بل أمر العباد بالرجوع إلى الله في أي وقت شاء قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾. {سورة البقرة (١٨٦)}. لأنه ليس لأحد سرُّ مغفرة الذنوب حتَّى الأنبياء والرسل, إلاَّ أنَّ المسيحية تصرُّ على أنَّ المسيح هو الذي أسَّس سرَّ التوبة بعد قيامته بقوله: ((...كما أرسلني الآب أنا أرسلكم...من غفرتم خطاياهم, تغفر لهم, ومن أمسكتم خطاياهم, أمسكتْ)).{ إنجيل يوحنا (٢٠:٢١-٢٣)}. وهو ما دفع برجال الكنيسة أعطاء حق مغفرة الذنوب لأنفسهم.

الاستبدادي، بالمعنى الغربي، لأنَّه لا يوجد في الإسلام كهنة، ولا كنيسة مؤهلة، قانونياً، بالتكلم باسم الله[1].

٣- الرِّدة في المسيحية:

يوجد في العهد القديم عقوبات شديدة ، لمن يرتكب الأخطاء، لا سيَّما عقوبة الارتداد، وقد جاء المسيح ﷺ وأكَّد على بقاء هذه العقوبات، وزاد عليها بعداً أخلاقياً- كما أشرنا إليه في صفحة(١٠٣) وما بعدها-وحاولتْ الكنيسة تأويل الحروب التي قامتْ باسم الله ، ضدَّ الكفار والخارجين، والتي ورد ذكرها في أسفار التوراة، وخاصة سفر يوشع وصموئيل الأول. تقول الدكتورة أنغبورغ غابرييل[2]: لولم نؤوِّل هذه الروايات، وفقاً لأزمنتها، فإنَّها يمكن أن يستخدم لتبرير الحرب والعنف، ولرفض كلِّ أشكال التصالح مع أناس ينتمون إلى رأي آخر، وفي رأيها، أنَّ العهد الجديد هو المفتاح التأويلي لمثل هذه النصوص في العهد القديم، لأنَّ العهد الجديد، هو تذكير المؤمنين بإحسانات الله، التي ترمي إلى إحلال التصالح والسلام بين جميع البشر[3].

يذِّكر بولس[4]، تلامذه بأنَّ عقوبة مخالفة شريعة موسى كان الموت:((

---

(١) ينظر : ما يُعد به الإسلام. روجيه جارودي.ص٢٦٦. نقلاً عن الإسلام والأديان .مصدر سابق.ص٢٢.

(٢) أنغبورغ غابرييل أستاذة في معهد الفكر والأصول اللاَّهوتية, جامعة فيينا- النمسا.

(٣) ينظر : العدل والسلام والعوامل التي تهددهما. أنغبورغ غابرييل . ص٢٨-٣٩.

(٤) هو بولس(بولص) الرسول الطرسوسي(ت ٦٤-٦٧م) , ينظر إليه على أنَّه ثاني شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح ﷺ ويُعرف عند المسيحيين بـ(رسول الأمم) , ويعتبرونه أبرز مَن بشَّر بالمسيحية في أوروبا, وله رسائل تنسب إليه تتبيَّن ملامح صراع خاضه بولس ليثبت شرعية عمله كرسول للمسيح, وقد ساهم تأثيره في المسيحية بجعله واحداً من أكبر القادة الدِّينيين في العالم المسيحي على مرِّ العصور. ينظر موقع الموسوعة الحرَّة: http||ar.wikipedia.org .تاريخ الخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٢.

تعلمون أنَّ مَن يخالف شريعة موسى كان عقابه الموت دون رحمة، بشهادة شاهدين، أو ثلاثة)) [1]، إلاَّ أنَّه لا يوجد في الأناجيل ما يسمّى بعقوبة الإعدام، وحياة المسيح حافلة بالتسامح مع أعدائه [2]، وبسبب عدم وجود نصوص واضحة، في قضية الرِّدة في الأناجيل، فتبقى المسألة متروكة لاجتهادات رجال الكنيسة. يقول توما الأكويني [3]: إنَّ السلطة المدنية يحق لها أن تعدم الهراطقة، ولو لم يؤلفوا خطراً على الآخرين، لأنَّهم يجدِّفون على الله، ويتبعون إيماناً خاطئاً [4]، وهو يرى أنَّ الدولة نتيجة ضرورية، لأشباع حاجات الإنسان الطبيعية، وأنَّ مهمة الدولة هي تأمين الأمن والسكينة، وتحقيق المصلحة العامة، وهو يعتبر الدولة أدنى منزلة من الكنيسة، وتأخذ العون والمساعدة من الكنيسة، وتكون في خدمتها، وكلُّ دولة تعارض الكنيسة، هي غير شرعية، يمكن إقالتها من قبل البابا، وإعفاء الرعية من الخضوع للدولة [5]، ويدافع عن عقوبة الإعدام وأنَّ الإنسان يفقد كرامته، ومعه حق الحياة، بحجَّة أنَّ الواجب يقتضي إزالة الإنسان الشرير، تماماً، كما يقتضي إزالة العضو المريض من

---

(١) رسالة إلى العبرانيين(١٠:٢٨).

(٢) ينظر : العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل. أحمد الباش. ص٢٥٨.

(٣) توما أو توماس الأكويني (١٢٢٥م–١٢٧٤م) , قسيِّس وراهب كاثوليكي إيطالي, ولد في إيطاليا وتعلّم في جامعة باريس, يعتبر المعلّم الأوّل للكنيسة وحجّتها في اللاّهوت وعلم الأديان والفلسفة المدرسية, أطلع وتأثّر بآراء ابن سينا والغزالي وابن رشد, عن طريق الترجمات اللاتينية. له مؤلفات عديدة منها: (الخلاصة اللاّهوتية) , ضمن فيه آراءه اللاّهوتية والفلسفية. و(الخلق والخالق). ويعتبره المسيحيون فيلسوف الكنيسة الأعظم. والأكويني, نسبة إلى محل إقامته, وهو مدينة أكوين. ينظر:www.ar.wikipedia.org. وwww.wakra.net.|tomas.htm.. تاريخ الدخول في المواقع: ٢٠١١/٥/٥م.

(٤) العدل والسلام والعوامل التي تهددهما. مصدر سابق.ص٢٣٠.

(٥) ينظر : فلسفة القانون .د.حسن ذنون .ص٤٥.

الجسم[1].

اعتبرتْ الكنيسة الغربية المسيحيين الأصليين–الذين بقوا على العقيدة الصحيحة – متمرِّدين يجب معاقبتهم، ووصلتْ بهم الحال إلى إنزال عقوبة الإعدام بحق كلٍّ من يخالف الكنيسة الغربية، وقد تعرَّض للقتل والشنق والحرق كثير من المسيحيين الذين اعتبرتهم الكنيسة هراطقة، وكانت تلجأ إلى الإعدام البطيء، من تسلط الشموع على الأجساد، وقلع الأسنان والكيِّ بالنار والضرب حتَّى الموت. وفي عام ١٥٦٨م أصدر الديوان الكنَسي حكم الإعدام بحق ثلاثين ألف هولندي بسبب إتهامهم بالخروج عن تعاليم الكنيسة. وفي سنة ١٥٧٢ م قام الكاثوليك في فرنسا بقتل البروتستانتيين، غدراً وهم نيام، وقد هنَّأ البابا، الملك تشارلس التاسع(١٥٥٠م–١٥٧٤م) على هذا العمل[2].

ثالثاً / الحرِّية في القرآن الكريم:

إنَّ الإنسان حرٌّ منذ الولادة إلى أن يموت، والحرِّية من أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية، وفي ضوء آيات القرآن الكريم والسنَّة النبوية المطهَّرة، لا قيمة للحياة دون الحرِّية، لأنَّه لا معنى للمسؤولية دون الحرِّية.

الحرِّية ضد العبودية، والإنسان الحرّ، هو غير المسترق، ولا المملوك، ولا المقيَّد بقيد، وتأتي الحرِّية بمعنى: الشرف والطيب والجودة، ويقال: هو من حرِّية القوم،أي: أشرفهم وأفضلهم وخالصهم[3].

وعُرِّفتْ الحريَّة تعريفات مختلفة، فقد عرَّفها إعلان حقوق الإنسان

---

(١) ينظر : الإسلام يسائل الميسحية .مصدر سابق .ص١٨٠–١٨١.

(٢) ينظر : العقيدة النصرانية. ص٢٥٧–٢٥٨. والاضطهاد الديني في الإسلام والميسحية. د.توفيق الطويل.ص٩٠

(٣) لسان العرب. ابن منظور. ٨٢/٤.

الفرنسي، الصادر سنة (١٨٧٩م): هي قدرة الإنسان على اتيان كلِّ عمل لا يضر بالآخرين[١].

وعرَّفها فقهاء القانون: بأنَّها الحقُّ في فعل شيء تسمح به القوانين، أو هي الملكة الخاصة التي تميِّز الكائن الناطق عن غيره، وتمنحه السلطة في التصرف والأفعال عن إرادة وروية، دون إجبار أو إكراه أو قسر خارجي[٢].

وعرَّفها الصوفية:بأنَّها الاسترقاق بالكلِّية من جميع الوجوه، فتكون حرّاً عن كلِّ ما سوى الله[٣]. وقالوا أيضاً: حقيقة الحرِّية في كمال العبودية[٤].

والحرِّية تطلق على معنيين، الأول ضد العبودية وهي: أن يكون تصرّف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرّفاً غير متوقف على رضى أحد. والثاني ناشئ عن الأول بطريق المجاز: وهو تمكن الشخص من التصرّف في نفسه وشؤونه كما يشاء ودون معارض[٥]، يتبيَّن من التعاريف السابقة أنَّ الحرِّية ليست مطلقة، وإنَّما هي مقيدة بعدم الإضرار بالآخرين، وقد قيَّدتها الشَّريعة الإسلامية بقيدينْ[٦]:

الأول: قيد داخلي، ينبعث من صميم النفس، يقوم على السيطرة على

---

(١) ينظر : الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٨٧٩م.

(٢) ينظر: حق الحرِّية في العالم. د.وهبة الزحيلي. ص٣٩. والحرِّيات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة. د.كريم يوسف كشاكش. ص٢٥. وحقوق الإنسان في الإسلام. د. الزحيلي. مصدر سابق. ص١٦٥.

(٣) الفتوحات المكيَّة. ابن عربي. ٢/٥٠٢.

(٤) الرسالة القشيرية في علم التصوف. القشيري. ص٤٥.

(٥) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية. ابن عاشور. ص٣٩٠.

(٦) ينظر : حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية. د.عبدالسلام الترمانيني. ص٢٨. وحقوق الإنسان في

الإسلام. د.محمد الزحيلي. مصدر سابق. ص١٦٦.

النفس، والخضوع لحكم العقل والضمير، وعدم الإضرار بالآخرين.

الثاني: قيد خارجي، تنظمه القوانين، في حالة ضعف القيد الداخلي، وهو في الواقع حماية للحرِّية لا تقييد لها.

يقول الإمام السخاوي(٨٣١-٩٠٢هـ) في قيود الحرِّية: الإسلام أعطى الإنسان الحرِّية وقيَّدها بالفضيلة، حتَّى لا ينحرف، وبالعدل حتَّى لا يجور، وبالحق حتَّى لا ينزلق مع الهوى، وبالخير والإيثار حتَّى لا تستبدّ به الأنانية، وبالبعد عن الضرر حتَّى لاتستشري فيه غرائز البشر[1]، لأنَّ الحرِّية لا تعني التحلُّل من كلِّ الضوابط حتَّى يمس حقوق الآخرين، وإلاّ هي فوضى وفساد. يقول الشيخ محمد أبو زهرة: إنَّ الحرِّية الحقيقية تبتدئ بتحرير النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات، وجعلها خاضعة لسلطان العقل والضمير[2]، لأنَّ الإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية، وهذه الشخصية لا تكون إلاّ مع الحرِّية، فليس للإنسان أن يتحكّم في غيره، وليس للدولة أن تتحكّم في النّاس، وحتَّى العقوبات في الإسلام لا تتَّجه إلى تقييد الحرِّية، لأنَّ التقييد منع للحركة، والحركة هي الحياة، والإسلام دين الحياة[3].

وحقُّ الحرِّية عام وشامل، وأصل لحقوق متعددة، تدخل تحتها حرِّيات مختلفة، منها:

١-حق الحرِّية في الحياة: حياة الإنسان مقدَّسة، وقد خلقه الله لكي يعيش حياة حرَّة كريمة، ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليها، ولا يحق لأحد سلب هذه

---

(١) الإمام السخاوي. د.سيد محمد الساداتي. ص٢٢. نقلاً عن: حق الحرية. مصدر سابق. ص٤١.

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام. د.محمد أبو زهرة. ص٢٨.

(٣) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام. د.محمد أبو زهرة. ص١٨٧.

القدسية، مهما كانت مكانته وسلطانه، إلاّ بسلطان الشريعة، التي تحمي كيان الإنسان، المادي والمعنوي. فالحياة تُعطى وتنتهي بإرادة الله وحده، وأنَّ قتل النَّفس بغير وجه حق محظور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

وقد نصَّ إعلان حقوق الإنسان في الإسلام على أنَّ: الحياة هي هبة من الله، ولكلِّ إنسان الحق فيها، وتقع مسؤولية حماية هذا الحق على عاتق الأشخاص والمجتمعات والدول التي تتحمّل مسؤولية حمايته من الانتهاك أو العدوان، ولا يجوز حرمان أيِّ شخص من حياته، إلاّ لسبب شرعيّ أو قانوني[2]،

من أجل ذلك، فقد شرع الإسلام العقوبات لردع المعتدين على حقِّ الحياة، لتستقر الحياة بلا ظلم ولا عدوان، وكذلك شرع القصاص والحدود والدِّية، حقناً للدِّماء والأرواح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3]، وحرَّم الإسلام الاعتداء على النَّفس بغير حق، وحرَّم التعذيب والتمثيل، وما ينافي حرمة وكرامة الإنسان، في كلِّ الظروف والأحوال، ولكن أجاز الإسلام التعزير للقضاة، في بعض الحالات، تأديباً للمخالفين، وأجاز الضرب غير المبرِّح تخويفاً.

ولأهمية حق الحياة لكلِّ إنسان فقد اعتبرتْ الشَّريعة الإسلامية قتل النفس البشرية البريئة، كقتل النَّاس جميعاً، ومن يحافظ عليها، فكأنَّما حافظ على أرواح النَّاس جميعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن

---

(١) سورة الأنعام من الآية(١٥١).

(٢) إعلان حقوق الإنسان في الإسلام. المادة(٢).

(٣) سورة البقرة(١٧٩).

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1].

٢- حق الحرِّية الدِّينية : يقصد بالحرِّية الدينية، حق الإنسان في اختيار الديانة التي يراها مناسبة له، سواء كانت سماوية أو غير سماوية[2]، أو هي قدرة الإنسان في أن يؤمن بما شاء من معتقدات دينية وفلسفية، دون أن يكون لأحدٍ حق الكشف عمَّا يؤمن به في قلبه وعقله[3].

وأبرز الحرِّيات التي صانها الإسلام وأكّدتها الآيات، هي حرِّية الإنسان فيما يتديَّن به. ويقرر القرآن الكريم حق الحرِّية الدينية، على أساس قيام هذه الحرِّية فعلاً وعملاً، لا دعوى، في أكثر من آية قرآنية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾[4]. قال ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ): أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، فإنَّه بيِّن واضح، جليٌّ في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه، بل مَن هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته، دخل فيه على بيِّنة[5]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا

---

(١) سورة المائدة(٣٢).

(٢) مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية. علي علي منصور. ص٢٢٠.

(٣) المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان. د.ساسي سالم الحاج. ص١٦٠.

(٤) سورة البقرة (٢٥٦).

(٥) تفسيرالقرآن العظيم. ابن كثير. ٦٨٢/١.

(٦) سورة يونس (٩٩).

﴿ هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2].

لذا يجب أن يكون الدخول في الدِّين طواعية، وعن قناعة واختيار، دون جبر أو إكراه[3]، وأن يترك ذلك لعقل الإنسان، وتفكيره غير المأسور لتعصب أو هوى أو تقليد، وقد أعطيتْ للإنسان حريِّة الاختيار، لأنَّه محاسب يوم القيامة[4].

في ذلك يقول سيد قطب(١٩٠٦-١٩٦٦م): وفي هذا المبدأ يتجلّى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترْك أمره لنفسه، فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرُّر الإنساني[5].

ونتيجة لمبدأ الحرِّية الدِّينية، فقد ذهب الفقهاء على أنَّ غير المسلمين من أهل الكتب السَّماوية يتركون وما يدينون، ولا يجبرون على الدخول في الإسلام، وتنفيذ أحكامه، لأنَّ النبيَّ ﷺ لم يجبر أحداً على الدخول في الإسلام، ولا صحابته الكرام.

بل كفَّل الرسول ﷺ حرِّية عقيدة الآخرين، عندما قرَّر في دستور المدينة احترام ديانة اليهود، وأنَّ لهم دينهم، وأعطاهم حرِّية ممارسة شعائرهم، وعاهد أهل نجران، وأمَّنهم على أموالهم وأنفسهم، وأن لا يغير أسقفاً أو راهباً،

---

(١) سورة يونس (٩٩).

(٢) سورة الإنسان (٣).

(٣) سورة القصص (٥٦).

(٤) ينظر : العدل فريضة إسلامية وضرورة إنسانية. د.أسعد السحمراني. ص٦٩.

(٥) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٢٩١/١.

وأوصى جنوده بعدم قتل النساء والولدان، وأصحاب الصوامع، وهم الرهبان، وتكفل حماية الممارسة الدينية لهم في حدود النظام والآداب العامة، وأباح لهم تشييد أماكن العبادة كالكنائس والبيع[1]. وتتجلى الحرِّية الدِّينية في موقف عمر عمر بن الخطابﷺ مع المرأة النصرانية التي جاءتْ إليه في حاجة، فقال لها عمر: إسلمي تسلمي، فإنَّ الله بعث محمداً بالحق، فقالت المرأة: أنا عجوز، والموت إليَّ أقرب، فقضى لها حاجتها، ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوي على استغلال حاجتها، فاستغفر الله وقال:اللَّهم إنِّي أرشدت ولم أُكره[2].

يقول الشيخ محمد الغزالي(١٩٠٧–١٩٩٦م): إنَّ الحرِّية الدِّينية التي كفَّلها الإسلام لأهل الأرض لا يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه في الاعتقاد كلَّ أسباب البقاء والازدهار[3]. وقد أقرَّ علماء الغرب بهذه المسامحة في الإسلام، قال غوستاف لوبون: إنَّ مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، ولم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله، كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وقد صار خلفاؤه على سنته، إنَّ المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم، والتسامح مع الأديان الأخرى[4].

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك: كتاب الخراج لأبي يوسف.ص٧٢. السيرة النبوية .ابن كثير. ١٠٥/٤. والرحيق المختوم. المباركفوري.ص ٤٤٨. وكذلك كتب السيرة الأخرى.

(٢) معاملة غير المسلمين. د.إدوارد غالي. ص٤١. والمجتمع الإنساني. د.محمد أبو زهرة. ص١٩٤.

(٣) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وأعلان الأمم المتحدة. الشيخ محمد الغزالي. ص١١١.

(٤) حضارة العرب. غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. ص١٢٨.

قال توماس أرنولد[1]: لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم، منذ القرون الأولى، وقد استمر هذا التسامح قروناً، ونستطيع أن نحكم بحق أنَّ القبائل المسيحية التي دخلت في الإسلام، إنَّما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرَّة[2].

٣- الرِّدة في الإسلام: إنَّه باب واسع، وقد بحث فيها الفقهاء مفصَّلاً في كتب الفقه[3]، إلاّ أننا أمام مسألة قد تثار، حيث يظهر أنَّ هناك تعارضاً بين حرِّية التديُّن وتحريم الرِّدة في الإسلام، لأنَّ قضية قتل المرتّد تناقض ما قرَّره الإسلام من حرِّية المعتقد، إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[5]، إلاّ أنَّ هاتين الآيتين وغيرهما، تدلان على أنَّ للإنسان حرِّية اعتناق أيِّ دين[6]، ولكن الحرِّية المستنبطة، من هذه الآيات، تكون قبل

---

(١) توماس أرنولد(١٨٦٤-١٩٣٠م) مستشرق بريطاني شهير.تخرَّج من جامعة كمبرج, وعمل أستاذاً في جامعة عليكرا في الهند وجامعة لندن, وجامعة لاهور في باكستان, وألف كتابه الشهير(الدعوة إلى الإسلام) , وكان عضواً لهيئة تحرير دائرة المعارف الإسلاميّة. ينظر: موقع الموسوعة الحرة: http||ar.wikipedia.org. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٥/١٥.

(٢) الدعوة إلى الإسلام. توماس أرنولد. ترجمة حسن إبراهيم وآخرون. ص٥١.

(٣) راجع على سبيل المثال: الحاوي الكبير. الماوردي. ٢/٤٨٠-٤٨٤. المنهاج. النووي. ١/٣٩٩-٤٢٦. والعناية شرح الهداية. ٨/ ١٢٤-١٦٦. والانصاف. الدمشقي. ١٠/ ٢٥٤-٢٦٢. وغيرها...

(٤) سورة البقرة (٢٥٦).

(٥) سورة الكهف (٢٩).

(٦) هذا لا يعني أننا نقرُّ من اعتنق غير الإسلام أنَّه على صواب, لأنَّ الله يقول:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾.{ آل عمران(٨٥)} . فالحرِّية المقصودة, هي الحرِّية

الدخول في الإسلام ، أمَّا إذا اعتنق الإسلام، فلا يسمح له بالخروج منه، فقد أجمع فقهاء الشريعة [1]،على اعتبار الرِّدة جريمة كبرى تستوجب العقاب الشديد، وفي الحقيقة أنَّ هذا العقاب الشديد للمرتدِّ، فرع من حرِّية التديُّن، لأنَّ الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، إلاّ إذا حصل عنده القناعة التامَّة.

ذهب الفقهاء على أنَّه لا يقبل التقليد في العقيدة والإيمان، ولا بدَّ من موافقة العقل والتفكير على ذلك، فإنْ ارتدَّ بعد ذلك، فهو إمَّا أنَّه دخل الإسلام نفاقاً أو رياءً أو لمصلحة، فهذا يتلاعب بالدِّين والمقدَّسات، ويستحق القتل لهذه الجريمة. وإمَّا أنَّه خرج عن الإسلام لوسوسة شياطين الإنس والجن، وهنا يستتاب وتكشف له الحقيقة، فإنْ أصرَّ، فإنَّه يقتل لجريمة العبث بالدِّين، وخروجه عن النظام العام، وخيانته للأمَّة التي ترعاه والدولة التي تحميه[2]، ولا يكون ذلك مناقضاً لحرِّية التديُّن للأسباب التالية[3]:

أ- إنَّ هذه العقوبة ليست مطلوبة لكونها مفسدة، بل لأدائها إلى المصالح المقصودة، وأنَّ الشارع أوجبها لتحصيل مارتَّب عليها من المصالح، وحماية مصالح العباد، فالحدود لا ينبغي أن ينظر إليها بعد الاعتداء

في الدنيا, في الاختيار بين الخطأ والصواب, والحق والباطل.

(١) لقد اعتبر بعض الكتَّاب المسلمين المعاصرين, قتل المرتدِّ جريمة ووصمة عار في الإسلام. راجع على سبيل المثال, كتاب: قتل المرتد الجريمة التي حرَّمها الإسلام. للمؤلف محمد منير إدلبي. حيث يقول: يخطأ من يقول أنَّ الإنسان يقتل لمجرد انتقاله من الإسلام إلى دين آخر, بل لا بدَّ من محاربته للمسلمين, مخالفاً بذلك جميع الفقهاء.

(٢) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام. د.محمد الزحيلي. مصدر سابق. ص١٨٠-١٨١.

(٣) ينظر: قواعد الأحكام . العز بن عبدالسلام. ٩٣/١. والعقوبة. د.محمد أبو زهرة. ص١٤٥-١٥٠ . والمقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام. د.سيد حسن عبدالله. ص٢٠٢. وحق الحياة البشرية. بو مدين أحمد بلختير. ص٣١٨. والتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم. سورحمن هدايات. ص٢٠٥.

على المصالح، وإقامتها على الجناة، وإنَّما ينبغي النظر إليها كرادع قبل وقوع الجريمة، فهي تُحدُّ من الجنايات على المصالح.

ب- إنَّ الدولة الإسلامية قائمة على الدِّين، فمن خرج منه، فقد ناوأها وخرج عليها، وهو يشبه من يرتكب جريمة (الخيانة العظمى)- بالمفهوم المعاصر- ومن فصل الإسلام عن الدولة، فقد فصل اللازم عن الملزوم.

ج- إنَّ المفاسد مطلوب درؤها في الشريعة الإسلامية، والكفر أعظم المفاسد، لذا كان لا بدَّ من درئه، وإنْ كان قتل من يرجع إلى الكفر، بعد الإسلام مفسدة، إلاّ أنَّه جاز لأنَّه أخفُّ مفسدة من مفسدة الدِّين، والضرر الأعظم يدرأ بالضرر الأخفِّ.

د- إنَّه لا يوجد من يرتدّ عن دينه، وهو أصيل في الإسلام، وقد ذاق حلاوة الإيمان، بالله الواحد، فمن يخرج من ديانة التوحيد إلى الوثنية وله منطق، ومن دين كلُّه يسر، إلى دين لا يستطيع العقل استصاغة ما فيه؟!

هـ- إنَّه من غير المعقول أن تغيب اعتبارات قرآنية، بشأن حرِّية العقيدة عن أذهان الصحابة، عندما حكموا بقتل المرتّد، وعن أذهان الفقهاء بعدهم، عندما قالوا بقتله، وتستمر في الغياب، حتَّى جاء الكتَّاب المعاصرون، فقرَّروا أنَّ عقوبة المرتَّد لا تتفق مع روح القرآن، والآيات تؤكِّد الحرِّية!.

وقد أكَّد المدركون من العلماء المعاصرين[1]، عدم الخلط بين مبدأ حرِّية العقيدة، وبين تقرير عقوبة المرتدّ، لأنَّ المرتدَّ معتدٍ على نظام الجماعة

---

(١) منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه المعرَّب: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة. ص١٨١. والشيخ محمد الغزالي في كتابه: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص١١٨. والمستشار علي علي منصور في كتابه: نظام التجريم والعقاب في الإسلام. ٣٨٢/١. والأستاذ عفيف عبدالفتاح طبارة في كتابه القيِّم: روح الدِّين الإسلامي.ص٣٤٢. وآخرون...

المسلمة، ومقوّض لوحدة المسلمين، إنْ تُرك خرب المجتمع، والقرآن نفسه قد كشف عن هذه الحقيقة، لأنَّ الرِّدة لا صلة لها بحرِّية العقيدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

والجدير بالذكر، أنَّ الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر الذين كفروا بعد إيمانهم، ذكرت الجزاء الأخروي على هذه الرِّدة، ولم تذكر العقاب الدنيوي،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[2]، إلاّ في آيــــة الحرابـــــة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3]، فإنَّها ذكرت عقوبة دنيوية مع العقوبة الأخروية، وربَّما هذا الذي دفع ببعض الكتّاب المعاصرين إلى القول بعدم شرعية عقوبة المرتدّ.

وآية الحرابة قد نزلتْ في الذين لم يرتدّوا على الإيمان فحسب، وإنَّما ارتكبوا جريمة مركبة، عندما أضافوا إلى ردَّتهم، سرقة الإبل والقتل والتمثيل بعمال الصدقة[4]،

٤- حق حرِّية التفكير: القرآن حافل بالآيات التي تدعو إلى التفكُّر والتدبُّر

---

(١) سورة آل عمران (٧٢).

(٢) سورة البقرة (٢١٧).

(٣) سورة المائدة (٣٣).

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد. ابن رشد. ٢/٤٥٤-٤٥٩.

وإعمال العقل والمنطق، لتفسير الكون والحياة، وتدعو إلى تقليب النظر وإعمال الفكر والجدل المبني على الأدب والاحترام، للوصول إلى الحقيقة دون قيد على هذا التفكير.

ولا يكتفي الإسلام بضمان حرِّية الفرد في التفكير، بل زاد على ذلك، فاعتبر التفكير والبحث والنظر والتدبر واجباً وعبادة، يثاب عليه الإنسان، وطريقاً صحيحاً إلى الإيمان بالله، واكتشاف آثار رحمته وقدرته، والتأمل في بديع صنعه[1]. دعا القرآن الكريم إلى تحرُّر العقل من الخرافات والأوهام وسلطان التقليد، بغير تدبُّر، ونهى عن اتباع الآباء الكفّار في دينهم دون تفكير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2].

ثمَّ دعا دعوة صريحة إلى إعمال الفكر والعقل والتدبُّر والنَّظر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[6].

وطلب من الإنسان أن يستعمل عقله، ويتأمَّل في خلق السَّموات والأرض،

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية. د.حسين حامد حسان. ص٩٢.

(٢) سورة البقرة (١٧٠).

(٣) سورة آل عمران (١١٨).

(٤) سورة الأنعام (٩٨).

(٥) سورة الروم (٢١).

(٦) سورة محمد (٢٤).

وخلـق نفسـه، ومـا يحـيط بـه، لأنَّ الله أراد أن يسـتدِّل الإنسـان بعقلـه علـى وحدانيتـه وصـدق نبـوة رسـوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[٢].

وقد ذمَّ القرآن الكريم أولئك الذين يلغون العقـل والـتفكير، وأهملـوا البحـث والنَّظر والتدبُّر، وأصبح ذلك سبب الشقاء والهـلاك لهـم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤].

هكذا، فإنَّ الإسلام قد حرَّر العقل، وفتح المجال أمام الفكر والتدبُّر والنَّظر، في كلِّ ما خلق الله في هذا الكون، لنفع الإنسـان، وتكريمـاً للمنزلـة الرفيعـة الـتي نالها.

٥- **التعبير والرأي:** وهي قدرة الإنسان على التعبير عن وجهة نظره بمختلف الوسائل الشرعية، وقد سبق الإسلام كلَّ القوانين والدساتير في جعل

---

(١) سورة آل عمران (١٩٠-١٩١). لقـد وردت كلمـة(أولو الألبـاب) في القـرآن الكـريم سـت عشـرة (١٦) مـرة: سـورة البقـرة(١٧٩, ٢٦٩, ١٩٧). وسـورة آل عمـران(١٩٠, ٧). وسـورة المائـدة(١٠٠). وسـورة يوسـف(١١٠). وسـورة الرعـد(١٩) وسـورة إبـراهيم(٥٢). وسـورة ص(٢٩, ٤٣). وسورة الزمر(٩, ١٨, ٢١). وسورة غافر(٥٤). وسورة الطلاق(١٠).

(٢) سورة الأعراف (١٨٥).

(٣) سورة الملك (١٠).

(٤) سورة الأنفال (٢٢).

إبداء الرأي والنصح والإرشاد والنقد، حقاً من الحقوق، بل جعل النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة دينية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، ووصف أمّة الإسلام بأنّها خير أمّة، لأنّها تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

وجعل القرآن الكريم النصح والتواصي من أسباب النجاة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[4]. وحصرتْ السنّة النبوية الدّين كلّه في النصيحة، عن تميم الدّاريﷺ أنّه قال: قال ﷺ:((الدِّين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم)) [5]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّه قالﷺ:((من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، وإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) [6]، وجعل إبداء الرأي والنُّصح بالحق

---

(١) سورة آل عمران (١٠٤).

(٢) سورة آل عمران (١١٠).

(٣) سورة النحل (١٢٥).

(٤) سورة العصر (١-٣).

(٥) رواه مسلم في صحيحه. باب بيان أنَّ الدين نصيحة. ٥٣/١. رقم(٢٠٥). وابن حبّان في صحيحه. باب طاعة الأئمة. ٤٣٥/١٠. رقم(٤٥٧٤).

(٦) رواه مسلم في صحيحه. باب كون النهي عن المنكر من الإيمان. ٥٠/١.رقم(١٨٦).وأبو داود

أمام السلطان من أفضل الجهاد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال ﷺ :((أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر))[1].

كان الخلفاء والحكّام المسلمون يطلبون من النَّاس إبداء الرأي، ويلتمسون منهم النصح والإرشاد، ويتخذون ذلك ديدناً لهم بجماعة خاصة، وبشكل عام[2].

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمد الله الذي جعل في هذه الأمّة من يقوِّم أعوجاجها، فقال: (الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملتُ عدَّلوني)[3]، وكذلك عندما أراد أن يحدِّد مهور النساء، فقالت امرأة: لا يحق لك ذلك، لأنّ الله يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4]، فقال عمر رضي الله عنه:(أصابت امرأة وأخطأ عمر)[5]، وكان يقول:(رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي)[6].

ويظهر جلياً حرِّية الرأي والتعبير في الاجتهاد، في أمور الدنيا والدِّين، حيث فتح الإسلام الباب على مصراعيه، لكلِّ من هو أهل للاجتهاد، وقد أذن النبيُّ ﷺ لأصحابه وأمَّته، في ممارسة الاجتهاد ممن توفّر فيهم شروط الاجتهاد[7]،

في سننه. ٤٤٣/١. رقم (١١٤٢). وابن ماجه في سننه. ٤٠٦/١ رقم(١٢٧٥). والبيهقي ٢٩٣/٣.رقم(٥٩٩٧). والترمذي. ٤٦٩/٤. رقم(٢١٧٢).

(١) مسند الإمام أحمد. ٢٥١/٥.رقم(٢٢٢١٢). وسنن أبي داود. ٢١٧/٤. رقم(٤٣٤٦). وسنن ابن ماجه. ١٣٢٩/٢. رقم (٤٠١١).والسنن الكبرى. البيهقي. ٩١/١٠ . رقم(١٩٩٧٢). وصححه الألباني.ينظر: صحيح وضعيف الجامع. ٤٢٦/٥.

(٢) ينظر : إشتراكية الإسلام. د.مصطفى السباعي. ص٨٥.

(٣) ينظر: كنز العمال. حسام الدين الهندي. ٥٦٣/١٢.

(٤) سورة النساء (٢٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٢٤٤/٢.

(٦) مفاتيح الغيب. الرازي. ٨٥/٣٢.

(٧) وقد حدَّد الأصوليون والفقهاء في كتبهم شروط وضوابط الاجتهاد والفتوى, منهم على سبيل

فقد روى عمرو بن العاص أنَّ الرسول ﷺ قال:((إذا حكم الحاكم فاجتهد،ثمَّ أصاب فله أجران، وإنْ حكم فأجتهد، ثمَّ أخطأ، فله أجر واحد)) [1].

إنَّ حرية الرأي والتعبير تكون مقيدة، في حال ممارستها بالإيجابية والانسجام مع الحكمة والعقل، ومراعات أدب القول، والتزام اللين والحلم، واجتناب الإثارة والأذى. وقد وردتْ آيات القرآن الكريم تجسِّد تلك الحقيقة، منها قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]،وقوله:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[3]، وقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[4]، وفي حال الجدل والمناظرة دعا القرآن إلى الإحسان في القول،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5]، وقال:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[6].

المثال: الإمام ابن صلاح الشهرزوري في كتابه: أدب المفتي والمستفتي. والإمام النووي في كتابه: آداب الفتوى, وغيرهما.

(١) رواه البخاري في صحيحه.باب أجر الحاكم. ٢٦٧٦/٦.رقم(٦٩١٩).ومسلم في صحيحه.باب أجر الحاكم. ١٣١/٥.(٤٥٨٤).

(٢) سورة آل عمران (١٥٩).

(٣) سورة الإسراء (٥٣).

(٤) سورة الأحزاب (٧٠).

(٥) سورة العنكبوت (٤٦).

(٦) سورة فصلت (٣٤).

وبالجملة فإنَّ الإسلام أعطى حرِّية الرأي في حدود الأدب، وأن لا تـؤدِّي إلى العداوة والبغضـاء وفحـش القـول، لأنَّ الله يقـول: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[1].

هذا يدل على أنَّ الشريعة تجمع بين الحرِّية والتقييد، والأصل هو حرِّية الرأي، وتقيَّد بما يمسُّ الأخلاق والأدب والنظام، وهذه الحرِّية تقوم على النظر العلمي والعقل، وتنفع الأفراد والأمم، وتنمي الإخاء والاحترام، وتقضي على النعرات الشَّخصية[2]،

٥- حرِّية العمل وكسب الرزق: العمل هو أساس الحياة، وكلُّ تقدم وتحضّر ورفاهية وعيش كريم مرتبط بالعمل وبما يقدِّمه الإنسان من جهد، لذلك أهتم القرآن الكريم بالعمل، حيث وردت كلمة العمل ومشتقاتها في القرآن، في أكثر من خمسمائة (٥٠٠) آية، تتحدث عن العمل ومنزلته ومسؤولية العامل وحقوقه، وتتضمَّن أحكاماً شاملة ومتنوعة، ولا يضع القرآن أيّ قيْد على العمل وكسب الرزق إلاّ في حدود الحلال والحرام والآداب العامة.

وأنَّ الله استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها والتمتُّع بطيِّباتها، وسخَّر له الأرض، وأعطاه حرِّية البحث عن الرِّزق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولًا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3]، وجعل العمل-مطلق العمل الدِّيني والدنيوي واجباً على الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ

---

(١) سورة النساء (١٤٨).

(٢) ينظر: الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة. د.يوسف كريم كشاكش. ص١٦١-١٦٢. والتشريع الجنائي الإسلامي. عبدالقادر عودة. ١/٣٣-٣٤. والمجتمع الإنساني. د.محمد أبو زهرة. ص٢٠٠.

(٣) سورة الملك (١٥).

وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾[1]، وأمر العباد بالسعي والعمل، بعد صلاة الجمعة،حيث قال:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وجعل للعمل شرفاً وفضلاً، وربط بين العمل والثواب،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[3]، وقال:﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾[4]، وعلى الرغم من أنَّ الرزق مكفول ومقسوم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[5]، وقال:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[6]، إلاّ أنَّ الله دعا الإنسان إلى أن يسلك أسباب المعيشة، وأمره بعمارة الأرض، وقرن بين سبل العيش والتكريم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[7]. فإذا حصل الإنسان على لقمة العيش بسعيه وكفاحه، كان عزيزاً كريماً، لا يخضع لغير خالقه، والذي يقعد عن السعي، ولم يركب براً ولا بحراً، ولم يطلب رزق ربه، ولم يبتغ فضل مولاه، لم يكن أهلاً للكرامة التي منحها له ربُّه، لأنَّه ترك أسبابها[8].

---

(١) سورة التوبة (١٠٥).

(٢) سورة الجمعة (١٠).

(٣) سورة فصلت (٣٣).

(٤) سورة آل عمران (١٩٥).

(٥) سورة الذاريات (٢٢).

(٦) سورة هود (٦).

(٧) سورة الإسراء (٧٠).

(٨) ينظر : حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية. د.حسين حامد. مصدر سابق. ص٥٩-٦٠.

هذا العمل الذي جعله الله فريضة، وبه قوام الحياة، جعله منوطاً بقدرة الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[1].

وقد أكّد الرسولﷺعلى العمل وحثَّ عليه، عن المقدامﷺ أنَّه قالﷺ:((ما أكل أحد طعاماً خيرٌ من أن يأكل من عمل يده، وكان نبيُّ الله داوود يأكل من عمل يده))[2]. وعن أبي بردة ﷺ أنَّه قالﷺ:((أفضل الكسب، بيع مبرور وعمل الرجل بيده))[3]، ودعا إلى إتقان العمل، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّه قالﷺ:((إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتْقنه))[4]، وقال أيضاً:((لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب، خير له من أن يسأل النَّاس، أعطوه أو منعوه))[5].

وحذَّر الرسول ﷺ من الكسل والخمول والتواكل[6]، حيث جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يسأله: أيعقل ناقته أو يتركها ويتوكّل على الله؟ فقالﷺ:((أعقلها وتوكّلْ))[7].

---

(١) سورة البقرة (٢٨٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه.باب كسب الرجل وعمله بيده. ٧٣٠/٢. رقم(١٩٦٦).

(٣) مسند الإمام أحمد. ٤٦٦/٣.رقم(١٥٨٧٤).قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف. والجامع والجامع الكبير. السيوطي. ٤٣٥٧/١. رقم(١٥٠).

(٤) المعجم الأوسط .الطبراني. ٢٧٥/١. رقم(٨٩٧). والجامع الكبير. السيوطي. ٨٨٥٩/١. رقم(٢٦٤٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه. باب الاستعفاف. ٥٣٥/٢. رقم(١٤٠١).

(٦) التواكل: هو ترك العمل بحجة أنَّ الله يرزقه, وهذا ممقوت ومذموم شرعاً بخلاف التوكل. والتوكل: هو الاعتماد على الله مع الكسب والعمل. ينظر : الاعتدال في التديّن. د.محمد الزحيلي. ص٧٧.

(٧) سنن الترمذي. ٦٦٨/٤. رقم(٢٥١٧), وصحيح ابن حبّان. ٥١٠/٥. رقم(٧٣١). وقال شعيب

وضرب بنفسه المثل، ومارس العمل واقعاً، فكان يرعى الغنم قبل البعثة، وعن أبي هريرة ﷺأنَّه قالﷺ:((ما بعث الله نبيّاً إلاّ رعى الغنم))[1]، وكان ﷺ يتَّجر بمال خديجة.

وسرُّ اهتمام الإسلام بالعمل والحثِّ عليه، وعدم الكسل والخمول، هو الحفاظ على مكانة الإنسان وكرامته، وحتَّى يعيش الإنسان حرّاً عزيزاً لا يخضع إلاّ لله.

رابعاً / أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتب السَّماوية في مسألة الحرِّية

-**أوجه الاتفاق:** الحرِّية صفة كيانية، وهي حق من حقوق الإنسان الأساسية، وبدونها يستحيل استمرار الحياة وتطورها. وقد أقرَّتْ الكتب السَّماوية هذا الحق، وأكدَّتْ أنَّ الإنسان حرٌّ في اختيار الديانة التي يرتضيها عقله وضميره، وأنَّ الحياة مقدَّسة، والحفاظ على هذه القدسية، إنَّما يتِّم من خلال التأكيد على الحقوق.

-**أوجه الاختلاف:** يمكن استخلاص أهم نقاط الاختلاف فيما يأتي:

١- رغم ما يُفهم من نصوص التوراة في التأكيد على الحرِّية، وأنَّ حياة الإنسان مقدَّسة، ولا يجوز قتل الإنسان من قبل أخيه الإنسان؛ إلاَّ أنَّ اليهود حصروا هذا الحق وضيَّقوا نطاق الألفاظ في الفرد اليهودي فقط، وكذلك الإنجيل أكَّد على الحرِّية، ولكنَّه من جانب آخر أكَّد أنَّ الإنسان حبيس الخطيئة(خطيئة آدم)، فهو ليس حرَّاً، وإنَّما بحاجة إلى الحرِّية، لكي يتخلَّص من الخطيئة، من خلال القدرة على فعل الخير. وبالمقابل ورد في القرآن الكريم نصوص صريحة في أنَّ الإنسان حرٌّ في الفعل والاختيار والتفكير والرأي، ما لم يضرُّ بالآخرين،

شعيب والألباني: حديث حسن

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب رعي الغنم على قراريط. ٢/٧٨٩. رقم(٢١٤٣).

وأكّدَ على حرمة النَّفس البشرية، دون أيِّ اعتبار، ولا يجوز إزهاقها إلاّ بحقّ.

٢- لا يوجد في التوراة، ما يؤيِّد حرِّية اختيار الدِّين، ربَّما لأنَّ اليهودية ديانة قومية وليست تبشيرية، ممّا يعني أنَّ اليهودي ليس مختاراً في رفض العقيدة اليهودية، بل هو يهودي ومؤمن، وفق نظرية شعب الله المختار. وفي الإنجيل إشارات تؤيِّد حرِّية قبول أو رفض العقائد المسيحية، إلاّ أنَّ المسيحية ديانة مفتقرة إلى التشريع، ليست فيها شريعة مميّزة، بل تعتمد على ما يصدر من المجامع الكنسية، في معظم القضايا. أمَّا القرآن الكريم، فهو يعطي الحرِّية المطلقة للإنسان في اختيار الدِّين، ويدعو إلى عدم الإكراه، ويؤكّد أنَّ الهداية بيد الله، وبنصوص صريحة.

٣- إنَّ عقوبة المرتدِّ في التوراة هي القتل، حيث ورد أنَّ من يخالف عقيدة اليهود، وأحكام ومبادئ التوراة، فهو يستحق الموت، بل نجد عقوبة الموت مترتِّبة على جرائم خفيفة في عرف القانون، وسوف نستدل على ذلك، في مبحث الكرامة والتشريع. ومسألة المرتدِّ في الإنجيل ليس هناك حكم واضح، بل هي أيضاً متروكة للكنيسة.

وليس في القرآن الكريم آية واضحة تبيِّن حكم المرتدِّ في الدنيا، وإنَّما ذكر العقاب الأخروي، ولكن ثبت في أحاديث صحيحة أنَّ المرتدَّ يُقتل، وقد تباينت آراء المدارس الفقهية والفكرية في مسألة المرتدِّ، وقد استدل الرافضون لهذا الحكم بجملة أدلة منها: أنَّه يناقض مبدأ حرِّية الدخول، وأنَّ القرآن الكريم لم يذكر حكماً معيناً، وأنَّ القتل يناقض مبادئ الحرِّية وحقوق الإنسان....أمَّا القائلون بقتل المرتدِّ، فقد استدلوا بأحاديث صحيحة، وعلّلوا ودافعوا عن هذا الحكم، وقالوا أنَّ الذي يدخل في الإسلام عن حرِّية وقناعة، يستحيل أن يرتدَّ، أمَّا الذي يرتدُّ لشبهة، فهو يُستتاب ويعود إلى الإسلام، والذي يرتدُّ في حقيقة

الأمر، فإنَّه إمَّا دخل الإسلام نفاقاً، أو لتحقيق مصلحة، أو لكيد وعداوة، فهذا يستحق القتل، لأنَّه يكون مصدر تهديد للدولة والدِّين، وشبَّهوا هذا الحكم بحكم، الخيانة العظمى، في هذا العصر.

٤- لعلَّ ما ينفرد به القرآن الكريم في هذا المجال، هو أنَّ القرآن أعطى للإنسان حرِّية التفكير، بل دعا إلى إعمال العقل والفكر والنظر، في المسائل الدينيِّة والدنيوية، وأيضاً أعطى له حرِّية التعبير عن الرأي وإبداء المواقف، ومواقف الرسولﷺ والخلفاء، ومسألة الاجتهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خير دليل على ذلك.

المطلب الثاني: تكريم الإنسان في العدالة والمساواة[1]

أوَّلاً / في التوراة:

من حيث النصوص، ليس هناك تمايز بين اليهود وغيرهم في تحقيق مبدأ العدالة والمساواة، حيث جاء:((بحسب فرائض الفصح وأحكامه، فريضة واحدة يكون لكم، للدخيل والأصيل في أرضكم)) [2]، وجاء:((النفس التي تخطأ هي وحدها تموت، الأبن لا يحمل إثم أبيه، والأب لا يحمل إثم ابنه، الخير يعود على صاحبه بالخير، والشرُّ يعود على صاحبه بالشرِّ، والشرير الذي يتوب....ويحكم بالحق والعدل، فهو يحيى ولا يموت)) [3]، وجاء:((ولا يقتل

---

(١) إنَّ الربط بين مبدأي العدالة والمساواة في مطلب واحد في هذه الدراسة, جاء نتيجة التداخل والتقارب بين المبدأين من حيث المعنى من جهة, وربط التوراة والإنجيل بينهما من جهة أخرى. أمَّا في القرآن الكريم, فقد فضَّلتُ البحث عنهما بشكل منفصل, بعد هذه الصفحات.

(٢) سفر العدد(٩:١٤).

(٣) سفر حزقيال(١٨:٢٠-٢٢).

الآباء عن الأولاد، ولا الأولاد عن الآباء، كلُّ إنسان بخطيئته يُقتل))[1]، جاء هذا الحكم نافياً لـ:((الأبن يحمل إثم أبيه إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضيه)) [2]، ونافياً كذلك لـ:((الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء ضرستْ)) [3]، وأكّد أرمياء النبي في سفره أيضاً، نفي هذا الحكم:((كلُّ واحد بذنبه يموت، كلُّ إنسان يأكل حصرماً تضرس أسنانه)) [4].

ووردت أحكام تدعو إلى المساواة وتحقيق العدالة،من ذلك:((سافك دم الإنسان، بالإنسان يسفك دمه))[5]، وكذلك:((إذا نزل عندك غريب في أرضكم، فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون حكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك)) [6]، وأيضاً :((لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً من أخوتك، أو من الغرباء الذين في أرضك...)) [7].

وقد امتدح الله الملك أمْصَيا، ملك اليهود، لأنَّه قتل الذين قتلوا أباه، ولم يقتل أولادهم، تنفيذاً لشريعة الربّ[8].

هكذا نجد في العهد القديم نصوصاً كثيرة تدعو إلى عدم التفريق بين اليهودي وغير اليهودي، سواء في التشريع أو التعامل، وإلى جانب هذا، توجد نصوص أخرى تدعو إلى التفريق بين اليهودي وغيره، علماً أنَّ اليهود حاولوا

---

(١) سفر التثنية(٢٤:١٦).

(٢) سفر حزقيال(١٨:١٩).

(٣) سفرحزقيال(١٨:٢-٣).

(٤) سفر إرمياء(٣١:٣٠).

(٥) سفر التكوين(٩:٦).

(٦) سفر اللاويين(١٩:٣٣-٣٤). وكذلك ورد مثله في سفر العدد(١٥:١٥-١٦).و(٢٩:٣٠).

(٧) سفر التثنية(٢٤:١٤-١٥).

(٨) سفر الملوك الثاني(١٤:٥-٦).

تأويل النصوص التي تدعو إلى المساواة لصالح اليهود، فالغريب هو اليهودي من غير بني إسرائيل، والرفيق حصروه في الرفيق اليهودي، وغير اليهود ما خُلقوا إلاّ لخدمة اليهود.

لا يوجد في العهد القديم ما يدعو إلى انصهار اليهود على قدم المساواة مع غيرهم بحسب الإيمان، وإنَّما بحسب انتمائهم[1]، أي الانتماء إلى القومية اليهودية.

ثانياً / في الإنجيل:

نادتْ المسيحية بالمساواة الطبيعية[2]، بين الأفراد، وقالتْ: إنَّ هذه المساواة إنْ تعذَّر قيامها في العالم الزمني، فهي حقيقة بالنسبة للعلاقة بين الخالق والمخلوق، فهناك مساواة تامة، بين بني البشر أين ما كان، وحيث ما كان، فهم جميعاً على ذات الصلة بالله عزَّوجلَّ، وهذه العلة تجعل الجميع متساوين، في كلِّ شيء[3]، وجعلتْ البشر جميعاً أبناء الله[1].

---

(١) ينظر: اليهودية والغيرية. مصدر سابق. ص١٠٨.

(٢) المساواة الطبيعية, أو الحقوق الطبيعية, هي نتيجة حتمية لما يسمّى بالقانون الطبيعي, والذي يعرَّف عند القائلين به: (مجموعة القواعد التي تفرضها الطبيعة, لحكم سلوك البشر). وعرَّفه شيشرون, بعد صدور قانون الشعوب الروماني:(أنَّه القانون الذي ينبع من الطبيعة, ويجد مصدره في العقل, ومن ثمَّ فهو يسمو على جميع قوانين البشر, ولا يختلف من بلد إلى بلد, ويسوِّي بين الأفراد, ويقيم العدالة بينهم). وفي العصور الوسطى, اصطبغ القانون الطبيعي بالصبغة الدِّينية, فاعتبره رجال الدِّين المسيحي القانون الإلهي الثابت والعام, وأنَّ واضعه هو الله, يتوصَّل إليه البشر عن طريق الوحي لا العقل, وكان توما الأكويني من أشد المناصرين للقانون الطبيعي. ينظر: دروس في أصول القانون.د.جميل الشرقاوي.ص٩٩.وأصول الفكر السياسي.د.ثروت بدوي. ص١٥٠. والفكر السياسي الغربي. د.علي عبدالمعطي. ص١١٠-١١١.وأصول القانون. د.السنهوري ص٤٦.

(٣) ينظر : حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي.مصدر سابق.٩٣.

((حتَّى نصير نحن أبناء الله)) [2].

قال بطرس[1]:((ليس فرق الآن بين يهوديّ وغير يهوديّ، وبين عبدٍ وحرّ،

---

(1) هذه البنوة مجازية لاحقيقية, ولا يقصد به المعنى الحرفي, ولا يفيد الولادة الطبيعية, ويجب أن نستبعد الولادة الجسدية من أذهاننا, لأنَّه لا يتفق مع روحانية الله وطبيعته, بل يقصد به الإخاء الإنساني والمقربين إلى الله والمؤمنين به. وقد أطلق هذا اللفظ في العهد القديم على كثيرين من الأنبياء والمؤمنين والملائكة. ينظر: حق الحرِّية في العالم. مصدر سابق.ص٥٥. ومشكلات العقيدة النصرانية.د.سعدالدين صالح.ص٦٦. واللاّهوت في إنجيل يوحنا. أنسطاسي شفيق .ص١٠٩. ومفهوم(ابن الله) , الذي أطلق على المسيح عليه السلام أصله من الفكر اليوناني, وأنَّ المسيح لم يقل أنَّه ابن الله, والحواريون لم يقولوا أنَّه ابن الله, ولم يرد في الأناجيل (ابن الله) , إلاّ في إنجيل يوحنا(٣٤:١) , وقد أطلق عليه يوحنا المعمدان, بل ورد في الأناجيل:(ابن الإنسان) و(ابن داود) و(ابن آدم) و(ابن مريم). والذي أدخل إلى المسيحية (ابن الله) ؛ هو بولس الرسول, لأنَّ أعمال الرسل دوِّنت قبل تدوين الأناجيل. يقول نظمي لوقا: فقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته وأنَّه ابن الله, وأنَّه الإله الواحد, جوهر واحد له ثلاثة أقانيم....ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه (الأناجيل) , إشارة إلى ذلك, بل كان يدعو نفسه على الدوام: (ابن الإنسان) ينظر: محمد الرسالة والرسول.القس د.نظمي لوقا. ص٦٥. والمسيحية نشأتها وتطورها.شارل جنيبر.ترجمة عبدالحليم محمود.ص٣٩. والخلاص المسيحي. د.أحمد علي عجيبة. ص٣٣١ وموسوعة الأديان في العالم–المسيحية– ص٢٤٦–٢٤٩. أمَّا إطلاق لفظ (الإله) على المسيح وغيره, إنَّما هو من قبيل المجاز المطلَق, فقد أطلق على موسى عليه السلام:((فقال الرب لموسى: أنظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبياً)).{سفر الخروج (١:٧)} . وأطلق على حكام وقضاة بني إسرائيل:((الله قائم في مجمع الله, في وسط الإله يقضي)).{سفرالمزامير(١:٨٢)} . وجاء على لسان داود:((أنا قلت أنّكم آلهة وبنو العلي كلكم, لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون)).{سفر المزامير. (٦:٨٢–٧)} . يقول محمد مرجان: إطلاق لفظ الإله على هؤلاء كان يعني, في نظرهم, تكريم الشخص الموصوف به, باعتباره قريباً من الله وعاملاً بوصاياه. ينظر: المسيح إنسان أم إله. محمد مجدي مرجان .ص١٩١–١٩٢. والخلاص المسيحي. د.أحمد علي عجيبة.ص٣٥٥.

(2) رسالة غلاطية (٥:٤).

بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد في المسيح يسوع)) [٢].

والملاحظ، أنَّ المسيحية قامتْ بصبغ الفلسفة القديمة، بنزعة تجعلها ملائمة للعقيدة الجديدة، وخاصة الأفكار الخاصة بالقانون الطبيعي من ضرورة الدولة لإقامة العدل [٣].

وقال بطرس:((أرى أنَّ الله، في الحقيقة، لا يفضِّل أحداً عن أحد، فمن خافه من أية أمَّة كانتْ، وعمل الخير، كان مقبولاً عنده، أرسل كلمته إلى بني إسرائيل، يُعلن بشارة السلام، بيسوع المسيح، الذي هو رب العالمين)) [٤].

ولمَّا كان جميع البشر من طبع واحد، كان من الضروري أن تعمَّ المساواة بينهم جميعاً [٥]، وهذا يعني أنَّ جميع النَّاس لهم الكرامة ذاتها، دون تميِّز بين واحد وآخر، وأنَّهم جميعاً صورة الله وأبناؤه بنعمة التبني، لأجل ذلك كانتْ الكنيسة وما تزال وستبقى تدافع عن فكرة المساواة هذه، وتتمسك بها [٦]، وأنَّها أساس التعاون والأخوة بين أبناء الجنس البشري الواحد، من هنا، كان لجميع البشر الحقوق الأساسية نفسها [٧].

---

(١) هو القديس بطرس أو سمعان بطرس(ت ٦٤م) , وهو أحد رسل المسيح الأثني عشر, وقد لقَّبه المسيح بالصخرة – حسب رواية الكتاب المقدّس. ينظر: الموسوعة العربية المسيحية. والمشترك الإنساني. د. راغب السرخابي. ص٢٧٤.

(٢) رسالة غلاطية (٣:٢٨)..

(٣) ينظر : حقوق الإنسان .د.فضل الله محمد.مصدر سابق.ص٩٣.

(٤) أعمال الرسل(١٠:٣٤-٣٥). جاء هكذا في نسخة الكاثوليك العربية.ط ١٩٩٣م.وجاء(رب النَّاس أجمعين) في نسخة الآباء اليسوعيين.ط ١٩٩١م.و(رب الجميع) في كتاب الحياة. ط ١٩٨٨م. و(هذا هو رب الكل) في النسخة الوطنية فانديك. ط ١٩٧٧م.

(٥) ينظر : رسالة الشؤون الحديثة رقم (٣٠). ورسالة فرح ورجاء رقم (٢٩).

(٦) ينظر : رسالة أمّ ومعلمة رقم (٢٠٩).

(٧) ينظر : رسالة فرح وجاء رقم (٢٩).

على الرغم من أنَّ السيد المسيح عليه السلام جاء داعياً إلى المساواة، بين جميع البشر، إلاّ أنَّ ضغط الرومان على أتباعه، أضطر أتباع المسيحية إلى التخلّي عن تعاليمها الأصيلة، وأعلنتْ أنَّ المساواة التي تدعو إليها، هي مساواة في الروح[1]، واعتبر المخاطبون هنا، أعضاء الجماعة المسيحية وحدهم، وبذلك نشأتْ علاقة أخوية بين المسيحيين، أمَّا غير المسيحيين، فكان الاهتمام لأمرهم، أنَّهم أُعتبروا مدعوين لأن يصيروا، هم أيضاً، أعضاء في الجماعة المسيحية[2].

في المفهوم المسيحي، أنَّ السلام والعدل مرتبطان الواحد بالآخر، فقد جاء:((ومع العدل يجيء السلام)) [3]، هنا قد يظن المرء، أنَّ العدل شرط سابق سابق للسلام ، ولكن ورد في العهد الجديد:((حيث يسود السلام تزرع بذور العدل)) [4]، فكأنَّ السلام هو شرط سابق للعدل، بعكس النصِّ الأول، ممَّا يعني يعني الترابط بنوع خاص، لا يمكن الفصل فيه، مرة واحدة، عن جميع الأحوال، وبنوع مجرد[5].

ويعتقد المسيحيون أنَّ صفة العدل كان يقتضي على الله أن يعاقب ذرية آدم، بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم، وبمقتضى صفة الرحمة، كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة– في نظرهم–إلاَّ بتوسط ابن الله يعيش بين البشر، ويصلب ظلماً،

---

(١) ينظر: الرِّق ماضيه وحاضره.عبدالسلام الترمانيني.ص٢٩. نقلاًعن: التعايش السلمي. سو رحمن هدايات.ص٣٦.

(٢) ينظر : السلام والعدل والعوامل التي تهددهما.مصدر سابق .ص٢٢٩.

(٣) سفر أشعياء (١٧:٣٢).

(٤) سفر يعقوب (١٨:٣).

(٥) ينظر : المجمع الفاتيكاني الثاني رقم (٢٩). والسلام والعدل.مصدر سابق.ص١٦٨.

ليكفّر عن خطيئة البشر، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة، فنال البشر العفو والغفران[1].

ثالثاً / في القرآن الكريم:

١- **العدالة:** العدل والقسط شعار جميع الرسالات السَّماوية، وشريعة كلِّ الأنبياء والمرسلين، وفي الإسلام أقوى وآكد، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾[2]. وذِكْر الحديد في سياق هذه الآية، يدل على أنَّ الحديد- وهو رمز القوة -ينبغي أن يكون وسيلة لأقامة العدل وإحقاق الحق، وليس وسيلة للتسلُّط والجبروت والاستبداد[3].

والعدل عبارة عن الأمر الوسط بين الأفراط والتفريط، وذلك أمر واجب رعايته في جميع الأشياء[4]، وهو في الإسلام دائم وشامل ومستمر، ما بقي الدِّين والشرع، أيّاً كانت الأنظمة القائمة وصورها، فهو لا يترك مجالاً في الحياة ولا سلوكاً ولا تصرفاً ولا فعلاً ولا عملاً، ولا غير ذلك من الأمور إلاّ أقامه على الحق[5].

لأنَّ الوسط المعتدل، هو الذي جاء به محمدﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ

---

(١) ينظر : الخلاص في المسيحية. د.أحمد علي.ص٧٤.والمسيحية في الإسلام.القس إبراهيم لوقا.ص١٧١.

(٢) سورة الحديد (٢٥).

(٣) ينظر : حقوق الإنسان في السلم والحرب. د.علي عبدالرحمن الطيار. ص٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب. الرازي. ٨٢/٢٠.

(٥) ينظر : الإسلام وحقوق الإنسان. صبحي عبده سعيد. ص٧١.

﴾[1].

إذا كان لكل دين سمة يتَّسم بها، فسمة الإسلام هي العدل، وهو شعاره وخاصيته. والعدالة، هي الميزان المستقيم، الذي يحدِّد العلاقات في حال السلم والحرب، فهي القسطاس المستقيم الذي توزع الحقوق، وبه تحمى وبه تنظم الوجود الإنساني[2].

وأنَّ الله أمر نبيَّه ﷺ بإقامة العدل، قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[3]، لأنَّها واجبة ولازمة في كلِّ الأحوال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[4]، مطلقة وثابتة زماناً ومكانا، وبين جميع النَّاس، مسلمين وغير مسلمين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[6]. قال أبوبكر الجصاص(٣٠٥-٣٧٠هـ): تضمن الأمر بالعدل على المحق والمبطل، وأنَّ ظلم الكافرين لا يمنع من تطبيق العدل عليهم، وأن لا يتجاوز في قتلهم وقتالهم ما يستحقون، وأن يقتصر بهم على

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

(٢) ينظر : الإسلام وحقوق الإنسان. مصدر سابق. ص٨١. والعلاقات الدولية في الإسلام. د.محمد أبو زهرة. ص٣٦.

(٣) سورة الشورى (١٥).

(٤) سورة النحل (٩٠).

(٥) سورة المائدة (٨).

(٦) سورة النساء (١٣٥).

المستحق، من القتل والأسر والاسترقاق، دون المثلة بهم وتعذيبهم وقتل أولادهم ونسائهم، قصداً لإيصال الألم والحسرة والقهر إليهم[1]. وقال ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[2]: أمر بالعدل حتَّى مع المشركين[3].

وجاءتْ الأوامر والنواهي لتطبيق مبدأ العدل، ثمَّ شرعت أحكام الإيمان والعقائد والعبادات لإيجاده وتحقيقه، وشرعت أحكام الدعوة والجهاد لحفظه وحمايته، من أجل الحفاظ على كيان الإنسان والمجتمع، باعتباره قيمة تتصدر كلَّ القيم والثوابت التي يدعو إليها الإسلام[4].

ووضع ابن تيمية(٦٦١-٧٢٨هـ) قانوناً هامّاً في العدالة، حيث قال: إنَّ الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإنْ كانت مسلمة، والدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام[5].

فإذا طبِّقت هذه العدالة في جميع مجالات الحياة، وهذا ما تطلبه آيات القرآن، فإنَّ آثارها في الحكم، توفر صيانة الأعراض والنفوس، ويتناسب مع تكريم الله للإنسان.

٢- **المساواة**: المساواة هي أساس كلِّ الحرِّيات[6]، وهي أساس مبدأ

---

(١) أحكام القرآن. الجصاص. ٤/٣٩-٤٠.

(٢) سورة البقرة (١٩٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ١/٥٢٧.

(٤) ينظر : الإسلام وحقوق الإنسان. صبحي عبده سعيد. ص٤٢,٦٨-٦٩.

(٥) الاستقامة. ابن تيمية. ٢/٢٤٧.

(٦) كان تعريف قدماء اليونان للحرِّية, بأنَّها مشتقة من المساواة, ولذا غدا لديهم المثل السائد:(السائد:(المساواة في الظلم أو الاستبداد حرِّية) , وكان لدى العرب مثل معروف:(المساواة في الظلم عدل). ينظر : الحرِّيات العامة نظرات في تطورها وضماناتها ومستقبلها.

الشرعية والعدالة، فإذا لم يحترم مبدأ المساواة، تنهار في المجتمع قيم كثيرة، إحداها الحرِّية[1]. ومبدأ المساواة وارد في جميع الأديان السَّماوية، وقد جاء في الإسلام بصورة مطلقة، يختلف عن أي دين آخر، حيث جعل النَّاس متساوين في أصل الخلقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]، ومتفاضلين في الدرجة والمنزلة، بفعل التقوى والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

وقد حصر المفسِّرون معنى المساواة في هذه الآية، في نفي التفاضل والتفاوت في الأنساب، لأنَّ عرب الجاهلية كانوا يتفاخرون في الأنساب. قال الزمخشري(٤٦٧-٥٣٨هـ) في معنى قوله تعالى:(مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ): من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كلَّ واحدٍ منكم من أب وأم...فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب، وقال في قوله تعالى:(شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ): والمعنى أن الحكمة التي من أجلها رتَّبتم على شعوب وقبائل، هي أن يعرف بعضكم نسب بعض....وأنَّ الخصلة التي بها يفضَّل الإنسان على غيره، ويكتسب الشرف والكرم عندالله،

د.عبدالحميد متولي. ص٦٥.

(١) ينظر: الوجيز في حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. د.غازي صباريني. ص٢٢٤. والنظم السياسية. د.ثروت بدوي. ص٣٣٨. ومفاهيم اجتماعية بين الإسلام والنظم الوضعية. د.حسن محمد نورالدين. ص٨٢.

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الحجرات (١٣).

هو التقوى، لا أنسابكم[1]، إلاّ أنَّ مجال نفي التفاوت والتفاضل، أوسع بكثير ممّا حصر فيه المفسِّرون، لتشمل جوانب أخرى، كاللّون والمال والجاه.... وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة لا مجال لذكرها هاهنا.

والحقيقة الموضوعية والواقعية، أنَّ الأفراد غير متساوين من الناحية الجسمانية أو الفكرية أو الأخلاقية أو الاجتماعية، فالمساواة الطبيعية غير موجودة، لأنَّ النَّاس خلقوا متفاوتين في التكوين والعمل والذكاء، والاستعدادات والمواهب.

ولوجود هذا التفاوت الطبيعي بين البشر، لا نقرُّ قول من يقول: أنَّه ليس هناك وجود للمساواة الاجتماعية بين البشر، لاختلاف النَّاس في الغنى والفقر، والحسب والنسب، والظلم والجهل[2].

ومن جانب آخر، هناك آيات تقرِّر تفضيل النَّاس بعضهم على بعض، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ

---

(١) الكشّاف. الزمخشري. ٣٧٨/٤.

(٢) ينظر: أركان حقوق الإنسان. د.المحمصاني. ص٢٥٠. والمفاهيم القانونية لحقوق الإنسان. مصدر سابق. ص١٢١.

(٣) سورة النساء (٩٥).

(٤) سورة النساء (٣٢).

(٥) سورة فاطر (١٩).

ﭐلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1]، وواضح هنا، أنَّ التفضيل راجع إلى أمور تدخل في معنى التفضيل بسبب التَّقوى والعمل الصالح.

هذا التصريح في القرآن، بتفضيل بعض النَّاس على بعض، ليس إقراراً وتكريساً للتفاوت، وإنَّما هو وصف لواقع هو نتيجة عمل الإنسان، سواء تعلَّق الأمر بالأعمال التي تورث الفضل في الآخرة، أم بالتي ينتج فيها التميِّز في الدنيا بالمال أو غيره، وما يقدِّمه الإنسان لربِّه ولنفسه ولمجتمعه[2]، ليكون ذلك وسيلة للتعارف والتميِّز والتسمية، لا للتناحر والتطرف والعنصرية، وهذا التفاضل، في نظر شريعة الله ، إنَّما يجري على أساس الأعمال، ومبلغ المحافظة على حدود الدِّين.

قضتْ الشريعة الإسلامية على كلِّ أنواع التفرقة العنصرية بين البشر، بسبب اللَّون أو الجنس أو العقيدة، عن أبي نضرة أنَّه سمع النبي ﷺ في حجَّة الوداع يقول:((يا أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجميّ، ولا لأعجميّ على عربيّ، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلاَّ بالتقوى، كلُّكم من آدم وآدم من تراب)) [3]، وقال في حقِّ سلمان الفارسي رضي الله عنه، الذي كان رقيقاً فحرَّره: ((سلمان منَّا آل البيت)) [4]، وكان

---

(١) سورة الزمر (٩).

(٢) ينظر:المساواة في الإسلام. د.علي عبدالواقي. ص٩. والديمقراطية وحقوق الإنسان. د.محمد الجابري. ص٢٣١

(٣) مسند الإمام أحمد. ٤١١/٥. رقم(٢٣٥٣٦). والمعجم الأوسط. الطبراني.٨٦/٥). ومسند الصحابة في الكتب التسعة. ٢٢٢/٥١. والجامع الكبير. السيوطي. ٢٦٧٥١/١. رقم(٦٤٢).

(٤) المعجم الكبير. الطبراني. ٢٢٠/٥.رقم(٥١٤٦). والمستدرك على الصحيحين. النيسابوري. ٦٩١/٣. رقم (٦٥٤١). والآحاد والمثاني.عمرو بن ضحاك الشيباني. ٥٤/٤. ورد في الفتاوى الحديثية. ١/ ٩٥. أنَّه حديث ضعيف، وحسّنه الترمذي.

صهيب الرومي وبلال الحبشي من العبيد وأصبحوا من كبار الصحابة، وساوى الإسلام بين هؤلاء وبين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) وهذا دليل قاطع على القضاء على العصبية والقومية

وقد عاتب الله نبيَّه ﷺ بسبب أنَّه أعرض عن عبدالله ابن أم مكتوم، وهو أعمى، وأظهر الكراهية في وجهه، فنزلتْ سورة عبس[1].

وكان النبيُّ ﷺ حريصاً على تطبيق مبدأ المساواة بين النَّاس، ويظهر ذلك جلياً في موقفه مع المرأة المخزومية التي سرقتْ، والتي كانتْ من أشراف قريش، فتكلَّم النَّاس إلى أسامة بن زيد، وهو حِبُّ رسول الله ﷺ، حتَّى يشفع لها، فغضب النبيُّ من أسامة وقال له: أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟. فقام خطيباً وقال ﷺ:((إنَّما أهلك من كان قبلكم أنَّهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، وأيمن الله لو أنَّ فاطمة بنت محمدٍ سرقتْ لقطع محمدٌ يدها)) [2].

وهناك الكثير من شواهد التاريخ الإسلامي، التي تعَّد خير دليل على ما قام به المسلمون من تطبيق لمبدأ المساواة، منها، قصة جبلة بن الأيهم[3]، وهو من أشراف قريش، عندما داس على ثوبه أعرابي فلطمه جبلة، فشكاه الأعرابي إلى عمربن الخطاب ﷺ فأراد عمر أن يقتَّص من جبلة، فهرب إلى الشام

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني. ٨/٦٩١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب كراهية الشفاعة في الحد. ٦/٢٤٩١. رقم(٦٤٠٦). ومسلم في صحيحه. باب قطع السارق الشريف وغيره. ٥/١١٤. رقم(٤٥٠٥). وابن ماجه في سننه. ٢/٨٥١. رقم(٢٥٤٨).

(٣) هو جبلة بن الأيهم الغسَّاني ملك آل جفنة, أسلم أيام عمر ﷺ وقدَّم المدينة مع خمسمائة فارس وهم يلبسون الوشي المنسوج بالذهب, فرح المسلمون بإسلامه, وخرجوا للقائه. البداية والنهاية. ابن كثير. ٦/٣٨٦. والوافي بالوفيات. الصفدي. ٤/٢.

وتنصّر[1]، وكذلك قصة المصري الذي شكا إلى عمرﷺ من أحد أبناء عمرو بن العاص، الذي ضرب المصري بالسوط لأنّه سبقه، وقال له: أنا ابن الأكرمين كيف تسبقني؟ فدعا عمر عمرواً وابنه في موسم الحج، وقال للمصري: أضرب ابن الأكرمين[2].

هكذا فإنَّ الإسلام قد كرَّس، وبصريح القرآن والحديث، المساواة الطبيعية في أصل الخلقة، وكرَّس وأكّد عملياً على المساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة في الإنسانية وأمام القانون، وأنّه قضى على العصبيات، لأنَّه دين عالمي ليس مقصوراً على زمان وبيئة معينة، وأنَّه جاء لتكريم الإنسان، وأعطائه المنزلة التي يستحقها.

رابعاً / أوجه الاتفاق والاختلاف في العدالة والمساواة

-أوجه الاتفاق: إنَّ الأمر بإقامة العدل والمساواة بين النَّاس، شعار جميع الرسالات السَّماوية، وشريعة جميع الأنبياء، وكان هدف هذه الرسالات القضاء على الظلم، وإحقاق الحق، والعودة بالبشرية إلى رحاب التوحيد، وتحقيق العدالة والمساواة بين البشر، بعد أن عمَّتْ الوثنيات وأهدرتْ الحقوق.

-أوجه الاختلاف:

إنَّ نصوص التوراة واضحة وصريحة في الدعوة إلى إقامة العدل والمساواة بين البشر، وهي شديدة القسوة في الحكم على المخالفين والمتجاوزين إلاّ أنَّه ورد إلى جانب هذه النصوص ما يدل على التفاضل، والتفريق بين اليهودي

---

(١) ينظر تفاصيل القصة: سير أعلام النبلاء. ٥٣٢/٣. والبداية والنهاية. ٦٣/٨. وشذرات الذهب. ٢٧/١.

(٢) ينظر: حياة الصحابة. الكاندهلوي. ٢٣١/٢. ومحض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب. يوسف بن حسن. ٤٧٢/٢.

وغيره في بعض الجوانب، ممّا يعني القضاء والطعن في مصداقية مبـادئ العدالـة والمساواة الواردة في التوراة.

نادتْ المسيحية بالمساواة الطبيعية بين البشر، وأنّهم متسـاوون أمـام الله، وإنْ تعـذر قيـام المسـاواة في العـالم الـزمني، لأنّهـم أبنـاء الله بـالتبني، إلاّ أنّ الضغط والاضطهاد الذي تعرض لـه المسـيحيون جعلـهم يتخلّـون عـن المبـادئ الأصيلة، وأعلنوا أنّ المساواة هي فقط في الروح، بين الجماعات المسيحية، وأنّ غيرهم مدعوون لأن يصيروا، هم أيضاً، أعضـاء في المسـيحية، وربـط المفهـوم المسيحي بين العدل والسلام، بحيـث لا تسـتطيع أن تقـرر أيُّهمـا أسـبق وأولى. ويعتقد المسـيحي أنّ العـدل يقتضـي معاقبـة ذريـة آدم، بسـبب الخطيئـة، وأنّ رحمة الله تقتضي المغفرة ؛ فجاءوا بعقيدة توسط ابن الله، وهـو المسـيح، لكـي يُصلب ظلماً، ليكفّر عن خطيئة البشر، وبهذا يحقق العدل، وتكتمل الرحمة!.

بينما نجد في القرآن الكريم، أنّ العدل والمساواة مبدآن شاملان ومسـتمران في كلّ الأشياء، وأنّ سمـة الإسـلام هـي العـدل والمسـاواة، وربـط بينهمـا وبـين العقيدة، وأكّد أنّ جميع البشر متساوون، وأنّ التفضيل إنّما يكـون بمـا يقدّمـه الإنسان من تقوى وعمل صالح، وقضى الإسلام على التفرقة العنصـرية، بسـبب اللّـون أو الجـنس أو العقيـدة، وسـاوى بـين العبـد والحـرّ في المنزلـة والإيمـان، وشواهد التاريخ كثيرة على ذلك.

المبحث الثالث
مظاهر تكريم الإنسان في العبادة

المطلب الأول: العبادة في التوراة

التوراة كتاب سماوي، بغضِّ النَّظر عن التحريف الذي وقع فيه، يشتمل على أنواع العبادات القولية والعملية، وأكَّد القرآن الكريم ذلك،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، وتفصيلاً لكلِّ شيء، إشارة إلى القسم العملي[2]، إلاَّ أنَّ اليهود لم يثبتوا على حال معينة في العبادة، بل تطوَّرتْ إلى جانب تطور العقائد[3].

يخبرنا التوراة، أنَّ اليهود لم يثبتوا على عقيدة التوحيد الصافية، بل نظروا

---

(١) سورة الأعراف(١٤٥).

(٢) الأديان في القرآن. د.محمود الشريف. ص١٥٤.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي. –أطواره ومذاهبه – د.حسن ظاظا. ص١٦٩.

إلى الأقوام الأخرى وقلّدوهم، وقدّسوا آلهتها وعبدوها، وحتّى معبودهم الخاص (يهوه)، لم يعطنا التوراة فكرة واضحة عن كيفية عبادته.

لذا تفهم العبادات في اليهودية وطبيعتها، شكلاً وأداءً، لا يكون إلاّ من خلال عبادات الأقوام الأخرى، الذين خالطوا اليهود، فكانوا أرفع منهم فكراً وتنظيماً، فاقتبسوا منهم صوراً من الطقوس، وأدخلوها في عباداتهم. يقول غوستاف لوبون: لم تكن الديانة اليهودية في كلِّ زمان مطابقة لما نسميه اليوم باليهودية[1]. ومن جهة أخرى، الفِرق اليهودية مختلفة فيما بينها، في الفرائض الدينية، سواء كانت الفرائض المكتوبة أو المروية.

ولمّا كانتْ العبادات تمثِّل عصب الحياة لكلِّ ديانة، إلاّ أنَّ اليهود غيَّروا وطوَّروا من طقوس عباداتهم، فأمستْ عباداتهم مزيجاً من طقوس الأقوام غير اليهودية[2].

وطبعتْ الديانة اليهودية بطابع مادي، حيث يقولون في الصلوات:(يا الله بارك أرضنا وآجعلها مثمرة، وكنِّزْ نتاجها)، وهذا دليل على ميلهم الى المادية، وما ينتجه الأرض هو للتمتع، ولهذا فإنَّ الطعام والجنس والأشياء المستطابة مباركة لديهم[3].

وأوّل عبادة عرفها اليهود، هو الصوم[4]، بعد شعيرة تقديم القرابين في الهيكل[5]، ولكن ليس كتشريع وفريضة ملزمة، مستقلاً عن باقي الشعائر[1].

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. غوستاف لوبون. ص٥٩.

(٢) العبادات في الأديان السماوية. عبدالرزاق الموحي. ص٦٢.

(٣) ينظر موقع: http||ar.wikipedia.org. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٥/٢٦.

(٤) الصوم في القديم والحديث. أبو الفتوح ناصر الدين الكاملي. ص٢١. نقلاً عن: العبادات.مصدر سابق. ص١٠٠.

(٥) اليهود كانوا يقدِّمون أوَّل مولود من الحيوانات ضحية لآلهتهم, وكذلك أوائل الغلاّت, وقديماً

المطلب الثاني: العبادة في الإنجيل

العبادة ركن أساسي في الأديان السَّماوية، لأنَّها الرباط المعنوي، الذي يربط بين العابد والمعبود، وهي فروض، والقيام بها يحقق إنسانية الإنسان، ويحفظ كرامته، ويحافظ على الفارق الكبير بين العبد والمعبود.

وقد ربط الإنجيل بين العبادة وتحقيق الحياة الحرَّة الكريمة، قال بولس:((فأطلب قبل كلِّ شيء أن تقيموا الدعاء والصلاة والابتهال والحمد من أجل جميع النَّاس، ومن أجل الملوك وأصحاب السلطة، حتَّى تحيا حياة مطمئنَّة هادئة، بكل تقوى وكرامة)) [٢]، إلاَّ أنَّ هذه العبادة ليست خالصة للّه، بل هي عبادة من أجل الآخرين.

ونجد في المسيحية أنَّها خفَّفتْ من شأن العبادات، وتحوَّل اهتمامهم إلى المسيح، والخطيئة، وكيفية التخلّص منها، وقيَّد رجال الكنيسة والكهنة، العبادة في الأديرة والمعابد، واخترع بعض رجال الدِّين عبادات لم تكن مألوفة عند اليهود، وهي عبارة عن ترتيلات وأناشيد، في أوقات غير محددة، ولا يقابلها لا ثواب ولا عقاب، فضلاً عن صعوبة أدائها، وعدم فهمها.

أمَّا الصّلاة والصيام والسجود، لتهذيب النفس وتقويتها، فليس فرضاً على المسيحي بل متروكة لمزاجه، لأنَّه ليس بحاجة إلى ذلك، بسبب عقيدة الكفارة والفداء وطبيعة الشرّ الكامنة في الإنسان، وإلغاء الخير، وإنَّما الواجب

وفي فترات من تاريخهم كانوا يقدِّمون الضحايا من البشر, كما فعل يفتاح– أحد قضاة بني إسرائيل – عندما قدَّم ابنته الوحيدة وفاءً بنذره عند رجوعه منتصراً في معركة مع العمّونيين. ينظر: موسوعة الكتاب المقدّس. ص١٣٤٦.

(١) العبادات في الأديان السماوية. مصدر سابق. ص١٠٠.

(٢) رسالة تيموثاوس(١:٢–٣)

عليه الخضوع للكنيسة، التي هي- في نظر المسيحي-جسد المسيح[1]، حيث ورد:((أنَّ المسيح رأس الكنيسة، والتي هي جسده، وملؤه ، وهو يملك كلَّ شيء، في كلِّ شيء)) [2].

المطلب الثالث: العبادة في القرآن الكريم

إنَّ وصف الإنسان بالعبودية ليس انتقاصاً من قيمته وإنسانيته، ولا ينطوي على أيِّ تحقير للإنسان، بل على النقيض من ذلك، إنَّه يعني أسمى درجة يمكن أن يبلغها المسلم، لأنَّ الله لا يكرِّم أحداً ثمَّ ينتقص من هذه الكرامة، بل العبودية من أشرف مراتب الدِّين، وهو الإحسان، حيث جاء في حديث جبريل:((... ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك)) [3].

وورد في القرآن الكريم وصف العبودية ملازماً للأنبياء، وهم صفوة البشرية وأكرم الخلق، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾[4]،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي

---

(1) ينظر : ملكوت الله في النصرانية والإسلام.مصدر سابق. ص١١٢.وموقع:www.maarifa.org|index. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٩/٥/ ٢٠١١.

(2) رسالة أفسس (١:٢٣).

(3) هذا جزء من حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه. باب سؤال جبريل النبيﷺ. ٢٧/١.رقم(٥٠). ومسلم في صحيحه. ٢٨/١. باب معرفة الإيمان والإسلام. رقم(١٠٢). و٣٠/١.رقم(١٠٦). والإمام أحمد في مسنده. ٢٧/١. رقم(١٨٤).وابن حبان في صحيحه. ٣٧٥/١.رقم(١٥٩).

(4) سورة ص (٤١).

وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1]، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[2]، وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾[3]، ووصف أكرم خلقه محمداً ﷺ بالعبودية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[4].

وأصل العبادة هو محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحبُّ كلُّه لله، فلا يحب معه سواه[5]، وأنَّ تمام العبودية هو بتكميل مقام الذُّل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية، أكملهم ذُلاً لله وأنقياداً[6].

وهذه العبودية هي من كمالات النفس وحرِّيتها، لأنَّ في الحرِّية تمام العبودية، وفي تحقيق العبودية تمام الحرِّية[7].

وكذلك الطاعات والعبادات، فإنَّها شرِّعتْ ليصل الإنسان إلى السعادة الحقيقية، في الدنيا والآخرة. فالانقياد لأوامر الله ونواهيه، والالتزام بها، تقرِّب الإنسان إلى الله، وتبعده عن مكايد الشيطان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ

---

(١) سورة ص (٤٥).

(٢) سورة ص (٤٤).

(٣) سورة النساء (١٧٢).

(٤) سورة الإسراء (١).

(٥) مدارج السالكين. ابن القيِّم. ١/٩٩.

(٦) مفتاح دار السعادة. ابن القيِّم. مصدر سابق. ١/٢٨٩.

(٧) ينظر : أحكام الصيام وفلسفته. د.مصطفى السباعي. ص٧٧.

أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [1]، وأنَّ التقوى والإيمان والعمل الصالح، هي التي تجلب للإنسان قيمته،قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[2]،وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3]، ومعلوم أنَّ التقوى لا تأتي إلاّ من خلال الأخلاص لله، في الانقياد والعمل الصالح، والتمسك بمنهج الله .

قال الطباطبائي (١٩٠٣-١٩٨١م)، وهو من كبار علماء الشيعة، في تفسير الآية:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4]: إنَّما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة، حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح[5]، وقال ابن القيِّم(٦٩١-٧٥١هـ) سمعتُ ابن تيمية يقول: أعظم أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[6]، فعلينا أن نكون أصحاب استقامة، لا طلاب كرامة، لأنَّ ربنا يطالبنا بالاستقامة.

وقد وضع الله الرُّخص في العبادات، مراعاةً لأحوال الإنسان المتقلبة، وتسهيلاً له في حالة الضعف والمرض، وما يطرأ

---

(١) سورة العنكبوت (٤٥).

(٢) سورة يونس (٦٢-٦٣).

(٣) سورة الحجرات (١٣).

(٤) سورة البقرة (٦٢).

(٥) الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي. ص١٩٣.

(٦) مدارج السالكين. مصدر سابق. ٢/١٠٥. وورد هذا في المستدرك على الفتاوى. ابن تيمية. ١/ ١٥٣.

فـــي الحياة مـــن حـــوادث، تجــعل القـــيام بالعـــبادة أمراً عســـيراً، وهـــي أيضـــاً، مظـــهر مـــن مظاهر التكـــريم الإلهي للإنســـان.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في العبادة

-أوجه الاتفاق: تتفق الأديان السَّماوية في أنَّ العبادة ركن من أركان الدِّين، وأنَّها لا تعني وضع القيود على الإنسان، وإنَّما تعني جعل الإنسان في وضعه المناسب، الذي من أجله خُلق، وأعطائه المنزلة التي يستحقها، وأنَّ العبودية هي من أشرف المراتب، ووصف الإنسان بها، ليس انتقاصاً من قيمته واحترامه، بل هو من تمام كرم الله لهذا المخلوق، وأنَّ الله وصف بها أشرف خلقه وهم الأنبياء والرسل.

-أوجه الاختلاف: إنَّ الشيء الذي يؤكّده التوراة، ويتفق عليه العلماء، أنَّ اليهود لم يستقرّوا على عقيدة وعبادة واحدة، بل استمروا في التحريف والتبديل في العبادة شكلاً وأداءً، متأثرين بعبادات الأمم التي خالطوها، بل أكثر من ذلك، أنَّ الفرق اليهودية لم تتفق في أمر العبادات فيما بينها، وحصروا أمر العبادة في المعابد، وأماكن خاصة.

لم نجد في الأناجيل الاهتمام بالعبادات، بل خفّفوها وجعلوها متروكة لمزاج الشَّخص المتديِّن، وربطوا بين العبادة والحياة الكريمة، وأنَّ العبادة تقام من أجل الآخرين، وليس من أجل أنَّها عبادة مفروضة تقام لله.

وفي القرآن الكريم هناك ارتباط وثيق بين خلق الإنسان والعبادة، ولا يوجد في القرآن الكريم ما يدل على أنَّ العبادة تعني، تقييد حرِّية الإنسان والتقليل من قيمته، بل يؤكّد على أنَّها أعلى مراتب سلم الإنسانية، وربط بين العبادة

والثواب والعقاب، وأنَّها تحقق إنسانية الإنسان، والعبادات واضحة وصريحة وثابتة من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة، ويعتبر المسلم القيام بالعبادات من كمالات النفس، وأنَّها مفروضة عليه، بأشكال معروفة، وفي أوقات معلومة، وبصورة ميسَّرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .....وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ..... ﴾[1].

(١) سورة الحج من الآية(٧٨).

المبحث الرابع
تكريم الإنسان في التشريعات السَّماوية

المطلب الأوّل: تكريم الإنسان في شريعة التوراة

إنَّ الشريعة اليهودية هي شريعة كهنوتية[1]، عنصرية[2]، رغم المرونة والعدالة الإنسانية الظاهرة، في بعض نصوص التوراة، منها:((فمتى بعتَ صاحبك، أو اشتريتَ من يد صاحبك، فلا يغبن أحدكم أخاه، فلا يغبن أحدكم صاحبه، بل إخشَ إلهك)) [3]، وكذلك:((إذا افتقر أخوك وقصَّرتْ يده عندك، فاعضده، غريباً أو مستوطناً، فيعيش معك، لا تأخذ منه رباً ولا مرابحة...)) [4]، إلاَّ أنَّ صاحبك هو اليهودي، أمَّا غير اليهودي، فغشُّه قربة[5]، والأخ المشار إليه في النَّص، هو اليهودي أيضاً. وقد فسَّر علماء اليهود عبارة:(غريباً أو مستوطناً) بقولهم: سواء كان يهودياً في الأصل، أوالمتهودين المتغرِّبين في

---

(١) شريعة كهنوتية يعني أنَّ كهنة اليهود قاموا بوضعها, وليست هي نفس الشريعة المنزَّلة على موسى عليه السلام لأنَّ اليهود حاولوا التخلُّص من قيود التشريعات والتحايل عليها, بأية وسيلة, لتعطيل الشرائع وتفريغها من محتواها التربوي والإنساني, وهو الأمر الذي أكّدته نصوص التوراة, من أنَّ اليهود لم يقبلوا شرائع موسىعليه السلام, وقالوا له– كما يذكر ذلك الطبري وابن كثير في تفسيرهما بقولهما–: لن نقبل حتَّى نعلم ما جاء فيها من فرائض وحدود, فإنْ كانت يسيرة قبلناها, فراجعوه مراراً, فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع إلى السَّماء, فقال لهم موسى يقول الرَّب: إنْ لم تقبلوا التوراة بما فيها, لأرمينَّكم بهذا الجبل, فسجد اليهود على حاجبهم الأيسر ونظروا إلى الجبل بالعين اليمنى, ولذلك فليس في الأرض يهودي إلاَّ ويسجد على حاجبه الأيسر, وهي سجدة اليهود إلى اليوم, ويقولون: هذه السجدة هي التي رفعتْ عنَّا بها العقوبة. ينظر: جامع البيان. الطبري. ٢١٩/١٣. وتفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ٥٠٠/٣.

(٢) مفصَّل العرب واليهود في التاريخ. د.أحمد سوسة. ص٤٤٧. والعنصرية تعني: أنَّها مالتْ لصالح اليهود.

(٣) سفر اللاويين(٢٥:١٤–١٨).

(٤) سفر اللاويين(٢٥:٣٥–٣٨).

(٥) ينظر: الإسلام واليهودية–دراسة مقارنة–. ص٥٠٧.

أرضك[1]، وعلى هذا، فحتّى لفظ (الغريب) ليس المقصود منه غير اليهودي. وجاء أيضاً:((وتحب رفيقك كما تحب نفسك)) [2]، فالرفيق والغريب والأخ هو اليهودي، وليس أيُّ إنسان آخر[3].

ومن المآخذ التي تؤخذ على تشريعات التوراة جميعاً، رغم العدالة والمروءة الموجودة فيها، أنَّها خاصة باليهودي، أمَّا غير اليهودي فلا حقوق له، لأنَّه إمَّا يقتل أو يطرد، ومَن استبقى فهو يكون عبداً إلى الأبد[4].

ولهذا نجد أنَّ شريعة التوراة مبنية على القتل العام، ومحو شعوب البلاد المحتلة، سواء كانوا أسرى حرب أو مسالمين، ولا فرق بين محارب أو شيخ أو امرأة أو طفل، فالكلُّ يذهبون طعاماً للسيوف، وهذا يلاحظ في النصوص التشريعية التي تذكر الأوامر الإلهية عند خروجهم من مصر، ومرورهم في صحراء سيناء، في سفر الخروج وسفر التثنية، وما ورد في سفر الملوك والقضاة. وللوقوف على طبيعة الشريعة التوراتية، نستعرض بعض التشريعات والأحكام الشديدة التي تخالف مبدأ التكريم الإلهي للإنسان، وتخالف مبدأ العقوبة من جنس العمل، ومالتْ كثيراً لصالح اليهود، منها:

اولاً / حكم ضرب الوالديْن ولعنهما: بسبب أنَّه ورد في الوصايا العشر:((أكرم أباك وأمك))، فقد جاءتْ أحكام التوراة شديدة بشأنهما، حيث ورد:((مَن

---

(١) تفسير سفر اللاويين. القس نجيب جرجيس. ص٣٤٨.

(٢) سفر اللاويين(١٩:١٨).

(٣) ينظر: التاريخ اليهودي. إسرائيل شاحاك.مصدر سابق. ص٥٩-٦٠. وشرح أحكام التوراة. مصدر سابق. ص٣٧٠.

(٤) ينظر: دراسة في التوراة والإنجيل. د.كامل سعفان. ص١٠٩.

ضرب أباه أو أمه، فليقتل قتلاً... ومَن لعن أباه أوأمه فلْيقتل قتلاً)) [1]، وجاء في شرح أحكام التوراة: أنَّ مَن لا يكرِّم، تقصَّر أيامه بالقتل، لئلا تطول[2].

ثانياً/ حكم الخطف: ورد في التوراة:((مَن خطف أحداً، فباعه، أو وجد في يده، فليقتل قتلاً)) [3].

رغم أنَّ الأبوين لهما من الحقوق والاحترام على الأولاد، وأنَّه لا يجوز خطف الإنسان، إلاَّ أنَّ هذه الأحكام فيها من الشدَّة والتعسف، ما لايخفى على أحد، لأنَّ قتل الإنسان في حدِّ ذاته، بمجرد الضرب أو اللّعن والخطف، يعتبر تعسفاً، ولا يحقّق العدالة.

ثالثاً/ حكم سرقة الحيوان: ((إذا سرق أحد ثوراً أو خروفاً، فذبحه وباعه، فليعوِّض بدل الثور خمسة، وبدل الخروف أربعة)) [4]، وجاء:((وإنْ وجد السارق وهو يسرق، فضرب وقتل، فدمه مهدور، وإنْ قبض عليه بعد شروق الشمس، فلا يهدر دمه، وإنَّما يعوِّض بدل المسروق، وإنْ كان لا يملك شيئاً، فليبع بما سرقه))[5]، فليس هناك حكم محدَّد في السرقة، وإنَّما يدور بين القتل والتعويض والبيع بالمسروق.

رابعاً/ حكم الربا: حاول اليهود عبر التاريخ احتكار السلع والإبقاء على

---

(١) سفر الخروج(٢١:١٥و١٧). وسفر اللاويين(٢٠:٩).

(٢) شرح الأحكام الشرعية في التوراة. فادي فرج. ص٥٣.

(٣) سفر الخروج(٢١:١٦). وسفر التثنية(٢٤:٧).

(٤) سفر الخروج(٢١:٣٧).

(٥) سفر الخروج(٢٢:١–٣).

أســرار المهــن، حتّــى لا يتــاح للآخــرين الحصــول علــى المعلومــات، وكــان للجيتو[1]،اليهودي دور خطير في هذا المسار، وكان مفهوم الاحتكـار والاسـتعباد أساساً في التفكير اليهودي[2]، واليهود هم أوَّل مَن أبدعوا الرِّبا في التاريخ[3].

ومن المعروف أنَّ الربا محرَّم بين بني إسرائيل:((لا تقرض أخاك بربا، ربـا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما، مِّما يقرض بربا)) [4]، وكذلك:((إنْ أقرضـتَ لشعبي الفقير الـذي عنـدك، فـلا تكـن لـه كـالمرابي، لاتضـعوا عليـه ربـاً)) [5]، وجـاء:((لا تأخـذ منـه مرابحة....فضـتك لاتعطيـه بالربـا)) [6]، هـذا إن كـان الشَّخص الفقير يهودياً، أمَّا إنْ كان من غير اليهـود، فشـريعتهم تبـيح الربـا مـع الأجنبي:((...للأجنبي تقرض بربا)) [7]، بل التلمود تجبر الربـا مـع الأجـنبي،

---

(١) الجيتو: مصطلح يطلق على المناطق والأحياء الخاصة بـاليهود, الـذين عاشـوا منعـزلين عـن الأغيار في مناطق خاصة بهم, نتيجة للاتصالات الوثيقة بينهم, وأنهم شعب الله المختار, ولهم انتمائهم وطموحاتهم وتصوراتهم الخاصة بهم. وأصل هذا المصطلح غير معروف بدقة, يقـال أنَّه يعـود إلى: فلجيتـو,(Villgetto) , حـي اليهـود في البندقية(مدينـة في إيطاليـا) أو يعـني مصنع المدافع الذي أقيم بجوار هذا الحي. وقيـل أنَّـه مشـتق مـن الكلمـة الألمانيـة: جهكـتر أورت (Geheckter ort) , التي تعني: المكـان المحاصـر بالأسـوار. وقيـل أنَّـه جـاء مـن الكلمة العبرية:(جيت) , التي تعني: الانفصال أو الطلاق. وتاريخياً يعود ظهور هذا المصطلح إلى زمن الرومان الذين أسَّسـوا منـاطق خاصـة بـاليهود, في المـدن الرومانيـة في أوروبـا, بعـد عصر الشتات اليهودي. ينظر: موسوعة اليهـود واليهودية.مصـدر سـابق. ٤/٦٦و ١١/١٨١. وسفر التاريخ اليهودي. رجا عرابي.مصدر سابق. ص٢٥٥.

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٣/٢٥٧.

(٣) الشخصية الإسرائلية. عبده الراجحي. ص٥٤.

(٤) سفرالتثنية(٢٣:١٩).

(٥) سفر الخروج(٢٢:٢٥).

(٦) سفر اللاويين(٢٥:٣٥-٣٧).

(٧) سفر التثنية(٢٣:٢٠).

وكأنَّـه أمـر إلهـي، وأنَّ بعـض اليهـود يـرون أنَّـه لا خـلاص لمـن تـرك التلمـود واشتغل بالتوراة، وأنَّ أقوال علماء التلمود أفضل من شريعة التوراة، وقـد بلـغ بهم الكفر إلى أن قالوا: إنَّ الله يستشير- والعياذ بالله- الحاخامات عندما توجد مسألة لا يمكن حلُّها في السماء، ومن يخالف أقوال الحاخامات يعاقب بالقتل، أمَّا من يخالف شريعة التوراة، فإنَّه قد يغفر خطيئته[1].

وقد برَّر اليهود أخذ الربا من غير اليهود، بأنَّه عقاب لهم لعبادتهم الوثنيـة، يقول نجيب جرجيس، وهو أحد المسيحيين المعاصرين من مفسّري الكتاب المقدّس: صرح لهم الوحي بأخذ الربا من غير اليهود....استنكاراً لشناعة العبادة الوثنية، وإعلاناً لغضبه عليهم، ورغبته في معاقبتهم[2].

بل السبب هو حرص اليهود على المال، فهم يضحُّون بكلِّ القيم، العرض، الأخلاق، الدِّين، المروءة، في سبيل الحصول على المنافع المالية، ويظنون أنَّ مَن أوتي المال، فقد أوتي السيادة والعزَّة والسعادة[3]،

والعجب أنَّ النصارى يؤمنون بالعهد القديم، ويعرفون أنَّ تحريم الرِّبا لا يشملهم، لذا فالنصراني عندما يحتاج إلى المال، ويستقرض اليهودي، وهو بدوره يستولي على أمواله من كل جهة، ويضيف الرِّبا الفاحش إلى الرِّبا الفاحش، حتّى يرهقه ويعجز عن إيفائه، أو حتّى يضاهي المال مع فائدته أملاك المسيحي، وعندئذ يستولي اليهودي على أملاكه بمساعدة الحاكم[4].

وبسبب أنَّهم كانوا يسلفون الأموال للملوك والأمراء، في أوروبا، ويأخذون

(١) ينظر: مقارنة الأديان- اليهودية- مصدر سابق. ص٢٧٤ . والذين حملوا التوراة. د. سعدى. ص١٧٦. والتاريخ اليهودي. إسرائيل شاحاك. مصدر سابق. ص٦٦.

(٢) تفسير سفر اللاويين. نجيب جرجيس. مصدر سابق. ص٣٤٧.

(٣) ينظر: معالم قرآنية. مصدر سابق. ص١٣٩.

(٤) ينظر: أخلاق اليهود. وفاء صادق. ص٤١.

صكوكاً، برَهْن مُدُن، أو ولايات، ويعملون بهذه المهنة الحقيرة، حتّى لا تذكر كلمة الرِّبا إلاّ وذَكَر اليهودي، وبعض الكتّاب يسمِّيهم أمبراطورية الرِّبا[1]، وحتّى إنَّ بعض الكنائس النصرانية رهنتْ في ديون أخذها رجال الكنيسة من اليهود، وقد تحولتْ بعضها إلى معابد يهودية في مصر، بعد أن عجز القساوسة سداد الديون اليهودية[2].

خامساً/ حكم الزِّنا: رغم أنَّ الزِّنا محرَّم في الشريعة اليهودية، حيث جاء في الوصايا العشر:((لا تزنِ))، وأورد التوراة عقوبات شديدة على فعل الزنا[3]، إلاّ أنَّ هذا التحريم والعقوبات الشديدة لم تمنع من انتشار الزنا في بني إسرائيل، حيث إنَّ القصص الغرامية والفسق والفجور وعمل الزنا تملأ صفحات أسفار العهد القديم.

ويلاحظ أنَّ الأحكام المتعلقة بالزنا، تركِّز على المرأة، دون الرجل، في تطبيق الأحكام. يقول غوستاف لوبون عن هذه الظاهرة: وزنا المرأة كان المقصود دون الرجل، لأنَّ باستطاعة الرجل أن يتزوج بالعدد الذي يرغب فيه، من الزوجات الشرعيات، وغير الشرعيات، وما كان الرجل يُعدّ مجرماً، إلاّ إذا زنى بفتاة[4]، أو امرأة متزوجة، فهناك يقتل[1].

---

(١) ينظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج. أنور الجندي. ٤٨١/٣.

(٢) ينظر: الفكر الصهيوني. مصطفى السعدني. ص١١١. نقلاً عن: الإسلام واليهودية. مصدر سابق. ص٥٠٩.

(٣) لمعرفة تلك العقوبات راجع: سفر اللاويين(٢٠:٩-٢١). وسفر التثنية(٢٢:١٣-٢٧).

(٤) وحتّى في حالة الزنا بفتاة بكر, فإنَّ الرجل لا يعاقب بالموت, بل يفرض عليه غرامة مالية, وهي خمسين شاقل من الفضة،{الشاقل وزن بابلي, يساوي (٨ غرامات و١٨٠حبة). وقيل: يساوي(١١,٥ غراماً). وقيل: يساوي(١٤,٢٥ غراماً)}، يدفعها لأبيها ويتزوج الرجل بالفتاة, ولا يجوز له أن يطلّقها أبداً. ينظر: سفر التثنية(٢٢:٢٨). ومفصل العرب واليهود في التاريخ.

وفي كلِّ الأحوال كانت المرأة تحكم عليها بالموت، إذا زنت، وإنْ كان هناك شكوك حول المرأة، أو اتهام لها، ولم يكن هناك شهود، فإنَّها تخضع لامتحان صعب، بحيث تتجرَّع المياه الملوثة بالتراب، على يد الكاهن، بعد إجراء طقس يصبُّ فيها اللّعنات[٢]، أمَّا الرجل فما كان القانون يعاقبه، إلاّ في حالة مباشرة امرأة متزوجة، وهي الموت، إلاّ أنَّ العقاب كان بسبب الاعتداء على حقوق زوج آخر، وليس بسبب إهانة المرأة واهدار كرامتها[٣].

أمَّا إذا كانت المرأة غير يهودية، فالأمر مختلف تماماً، إذ أنَّ غير اليهود إباحيون، وبناءً عليه، فمفهوم الزنا لا ينطبق على اتصال يهودي بامرأة غير يهودية، بل يعتبر التلمود هذا الجماع خطيئة، كالعلاقة الجنسية مع الحيوان[٤].

وحسب الموسوعة التلمودية، فإنَّ مَن يعرف زوجة غير يهودي، لا يعاقب بالإعدام، لأنَّه مكتوب في التوراة:(زوجة رفيقك)، والرفيق يقصد به الرفيق اليهودي، كما بيَّنا سابقاً في صفحة(١٤٣). أمَّا المرأة غير اليهودية، فتتنزل عليها العقوبة وتعدم، ولو كان اليهودي قد اغتصبها، أمَّا اليهودي فيجلد، لأنَّه اقترف خطيئة[٥]، والطفل غير الشرعي(ممزير)[٦]، هو أقل منزلة من اليهودي،

د.أحمد سوسة. مصدر سابق. ص ٤٣٩. والمجتمع الإسرائيلي. د.فؤاد حسنين. ص١١٢.

(١) ينظر: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر.مصدر سابق. ص٥٠-٥١.

(٢) في التعرف على كيفية إجراء مراسيم هذا الطقس, راجع سفر العدد(٥:١١-٢٩).

(٣) ينظر: المرأة عبر التاريخ. مونيك بيير. ترجمة. هزييت عبودي. ص٣٥.

(٤) ينظر: التاريخ اليهودي. مصدر سابق. ص١٢٣. وأباطيل التوراة . د.محمد علي البار.مصدر سابق. ص٣٣٩.

(٥) ينظر: التاريخ اليهودي. نفس المصدر . ص١٢٣-١٢٤.

(٦) ممزير كلمة عبرية معناها, ولد الزنا. جمعه(ممزريم) , وفي شريعة التوراة, إذا راجع الرجل زوجته بعد أن نكحتْ غيره- وإنْ طلّقها الرجل الثاني- كان أولادهما من أولاد الزنا. ينظر:

لأنَّه جاء من علاقة جنسية محرَّمة، ويحرَّم على اليهودي أن يتزوج من ممزير، وأولاد الممزير ممزير مثله، وهو بمنزلة المتهوِّد، حتّى لو كان متزوجاً من يهودي أو يهودية. أمَّا الكاهن الذي هو مكرَّس للكهانة لا يجوز له أن يتزوج بزانية، أو مدنَّسة أو مطلقة[1]، وأولاده من الزنا لا يفقدون حقوقهم، ولا يكونون ممزيراً، فقد يفقدون حقوقهم الكهنوتية، ولا يعتبرون كهنة[2].

وعقوبات الزنا الشديدة، التي هي الموت، في أغلب الأحيان، قام أحبار اليهود منذ زمن بعيد بإلغائها، بزعم أنَّ أحكام التوراة قاسية، وأنَّ الزنا منتشر بصورة رهيبة[3].

سادساً/ حكم القتل: أحكام التوراة، فيما يتعلق بالقصاص، واضحة، تهدف إلى إحقاق الحق وإقرار العدالة:((أمَّا دماءكم أنتم فأطلب عنها حساباً، من كلِّ حيوان أو إنسان سفكها، وعن دم كلِّ إنسان أطلب حساباً، من أخيه الإنسان، مَن سفك دم الإنسان، يسفك دمه، فعلى صورة الله صنع الله الإنسان)) [4]. وكذلك:((ومن قتل إنساناً، يقتل قتلاً)) [5]، فهي واضحة في القصاص للإنسان من أجل أنَّه إنسان، إلاّ أنَّ اليهود قيَّدوا هذه الأحكام باليهودي، بحيث يُعدُّ قتل اليهودي جريمة كبرى، عقوبتها الإعدام، وعندما تكون الضحية غير يهودي، يكون الأمر مختلفاً تماماً، فاليهودي الذي يقتل غير يهودي، مذنب بارتكاب خطيئة ضد قانون السَّماء، والمحكمة لا تعاقب عليها، أمَّا التسبُّب في

إفحام اليهود. السموئيل المغربي. ص١٤٦.

(١) سفراللاويين(٢١:٧).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٥/٢٠٩.

(٣) ينظر: أباطيل التوراة والعهد القديم. مصدر سابق. ص٣٣٨.

(٤) سفر التكوين(٩:٥-٧).

(٥) سفر اللاويين(٢٢:١٧).

قتل غير يهودي، بطريقة غير مباشرة، فلا يعتبر خطيئة على الإطلاق، والتصرُّف المؤدِّي إلى قتل غير يهودي، بصورة غير مباشرة، ممنوع إذا كان من شأنه نشر العداء تجاه اليهود، والقاتل غير اليهودي الخاضع للولاية اليهودية، يجب أن يعدم، سواء كان القتيل يهودياً أو غير يهودي، وإذا كان القتيل غير يهودي، وتحوَّل القاتل إلى اليهودية فلا يعاقب، هذا إذا لم يكن هناك حرب، أمَّا إذا كان هناك حرب، فيجب قتل جميع المنتسبين إلى شعب معادي، حتّى المدنيين الطيِّبين[1].

سابعاً/ وهناك جرائم عقوبتها الرجم حتَّى الموت،منها:

١- التجديف[2]، على الله: ((مَن جدَّف على اسم الرب، يقتل قتلاً)) [3].

٢- عبادة الأوثان: حيث جاء:((مَن أغراك في الخفاء، أخوك ابن أمك، أو أبيك...فقال لك: تعال نعبد آلهة أخرى...لا تلتفت إليه...بل أقتله قتلاً...ترجمه بالحجارة حتَّى يموت)) [4].

٣- القيام بالعمل يوم السبت: السبت هو يوم الراحة، العمل فيه محرَّم، حسب شريعة التوراة، لأنَّه اليوم الذي سبت فيه الرَّب عن الخلق، حسب عقيدة اليهود:((وحين كان بنو إسرائيل في البرية، وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت...فألقوه في السجن لأنَّ ما يفعلون به لم يعلن لهم، فقال الرب لموسى: يقتل الرجل قتلاً، ترجمه كلُّ الجماعة بالحجارة في

---

(١) ينظر: التاريخ اليهودي. مصدر سابق. ص١١٨-١١٩.

(٢) التجديف على الله هو: الكفر بنعم الله. ينظر: لسان العرب. ٩٧/٣. مادة (جدف).

(٣) سفر اللاويين(١٦:٢٤).

(٤) سفر التثنية(١٣:٧-١٢).

خارج المحلَّة)) [1]، ولا يخفى شدة الحكم على الفقير الذي يبحث عن لقمة العيش، يقتل لمجرد أنَّه يحتطب في السبت، وثمَّة ملاحظة على هذا النص، وهو إذا كان ما يفعلون به لم يعلن بعد، ولا يعرفون حكم العمل في السبت، فلماذا ألقوه في السجن؟!

٤- عقوبة الابن العاقّ:((إذا كان لرجل ابن عقوق متمرد، لايسمع لكلام أبيه ولا أمه...يمسكه أبوه وأمه، ويخرجانه إلى شيخ المدينة....فيرجمه جميع رجال المدينة بالحجارة حتَّى يموت)) [2].

٥- عقوبة الفتاة البكر المخطوبة: ((إذا كانت فتاة بكر مخطوبة لرجل، فصادفها رجل في المدينة، فضاجعها....فارجموها بالحجارة حتّى تموت)) [3].

٦- الأكل من ذبيحة السَّلامة وهو نجس:((كلُّ من أكل لحماً من ذبيحة السَّلامة، التي للرَّب، وكان نجساً، أقطعه من شعبه)) [4].

٧- الأكل من شحوم القرابين من البهائم:((من أكل شحماً من البهيمة التي يقرَّب منها وقيدة للربِّ، أقطعه من شعبه)) [5].

٨- اتيان البهائم:((وإنْ ضاجع أحد بهيمة، فيقتل هو والبهيمة قتلاً)) [6].

٩- اتيان المرأة في حيضها:((وإنْ ضاجع أحد امرأة طامثاً وكشف عورتها....فليقطعا كلاهما من بين شعبهما)) [1].

---

(١) سفر العدد(١٥:٣٢-٣٥).

(٢) سفر التثنية(٢١:١٨-٢١).

(٣) سفر التثنية(٢٢:٢٣-٢٤).

(٤) سفر اللاويين(٧:٢٠).

(٥) سفر اللاويين(٧:٢٥).

(٦) سفر اللاويين(٢٠:١٥).

١٠- السحر والعرّافة والالتفات إليهم:((من كان من الرجال والنساء ساحراً أو عرّافاً، يُقتل رجماً بالحجارة، ودمه على رأسه)) [2]، وأيضاً:((وكلُّ من التفت إلى السّحرة والعرّافين وتبعهم في فجورهم، أُواجهه وأقطعه من شعبه)) [3].

والأمثلة كثيرة ومتنوعة، وقد ذكرنا هذه الأمثلة، لكي نستدِّل من خلالها على انَّ أحكام التوراة في القتل مشدَّدة، وبعضها غير مبررة، والملاحظ هنا أنَّ الشرع اليهودي يجعل القتل من أيسر الوسائل.

المطلب الثاني: تكريم الإنسان في شريعة الإنجيل

من المؤكَّد أنَّ التشريعات إنَّما وضعتْ لتحقيق إنسانية الإنسان، وجلب المنافع ودرأ المفاسد، لأنَّه(حيث يكون الشرع، تكون العدالة والرحمة والفضيلة) [4].

ومن المتفق عليه، أنَّ المسيحية لم تأتِ بشريعة جديدة، وأكَّد المسيح عليه السلام على العمل بشريعة التوراة:((لا تظنّوا أنّي جئتُ لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئتُ لأبطل، بل لأكمل، الحقَّ أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة)) [5]، وأنَّ المسيح عليه السلام لم يضع شريعة دنيوية، وكل ما اهتم به هو الوعظ والوصية والتسامح [6]،

---

(١) سفر اللاويين(٢٠:١٨).

(٢) سفر اللاويين(٢٠:٢٧).

(٣) سفر اللاويين(٢٠:٦).

(٤) دين الحق .عبدالرحمن بن حماد .ص٥٠.

(٥) إنجيل متى (٥:١٧-١٨).ولوقا (١٦:١٦-١٧).

(٦) يعلِّل المسيحيون عدم اتيانه بتشريع جديد, لأنه أراد الشريعة روحاً محيياً, لا حرفاً ميِّتاً،

ولا تعرض لذلك تلاميذه الحواريون، وبقي أتباعهم مطلقي الأيدي، يواجهون كلَّ زمان بما يناسبه من الأحكام والشرائع[1]، فالمسيحية فقيرة في تشريعاتها، اهتمَّتْ بالروحانيات وأهملتْ الجانب التشريعي، ووجهَّتْ كلَّ عنايتها إلى الجانب الذي أهمله اليهود، وهو جانب الزهد والتسامح والمحبّة.

وهذه الشريعة، المتمثلة في العهد القديم، تضع أحكاماً شديدة، في بعض الأحيان، تخرج من المألوف والمعقول، وقد وردتْ تفاصيل هذه الأحكام الأخلاقية، في الوصايا العشر،لا تقتل،لا تزن،لا تشهد شهادة زور.....الخ. ووردتْ أحكام القصاص والحدود في سفر الخروج واللاويين والتثنية[2]، وفيها- كما يقول د.محمد علي البار-عقوبات وأحكام شديدة القسوة، لا مبرر لها، لا شك أنَّها من مفتريات الأحبار[3].

ومن الملاحظ أنَّ القسوة الموجودة في العهد القديم، فيما يتعلق بالأحكام، حاول المسيح عليه السلام أن ينقل من الفعل المحسوس[4]، إلى التَّصور المعنوي،

وأنه أراد تجنب هذه الشريعة ما تفرضه أحوال الزمان والمكان من تحوير, وأنه أراد احترام حرِّية الإنسان, فلا يسوقه مكرهاً إلى الخضوع للشريعة, فيحرِّمه جزاء عمله. ينظر: يسوع المسيح. الأب بولس الياس. ص١٩٢-١٩٣. والعقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل. حسن الباش. ٢/٢٢٠. والمسيحية. د.أحمد شلبي. ص٢٢٩. إلاَّ أنَّ هذا التعليل غير مقبول, لأنَّ المسيح لم يتحرَّر من شريعة التوراة, بل ألزم أتباعه بطاعة ما شرَّعه العهد القديم, ومن ثمَّ فإنَّ التشريع ليس حرفاً ميِّتاً, ولا يحرِّم أتباعه نتيجة الطاعة والامتثال. ينظر : مقارنة الأديان-المسيحية- د.أحمد شلبي.ص٢٣٠.

(١) ينظر : حقوق الإنسان . الشيخ محمد الغزالي. ص٣٨.

(٢) راجع على سبيل المثال: سفر الخروج (٢٢:١٧-١٩). واللاويين (١٨:٧-٢٩). والتثنية (٢٢:١٣- ٢٩).

(٣) المدخل إلى العهد القديم .د.محمد علي البار .ص٣٧٩.

(٤) يرى ابن القيِّم أنَّ جملة ما جاء به المسيح والمسيحيون من بعده , من مخالفة بعض أحكام

حتَّى ظنَّ البعض أنَّه إلغاء للشريعة والناموس، والحقيقة أنَّها محاولة لإصلاح ما أفسده أحبار اليهود، والعودة بهم إلى شريعة موسى(عليه السلام)، ونصوص الإنجيل كثيرة التي تحترم الإنسانية، وتذّم القتل، ولا تقتصر على إقرار الأحكام القديمة، بل تضيف إليها أبعاداً أخرى، أكثر إنسانية وأقرب إلى الموضوعية، لأنَّها تحاول منع الأشياء التي تؤدِّي إلى القتل والزنا، فقد ورد:((لا تقتل، فمن يقتل يستوجب حكم القاضي، أمَّا أنا فأقول لكم: مَن غضب على أخيه، استوجب حكم القاضي، ومن قال: ياجاهل، استوجب حكم المجلس، ومن قال له: ياأحمق، استوجب نار جهنَّم)) [1]، وورد:((وقيل:لا تزن، أمَّا أنا فأقول لكم من نظر إلى أمرأة ليشتهيها، زنى بها في قلبه، فإذا جعلتك عينك اليمنى تخطأ، فأقلعها...لأنَّه خير لك أن تفقد عضواً من أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم)) [2].

وقد حرَّمتْ المسيحية على الزناة أن يرثوا ملكوت الله، ولهم العذاب الأبدي في الآخرة، إلاّ أنَّها لا تذكر حدَّاً للزناة في الدنيا:((لا يرثون ملكوت الله...لا الزناة ولا عباد الأوثان، ولا الفاسقون ولا المبتلون بالشذوذ الجنسي ولا السارقون ولا الفجّار ولا السكيرون)) [3]، وكذلك:((من لعن أباه أو أمه فموتاً يموت)) [4]،

التوراة مثل: العمل في السبت, ورفع سنة الختان, وعدم ملامسة الحائض, وأباحة أكل لحم الخنزير...إنّما كان مكايدة ومغايظة لليهود. ينظر: هداية الحيارى. ابن القيِّم. ص٣٩١. والحقيقة أنَّ العمل في يوم السبت نعم المسيح كان قد رفع هذا الحكم, لأنَّه ورد في الأناجيل أنَّه عمل في يوم السبت, أمَّا باقي الأحكام فهي من عمل بولس, وقد يكون مكايدة لليهود.

(١) إنجيل متى (٥:٢١–٢٢).ولوقا (٦:٢٠–٢٦).

(٢) إنجيل متى (٥:٢٧–٣٠).

(٣) رسالة كورنثوس الأولى(٦:٩–١٠).

(٤) إنجيل مرقس (٧:١٠).

و:((من يحب نفسه خسرها، ومن أنكر نفسه، في هذا العالم، يحفظها للحياة الأبدية)) [١]، وجاء:((ردّ سيفك إلى مكانه، لأنَّ الذين يأخذون بالسيف، بالسيف بالسيف يهلكون)) [٢]، فهو يرفض الحرب من حيث المبدأ، ولكن الدفاع فلا، بل يدعو أتباعه للدفاع، حيث يقول:((ومن لا سيف عنده فليبعْ ثوبه، وليشترِ سيفاً)) [٣].

هذه النصوص وغيرها كثير، تؤكّد على تشديد المسيح ﷺ في العقوبات، بينما نرى في نصوص أخرى، يدعو إلى الصفح والمغفرة، وعدم الأخذ بالعقوبات:((إنْ غفرتم للنَّاس زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السَّماوي)) [٤]، فتقدَّم بطرس من المعلِّم وقال:((يا رب، كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع:لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة وسبع مرات)) [٥]، وجاء:((سمعتم أنَّه قيل لكم: عين بعين...أمَّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّ، بل من لطم خدّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً...)) [٦]، وورد:((هنيئاً للمضطهدين من أجل الحق، لأنَّ لهم ملكوت السَّموات)) [٧]، وكذلك:((وإذا أضطهدوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها)) [٨]. هذه النصوص تخالف مبدأ الدِّفاع الذي أقرَّه المسيح،

---

(١) إنجيل يوحنا (١٢:٢٥).

(٢) إنجيل متى (٢٦:٥٢).

(٣) إنجيل لوقا (٢٢:٣٥-٣٦)

(٤) إنجيل متى(٦:١٤).

(٥) إنجيل متى(١٨:٢١).

(٦) إنجيل متى(٥:٣٩).

(٧) إنجيل متى(٥:١٠).

(٨) إنجيل متى(١٠:٢٣)

المسيح، في النَّص الذي أشرنا إليه، وهو: من لا سيف عنده فليبعْ ثوبه وليشترِ سيفاً، وهذه الازدواجية موجودة في معظم أحكام التوراة والإنجيل، وهذا إنْ دلَّ على شيء، فإنَّما يدل على وقوع التحريف والعمل البشري غير المنزَّه عن الخطأ.

والمسيح عليه السلام نفسه لم يقم الحدَّ على المرأة الزانية، عندما ضبطها الفريسيون، وهي تزني، وجاءوا بها إلى المسيح، وقال لهم المسيح:((من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر؟....فلمَّا سمعوا، خرجوا واحداً واحداً...فلمَّا انتصب المسيح، قال لها: أما أدانكِ أحد ؟ فقالتْ: لا يا سيد، فقال لها المسيح: ولا أنا أدينكِ، إذهبي ولا تخطئي))[1].

ومن هذا المنطلق، فقد ذهب البعض إلى أنَّ المسيحية لا تحمل شيئاً من الشريعة، لأنَّ الأمم استعاضوا عنها بالضمير، ولمَّا كان الضمير قد أعطي للإنسان قبل الشريعة، أي قبل سقوط الأمم، فإنَّ الأمم لم يتعرضوا للخطيئة، كما تعرض لها الشعب اليهودي، الذي أسكت صوت الضمير فيه[2].

قال ابن القيِّم(٦٩١-٧٥١هـ): أجمع الدارسون على أنَّه ليس عند المسيحيين حدٌّ، أو عقوبة، على من زنى أو لاط أو سكر، وليس عليه عذاب في الآخرة[3]، لأنَّ القس أو الراهب يغفره لهم، فكلَّما أذنب أحدهم ذنباً، أهدى إلى

---

(١) إنجيل يوحنا(٨:٣-١١). ذهب بعض المسيحيين إلى أنَّ هذه القصة منحولة, وأضيفتْ إلى الإنجيل, فيما بعد. وأنزلتها الترجمة الأنجليزية(R.S.O) من المتن إلى الحاشية. ثمَّ أُعيدتْ إلى المتن, بعد ظهور البروتستانتية (الاحتجاجية). وتقول الترجمة الفرنسية((T.O.B: أنَّ الأجزاء(٧:٥٢ إلى٨:١١) محذوفة من نسخ من إنجيل يوحنا. ينظر: الإسلام والأديان .اللواء أحمد عبدالوهاب.ص٤٦.

(٢) ينظر : ردٌّ على التوراة . ندرة اليازجي .ص٦٥-٦٦.

(٣) صحيح أنَّه ليس هناك عقوبات أو حدود منصوص عليها في الأناجيل, إلاّ أنَّه فيما يتعلق

القس هدية وأعطاه درهماً أو غيره، ليغفره له به، وإذا زنتْ امرأة أحدهم بيَّتها عند القس ليطيِّبها له، فإذا انصرفتْ من عنده، وأخبرتْ أنَّ القس طيَّبها، قُبل ذلك منها وتبرك به[1].

وربَّما المرونة الموجودة في الإنجيل، في التعامل مع الخطاة والعصاة، دفع ببولس الرسول إلى الإقرار بوجود مضادَّة بين العبودية والبنوة، في شخص المسيح[2]، ممَّا دفع المسيحيين من بعده، إلى القول: أنَّ الشريعة عبءٌ ثقيل مفروض على الإنسان[3].

وقد أدّى هذا الاضطراب، إلى أن يدَّعي رجال الدِّين والملوك، في العصور الوسطى، أنَّ سيادتهم مستمِّدة من الله، فيشرعون للنَّاس قوانين حسب أهوائهم، لأنَّه ليس في تعاليمهم شيء من التشريع، إلا مواعظ خُلُقية[4].

المطلب الثالث: تكريم الإنسان في شريعة القرآن الكريم

إنَّ الله تعالى كرَّم الإنسان بوضع تشريع مناسب لفطرة الإنسان، لتنظيم شؤون الحياة، حتّى تسير عجلة الحياة وفق منهج الله، ويكون الإنسان مكرَّماً عزيزاً لا يُذَّل لغير الله، ولا يخضع في حكم تشريعي إلاّ لمرضاة الله، دون

بالعذاب في الآخرة فهناك نصوص توعد الخطاة والزناة بالعذاب, مثل: ((لا يرثون ملكوت الله ...لا زناة ولا عبدة أوثان...)).رسالة كورنثوس(٦:٩-١٠). وكذلك:((أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يلقى جسدك كلّه في جهنّم)). مرقس (٧:١٠).

(١) ينظر : هداية الحيارى من أجوبة النصارى .ابن القيم الجوزية .ص٣٨٨-٣٨٩.

(٢) رسالة غلاطية (٤:٧). ورسالة رومة (٨:١٥).

(٣) رسلة رومة (٧:١-٧). والإسلام يسائل المسيحية .أندراوس بشتة وعادل ثيودور . مصدر سابق. ص١١٠.

(٤) ينظر : روح الدِّين الإسلامي .مصدر سابق .ص٢٩٢.

أن ينتقص من كـــرامته.

فالشـــريعة الإســـلامية: هـي عـدل كلُّها، ورحمـة كلُّهـا ومصـالح كلُّهـا، وحكمة كلُّها، فكلُّ مســـألة خـــرجتْ عـن العـدل إلى الجـور، وعـن الرحمـة إلى ضـدها، وعـن المصـلحة إلى المفسـدة، وعـن الحكمـة إلى العبـث، فليسـت مـن الشريعة، وإنْ أدخلت فيها بتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بـين خلقه[1]، ومن أجل ذلك، أرســـل الله رسله ليقوم النَّـاس بالقسـط، وهـو العـدل الذي قامتْ به السَّماوات والأرض، فإذا ظـــهرتْ أمارات الحق وقامتْ أدلة العدل وأسفر عن نوره، بأي طريق كان، فثمَّ شـــرع الله ودينه ورضاه وأمره[2].

وأنَّ الله ما شرَع حكمـاً إلاّ لجلـب مصـلحة أو درأ مفسـدة، لكـون الإنسـان مخلوقاً مكرَّماً، والتكريم يقتضي ما فيه مصلحة. يقول الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ): إنَّ الله خلـق الآدمـي مشـرَّفاً مكرَّمـاً لقولـه تعـالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .... ﴾، ومن كرَّم أحداً ثمَّ سعى في تحصيل مطلوبـه، كـان ذلـك السـعي ملائمـاً لأفعـال العقلاء، مستحسناً بينهم، فإذن ظنُّ كون المكلَّف مكرَّمـاً، يقتضـي ظـنُّ أنَّ الله تعالى لا يشرِّع إلاّ ما يكون مصلحة له[3].

ومعلوم أنَّ الشريعة أوامـر ونـواهٍ وأحكـام، والهـدف منهـا جلـب المصـالح ودرأ المفاسد، قال العزُّ بـن عبدالسـلام(ت٦٦٠هـ): إذ لا يَعِـدُ بـالثواب إلاّ علـى فعل مأمور به تحصيلاً لمصلحته، ولا يوعد بالعقاب إلاّ علـى فعـل منهـي عنـه، درءاً لمفسدته[4]. ويمكن بيان نظرة الإسلام في تكريم الإنسان في مجال الأحكام

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن القيِّم. ٣/٣.

(٢) الطرق الحكمية. ابن القيِّم. ص١٩.

(٣) المحصول في علم الأصول. الرازي ٥/٢٣٩.

(٤) القواعد الكبرى. العزُّ بن عبدالسلام. ١/١٣٢-١٣٣.

والتشريع من خلال ما يأتي:

أولاً/ في حفظ الحياة: الحياة حقٌّ مقدَّس في جميع الرسالات السَّماوية، وجاء الإسلام وأضفى عليها هالة من القداسة، بحيث جعلها ملكاً لله لا يملك أحد انتزاعها، بغير إرادة الله، وهي منحة للإنسان ليستمتع بها، ويعمل على حفظها ورعايتها، ويجعلها طيبة كريمة، (وحق الحياة هو حق للإنسان في الظاهر، ولكنه في الحقيقة منحة من الله تعالى الخالق الباري، وليس للإنسان فضل في إيجاده) [1].

ونسبة الحياة إلى الإنسان تفضل من الله تعالى، تقول الحكمة الطائية:(إذا أراد أن يظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك) [2].

إذن فحق الحياة ملك لله، وقد دلَّتْ عليه شواهد من القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ﴾ [3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [5]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [6]، وعلى هذا فحق الحياة من حقوق الله، ولا يمكن إسقاطه. قال القرافي(٦٢٦–٦٨٤هـ): فكلُّ ما للعبد إسقاطه، فهو الذي نعني به حق العبد، وكلُّ ما ليس له إسقاطه، فهو الذي نعني به حق الله

---

(١) إشتراكية الإسلام. مصدر سابق. ص٥٩.

(٢) شرح الحكم الطائية. عبدالمجيد الشرنوبي. تعليق عبدالفتاح البزم. ص٩٨.

(٣) سورة المائدة (١٢٠).

(٤) سورة الحجر(٢٣).

(٥) سورة النجم(٤٤).

(٦) سورة ق (٤٣).

تعالى[1].

وقال الشاطبي(ت٧٩٠هـ): كلُّ ما كان من حقوق الله فلا خيرة فيه للمكلف على حال، وأمَّا ما كان من حق العبد في نفسه، فله فيه الخيرة، فإحياء النفوس وكمال العقول والأجسام، من حق الله تعالى في العباد، لا من حقوق العباد[2].

ولهذا فالعدوان على حياة الفرد، في ضوء الآيات، عدوان على المجتمع كلِّه والانتقام بالقصاص من الجاني، إحياء للمجتمع كلِّه،قَالَ تَعَالَى:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[3].

فليس هناك تقدير أسمى من هذا التقدير لحياة البشر وكرامتهم، والقتل وحده هو الذي يجعل الإنسان مطروداً من الإنسانية، وما يجد التكريم هو حياة الإنسان وكرامته في حدِّ ذاته[4]. ويتعلق بحفظ الحياة في التشريع الإسلامي ما يأتي:

١- **تحريم القتل:** يحرم الاعتداء على الإنسان وقتله إلاّ لأسباب معينة، يحدِّدها الشرع نفسه، وما عدا ذلك، فإنَّ حق الحياة مصون ومقدَّس بالنصوص القاطعة منها،قوله تَعَالَى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5]،وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

---

(١) الفروق. القرافي. تحقيق خليل منصور. ١/٣٤٠-٣٤١.

(٢) الموافقات. الشاطبي. ٢/٥٣٩ و ٣/١٠١.

(٣) سورة المائدة (٣٢).

(٤) ينظر: التعايش السلمي. سورحمن هدايات. مصدر سابق. ص٣٣٢.

(٥) سورة الأنعام (١٥١).

ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[1]،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2].

وهذا الحق يتساوى فيه النَّاس جميعاً بمجرد الحياة، الشريف والوضيع، العالم والجاهل، العاقل والمجنون، البالغ والصبي، الذكر والأنثى، الحرُّ والعبد، المسلم والذِّمي[3]، عن عبدالله بن عمروﷺ قال، قالﷺ: ((من قتل معاهداً، لم يرح رائحة الجنّة...)) [4].

٢- تحريم الانتحار: اعتبر الإسلام الانتحار جريمة شنيعة،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[5]، وثبت بأحاديث صحيحة أنَّ الانتحار

---

(١) سورة الفرقان (٦٨).

(٢) سورة النساء (٩٣).

(٣) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام. د.محمد الزحيلي.مصدرسابق. ص١٤٤. وحقوق الإنسان في الإسلام. د.علي الوافي.مصدر سابق. ص١٩٨. وهذه المساواة في الحياة تتبعها مساواة في القصاص على مذهب الحنفية, بحيث يقتل المسلم بالعبد والذمي, خلافاً للجمهور. وأميل إلى رأي الحنفية في هذه المسألة, لأنَّ المساواة بين المسلمين والذميين في القصاص أمر يقتضيه عدل الإسلام, وكان الخلفاء الراشدون يقتلون المسلم بالذمي, تحقيقاً لمبدأ العدالة. وكذلك العبد, فإنَّ المساواة في أصل الفطرة لا يمنعها الحرِّية والرِّق, وأنَّ الرِّق أمر عارض, وأنَّ العبد لا يفقد آدميته بسبب الرِّق, فالنفس نفس سواء كان مسلماً أو ذمياً أو رقيقاً, لأنَّ القرآن يقول: (من قتل نفساً). ينظر في تفاصيل أوفي: العقوبة في الفقه الإسلامي. د.محمد أبو زهرة. ٤١٢-٤١٥. ومباحث في التشريع الجنائي الإسلامي. د.فاروق النبهان. ص١٠٣-١٠٧. والمقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام. د.سيد حسن عبدالله. ص١٠٤-١٠٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه. باب من قتل معاهداً. ٣/١١٥٥. رقم(٢٩٩٥). والإمام أحمد في مسنده. ٥/٣٦. رقم (٢٠٣٩٣).

(٥) سورة النساء (٢٩).

جريمة وأنَّ المنتحر يعذب بما انتحر، عن ثابت بن الضحاك ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال:((من قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة)) [1]، ونهى الله سبحانه عن المخاطرة بالنفس،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

٣- تحريم قتل الأولاد خشية إملاق: والإملاق هو الفقر، حيث كان من عادة الجاهلية قبل الإسلام، قتل الأولاد خوفاً من الوقوع في الفقر، فحرَّم الإسلام ذلك،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[3].

٤- تحريم الإجهاض: وهو إسقاط الولد من بطن أمِّه قبل تمام خلقه، وله عدة مرادفات:

الإزلاق، الإملاص، الإسقاط، والطرح[4]، فقد اتفق الفقهاء على تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح في الجنين، أمَّا قبل النفخ، فقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً[5].

٥- تحريم الأذن بالقتل والقتل الرحيم: اتفق الفقهاء على عدم جواز الأذن بالقتل بأي حال، واختلفوا في العقوبة المقررة[6]. والقتل الرحيم، يلجأ إليه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه. ٧٣/١. رقم(٣١٥). والإمام أحمد في مسنده. ٢٤/٤. رقم(١٦٤٣٨).

(٢) سورة البقرة من الآية (١٩٥).

(٣) سورة الإسراء(٣١).

(٤) لسان العرب. ابن منظور. ٢٢٨/٣ و ٢٠٧/٧.

(٥) ينظر: حاشية إعانة الطالبين. أبوبكر الدمياطي. ١٣٣/٢-١٣٩. والإنصاف. علاءالدين المرداوي. تحقيق. محمد حامد الفقي. ٣٨٤/٣.

(٦) ينظر: بدائع الصنائع. الكاساني. ٢٧٧/٦. ومواهب الجليل. الحطاب. ٢٩٦/٨. ومغني

المريض الميئوس من شفائه، إراحة له وقطعاً لآلامه. وهذه المسألة مثل الأذن بالقتل لا يبيح القتل بأيٍّ حال من الأحوال. قال العزُّ بن عبدالسلام(ت٦٦٠هـ): ولو أصابه مرض لا يطيقه، لفرط ألمه، لم يجز له قتل نفسه[١].

٦-العمليات الاستشهادية أوالفدائية: ذهب البعض إلى تسميتها بالعمليات الاستشهادية إشارة إلى جوازها، بينما يسمِّيها آخرون العمليات الانتحارية، إيذاناً بمنعها، ويطلق عليها آخرون العمليات الفدائية، تحرِّياً للموضوعية، وبناءً على أنَّه لفظ عام يصدق على كلِّ مفاداة بالنفس، مشروعة أو ممنوعة، وهي صورة جديدة لمقاومة العدو ومواجهته، وكانت موجودة قديماً بين صفوف المقاتلين، وهذه العمليات تشبه الانتحار، لأنَّها تشترك معه في قتل المسلم نفسَه وقتل غيره معه، وفي الوقت نفسه، هي بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وفضل الشهادة في الإسلام وردت فيها آيات وأحاديث كثيرة، ومن جهة أخرى، فإنَّ الشريعة الإسلامية تسعى إلى الحفاظ على أرواح المقاتلين ما استطاعت[٢]، ومن أجل هذا، فهي مسألة فيها تفصيلات كثيرة، وقد اختلف الفقهاء-حسب استقرائنا- في حكم هذه العمليات على ثلاثة أقوال:

الأول: حرمة هذه العمليات، وحجَّتهم الآيات الناهية عن قتل النفس،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ

المحتاج. الشربيني. ٥/٢٢٤. والعقوبة في الفقه الإسلامي. د.محمد أبو زهرة. ص٢٧٥.

(١) قواعد الأحكام. العزُّ بن عبدالسلام. ١/٨٥.

(٢) في تفاصيل أوفى ينظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. محمد خير هيكل. ٢/١١٢٥. والعمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي. نواف هايل تكروري. ص٤٨-٦٩. والأعمال الفدائية صورها وأحكامها الفقهية. سامي بن خالد الحمود. رسالة ماجستير. كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض. غير منشور. ص٨١-٨٥.

سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾[1] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[2].

الثاني: جواز تلك العمليات، وحجّتهم عموم الآيات الدّالة على شراء الله من المؤمنين أنفسهم، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[3].

الثالث: التوقف في المسألة. والترجيح، لا يمكن انكار أنَّ الأصل حرمة الانتحار، كما لا يجادل أحد في مشروعية الجهاد، بل وجوبه إذا اقتضى الأمر، والعمليات الاستشهادية بين هذين الأمرين.

وفوق هذا كلّه، ومن أجل الحفاظ على حياة الإنسان، فقد وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من الرُّخص في العبادات والأحكام والمعاملات، منها: صلاة الخوف، والصلاة على الراحلة، والإفطار في رمضان خوفاً من الهلاك، وأكل النجاسة والميتة عند الضرورة، وأكل مال الغير عند الاضطرار...وغير ذلك من الأمور التي تؤكّد على استمرارية الحياة والحفاظ عليها وقدسيّتها.

ثانياً/ في العقوبات والحدود: لقد حرص التشريع الإسلامي على المحافظة على كرامة الإنسان حتّى في العقوبات والحدود، وراعى فيها كرامة الإنسان،

---

(١) سورة الإسراء(٣٣).

(٢) سورة النساء من الآية(٢٩).

(٣) سورة التوبة(١١١).

فنصَّ أولاً على الأشياء المحرَّمة، وحذَّر منها، ورتَّب عليها العقاب والثواب، وإنْ وقع الخطأ أو العدوان أو الإثم، شرع العقاب المناسب للجريمة، بما لا يمسُّ كرامة الإنسان، ومنع المُثْلة والعدوان، واعتبر العقوبة تأديباً وإصلاحاً وزجراً وردعاً، فقد حدَّد الله الهدف والغاية من القصاص في آية موجزة معبرة،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]. يقول ابن عاشور(١٢٩٦-١٣٩٣هـ): إنَّ الله عزَّوجلَّ وجّه نداءه لأولي الألباب، وهو تنبيه على التأمُّل في حكمة القصاص، لأنَّ حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النَّظر الصحيح، إذْ هو في بادئ الأمر كأنَّه عقوبة بمثل جناية، لأنَّ في القصاص زرية ثانية، لكنه عند التأمُّل، هو حياة لا زرية[2].

وقال العزُّ بن عبدالسلام(ت٦٦٠هـ): ربَّما كانت أسباب المصالح مفاسد، فيؤمر بها أو يباح، لا لكونها مفاسد، بل لكونها مؤدية إلى المصالح، كقطع الأيدي المتآكلة حفظاً للأرواح، وكالمخاطرة في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلُّها ليست مطلوبة لكونها مفاسد، بل لكون المصلحة هي المقصودة في شرعها، كقطع يد السارق، وقطع يد قاطع الطريق، وقتل الجناة، ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم، وكذلك التعزيرات، كلُّ هذه مفاسد أوجبها الشَّرع لتحصيل ما رتَّب عليها من المصالح الحقيقية[3].

وجاء في التفسير المنير: وحكمة القصاص أنَّه يساعد على توفير الحياة الهانئة المستقرة للجماعة، ويزجر القاتل وأمثاله، ويقمع العدوان، ويخفف من ارتكاب جريمة القتل، إذ من علم أنَّه إذا قتل غيره، قُتل به، امتنع عن القتل،

---

(١) سورة البقرة (١٧٩).

(٢) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ١٤٥/٢.

(٣) قواعد الأحكام. مصدر سابق . ١٢/١.

فحافظ على الحياتين، حياة القاتل والمقتول، كما أنَّ القصاص يمنع انتشار الفوضى والظلم في القتل... [1].

والعقوبة شُرِعتْ لردع الجاني عن الاستمرار في سلوكه الإجرامي، وللزجر العام في ردع غيره في الوقوع بمثل فعل الجاني، ولذلك تتمثل الرحمة في العقوبة، وهي الرحمة العامة التي تشمل النَّاس جميعاً، ويدخل في مضمونها العدل الذي قامت به السّموات والأرض، وصلح عليه أمر الدنيا، وطبَّقه المسلمون[2].

وقد حرص التشريع الإسلامي على عدم إيقاع العقوبة وترك المجال للإنسان لإصلاح عيوبه، لذا أمر الرسولﷺ بالستر على غير المجاهر، حيث ورد عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قالﷺ:((....ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة)) [3]. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّه قالﷺ: ((من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه، كشف الله عورته، حتَّى يفضحه في بيته)) [4].

وأنَّ الله لا يريد إشاعة الفاحشة، بل توعد الذين يريدون أن تشيع الفاحشة، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) التفسير المنير. د.وهبة الزحيلي. ٢/١٠٦.

(٢) ينظر : إعلام الموقعين. ابن القيِّم. ٢/٨٠.

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه. باب الاجتماع على تلاوة القرآن. ٨/٧١.رقم(٧٠٢٨). وابن ماجه في سننه. ٢/٨٥٠. رقم(٢٥٤٤). قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٤) سنن ابن ماجه. باب الستر. ٢/٨٥٠. رقم(٢٥٤٦). قال البصيري في الزوائد. ٢/٣٠٤: هذا الإسناد فيه مقال.

﴿... أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد أجاز الشرع الحكيم الشفاعة في الحدود قبل بلوغها إلى الحاكم، ترغيباً في الستر ومنعاً لإشاعة الفاحشة، ولكن حرِّمت الشفاعة وقبولها بعد بلوغها الحاكم، لقوله ﷺ:((من حالتْ شفاعته دون حدّ من حدود الله، فهو ضادُّ الله في أمره))[2]، وكذلك قصة إنكار النبيِّ ﷺ على أسامة في حدِّ المخزومية معروفة، وقد أشرنا إليها سابقاً في صفحة(١٣٦).

وجعل الشرع الحكيم العفو عن القاتل أو المخطئ حقاً لصاحب الحق،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

وجعل كذلك، وجود الشبهة مانعاً من وقوع العقوبة، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((إدرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم))[4]، ويرى الإسلام أنَّ الأصل في الإنسان البراءة، من حيث هو إنسان، ولذا وضع الفقهاء قاعدة فقهية عظيمة:(الأصل في المتهم البراءة حتَّى تثبت إدانته)[5].

ورغم هذه المرونة في التشريع الإسلامي، والحرص على كرامة الإنسان، فقد ذهبت بعض الأوساط الغربية إلى أنَّ الحدود الشرعية تتنافى مع حقوق

---

(١) سورة النور (١٩).

(٢) مسند الإمام أحمد. ٧٠/٢. رقم(٥٣٨٥). وسنن أبي داود. ٣٣٤/٣. رقم(٣٥٩٩). هذا الحديث ضعّفه ابن معين، ووثّقه ابن حبان. ينظر: مجمع الزوائد. الهيثمي. ٣٦٤/٤.

(٣) سورة الشورى (٤٠).

(٤) السنن الكبرى. البيهقي. ٣٥٩/٧. رقم(١٤٨٩٠). و الجامع الصغير. السيوطي. ٢٣/١. رقم(٣١٤). وقال الحاكم: صحيح الإسناد.ينظر: خلاصة البدر المنير. ابن الملقن. تحقيق: حمدي السلفي. ٣٠٢/٢. رقم(٢٣٨٣).

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة الزحيلي. ٥٣١٨/٧.

الإنسان في الحياة والحرِّية والكرامة الإنسانية، إلاّ أنَّنا لا بدَّ أن نـذكر أنَّ الإسـلام لم يأت لتطبيق الحدود وترك النَّاس في متاهة وجهالة دون تربية ورعاية، فلـيس هو الغاية، لأنَّ ذلك ليس من الشَّرع، بـل لا بـدَّ مـن إصـلاح الأنظمـة السياسـية والاقتصادية والاجتماعيـة، وتحقيـق الرخـاء والرفاهيـة وتوزيـع الثـروة، وإنهـاء الفقـر، وإقامـة العـدل بـين النَّـاس، وإصـلاح منـاهج التعلـيم ووسـائل الإعـلام، والقضاء على التناقضات والإشكالات الفكرية، وتبديد الشـبهات، حينهـا يسـهل الكلام عن تطبيق أحكام الإسلام.

ثالثاً/ في العقود والتصرفات: إنَّ احترام الكرامة الإنسانية واضح في تشـريع أحكـام المعـاملات المدنيـة والماليـة، الـتي تلبِّـي حاجـات الإنسـان، وتنظـيم العلاقات على أساس إنسـاني، وتقـيم العدالـة والتـوازن في الحقـوق والواجبـات، وتشمل جميع أبواب الفقه وآيات الأحكام، والعلـل الشـرعية والعقـود بأنواعهـا، ونكتفي بذكر بعض الأمثلة المتنوعة على ذلك:

- جعـل الإسـلام العمـل حقـاً مقدَّسـاً لكـل فـرد، ذكـراً أو أنثـى، ورتَّـب عليـه الثـــــواب، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].
- وحرَّم الإسلام الغشَّ والاعتداء على أموال الآخـرين وهـدر حقـوقهم، لأنَّ ذلـك يخلُّ بالكرامة للطرفين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن

---

(١) سورة النحل (٩٧).

(٢) سورة البقرة (١٨٨).

تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[1].

وعن أبي حرَّة ﷺأنَّ الرسول ﷺ قال:((لا يحل مال امرءٍ مسلم إلاّ بطيب من نفسه))[2]، وقال في حجة الوداع :((... إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا)) [3].

– وحرَّم الإسلام الاحتكار، عن معمر ﷺأنَّه قال: قال: ﷺ:((لا يحتكر إلاّ خاطئ)) [4].

– وحرَّم كنز الأموال وترك الإنفاق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[5].

– وحرَّم التبذير والإسراف، حيث ورد التحريم في آيات عديدة، أنَّ الله لا يحب المبذِّرين، وأنَّه لا يحب المسرفين، ومدح الذين ينفقون بين الإسراف والتقتير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[6].

– وحرَّم الله الرِّبا بأنواعه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ

---

(١) سورة النساء (٢٩).

(٢) السنن الكبرى. البيهقي. ٦/١٠٠. رقم(١١٣٢٥). ومسند الإمام أحمد. ٥/٧٢. رقم(٢٠٧١٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه.باب حجة الوداع. ٢/٦١٩.رقم(١٦٥٢).ومسلم في صحيحه. باب حجة الوداع. ٤/٣٩. رقم(٣٠٠٩)

(٤) رواه مسلم في صحيحه. باب الاحتكار. ٥/٥٦. رقم(٤٢٠٧). والإمام أحمد في مسنده. ٣/٤٥٣. رقم(١٥٧٩٩).

(٥) سورة التوبة (٣٤).

(٦) سورة الفرقان (٦٧).

ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1].

– وأمر بفريضة الزكاة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

– وأمر بالإنفاق ودفع الصَّدقات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

وهكذا، فلا نجد مجالاً من مجالات الحياة المختلفة، إلاّ وأرشد القرآن الكريم الإنسانَ إلى ما فيه مصلحته، ووضع التشريع المناسب للحفاظ على كيانه وكرامته.

رابعاً/ في حفظ الضرورات(الكلّيات): إنَّ للشريعة الإسلامية من حفظ الضرورات أو الكليات،أو حفظ الحياة، أو حفظ النفس، مهما اختلفت التسميات، غاية واحدة، وهي الحفاظ على كيان الإنسان، والارتقاء به إلى مدارج الكمال والكرامة، وقد حاول مفكّرو الغرب أمثال: روسو[4]، وهوبز[5]، ولوك[6]،

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) سورة التوبة (١٠٣).

(٣) سورة البقرة (١٩٥).

(٤) جان جاك روسو(١٧١٢–١٧٧٨م) , فيلسوف فرنسي الأصل سويسري الجنسية, رائد ومؤسِّس علم النفس التربوي, وصاحب نظرية العقد الاجتماعي, يقوم مذهبه على نقد الحضارة الأوروبية, بما تعرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة, تنسيه واجباته كإنسان وتفصله عن حاجاته الطبيعية. ينظر : موسوعة علماء النفس والتربية. فيصل عباس.ص٣٧.

(٥) توماس هوبز(١٥٨٨–١٦٧٩م) , فيلسوف أنجليزي, تعلم في أوكسفورد, ومذهبه أساسه نفساني, وناقش في كتابه:(الرسالة الصغيرة) ظاهرة الإحساس, وذكر أنَّ الوجود مادي, وأنّه وجود أجسام. ينظر : نفس المصدر.ص٣٩.

ولوك[1]، وغيرهم، الخروج من تعسُّف سلطة الكنيسة التي سلبتْ الحقوق الأساسية للإنسان، التي يجب أن يتمتع بها الكلُّ، وهي حقوق مشتركة لمجرد أنَّه إنسان. وهذه الضرورات تتوقف عليها حياة الإنسان، الدنيوية والدِّينية، ونجاة الوجود الإنساني، وإذا فُقدتْ هذه المصالح والضرورات، اختلَّتْ الحياة الإنسانية، وفسدتْ مصالح النَّاس، ولهذا اهتمَّ بها جميع الأمم، على مرِّ العصور، وبوسائل مختلفة.

يقول الطاهر بن عاشور(١٢٩٦-١٣٩٣هـ): هذه الضرورات قليل التعرض لها في الشريعة، لأنَّ البشر قد أخذوا حيطتها لأنفسهم منذ القدم، فأصبح مركوزاً في الطبائع، ولم تخلُ جماعة من البشر، ذات تمدّن، من أخذ الحيطة لها، وإنَّما تتفاضل الشرائع في كيفية وسائلها[2].

قال الشاطبي(ت٧٩٠هـ): تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها[3]، في الخلق، وهذه المقاصد ثلاثة أقسام: ضرورية وحاجية وتحسينية[4]، وفي هذه

---

(١) جون لوك(١٦٣٢-١٧٠٤م) , فيلسوف أنجليزي, أحد ممثلي النزعة التجريبية, درس الطب والكيمياء, وتدور نظرياته حول المعرفة والسياسة. ينظر : نفس المصدر. ص٤٠.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية. الطاهر بن عاشور. ص٣٠٦.

(٣) المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع, في جميع أحوال التشريع أو معظمها. أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كلِّ حكم من أحكامها. ينظر: مقاصد الشريعة. بن عاشور. ص٢٥١ . ويرى الرازي أنَّ الله تعالى وضع الأحكام لمصلحة العباد, وأنَّها لا تعلّل بالأغراض. ينظر: المحصول. الرازي. ٢٤٧/٥. وردَّ عليه الشاطبي: بأنَّ الشريعة وضعتْ لمصالح النَّاس, وأنَّ التعاليل المتعلقة بالأحكام أكثر من أن تحصى في القرآن والسنة. ينظر : الموافقات. الشاطبي. ٤/٢.إلاَّ إنّ الرازي خلافه مع الآخرين ليس على أساس أنّ الأحكام غير معللة، بل هي غير معللة بالنسبة لله تعالى، أمّا بالنسبة لنا فهي معللة، حيث يرى جواز التعليل بالحكمة. ينظر: المحصول. الرازي. ٣٨٩/٢.

(٤) الموافقات. الشاطبي. ٧/٢.

الدراسة سوف نركِّز على الضرورات.

وقد بحث العلماء في هذه الضرورات وحصروها في خمسة أشياء، وهي: الدِّين والنفس والعقل والعرض(النسل أو النسب) [1]، والمال[2].

وقد اتفقتْ الشرائع السَّماوية على حفظ هذه الأصول والمصالح الضرورية ومراعاتها، فنادت بها، وحرصتْ عليها، وعملتْ على حمايتها وحفظها، وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة، والزجر عنها، يستحيل ألاّ تشتمل عليه ملّة من الملل وشريعة من الشرائع، التي أريد بها إصلاح الخلق. لذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتال والزنا والسرقة وشرب المسكر، فكلُّ ما يتضمَّن حفظ هذه الأصول الخمسة، فهو مصلحة، وكلُّ ما يفوِّتها، فهو مفسدة ودفعها مصلحة[3].

وسوف نفصِّل القول أكثر في هذه الضرورات، لكي نوضِّح حرص التشريع الإسلامي في المحافظة على قيمة الإنسان وكرامته وكالآتي:

١- الدِّين: الدِّين مصلحة ضرورية للنَّاس، ولا قيام للحياة دون قيام الدِّين، إذ الدِّين ينظم العلاقات، ويؤسِّس نظام الحياة، ويعطي تصورات حقيقية

---

(١) يرى الطاهر بن عاشور أنَّ الضروري هو حفظ النسل من التعطيل, وليس حفظ النسب أو العرض ضرورياً, بل وسيلة حاجية. ينظر : مقاصد الشريعة. الطاهر بن عاشور.ص٨١.

(٢) وقد اختلف الفقهاء في ترتيب هذه الضرورات اختلافاً كبيراً, ويرجع السبب في ذلك, إلى أنَّ حصرها وترتيبها أمر اجتهادي, لا توقيفي, حسب ما يراه كلُّ واحد من الاهمية. ينظر : الموافقات. ٢/٨. والمستصفى الغزالي. ص١٧٤-١٧٥. والمحصول. الرازي. ١٥٨/٥. وشرح تنقيح الفصول. القرافي.ص٣٠٤. والإحكام في أصول الأحكام. الآمدي. ٣٠٢/٣.

(٣) ينظر: المستصفى. الغزالي. ص١٧٤. وفلسفة العقوبة. د.محمد أبو زهرة.ص٤٢. والأصول العامة لوحدة الدين الحق. ص٥. وحق الحرية في العالم.ص١٩٧. كلاهما للدكتور وهبة الزحيلي.

للخلق والكون والحياة والإنسان، وهو المصدر الذي يؤكِّد دائماً إحقاق الحق، وإقامة العدل والمساواة والحرِّية، في مجالات الحياة المختلفة.

والدِّين الذي نعنيه، هو دين الإسلام، لأنَّه دين الأنبياء جميعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وقد وضع الإسلام الدعائم التي تكفل الحفاظ على الدِّين، فشرع أحكام العقيدة والإيمان، من خلال آيات كثيرة، حفاظاً على العقيدة الصحيحة، التي تربط الخالق بالمخلوق، وشرع أنواع العبادات، وبيَّن كيفيتها، وأكَّد على فرضيتها واستمرارها، لتنمية الدِّين في النفوس وترسيخه في القلوب، وربط بين العبادات والثواب والعقاب ودعا إلى نشر الدِّين من خلال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفرض الجهاد للدفاع عن الدِّين وأهله، ومنع الفتنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، وشرع عقوبة المرتدَّ، لأنَّ الردَّة عبث بالدِّين، وقد تطرقنا إلى ذلك في مبحث الحرِّية الدِّينية، صفحة(١١٨-١٢٢). من هذه الأطروحة.

٢- **النفس**: المراد بالنفس ذات الإنسان، وقد توسَّع ابن عاشور فيما يتمُّ به حفظ النفس، ولم يقتصر على ما ذكره الفقهاء من التمثيل له بالقصاص

---

(١) سورة آل عمران (١٩).

(٢) سورة آل عمران (٨٥).

(٣) سورة البقرة (١٩٣).

وتحريم القتل، حيث قال: ومعنى حفظ النفس، حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعمومات، لأنَّ العالم مركّب من أفراد الإنسان، وفي كلٍّ نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم، وليس المراد حفظها بالقصاص، كما مثّل لها الفقهاء، بل نجد القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس، لأنّه تدارك بعد الفوات، بل الحفظ أهمه حفظها من التلف قبل وقوعه، مثل: مقاومة الأمراض– وقد منع عمر بن الخطابﷺ الجيش من دخول الشام،لأجل الطاعون– ويلحق بحفظ النفوس من الإتلاف، حفظ بعض أطراف الجسد من الإتلاف، وهي الأطراف التي ينزل إتلافها منزلة إتلاف النفس، في انعدام المنفعة بتلك النفس، مثل الأطراف التي جعلتْ، في إتلافها خطئاً، الدّية كاملة[1].

هذا إذا كانت النفس معصومة الدّم، أمّا النفوس المهدرة الدّم، وهي التي اعتدتْ على حق الآخرين، فلا تحفظ، بل إتلافها حماية لحقوق الآخرين[2]، والتي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3].

وفي سبيل حفظ النفس، حرَّم الإسلام الاعتداء عليها، وأوجب تناول الطعام والشراب واللباس والمسكن، وحرَّم الانتحار وكلَّ ما يضر الجسم من المأكولات والافعال الخبيثة ونهى عن التبتُّل(عدم الزواج)، وحرَّم صوم الوصال، وجعل التكليف بقدر الاستطاعة، وفتح أبواب الرخص في العبادات والأحكام خشية الهلاك، ووضع الفقهاء

---

(١) ينظر : مقاصد الشريعة . الطاهر ابن عاشور. مصدر سابق. ص٣٠٣.

(٢) ينظر : حق الحياة البشرية. مصدر سابق. ص٩٢.

(٣) سورة الأنعام (١٥١).

القاعــدة الفقـــــهية:(صــــحة الأبــدان مقدّمة على صحة الأديـــان) [1].

ووضع الأحكام المتعلقة بـالولادة، وأبـاح الطـلاق- وهـو أبغـض الحـلال- كدواء للأمراض الزوجيـة، وجعـل ديـة قتـل الخطـأ علـى العاقلـة، تخفيفاً علـى القاتل، ورغّب في العفو، وحرَّم التمثيل بالقاتل، ووضـع آداباً متنوعـة في تنفيـذ العقوبة، ورغّب في الصفح والعفو والإحسان عنـد المقـدرة، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2].

٣- **العقل**: هوأعظم منحة من رب العالمين، وبه يتميـز الإنسـان عـن بقيـة الحيوانات، ولهذا فالحفاظ على العقـل يختلـف عـن الحفـاظ علـى الـنفس، فـدعا الإسلام إلى الصِّحة الكاملة للجسم، لتأمين العقـل الكامـل، لأنَّ العقـل السـليم في الجسم السليم، وشرع الإسلام حدَّ الخمر، لمن يتناول المشروبات القذرة الضارَّة والمخدرات، لأنَّ الحفاظ على العقل يمثل مصلحة ضرورية، وإلاّ فقد الإنسان أعزَّ ما يملك، ووضع الفقهاء أحكام الصبي المميز، والمعتوه والمجنون والحجر على على السفيه والمبذِّر[3].

٤-**النسل** (العرض والنسب): اعتبر الإسلام حفظ النسل من الضـروريات، وهو إحدى الصفات الأساسية المعنويـة في الإنسـان، والقصـد منـه هـو الحفـاظ على العرض والنسب، وقد شرع الله الزواج للحفاظ على النسـل، ووضـع أحكـام

---

(١) مجلة المنار. محمد رشيد رضا. ٥/ ٤٤١.

(٢) سورة البقرة (١٧٨).

(٣) ينظـــر : الأصـــول العامـــة. مصـــدر ســـابق.ص١٣٦. وحقـــوق الإنســـان. د. الزحيلي.مصدرسابق.ص٧٨-٩١.

الأسرة، والخطبة والمهر ورعاية الزوجة، والحمل والمصاهرة والمحْرمات، وأوجب نفقة الزوجة، وأوصى بالأولاد، وحرَّم الزنا حتَّى لا تختلط الأنساب وتضيع الذرية ويتشرَّد الأطفال.

ورغَّب الإسلام في الزواج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

وشرع الإسلام أحكاماً متنوعة للحفاظ على النسل، فدعا إلى غضِّ البصر، ومنع الشتم في العرض، فأقام له الحدَّ، وهو ما انفرد به الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ ﴾[3].

ووضع حدَّ الزنا، واشترط لهذه الحدود شروطاً، لأنَّ الحدَّ جريمة كاملة، وحرَّم الإسلام التبنِّي، لأنَّه اعتداء على نسب الطفل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾[4]. وحرَّم الإسلام الخلوة بالأجنبية، منعاً للوقوع في المعاصي، وسوء الظَّن، والاتهام في العرض، وإشاعة الفاحشة.

٥- حفظ المال: المال وسيلة الإنسان الأساسية في تأمين العيش، وهو

---

(١) سورة النساء (٣).

(٢) سورة النور (٣٢).

(٣) سورة النور (٤).

(٤) سورة الأحزاب (٥).

أشد الأشياء تعلقاً بالإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1].

ومن أجل ذلك شرع لإيجاد المال وتحصيله، السعي في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]، ودعا إلى تحصيل الحلال من الطيبات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[3].

وشرع في سبيل الانتفاع بالأموال، المعاملات الشرعية التي تكفل الحصول عليه، من خلال التبادل، كالبيوع والشركات والإجارة، وسائر المعاملات.

وفي سبيل حفظ الأموال وحمايتها ومنع الاعتداء عليها، وضع أحكاماً كثيرة، فحرَّم السرقة وأقام الحدَّ على السارق، وحرَّم قطع الطريق، وسمَّى فاعليه بالمحاربين الله، وأقام لهم حدَّ قطَّاع الطرق، وحرَّم أكل أموال النَّاس بالباطل، واعتبر العقد عليها باطلاً، ومنع إتلاف أموال الآخرين، وشرع الضمان والتعويض على المتلف والمعتدي[4].

وأرشد الإسلام إلى حسن استعمال الأموال والتصرف بها، وحرَّم الغشَّ والاحتكار والإسراف والتقتير في الإنفاق، ونهى عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع الإنسان على بيع أخيه.....ورخَّص في بعض العقود التي لا تطبق عليها الأسس العامة في العقود،

---

(١) سورة الفجر (٢٠).

(٢) سورة الجمعة (١٠).

(٣) سورة البقرة (١٦٨).

(٤) ينظر : الموافقات. الشاطبي. مصدر سابق. ٢/٥. وقواعد الأحكام. مصدر سابق . ٢/١٣١. ٢/١٣١. والأصول العامة لوحدة الدين الحق. مصدر سابق. ص١٥٣

فشـــرَّع الســـلم، وهوبيع المعدوم، وأجاز الاســـتصناع والمزارعـة والمساقاة، لـــرفع الحـــرج عـــن النَّـــاس في التـــعامـــل[1].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف بين التشريعات السَّماوية

حرصتْ الأديان السَّماوية كلَّ الحـرص علـى محوريـة كرامـة الإنسـان، وأنَّ التشريعات إنَّما وضعت لتحقيق هذا الغرض، وأن تكون مصدراً لسعادة البشرية جمعاء، ولتحقيق العدالة والفضيلة والأخلاق وحمايتها.

وحاولـتْ كـلُّ الفلسـفات- مـن منطلـق رفـع شـأن الإنسـان- البحـث عـن الوسائل والتشريعات الـتي تضـمن بقـاء الإنسـان، ورفـع مكانتـه وبيـان شـرف منزلته بين المخلوقات؛ إلاَّ أنَّ معظم هذه الفلسفات فشلتْ في تحقيق ذلك.

-**أمَّا عن وجوه الاتفاق:** إنَّ هـذه الشـرائع في الأصـل تحـرم القتـل والزنـى والسرقة وانتهاك الحقوق، ما عدا ذلك لا نجد تشابهاً يستحق الذكر، نظـراً لكـون الشرائع تتغير بتغيُّر الزمان والمكان والطبيعة البشرية، والظروف والبيئات التي ترافق التطور العمراني والحضاري للحياة البشرية، ونتيجة للتحريف الـذي وقـع في التوراة والإنجيل، ولكن رغم ذلك نسـتطيع أن نلـتمس بعـض وجـوه الاتفـاق بين تلك الشرائع:

١- من حيث المصدر، فإنَّ هذه الشرائع ترجـع إلى أصـل واحـد، وهـو أنَّ الله واضع هذه التشريعات، إلاَّ أنَّ التوراة والإنجيل وقع فيهما التحريف، فأخفتْ معالم هذه الأصول، أو شوهتْ مبادءها وأحكامها.

٢- تتفق هذه الشرائع على ضرورة وجود شريعة إلهية، وتطبيقها لتحقيـق العدالة والمسـاواة، ورفـع الظلـم عـن النَّـاس واسـترداد الحقـوق، وجعـل النَّـاس متساوين في الحقوق والواجبات.

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان. د.محمد الزحيلي. مصدر سابق.ص٩٢-٩٣.

-**أوجه الاختلاف:** أمَّا وجوه الاختلاف، فكثيرة وخاصة في مجال التطبيق وكيفية إنزال العقوبات، ويمكن حصر أهم أوجه الاختلاف بين تلك التشريعات في الأمور التالية:

أولاً/ في التوراة : تتميَّز شريعة التوراة بمميزات عديدة منها:

١- إنَّ شريعة التوراة فيها تحريم لكثير من الطيبات، وهي ليست في الأصل محرَّمة، ولكن اليهود حرّموها على أنفسهم، مثل شحوم الحيوانات وغيرها.

٢- إنَّ شريعة التوراة تغلب عليها الشدَّة والصرامة والخروج عن الحد المألوف والمعقول والمعتدل، وأنَّها مشتملة على أحكام شاقّة، وتغلّظ الحكم في أمور هيِّنة.

٣- أنَّها مالتْ كثيراً، في تحقيق العدالة لصالح اليهود، وفسَّروا جميع الأحكام وطبَّقوها على اليهودي، أمَّا غير اليهود، فليس مطلوباً من اليهودي أن يعاملوهم معاملة إنسانية.

٤- إنَّ الربا محرَّم بنص الشريعة التوراتية، إلاّ أنَّ اليهود حصروا هذا التحريم في اليهود فقط، أمَّا غير اليهود، فيجوز أن يتعاملوا معهم بالربا.

٥- أنَّ الزنا محرَّم في الشريعة التوراتية، إلاّ أنَّ أسفار العهد القديم مليئة بالقصص الغرامية وفعل الزنا، حتَّى في حق الأنبياءعليهم السلام، ممَّا يجعل من الزنا شيئاً مألوفاً، وحتَّى في تطبيق حدّ الزنا، فإنَّها تتساهل إذا كانت المرأة غير يهودية، ولا يطبق الحكم على اليهودي.

٦- ويلاحظ أنَّ الحدود التي وضعها التوراة على فعل الزنا، تركّز كثيراً على المرأة دون الرجل في حالة التطبيق.

٧- إنَّ أحكام القتل في التوراة واضحة، تؤكد على إقرار العدالة، دون تمييز بين النَّاس، إلاّ أنَّ اليهود قيَّدوا هذه الأحكام باليهودي.

٨- هناك أحكام شديدة وغير مبرَّرة في التوراة، منها: قتل من يعمل في يوم

السبت، وكذلك حكم قتل الولد العاق.

٩- وفي حالة الحرب، فإنَّ نصوص التوراة تؤكّد على على القتل العام، دون تمييز بين طفل أو شيخ أو امرأة أو أسير.

١٠- في بعض أحكام التوراة، ليس هناك حكم محدد، بل هناك أحكام متعددة في جرم واحد، مثلاً في حكم السرقة، فإنَّ الحكم يدور بين القتل والتعويض والبيع بالمسروق، بينما حكم الخطف هو القتل.

١١- ليس في شريعة التوراة الحالية قبول الدية في القصاص، وأنَّها لم تشرّع التوبة من الذنوب، أو الإستتابة من الجرم.

ثانياً/ في الإنجيل: الإنجيل مكمل للتوراة، ومنحصر في بني إسرائيل ويتميز بما يأتي:

١- لم يأتِ الإنجيل بشريعة دنيوية جديدة، وإنَّما جاء إقراراً للتوراة وأحكامه، وأنَّه أحلَّ بعض الطيبات التي حرَّمها اليهود على أنفسهم، كما أبطل بعض الأحكام.

٢- إنَّ الإنجيل ركّز في مبادئه على الجوانب الأخلاقية، والزهد والتسامح والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين.

٣- جاء الإنجيل بالتركيز على تحريم الأشياء التي تؤدي إلى القتل والزنا والفواحش التي تترتب عليها العقوبات.

٤- وأعاد الإنجيل الأحكام التي لم يرد ذكرها في التوراة، بل أهملها اليهود، مثل المغفرة والصفح والتوبة.

ثالثاً/ في القرآن الكريم:

القرآن هو دستور الله الخالد، الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة من الأحكام، تتوقف عليها الحياة إلاَّ ذكرها وأكّد على تطبيقها، والشريعة التي جاء بها القرآن يمكن أن نوجز أهم مميزاتها فيما يأتي:

١- إنَّ القرآن شريعة كاملة جامعة معتدلة، أحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث، ولم يأتِ مكمِّلاً للتوراة والإنجيل فقط، وإنَّما مصحِّحاً ومكمِّلاً لهما، بل ناسخاً لكثيرٍ من أحاكمهما، وجاء بتشريع يتَّسم بالمرونة والشمولية، وأنَّه يرفع من شأن الإنسان عالياً، يجعله ذا كرامة لا يركع لغير الله.

٢- أكّد القرآن الكريم على حق الحياة، وأنَّها مقدَّسة ومنحة من رب العالمين، لا يمكن لأيِّ إنسان أن يأخذ هذا الحق، وأنَّه حرَّم القتل بنصوص قاطعة، إلاَّ لأسباب يحدِّدها الشرع، وأنَّه جعل الانتحار وقتل الأولاد خشية إملاق محرَّماً، وحرَّم الإجهاض، كل ذلك من أجل إبقاء النَّفس، لأنها مقدسة.

٣- وفي الحدود والقصاص والعقوبات، حرص الإسلام على مبدأ كرامة الإنسان، وقبل أن ينصَّ على الحدود والعقوبات، نصَّ على الأشياء المحرَّمة، ورتّب العقاب عليها، ثمَّ شرع لمن يرتكبها العقاب المناسب، منعاً وزجراً وتأديباً وردعاً.

٤- وقد أجاز الشرع الحكيم الشفاعة في الحدود قبل رفعها إلى الحاكم، وأمر بدرأ الحدود بالشبهات، وشرع العفو، ورتّب عليه الثواب في الآخرة، وفتح باب التوبة أمام الجميع.

٥- وفيما يتعلق بالعقود والتصرفات، فقد حرص الشرع الحكيم على أن تجرى هذه العقود على أسس إنسانية، تلبِّي حاجات الإنسان، فجعل العمل حقاً مقدَّساً، وحرَّم الغش والاحتكار والرِّبا والاعتداء على أموال الآخرين، وحضَّ على عمل الخير ودفع الزكاة والإنفاق في سبيل الله.

٦- وأكّدتْ الشريعة الإسلامية، على حفظ الضرورات، التي هي قوام الحياة، وهي الدِّين والنفس والعقل والمال والنسب، ولا قيام للشريعة إلاَّ بحفظ هذه الضرورات.

المبحث الخامس
تكريم الميِّت في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: تكريم الميّت في التوراة

إنَّ الذي يقرأ العهد القديم، فيما يتعلّق بالموت، يخيَّل إليه أنَّه ليس حقيقة طبيعية حتمية، أو إرادة إلهية، بل أنَّه يعطي سببيْن للموت، **الأول:** أنَّ الإنسان خُلق من التراب ولا بدَّ أن يعود إلى التراب:((فأنت تراب وإلى التراب تعود)) [١]، وكذلك ورد:((من الطين جبلتني، تذكّرْ، والآن إلى التراب تعيدني)) [٢]. **الثاني:** أنَّ الموت عقاب على الذنوب التي يرتكبها الإنسان، وعلى معصية آدم وحوّاء، التي بسببها طُردا من الجنَّة:((لعلّه يمدُّ يده إلى شجرة الحياة أيضاً، فيأخذ

---

(١) سفر التكوين(٣:١٩).

(٢) سفر أيوب(١٠:٩).

منهـا ويأكـل، فيحيـا إلى الأبـد)) [1]، وكـذلك مـا ورد مـن أنَّ مـوت موسـى وهارون(عليهما السّلام)–وقد أشرنا إلى ذلك في صفحة(٦١)– كـان بسـبب عـدم إلتزامهما بالتوراة.

وجثَّة الميِّت تعتبر نجسة عند اليهود، والـذي يلمسـها يكـون آثمـاً ونجسـاً سبعة أيّام، وعليه أن يتطهّر ويقدِّم ذبيحة:((مَن لمس ميِّتاً مـن النّـاس، يكـون نجساً سبعة أيّام، ويتطّهر بذلك الماء في اليوم الثالث وفي اليوم السابع، فيطْهـر، وإنْ لم يتطّهـر يـنجس مسـكن الرَّب....فهـو نجـس ونجاسـته باقيـة فيـه)) [2]، وورد:((كلُّ مَن لمس على وجه البرية قتيلاً بالسيف، أوميِّتاً ميتـةً طبيعيـة، أو لمس عظم إنسان، أو قبراً، يكون نجساً سبعة أيّـام)) [3]، وأنّـه يمنـع الشـخص من الدخول على الميِّت حتَّى لو كان أبـاه أو أمـه، حيـث ورد:((علـى ميِّـت لا يدخل ولو كان أباه وأمه، لئلاّ يتنجّس)) [4].

وفي العهد القديم عبـارات وإشـارات يفهـم منهـا أنَّ اليهـود تصـوروا المـوت ضرباً من ضروب العودة إلى الأسلاف والانضمام إليهم:((فلمَّا فرغ يعقـوب مـن وصيته لبنيه، ضمَّ رجليْه على السـرير، وأسـلم الـروح، وانضـم إلى آبائـه)) [5]، وورد عن يوسف عليه السلام أنَّه قال لابنه:((لا تدفني في مصر، بل إذا مـتُّ إحملـني وادفنّي في مقبرة آبائي)) [6].

ومن أجل هذا أصبح من الواجـب والضـروري أن يـدفن اليهـودي إلى جـوار

---

(١) سفر التكوين(٣:٢٢).

(٢) سفر العدد(١١:١٩). وعند الحنابلة يجب الإغتسال لمَن غسّل ميِّتاً، وعند الجمهور هو سنّة.

(٣) سفر العدد(١٦:١٩).

(٤) سفر اللاويين(١١:٢١).

(٥) سفر التكوين(٣٣:٤٩).

(٦) سفر التكوين(٤٧:٢٩–٣٠).

أسلافه[1]، وعلى هذا الأساس أيضاً، يظهر اليهود المتديِّنون احتراماً سحرياً للجثث والمقابر اليهودية، ولذا يعلِّمون أطفالهم بأن يتلوا دعاءً بالرحمة إذا مرَّ بالقرب من مقبرة يهودية، وأن يلعن أمهات الموتى، إذا كانتْ المقبرة لغير اليهود[2].

وفي العصرالحديث ذهب بعض حاخامات اليهود، إلى أنَّ الموت حقيقة طبيعية حتمية، وذهبتْ فرقة القبّالاه[3]، أنَّ الموت ليس حقيقة نهائية يقبلها المؤمن، وإنَّما هو عيب في الخَلق، على الشعب أن يصلح هذا العيب ويزيله، وينقذ بذلك البشرية[4]. وفيما يتعلَّق بتشريح جثة الميِّت، فليس هناك تحريم واضح لعملية التشريح في العهد القديم، والقانون الإسرائيلي يسمح بتشريح جثث الموتى، إذا لم يطالب أحد بغير ذلك، أو نصَّ الميِّت على ذلك في وصيته[5].

المطلب الثاني: تكريم الميِّت في الإنجيل

يقسِّم المسيحيون الموت إلى قسميْن: الموت الجسدي، الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي، وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله تعالى، حيث جاء في قاموس الكتاب المقدس: الموت ينقسم إلى ما يصيب الجسد فقط دون

---

(1) موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٥/٢٣٦.

(2) التاريخ اليهودي. مصدر سابق. ص٣٩. وص٦٠.

(3) القبّالاه, كلمة آرامية وتعني: القبول أو التلقي, وهي فرقة يهودية, أساسها الأفكار التلمودية, والتفسيرات الباطنية, والاعتماد على التأمُّل, تعود من حيث النشأة إلى سمعان بن يوشاي, الذي عاش في القرن الثاني الميلادي, تأثرتْ هذه الفرقة بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية. ينظر: موسوعة الأديان(الميسرة). ص٤٠٣-٤٠٤.

(4) موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٥/٢٣٦.

(5) نفس المصدر . ٥/٢٣٩.

النفس، وإلى ما يصيبهما معاً[1]، وجاء في إنجيل متى:((لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولا يقدرون أن يقتلوا النفس، بل خافوا الذي يقدر أن يهلك الجسد والنفس معاً)) [2].

ويعرِّف المسيحيون الموت الجسدي بأنه: انفصال النَّفس عن الجسد، وعودة الجسد إلى التراب، متحلّلاً إلى عناصره البسيطة[3]، وقد عبَّر عن الموت الجسدي في العهد القديم والجديد بتعبيرات مختلفة، منها: الانضمام إلى القوم[4]، والانضمام إلى الآباء[5]، والنوم[6]، والبيت الأبدي[7]، والرقاد بيسوع[8]، والنزول إلى القبر[9].

والموت الجسدي مترتِّب عن خطيئة آدم عند المسيحيين، وأنَّه نتيجة من نتائج السقوط في الخطيئة[10]، وأنَّه لا بدَّ من الموت لكل إنسان، لأنَّ آدم، الإنسان الأول، سقط في الخطيئة[11].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس. لجنة من اللاّهوتيين. ص٩٢٩.

(٢) إنجيل متى (١٠:٢٨).

(٣) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. القس فايز فارس.ص٢٥٨.

(٤) سفر التثنية(٣٢:٥٠).

(٥) سفر القضاة(٢:١٠).

(٦) سفر يوحنا(١١:١١).

(٧) سفر الجامعة(١٢:٥).

(٨) رسالة تسالونيكي الأولى(٤:١٤).

(٩) ينظر : علم اللاهوت النظامي. لجنة من اللاّهوتيين.ص١١٦٧.

(١٠) ينظر: مدخل إلى العقيدة المسيحية. كوستلي بندلي وآخرون.ص٩٣. ويوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية. د.فرج الله عبدالباري.ص٦٢ . والمسيحية في الإسلام. إبراهيم لوقا. ص١٥٨.

(١١) إيماننا الحيّ .الأب دروبير كليمان والأب أدمون اليسوعيان. ص٥٠٧–٥٠٨.

وعلى هذا، فالموت في المسيحية سببه خطيئة آدم التي ورثها النَّاس عنه، وهو من الأمور شبه المتفق عليها بين المسيحيين.

ويصرِّح المسيحيون أكثر من ذلك، حيث يعتقدون أنَّ آدم لو لم يخطئ، لكتب لنا الخلود:(لو لم يخطئ آدم لما مات، ولما كنَّا نحن أيضاً نموت، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض، وأسعد منها، بغير قياس، في السَّماء) [1]، ولقد ولقد كانت نعم الله تعالى تكتنف الإنسان وتحفظه من الأمراض والموت، أمَّا وقد رفض هذه النعمة وتعرَّى عنها، فلم يعد شيء يحفظه من الانحلال الذي تؤول إليه طبيعته، فالموت عندهم ضد طبيعة الإنسان الأصلية، وأنَّ الله خلق الإنسان خالداً، وصنعه على صورة ذاته، وكذلك الموت ليس من صنع الله[2]، ولا يسرّه هلاك الأحياء[3].

وقد جاءت المعاني بشكل واضح في الأناجيل وأعمال الرسل لتؤكِّد أنَّ الموت سببه خطيئة آدم:((لأنَّ أجرة الخطيئة هي الموت، وأمَّا هبة الله، فهي الحياة الأبدية في المسيح)) [4]، وجاء أيضاً:((وشوكة الموت هي الخطيئة، وقوة وقوة الخطيئة هي الشريعة)) [5]. وأمَّا شوكة الموت فهي الخطيئة، لولا

---

(١) علم اللاّهوت حسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية. القمص ميخائيل مينا. ٢/٢٨٤.

(٢) ليس من المعقول أن يخلق الله الإنسان خالداً, ثمَّ يقرر ويكتب عليه الموت بسبب الخطيئة التي عملها آدم وحوّاء, ويعمَّ الموت البشرية كلّها, فهذا ما لا يستسيغه العقل, إلاّ إذا سايرنا عقيدة البداء. ومن جهة أخرى فإنَّ القول بعدم خلق الله للموت, يخالف صريح آيات القرآن, قال تعالى: ((...خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً...)).{سورة الملك من الآية (٢)}.

(٣) ينظر : مدخل إلى العقيدة المسيحية . مصدر سابق. ص٩٢ وص٢٧٩.

(٤) رسالة رومة(٦:٢٣).

(٥) رسالة كورنثوس الأولى(١٥:٥٦).

الخطيئة، لم يكن للموت قوة على الإيذاء[1].

ويذهب المسيحيون إلى أبعد من ذلك، حيث ربطوا الموت بالسيد المسيح عليه السلام وأنَّه رفع الخطيئة عندما ذاق الموت بإرادته على الصليب، وحوَّله إلى حياة[2].

وفي التصوُّر المسيحي أيضاً، فإنَّ جسد المسيحي هيكل للروح القُدُس، فهو خادم للرَّب، ومصيره أن يقوم مجداً في اليوم الآخر، وبالتالي يجب أن يحاط جسد المسيحي أيضاً بالاحترام بعد موته، والكنيسة تكرِّمه، بإقامة مراسيم الجنازة ودفنه في أرض مباركة[3].

ومن الأمور المتفق عليها، بين المسيحية والإسلام في قضية الموت، هو أنَّ الموت لجميع البشر، وأنَّ وقته غير معلوم، وتتفق في غسل الميِّت وتكفينه والدَّفن والصَّلاة عليه، إلاَّ أنَّ هناك اختلافاً في كيفيات تلك الأمور[4].

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل. مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. ٣٠٤/٦.

(٢) ينظر : السَّماء. الأنبا يؤانس. ص٩٤. نقلاً عن: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية.مصدر سابق. ص٧٧.

(٣) إيماننا الحيّ. الأب درويير. مصدر سابق.ص٥١٨. ولكن البروتستانت لا يصلُّون من أجل الميِّت, ولا يطلبون مغفرة, ولا يسألون الله من أجل أبدية الميِّت الذي أنتقل, بل كل ما يحدث, هو إدخاله الكنيسة لقراءة بعض الفصول, وتلقي العظة لمجرد تعزية الأسرة. ينظر: اللاّهوت المقارن. البابا شنودة الثالث. ص١٦.

(٤) ينظر : يوم القيامة . مصدر سابق. ص٧٩-٨٠.

المطلب الثالث: تكريم الميّت في القرآن الكريم

الموت، هو السكون[1]، وهو صفة وجودية خلقتْ ضداً للحياة[2]، والموت ليس عدماً، وإنَّما هو شيء موجود، ذكره الله مع الحياة، وقدَّم الموت، لأنَّ الموت هو الأصل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[3].

وأردف الله الموت بالإقبار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾[4]، ومعلوم أنَّ الله أكرم بني الإنسان بأن جعل ميِّتهم ذا قبر يتوارى فيه، ولا يلقى على ظهر الأرض تتناوشه السباع والجوارح من الطير، فيكون حطّاً لقدره ومسّاً لكرامته[5].

يقول ابن عاشور(١٢٩٦-١٣٩٣هـ) في تفسير الآية: وهي تتضمن منَناً على النَّاس في خلقهم وتسويتهم وأكمال قواهم أحياءً، وإكرامهم أمواتاً بالدَّفن، لئلا يكون الإنسان كالشيء الملقي، يتجنَّب بنو جنسه التقرُّب منه، ويهينه إلتقام السباع وتمزيق مخالب الطّير والكلاب[6]. وقال القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ): أقبره، أي: جعل له قبراً يتوارى فيه إكراماً، ولم يجعله ممَّا يلقى على وجه الأرض، تأكله الطير والعوافي[7].

---

(١) لسان العرب. ١٤/١٤٧.

(٢) التعريفات. الجرّجاني. ص٣٠٤.الموت نوعان، عدمي وهوعدم الحياة، ووجودي، وهي مرحلة تأتي بعد الحياة.

(٣) سورة الملك (٢).

(٤) سورة عبس (٢١).

(٥) ينظر : مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف. مصدر سابق. ص٤١٤.

(٦) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ٣٠/ ١٢٥

(٧) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٩/٢١٩.

لأنَّ تكريم الإسلام للإنسان لم يقتصر على فترة حياته، بل شمل تكريمه ورعايته بعد الموت، وأنَّه كرَّم الإنسان حيًّاً وميِّتاً، واعتبر حرمة الميِّت واجبة شرعاً، وكلَّف الأقارب والمجتمع والأمَّة والدولة، بتكريم الميَّت ودفنه وفْقاً لأحكام دينه، ومنع التشهير به، حيث نهى رسول اللهﷺ عن المثلة بالميِّت والقتيل، حتَّى لو كان من الاعداء، قالﷺ:((كسر عظم الميِّت ككسر عظم الحيِّ))[1]. قال الشافعي(ت١٥٠هـ) (رحمه الله): تعني، في المأثم[2].

وعن عليٍ ﷺ أنَّه قال ﷺ:((لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميِّت))[3]، وأوجب الإسلام غسل الميِّت وتكفينه[4]، ودفنه والصَّلاة عليه، واعتبر نفقات ذلك أوَّل الحقوق المتعلِّقة بالتَّركة، وتقدَّم على وفاء الدِّيون – عند الحنفية – وتبرأ ذمَّة الميِّت، وأوجب الشرع وفاء الدَّيْن عنه من تركته، قبل الوصية والميراث، لقوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾[5]، وأمر وأمر المسلمين باحترام الجنازة والقيام لها، عن عامر بن ربيعة ﷺ أنَّه

---

(١) مسند الإمام أحمد. ١٠٥/٦.رقم (٢٤٧٨٣). وصحيح ابن حبان.٤٣٧/٧.رقم (٣١٦٧). والسنن الكبرى. البيهقي. ٥٨/٤. رقم(٦٨٧٠). قال ابن القطَّان وأخوه يحيى: حديث حسن: ينظر: البدر المنير. ابن الملقِّن. ٧٦٩/٦.

(٢) ينظر: السنن الكبرى . البيهقي. ٥٨/٤.

(٣) السنن الكبرى. البيهقي. ٣٨٨/٣. رقم(٦٤١٦). وسنن أبي داود. ١٦٥/٣.رقم(٣١٤٢). وابن وابن ماجه. ٤٦٩/١.رقم(١٤٦٠). ومسند الإمام أحمد. ١٤٦/١. رقم(١٢٤٨). وضعَّفه الألباني. ينظر: إرواء الغليل. الألباني. ١٥٩/٣.

(٤) ذهب أكثر أهل العلم أنَّ الشهيد لا يغسل ولا يكفَّن, وفي الصَّلاة عليه خلاف, والصحيح الأقتداء بالنبيِّ ﷺ لأنَّه أمر بدفن شهداء أُحُد بدمائهم, ولم يغسلهم, ولم يصلِّ عليهم. ينظر: صحيح البخاري. ٨٧٧/٢. باب الصلاة على الشهيد.

(٥) سورة النساء (١١, ١٢).

قال ﷺ:((إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتَّى تخلِّفكم أو توضع)) [1]، ومرَّ على رسول الله ﷺ جنازة يهودي فقام لها، وقال الصحابة يا رسول الله هذه جنازة يهودي؟ قال:((أو ليستْ نفساً)) [2]، وحثَّ ﷺ على صيانة عرض الميِّت، حيث حيث قال:((أذكروا محاسن موتاكم وكفُّوا عن مساوئهم)) [3]، وعن عائشة رضي رضي الله عنها أنَّه قال ﷺ:((لا تسبُّوا الأموات فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا)) [4]، ومنع الرسول ﷺ وطأ القبور والجلوس عليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال:((لئن يجلس أحدكم على جمرة فتحترق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر)) [5]، ومنع الإسلام نبش القبور أو التمثيل به، أوقطْعَ عضو منه، حتَّى إنَّه مع كونه فارق الحياة فلا يشعر به، ونتيجة لهذه الأحاديث وضع الفقهاء قاعدة:(حرمة الآدمي ميِّتاً كحرمته حيَّاً) [6].وهذا ما تميَّز به الإسلام، حيث جعل للإنسان الميِّت حقوقاً بعد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.باب القيام للجنازة. ٤٤٠/١. رقم(١٢٤٥). ومسلم. باب القيام للجنازة ٥٦/٣. رقم(٢٢٦١)

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب جنازة يهودي. ٤٤١/١. رقم(١٢٥٠). والإمام أحمد في مسنده. ٣٤٣/٢. رقم(٨٥٠٨).

(٣) المعجم الكبير. السيوطي. ٤٣٨/١٢. رقم(١٣٥٩٩). والسنن الكبرى. البيهقي. ٧٥/٤.رقم(٦٩٨١). وسنن الترمذي. ٣٣٩/٣. رقم(١٠١٩). ضعَّفه الألباني.ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي. ١١٥/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.باب النهي عن سبِّ الأموات. ٤٧٠/١. رقم(١٣٢٩). وباب سكرات الموت. ٢٣٨٨/٥.رقم(٦١٥١)

(٥) رواه مسلم في صحيحه. باب الجلوس على القبر. ٦٢/٣.رقم(٢٢٩٢). والإمام أحمد في مسنده. ٣١١/٢.رقم (٨٠٩٣).

(٦) كشّاف القناع. منصور بن إدريس البهوتي. ٨٥/٤. وموقع الألوكة: www.alukah.com . تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٩م.

موته، أوجب مراعاتها على الأحياء، يحاسبون بالتقصير فيها، ويكافئون بأدائها.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في تكريم الميِّت

تتفق الأديان السَّماوية في أنَّ الموت حقٌّ، وأنَّه أمر حتميٌّ يعمُّ الجميع، وأنَّ وقته غير معلوم، وأنَّ الميِّت يجب أن يُغسل ويُكفَّن ويُدفَن في مكان لائق به، وأن يُصلَّى عليه، ولكن اختلفتْ في كيفيات إجراء هذه الأمور.

أمَّا عن وجوه الاختلاف:

١- فقد ورد في التوراة أنَّ الموت جاء كعقاب للإنسان، نتيجة عدم امتثاله للأوامر الإلهية، وورد في الإنجيل أنَّ الإنسان خُلق ليكون خالداً في الجنَّة، ولمَّا أخطأ آدم، كتب عليه الموت، نتيجة اقترافه الخطأ. أمَّا في القرآن الكريم، فلا وجود لمثل هذه المفاهيم، وإنَّما يؤكِّد على أنَّ الموت كتب على الإنسان بقضاء الله وقدره، وأنَّه ضرورة حتمية واختبار للإنسان.

٢- ووفقاً لنصوص التوراة، فإنَّ جثَّة الميِّت تعتبر نجسة، ولا يجوز لمسها أو الاقتراب منها مهما كانت درجة القرابة بينهما، ومن يلمس الميِّت يكون نجساً سبعة أيّام، وعليه أن يتطهّر، وهذا الحكم غير وارد في الإنجيل والقرآن الكريم.

٣- اعتبرتْ اليهودية الموت ضرباً من العودة إلى الأسلاف، ولهذا نجد أنَّهم اهتموا بالجثث والمقابر اهتماماً سحرياً، واعتبرتْ المسيحية جسد الميِّت هيكلاً لروح القُدس، وعليه يجب أن يُحاط جسد المسيحي بالاحترام، وأن يُدفن في أرض مباركة.

٤- لقد كرَّم القرآن الكريم الميِّت حتّى بعد موته، وربط بين الموت والحياة،

ودلّتْ الأحاديث الشريفة على وجوب احترام الميِّت، وأنَّ احترام الميِّت أو إيذائه كاحترام الإنسان الحيِّ أو إيذائه، وأوجب الإسلام حقوقاً للميِّت، بعد موته، مثل: وفاء الدِّيون، ونفاذ الوصية في تركته، والقيام للجنازة، وعدم الجلوس على القبر، وصيانة عرضه.....الخ.

الفصل الرابع

معالجة الكتب السَّماوية للمبادئ والمفاهيم المناقضة للتكريم

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: معالجة الرِّق في الكتب السَّماوية

المبحث الثاني: محاربة الفقر في الكتب السَّماوية

المبحث الثالث: الخطيئة البشرية والتكريم في الكتب السَّماوية

المبحث الرابع: الصَّلب والتكريم

المبحث الخامس: أهل الذِّمّة والتكريم

المبحث السادس: الأقوال والأفعال التي تمسُّ الكرامة الإنسانية

المبحث الأول
معالجة الرِّق في الكتب السَّماوية

توطئة

إنَّ الأصل في الفطرة الإنسانية أنَّ الإنسان لا يباع ولا يشترى، وجاءتْ الشرائع السَّماوية لكي تقوِّم عوج النَّاس في تعدِّيهم على حرِّية الآخرين وكرامتهم.

فقد كان الرِّق منتشراً في الحضارات القديمة، بسبب الظروف المعيشية القاسية، فقد كان في اليونان مثلاً يتكون المجتمع من طبقتين، السادة والعبيد، وكانت القوانين توضع على أساس التفرقة بين السادة والعبيد.

المطلب الأوَّل: الرِّق في التوراة

إنَّ الرِّق قتل معنوي للإنسان، وإهدار لكرامته، ومع ذلك، فإنَّه ليس في التوراة ما يدعو إلى تحرير العبيد، ولم يحاول التخلُّص من الرِّق والعبودية، من خلال وضع نظام معين، بل على العكس من ذلك، يوجد في التوراة نصوص تكرِّس العبودية، وخاصة النِّساء والأطفال، حيث أجاز التوراة أن يبيع الرجل ابنته[1]، ويؤكِّد على خضوع جميع الشعوب لبني إسرائيل:((دعوهم أحياءً، فيؤمِّنون الحطب والماء لكلِّ الجماعة)) [2]، وجاء أيضاً:((من الأمم الذين حواليكم، تقتتنون العبيد والإماء، ومن أبناء الغرباء المقيمين معكم، ومن عشائر الذين عندكم....تورثونهم لبنيكم بعدكم، ملكاً لهم يستعبدونهم ما داموا أحياءً)) [3]، وكذلك ما نسب إلى نوح عليه السلام في التوراة، يُعدُّ اعترافاً وتكريساً للعبودية، عندما لعن ابنه حام وقال له: ((ملعون كنعان، عبداً ذليلاً يكون لأخوته، ويكون كنعان عبداً لسام)) [4].

أمَّا بنو إسرائيل، فإنَّهم جنس ممتاز لا يسترقون ولا يستعبدون، ولا يباعون بيع العبيد[5]، وإنْ حصل وقع اليهودي في الرِّق، فلا يعامل معاملة العبيد، بل يخدم كالأجير ويكون مؤقتاً:((وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير نزيل يكون عندك)) [6].

ويؤكِّد سفر الخروج على أنَّ مدة الرِّق بالنسبة لليهودي، هي سبع سنين،

---

(١) سفر الخروج(٢١:٧).

(٢) سفر يشوع(٩:٢١).

(٣) سفر اللاويين(٢٥:٤٤–٤٦).

(٤) سفر التكوين(٩:٢٥–٢٦).

(٥) سفر اللاويين(٢٥:٤٢).

(٦) سفر اللاويين(٢٥:٣٩–٤١).

حيث جاء:((إذا اشتريتَ عبداً إسرائيلياً، فست سنين يخدمك، وفي السنة السابعة يخرج حرًّا مجاناً... وإنْ كان متزوِّجاً من امرأة، فلتخرج امرأته معه)) [1].

وتأمر الشريعة اليهودية بالإحسان إلى العبد الإسرائيلي، عندما يكون حرًّا:((في السنة السابعة تطلقه حرّاً من عندك، وحين تطلقه حرًّا، لا تطلقه فارغاً، تزوِّده من غنمك ومن بيدرك، ومن معصرتك)) [2].

وهذا العبد اليهودي إنْ لم يكن متزوِّجاً وزوَّجه سيده، وأصبح له أولاد، فعندما يخرج، يخرج لوحده، والمرأة وأولادها يكونون لسيده. وإنْ قال العبد: أحب سيِّدي وامرأتي وأولادي، ولا أريد أن أخرج حرًّا؛ يقدِّمه سيِّده إلى الله في معبده، ويثقب أذنه بالمثقب، فيخدمه إلى الأبد[3]، ولا يخفى جور هذا الحكم، بجعل الابناء محرومين من عطف وحنان الآباء، وكذلك ثقب الأذن، فإنَّه يعتبر اعتداء على الإنسان وإهداراً لكرامته، وإنْ حصل واسترق غير يهودي يهودياً، فإنَّه يجب على اليهود أن يحرِّروه:((وإذا اغتنى غريب أو مقيم عندك، وافتقر إسرائيلي عنده وباع نفسه له، أو لأحد من عشيرته، حقَّ لواحد من أخوته أن يفُكَّ بيعه)) [4].

وإذا هرب الرقيق اليهودي من سيده غير اليهودي، لا يجوز تسليمه إليه:((لا تسلِّموا عبداً لجأ إليكم من مولاه، بل دعوه يقيم عندكم في الموضع الذي يختاره ويطيب له)) [5].

---

(١) سفر الخروج(٢١:٢–٣).

(٢) سفر التثنية(١٥:١٢–١٤).

(٣) سفر الخروج(٢١:٤–٧).

(٤) سفر اللاويين(٢٥:٤٧–٥٤).

(٥) سفر التثنية(٢٣:١٦).

أمَّا غير اليهود، فيسترقون بلا قيد ولا حدود، حيث جاء:((من الأمم الذين حواليكم تقتنون العبيد والإماء....)) [1]، ولا يجوز أن يأكل الغريب والعبيد من ذبيحة عيد الفصح:((لا يأكل الغريب من ذبيحة الفصح، ولا يأكل منها العبد المشترى، إلاّ إذا أختتن)) [2]، وهذا العبد بعد الختان والدخول في اليهودية، لا يكون حرّاً، وإنَّما يبقى في اليهودية، يباع ويشترى إلى الأبد.

ويلاحظ أنَّ هناك استخفافاً بالعبيد في الأحكام الشرعية، فمن ذلك: أنَّ مَن ضرب عبده بالعصى أو أمته، فمات تحت يده، ينتقم منه ! ، ولكن إنْ بقي يوماً أو يومين، لا ينتقم منه ! وقد اختلف شرّاح التوراة في معنى الانتقام على قولين:

الأول: يقتل السيد بالعبد. **الثاني:** أنَّ السيِّد يدفع الدِّية، وهو الصحيح، عندهم، للشبهة بالقتل الخطأ[3]، وإذا مات العبد الأجنبي، فلن تقام له أي مراسيم جنائزية، ولا أي حزن، ولا أي تعازي، وفقدانه هو مماثل لفقدان حمار أو بقرة[4].

والتوراة فرّق أيضاً، بين الحرِّ والعبد في الدِّية[5]، حيث إنَّ دية العبد

---

(١) سفر اللاويين(٢٥:٤٤-٤٥).

(٢) سفر الخروج(١٢:٤٤-٤٥).

(٣) ينظر: شرح أحكام التوراة. مصدر سابق. ص٥٤.

(٤) ينظر: اليهودية والغيرية. مصدر سابق. ص٨٧.

(٥) وفي الإسلام أجمعت المذاهب الفقهية أنَّ دية العبد قيمته, وتكون على عاقلة القاتل, وذهب الشافعية إلى أنَّ دية العبد ليس هو دية الحرِّ, وقال الحنفية: وإن بلغت دية العبد دية الحرِّ, نقصت منها عشر دراهم, لانحطاط مرتبة العبيد. وقال المالكية: دية العبد ثمنه وإنْ خلف دية الحرِّ. ينظر: كتاب الأم. الشافعي. ٢٥٦/٣. الدر المختار. ٦١٨/٦. والمدونة الكبرى. ٦٠٧/٤. إلاّ أنّها تبقى إجتهادات فقهية، تتطلبها ضرورات إجتماعية لفترات ماضية، او حلول لحالات إجتماعية قاهرة، ليس عليه دليل لا من الكتاب ولا من السنة النبوية.

ضعيفة وهزيلة بالمقارنة مع دية الحرِّ، ففي حكم مَن نطحه ثورٌ فمات، وعلم صاحبه أنَّ الثور نطّاح، فإنَّ صاحب الثور يقتل، والثور يرجم، ولا يأكل لحمه، أمَّا إذا نطح الثور عبداً أو أمة، فإنَّه يعطي لسيده ثلاثين شاقل فضة[1].

وهكذا رأتْ أسفار الكتاب المقدَّس الرِّق نظاماً حقوقياً طبيعياً، ولكنَّه لم يوضع موضع التساؤل كنظام شرعي، لا في إسرائيل ولا في المجتمعات القديمة[2].

وما يتعلَّق بالرِّق، مسألة تجارة الرقيق الأبيض، أو البغاء، أو تجارة الجنس، فلم يرد نصٌّ على تحريم البغاء، وإنَّما ورد ما يحرِّم على اليهودي أن يعرضوا بناتهم للزنا:((لا تدنِّس ابنتك بجعلها زانية، لئلاّ يزني أهل الأرض، فتمتلأ بالفواحش)) [3]، ولهذا تذكر كتب التاريخ أنَّه كان أغلب تجّار الرقيق في أوروبا من اليهود، وكان الرقيق كلُّه، تقريباً، يجلب من أوروبا، كما هو الحال اليوم في تجارة النساء[4].

المطلب الثاني: الرّق في الإنجيل

جاءتْ اليهودية ولم تحارب الرِّق، بل وضعتْ الأحكام في كيفية التعامل مع العبيد وتوزيع المهام، وجاء الدِّين المسيحي، فأقرَّ الرِّق الذي أقرَّه اليهود، ونصَّ القديسون من رجال الكنيسة على شرعية خدمة العبيد لسادتهم.

وليس في الإنجيل نصٌّ يحرِّم الرِّق، أو يستنكره، أو يضع حلولاً للقضاء

---

(١) ينظر: شرح أحكام التوراة. مصدر سابق. ص٥٧.

(٢) ينظر: العدل في العلاقات بين الدول والأديان. مقال إنغبورغ غابرييل. ص٧٥.

(٣) سفر اللاويين(١٩:٢٩).

(٤) ينظر: اليهود تاريخ وعقيدة د. كامل سعفان. ص٤٧.

عليـه، كمـا فعلـه الإسـلام[1]، إلاّ أنَّ المسـيحية اعتـبرتْ الـرِّق مناقضـاً لتعـاليم المسيح[2].

ولا يعجب الإنسان من بقاء الرِّق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإنَّ نواب الـدِّين المسـيحي الـرسميين يقـرِّون صـحَّته، ويسـلمون بمشـروعيته، وأنَّ الدِّين المسيحي ارتضى الاسترقاق تماماً، إلى يومنا هذا، ويتعـذَّر علـى الإنسـان أن يثبت أنَّه سـعى في إبطالـه[3]، لأنَّ الاسـترقاق ورثتـه المسـيحية مـن الـتراث التوراتي، الذي اعتبر الرِّق لعنة أبدية، صدر عن نوح لابنه يافث[4].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست: إنَّ المسـيحية لم تعترض على العبودية، من وجهها السياسـي، ولا مـن وجههـا الاقتصـادي، ولم تحرِّض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهـة العبوديـة، ولا المباحثـة فيهـا، ولم تقـل شـيئاً ضـد حقـوق أصـحاب العبيـد، ولا حرَّكـتْ العبيـد لطلـب الاستقلال، ولا تحدَّثتْ عن مضار العبودية، ولم تأمر بإطلاق سراح العبيد حـالاً، وبالإجمال، لم تغيِّر السنية الشرعية بين العبد والمولى بشيء، بل علـى العكس

---

(١) جاء المؤرخ وليم هوبر يعيب سيدنا محمداً ﷺ بأنَّه لم يبطل الرِّق حـالاً, وهـو يتغاضـى عـن نصـوص الإسـلام في هـذا المجـال, والأسـلوب الحكيم الـذي سـلكه في القضـاء علـى الـرِّق, ويتغاضى أيضاً عن موقف الإنجيل مـن الـرِّق, حيـث لم ينقـل عـن السـيد المسـيح, ولا عـن الحواريين, ولا عن الكنائس شيئاً من هذا القبيل, وينطبق عليه قول الإنجيل: ((تـرى القشـة في عيني ولا ترى الخشبة في عينك)). متى(٧:٣).ولوقا(٦:٢٧).

(٢) ينظر: العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل. أحمد الباش. ص٢٦٠.

(٣) ينظر : حقوق الإنسان. الشيخ محمد الغزالي. ص٩٨ .وحتى لا نخدع .د.عبدالودود شـلبي. ص١٢٣.

(٤) ينظر: معجـم لاروس. نقـلاً عـن: العقيـدة النصـرانية بـين القـرآن والإنجيـل. أحمـد البـاش .ص٢٦٢.

أثبتتْ الرِّق وأيَّدته[1].

وبولس يقول:((أيُّها العبيد أطيعوا سادتكم، في كلِّ شيء سادتكم حسب الجسد، لا بخدمة العين، كمن يرضي النَّاس، بل ببساطة القلب خائفين الرَّب)) [2]،

ويقول أيضاً:((على جميع الذين هم عبيد تحت نير العبودية، أن يحسبوا سادتهم أهلاً لكلِّ احترام، لئلا يجدِّف أحد على اسم الله وعلى التعاليم، وإذا كان سادتهم من المؤمنين، فلا يستخفّوا بهم لأنَّهم أخوة، بل عليهم أن يزيدوهم خدمة، لأنَّ الذين يستفيدون من خدمتهم هم مؤمنون وأحبّاء)) [3]، وورد أيضاً الطلب من السادة بالإحسان إلى العبيد: ((أيُّها السادة عاملوا عبيدكم بالعدل والمساواة، عالمين أنَّ لكم أيضاً سيِّداً في السَّماء))[4].

وعندما يأمر العبيد بالطَّاعة لسادتهم، ولو كانوا ظلمة وكفرة، فإنَّ لهم مقابل ذلك محبَّة المسيح، وهذا الموقف سيسرُّ السادة والملوك، لأنَّ الأمبراطورية الرومانية شهدتْ أعظم ثورة للعبيد، وهي ثورة(أسبارتوكس) [5]،

---

(١) نقلاً عن: حقوق الإنسان. ص٩٨-٩٩. مصدرسابق. وحتى لا نخدع. مصدر سابق. ص١٢٤.

(٢) رسالة كولوسي (٢٢:٣-٢٤).

(٣) رسالة تيموثاوس الأولى (١:٦-٢).

(٤) رسالة كولوسي(١:٤).

(٥) أسبارتوكس هو قائد ثورة العبيد (٩٨ق.م-٧١م) , ضد السلطة الرومانية, كان من الرجال المصارعين, وكان رجلاً شجاعاً يفوق الوضع الذي كان فيه, ذكاءً في العقل ودماثة في الأخلاق. دعا الأرقاء في إيطاليا, إلى الثورة, فالتفَّ حوله ما بين(٧٠ الى ١٢٠) ألف من العبيد المتعطِّشين إلى الحرِّية والانتقام. وانتصر في بعض المعارك, وألقى الرُّعب في قلوب أثرياء الرومان. وفي إحدى المعارك أيقن أن ليس له أمل في الانتصار, فانقضَّ على الجيوش وقتل ضابطيْن, وأصابته طعنة ألقته على الأرض, وظلَّ يقاتل على ركبتيه إلى أن مات, ومزَّق

التي هزَّتْ الأمبراطورية، وهذا يوضح منهج بولس في طاعة السلطات والقيصر، والدعاء للحكّام الظلمة والكفرة[1]، فهو يقول:((فأطلب قبل كلِّ شيء أن تقيموا الدعاء والصَّلاة والابتهال والحمد، من أجل جميع النَّاس ومن أجل الملوك، وأصحاب السلطة، حتَّى تحيا حياة مطمئنة)) [2]، ويعلّق باسيليوس[3]، على قول بولس ويقول: هذا يدلُّ على أنَّ العبد تجب عليه طاعة مواليه، تعظيماً لله، إنَّ الطبيعة – هكذا قول بولس– قضتْ على بعض النَّاس بأن يكونوا عبيداً. وقال القديس توما الأكويني: إنَّ الرِّق حالة فطرية، خلق لها بعض فريق من النَّاس–كما قال أستاذه أرسطو– لأنَّ عقولهم أقلُّ ذكاءً من الأحرار، فهم مجرد آلات ناطقة[4].

وكانتْ الكنائس في العصور الوسطى، تتقاضى عمولات عن صفقات النخاسة (تجارة العبيد)، وتقوم بمباركة خطف واسترقاق النَّاس باسم الرب يسوع المسيح[5].

جسمه حتَّى لم يكن من المستطاع التعّرف عليه. ينظر: قصة الحضارة. ول ديورانت. ٢٨٣/٩–٢٨٥.

(١) ينظر : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية . مصدر سابق .ص٢٣٣–٢٣٤.

(٢) رسالة تيموثاوس الأولى (١:٢–٣).

(٣) باسيليوس(٣٣٠م–٣٧٩م) أسقف وكاهن مسيحي, اختار حياة الرهبنة بعد أن حصل على ثقافة أدبية متميِّزة, عيِّن أسقفاً على رأس الكنيسة القيصرية سنة(٣٧٠م), لقِّب بـ(الكبير), قام بتفسير الكتاب المقدَّس, وألَّف كتاب(القوانين الكبرى والصغرى), وحدَّد دور روح القدس في كتابه: (مقالة عن الروح القدس). ينظر : موسوعة الأديان في العالم–المسيحية– ص٩٠.

(٤) ينظر : دراسات معاصرة .مصدر سابق.ص٢٣٤.

(٥) ينظر : المصدر نفسه. ص٢٣٤.

يقول وول ديورانت: أصبحتْ الكنيسة أكبر ملاّك الأراضي، وأكبر السّادة الأقطاعيين في أوروبا...وهكذا أصبحتْ الكنيسة أقطّاعية، فأباحتْ وشجَّعتْ خطف واسترقاق المسلمين والأوروبيين الذين لم يعتنقوا المسيحية[1].

إنَّ اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال كان يتمُّ بإيقاد النيران في الهشيم الذي صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرى، حتَّى إذا نفر أهالي القرية إلى الخلاء، تصيدهم الأنجليز بما أعدَّوا لهم من وسائل وشراك، وكانت الملكة أليزابيث الأولى[2]، تشارك في تجارة العبيد، وكانت شريكة لـ(جون هوكنز) أكبر تاجر رقيق في التاريخ، وقد رفعته الملكة إلى مرتبة النبلاء، وكانت السفينة المخصَّصة لنقل الرقيق أسمها(يسوع)، وقد طلبت بريطانيا من رجال الدِّين مبرراً لتجارة الرقيق، فاسعفوها بنصوص من التوراة التي تفرض الرِّق على يافث بن نوح وذريته[3].

المطلب الثالث: الرّق في القرآن الكريم

القرآن الكريم لم يحرِّم الرِّق بنصّ صريح، ولكن يكفي الإسلام فخراً أنَّه ليس هناك نصٌ يكرِّس الاسترقاق، كما هو الحال في اليهودية والمسيحية، ولا يوجد نظام في الأرض عالج مسألة الرِّق كما عالجه الإسلام، من خلال التدرج

---

(١) قصة الحضارة .وول ديورانت .ترجمة زكي نجيب ١/٣٦-٣٧.

(٢) الملكة أليزا بيث الأولى(١٥٣٣-١٦٠٣م) , ملكة بريطانيا وأيرلندا وابنة الملك هنري الثامن, وقد أوصى هذا الملك بعدم خلافة ابنته له, لأنّها غير شرعية, لأنّه اتهم زوجته (آن بولين) بالخيانة, وحتّى توافق الكنيسة على طلاقه منها ويتزوج بأخرى وتنجب له وريثاً (ذكراً) للعرش. ينظر موقع الموسوعة الحرَّة: http|| ar.wikipedia.org . تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٤.

(٣) دائرة المعارف البريطالنية. نقلاً عن: حتى لا نخدع . مصدر سابق. ص١٣٨.

الذي هو سمة من سمات التشريع الإسلامي.

عندما ظهر الإسلام كان الرِّق دعامة أساسية في المعمورة عموماً والجزيرة العربية خصوصاً، يرتكز عليه جميع نواحي الحياة الاقتصادية، وتعتمد عليه جميع فروع الإنتاج،(فالرقيق كان بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور) [1]، لذا أي محاولة لإلغائه أو تحريمه سريعاً، كان مصيره الفشل والاخفاق، وتعرض النظام الاقتصادي والاجتماعي لهزة عنيفة لا تحمد عقباها.

فإقرار الإسلام للرِّق، وعدم تحريمه الفوري له، كان تحت تأثير ضرورات اجتماعية واقتصادية قاهرة، ولكنه أقرَّه في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدرج، بدون أن يحدث أي أثر سيء في نظام المجتمع الإنساني [2].

والوسيلة التي ارتضاها الإسلام للقضاء على الرِّق ينحصر في مسلكيْن: **الأول:** تضييق الروافد [3]، التي تغذي الرِّق. **الثاني:** توسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق.

وقد أغلق الإسلام أبواب الرِّق إلاّ رقّ الوراثة ورقَّ الحرب، وعمل على تحرير هذين النوعين بأوجه كثيرة، حيث قيَّد رقَّ الوراثة بأن استثنى من الرِّق أولاد الجواري من مواليهن، فقرَّر أنَّ من تأتي به الجواري من سيدها يولد حرّاً، وتصبح الجارية أيضاً حرّة. قالﷺ في مارية القبطية عندما جاء منها

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام. د.علي الوافي. مصدر سابق. ص١٥٥.

(٢) ينظر : نفس المصدر. ص١٥٦. وحقوق الإنسان في الإسلام. د. محمد الزحيلي. مصدر سابق. ص١٦٧. والإسلام والأستبداد السياسي. محمد الغزالي ص١٢٤.

(٣) لقد كان روافد الرِّق كثيرة ومتنوعة, أهمها ثمانية: الانتماء إلى شعب أو طبقة معينة, القرصنة والخطف, ارتكاب بعض الجرائم, عجز المدين, سلطة الوالد على ولده, سلطة الشخص على نفسه, الحرب بأنواعها, تناسل الأرقاء. ينظر : نفس المصدر . ص١٥٧. وحقوق الإنسان وواجباته في الإسلام. أسامة الألفي. ص٤٦-٤٧.

إبراهيم:((أعتَقَها ولدُها)) [١]. أمَّا رقُّ الحرب، فإنَّه بديل عن الأسر والحبس، فالاسترقاق لم يكن إلاّ بسبب الأسر في الحرب، ولا يحقُّ لصاحبه بيعه، وما جرى من تصيبد الرقيق والنخاسة والاتجار فيه، مخالف للدِّين[٢].

ولهذا فقد عرَّف الفقهاء الرِّق بأنَّه: عجز حكمي يلحق بالآدمي سببه الكفر[٣]، بل سببه الحرب. وقيَّدوا رقَّ الحرب بأن استثنى منه الذين يؤسَرون بين طائفتيْن مسلمتيْن، لأنَّ المسلم لا يسترقُّ أصلاً[٤]، وأمَّا الحرب التي بين المسلمين وغيرهم، فلا تؤدِّي إلى الاسترقاق إلاّ بشروط، منها: أن تكون الحرب مشروعة، وأن تكون مسبوقة باعتداء على المسلمين، وأن يعلنها الخليفة (الحاكم)[٥].

وحتَّى إذا توفَّرت هذه الشروط في الحرب، فالإسلام لا يجعل الرِّق نتيجة لازمة للأسر، بل يُخيَّر الإمام بين القتل والرِّق والمنّ والفداء[٦]، والقرآن الكريم اقتصر على ذكر المنِّ والفداء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ

---

(١) السنن الكبرى. البيهقي. ٣٤٦/١٠. رقم(٢٢٣٠٨). وسنن أبي داود. ٤٧١/٢. وسنن ابن ماجه. ٨٤١/٢. رقم(٢٥١٦).قال صاحب الدراية: إسناده ضعيف، ولكن له إسناد آخر عند الحاكم وابن ماجه وهو جيد. ينظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية. أبو الفضل العسقلاني. ٨٧/٢.

(٢) ينظر : مصنفة النظم الإسلامية الدستورية والدولية. د.مصطفى كمال وصفي. ص٢٦٨.

(٣) ينظر: الوجيز في الفقه الإسلامي.د.وهبة الزحيلي. ٣٣٤/٣. ومعالم قرآنية في الصراع مع اليهود. د.مصطفى مسلم. ١٢٤.

(٤) ينظر : بدائع الصنائع. الكاساني. ١٤١/٧. والحاوي الكبير في الفقه الشافعي. الماوردي. ١٦٩/١٣.

(٥) ينظر : بداية المجتهد. ٣٨٠/١. والأحكام السلطانية. ٤١/١.

(٦) ينظر : بدائع الصنائع. ٧/١٠٠-١١٩. والحاوي الكبير في الفقه الشافعي. الماوردي. ١٧٢/١٣. وحاشية الجمل على المنهج. شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. ٢٨٣/١٠.

﴿ ... أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[1].

وهذه الحرب لا يبيحها الإسلام إلاّ في حالات ثلاث: حالة الدفاع، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[2]، وفي حالة نكث العهد والكيد للمسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[3]، وفي حالة القضاء على الفتنة، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[4].

وفعْل الرسول ﷺ في غزواته، يدلُّ على إيثار المنِّ والفداء على الاسترقاق، وخاصة تعامله مع أسرى معركة بدر[5].

وهكذا يظهر أنَّ الإسلام سلك حيال أسرى الحرب مسلكاً يؤدي إلى القضاء عليه، والشروط التي وضعها الإسلام لا تكاد تتوفّر في الحروب الحالية، إلاّ الحروب التي أضطرّ إليها الإسلام في مبدأ ظهوره، وهذا يعني أنَّ الإسلام لم يبح هذا الرافد إلاّ لأجل معلوم[6]، وفي حالات تكاد تكون شبه منعدمة.

أمَّا النوافذ التي فتحها الإسلام، لتحرير العبيد، بعد أن كانت ضيِّقة مبنية

---

(١) سورة محمد (٤).

(٢) سورة البقرة (١٩٠).

(٣) سورة التوبة (١٢).

(٤) سورةالبقرة (١٩٣). وفي سورة الأنفال (٣٩) :((ويكون الدِّين كلُّه لله)).

(٥) ينظر : غزوات الرسول في كتب السيرة.

(٦) ينظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني. حسن إبراهيم حسن. ص١٩٣. وحقوق الإنسان. د.علي الوافي. مصدر سابق. ص١٥٩-١٦٠.

على رغبة المولى فقط، فكثيرة نوجزها فيما يأتي[1]:

١- جعل من أسباب العتق، أن يجري على لسان السيِّد، في أية صورة، لفظ يدل صراحة على عتق عبده، سواء كان قاصداً أو جاداً أو هازلاً، عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال ﷺ:((ثلاث جِدّهن جِدٌّ وهزلهنَّ جِدٌّ: الطلاق والنكاح والعتاق)) [2].

٢- ومن أسبابه، أن يجري على لسان السيد لفظ يفيد التدبير، أي: الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده، فبمجرد صدور عبارة تفيد التدبير، يصبح العبد حرّاً بعد موت سيده.

٣- ومن أسبابه،أن يأتي السيد جاريته، فيأتي منها الولد، فيكون الولد حرّاً والجارية.

٤- ومن أسبابه أيضاً، أن يكاتب السيد عبده، أي: يتفق معه على أن يدفع العبد مبلغاً من المال، فيكون حرّاً، وسمح الإسلام للعبيد أن يتاجروا ويبيعوا ويشتروا حتَّى يحصلوا على الأموال التي تؤدي إلى عتقهم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾[3].

---

(١) ينظر تفاصيل هذه النوافذ : حقوق الإنسان. نفس المصدر . ص١٦٠-١٦٣. وحقوق الإنسان وواجباته. مصدر سابق. ص٤٨-٥٠.وحق الحرية في العالم. مصدر سابق. ص١٠٦-١١٠.ولا رق في الإسلام. د.إبراهيم هاشم الفلالي.ص١٤٦-١٤٧

(٢) الجامع الكبير. السيوطي. ١١٢٤٢/١. رقم(١٦). وجاء بلفظ:(الرجعة) بدل (العتاق). في المستدرك على الصحيحين. الحاكم. ٢١٦/٢. رقم(٢٨٠٠). وسنن أبي داوود. ٢٢٥/٢. رقم (٢١٩٦). وسنن ابن ماجه. ٦٥٨/١. رقم(٢٠٣٩). وقال الحاكم : حديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: فيه لين. وقال الترمذي: حديث حسن. ينظر: البدر المنير. ٨١/٨.

(٣) سورة النور(٣٣).

٥- ومن الحوافز المشجِّعة لتحرير العبيد، أن جعل الإسلام العتق تكفيراً لبعض الخطايا منها:

أ- كفّارة قتل الخطأ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾[1].

ب- كفّارة الظّهار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2].

ج- كفّارة اليمين الحانثة، قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾[3].

٦- وخصص الإسلام سهماً من مال الزكاة، أو ميزانية الدولة، في الإنفاق على تحرير العبيد، قال تعالى: ﴿ ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[4].

٧- وجعل ضرب الرقيق كفّارته عتقه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ الرسولﷺ قال: ((من ضرب غلاماً له حدّاً لم يأتيه، أو لطمه، فكفّارته

---

(١) سورة النساء (٩٢).

(٢) سورة المجادلة (٣).

(٣) سورة المائدة (٨٩).

(٤) سورة التوبة (٦٠).

عتقه)) [1].

٨- وقد اعتبر الإسلام الرقيق إنساناً كاملاً وسمَّاه أخاً لسيده، عن أبي ذرّ ﷺ قال: قال ﷺ:((إخوانكم خَوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فلْيطعمه ممَّا يأكل، وليلبسه ممَّا يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإنْ كلَّفتموهم فأعينوهم)) [2].

ونهى ﷺ التلفُّظ بـ:((عبدي أو أمتي، كلكم عبيد الله، ولكن ليقل:فتاي وفتاتي)) [3]، ونهى الرقيق أن يقول:((مولاي وربي، ولكن ليقل سيدي)) [4].

وفوق ذلك كلِّه، فقد حبَّب الإسلام إلى النَّاس تحرير الرقيق، وجعله من القربات، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [5].

وأباح القرآن الكريم جميع الحقوق المدنية للرقيق، بعد أن كان محروماً منها، فقد أباح له الزواج من أمة أو حرَّة، وأباح للأمة أن تتزوَّج من رقيق أو حرّ، بنفس الشروط التي يتزوج بها الأحرار،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [6]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. باب صحبة المماليك. ٩٠/٥.رقم(٤٣٨٩). والإمام أحمد في مسنده. ٤٥/٢.رقم(٥٠٥١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب المعاصي. ٢٠/١.رقم(٣٠). وباب قول النبي. ٨٩٩/٢٠. رقم(٢٤٠٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه. باب كراهية التطاول على العبيد. ٩٠١/٢.رقم(٢٤١٤). ومسلم في صحيحه. باب حكم إطلاق لفظ العبيد والأمَة. ٤٧/٧ رقم(٦٠١٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه. باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمَة. ٤٦/٧.رقم(٦٠١٢).

(٥) سورة البلد (١١-١٣).

(٦) سورة النور (٣٢).

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ ﴾[1].

ودعا القرآن الكريم إلى حسن معاملة العبيد، في أكثر من آية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ ﴾[2].

وهكذا فقد حرص الإسلام أن يكفل للعبيد حياة حرَّة كريمة، أثناء الرِّق وبعده، ويصبح فرداً من أسرة سيده، مساوياً لهم في كثير من الحقوق والواجبات.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في مسألة الرِّق

-**أوجه الاتفاق:** جاءتْ الأديان السَّماوية وكان الرِّق مستشرياً، ونظاماً اجتماعياً مقبولاً عند جميع الحضارات القديمة، وقد أقرِّتْ الرِّق تحت تأثير ضرورات اجتماعية واقتصادية قاهرة، ووضعتْ أحكاماً في كيفية التعامل مع العبيد، بالأضافة إلى محاربة هذه الأديان للرِّق، واعتباره نظاماً منافياً للقيم والكرامة الإنسانية، ولكن الشيء اللافتْ للنظر أنَّ تعامل ومحاربة اليهودية والمسيحية للرِّق لم تأتِ بنتيجة لصالح العبيد، بعكس الإسلام، فقد عالج الإسلام الرِّق بصورة تؤدّي بنفسها إلى القضاء على الرِّق.

---

(١) سورة النساء (٢٥).

(٢) سورة النساء (٣٦).

-أوجه الاختلاف: يمكن إبراز أهم وجوه الاختلاف في النقاط التالية:

١- لا يوجد في التوراة والإنجيل ما يدعو إلى تحرير العبيد، أو القضاء على الرِّق، ولم تضع اليهودية والمسيحية نظاماً متبعاً للقضاء عليه، بل نصوصهما تؤكِّد على إظهار الرِّق على أنَّه أمر فطري وطبيعي، تتطلبه ضرورات الحياة.

بينما القرآن الكريم لم يفرِّق بين الحرِّ والعبد في الإنسانية والتعامل، ودعا إلى الإحسان إلى العبيد، ووضع الطرق المناسبة للقضاء على الرِّق، من خلال تجفيف منابعه، وتوسيع المنافذ التي تؤدّي إلى العتق، بحيث جعل تحرير العبيد كفَّارة لبعض الذنوب، وحثَّ على تحريرهم، وجعل ذلك قربة إلى الله.

٢- لقد فرَّق التوراة بين اليهود وغير اليهود، وأكَّد أنَّ اليهودي لا يسترق، لأنَّه جنس ممتاز، وأكَّد أيضاً، أنَّ العبودية منحصرة في غير اليهود، وأنَّهم خلقوا لذلك، وخاصة الأطفال والنساء، وأنَّهم يكونون عبيداً ما داموا أحياءً، وهذه الازدواجية والعنصرية غير موجودة في الإنجيل والقرآن.

٣- ومن جهة أخرى، وفي حالة وجود الرقيق اليهودي، فإنَّ التوراة ميَّز بين اليهودي وغير اليهودي في الحكم، بحيث يؤكِّد أنَّ الرقيق اليهودي يتحرَّر تلقائياً في السنة السابعة، ويجب الإحسان إليه وأعطاؤه ما يكفيه من مال سيِّده، أمَّا غير اليهود، فيبقون عبيداً إلى الأبد، ولا نجد في الإنجيل والقرآن هذا التمييز في أحكام العبيد، وكيفية التعامل معهم.

المبحث الثاني
محاربة الفقر في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: محاربة الفقر في التوراة

لا شكّ أنَّ من أكرم القيم الإنسانية الأخلاقية، بِرُّ الإنسان بأخيه الإنسان، واحترامه ومساعدته وإسعافه، لا سيَّما عند الحاجة والفاقة، وكان هذا من تعاليم الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وقد أخبرنا القرآن الكريم بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1].

ومن أجل هذا، فقد أباحتْ جميع الأديان السَّماوية الملكية الفردية، واعترفتْ بالواقع المعاش من حيث التفاوت في الثروة والفقر والغنى، وشجعتْ

(١) سورة الأنبياء(٧٣).

هذه الكتب على توفير المال والغنى، وأقرّتْ بوجود الظلم الاجتماعي والحرمان والإهمال، واتفقتْ أيضاً بأن لا يترك الفقراء يعيشون في الجوع والحرمان، بل توصي بالعناية بهم، إلاّ أنَّ لكلِّ ديانة طرقها ووسائلها في محاربة الفقر.

والتوراة أقرَّ بوجود الفقر، ودعا إلى مساعدة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، والاهتمام بالعمَّال ودفع أجرتهم، مراعاة لحقوقهم وحفظاً لكرامتهم، وأكّد أنَّ الله تعالى يرعى الفقراء:((الرَّبُ يحرس الغرباء ويعين الأيتام والأرامل)) [1]، وجاء:((أبو اليتامى ومعين الأرامل هو الله...)) [2]، وحثَّ التوراة على الإحسان والعدل:((تعلّموا الإحسان وأطلبوا العدل، وأغيثوا المظلوم وأنصفوا اليتيم وحاموا عن الأرملة)) [3]، ويدعو إلى عدم مضايقة الغرباء ومساعدة المساكين والمحتاجين والفقراء:((لا تضايقوا الغريب، فأنتم تعرفون ما يشعر به الغريب، لأنَّكم كنتم غرباء في أرض مصر)) [4]، وورد أيضاً:((آمركم أن تفتحوا أيديكم لإخوانكم المساكين والمحتاجين الذين في أرضكم)) [5]، ودعا أيضاً إلى معاملة العامل بالحسنى، ودفع أجرته سريعاً:((لا تحتفظوا بأجرة الأجير عندكم إلى الغد)) [6]، وجاء:((لا تهضم أجرة مسكين ولا بائس من أخوتك بني إسرائيل، أو من الدخلاء الذين في أرضك، بل إدفع إليهم أجرتهم في يومه، قبل أن تغيب عليها الشمس، لأنَّه مسكين وبها يعول

---

(١) سفر المزامير(٩:١٤٦).

(٢) سفر المزامير(٦:٦٨).

(٣) سفر الخروج(٢١:٢٢).

(٤) سفرالخروج(٩:٢٣).

(٥) سفر التثنية(١١:١٥).

(٦) سفر اللاويين(١٣:١٩).

نفسه...)) [1].

ولا يوجد في التوراة ما يدعو إلى دفع الزكاة والصَّدقات، بل أنَّ لفظ الزكاة لم يرد في التوراة، بل ورد لفظ (صداقا) [2]، المرادفة لكلمة الزكاة، وهذه الصدقات ليست بقدر معين، وفي وقت معين، كما في الإسلام، بل ورد أنَّ ما تبقّى بعد الحصاد، يترك للفقير والمسكين والأرملة:((إذا حصدتم حصيد أرضكم، فلا تحصدوه إلى أطراف حقولكم، ولا تلتقطوا ما تعفّر بالتراب، ولا تعودوا إلى قطف ما تبقّى من عفّارة كرومكم، ولا تلتقطوا ما سقط منه، بل أتركوا ذلك للمسكين والغريب)) [3]، وجاء:((إذا حصدتَ حصيدك في حقلك، ونسيتَ حزمة من الحقل، فلا ترجع لتأخذها، بل دعها للغريب واليتيم والأرملة)) [4].

وورد في التوراة الأمر بدفع العشور، كلَّ ثلاث سنوات لصالح الذين لا يملكون أرضاً:((في كلِّ ثلاث سنين تخرجون كلَّ أعشار غلّتكم في تلك السنة، وتضعونها في مدنكم، لتكون للّاويين، لأن لا قسمة ولا نصيب ولا ملك لهم فيما بينكم، وللغريب واليتيم والأرملة الذين في مدنكم، فيأكلون ويشبعون، فيباركُكم الرَّبُ إلهكم في جميع ما تعملون)) [5].

وهكذا فقد ورد في التوراة نصوص كثيرة تدعو إلى مساعدة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام من اليهود: ((إذا افتقر إسرائيلي عندك وقصَّرتْ

---

(١) سفر التثنية(١٤:٢٤-١٥).

(٢) ينظر: العبادات في الأديان السّماوية. عبدالرزاق رحيم الموحي. ص٩٥.وهو ينقل هذا الكلام عن رئيس الطائفة الموسوية في بغداد.

(٣) سفراللاويين(٩:١٩-١٠).

(٤) سفر التثنية(١٩:٢٤).

(٥) سفر التثنية(٢٨:١٤-٢٩).

يده عن العيش، فأعنه ولْيعش معك كغريب ومقيم)) [1]، إلاّ أنَّ المآخذ على تلك النصوص أنَّها مقيَّدة باليهود، وحتَّى لفظ الغريب الذي يدل، في ظاهره على غير اليهود، أوَّلوه لصالح اليهود، وقالو بأنَّ الغريب يقصد به، الذين دخلوا في اليهودية من غير بني إسرائيل.

المطلب الثاني: محاربة الفقر في الإنجيل

جاء أنَّ المسيح عليه السلام كرَّس حياته لخدمة الفقراء والمساكين، وبشَّرهم بملكوت الله، وهذا يبدو جليّاً في موعظة الجبل[2]، إلاّ أنَّ المسيحية لم تضع تشريعاً، يترتب عليه الثواب، في كيفية محاربة الفقر، ولم تضع نظاماً اجتماعياً، يمكن من خلاله القضاء على الفقر، أو على الأقل التخفيف من آلام الفقراء، نعم المسيحيون يساعدون الفقراء، وبشتّى الوسائل، ويرجون الثواب، ولكن نحن نتحدث عن مستوى النصوص وعدم وجود نظام تشريعي مستوحى من الإنجيل، فقد وردت نصوص تدعو إلى مساعدة الفقراء، فقد سأل شاب المسيح عليه السلام:((أي عمل أعمل حتى أنال الحياة الأبدية ؟ فقال له المسيح: أن تعمل بالوصايا، لا تقتل، لا تزن....فقال الشاب: لقد عملتُ بهذه الوصايا منذ زمن. فقال له المسيح : فاذهب وبِعْ ما تملكه، ووزِّعْ ثمنه على الفقراء، فيكون لك كنز في السَّموات، وتعال واتبعني)) [3].

وورد في العهد القديم:((لا تخلو الأرض من فقير، ولذلك أنا آمرك اليوم

---

(١) سفر اللاويين(٣٥:٢٥).

(٢) إنجيل متى (٥:١-١٢). ولوقا (٦:٢٠-٢٣) :((هنيئاً للمساكين في الروح, هنيئاً للمحرومين, هنيئاً للودعاء, هنيئاً للجياع, هنيئاً للرحماء, هنيئاً لأتقياء القلوب......))

(٣) إنجيل متى(١٩:١٠-٢١).ومرقس(١٠:١٧-٣٠).ولوقا(١٨:١٨-٣٠).

قائلاً: أبسط يدك لأخيك المسكين والفقير)) [١].

وفي رسالة وجَّهها البابا بندكس السادس عشر الحالي، إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر بعنوان:(مسيحيين ومسلمين من أجل التغلب على الفقر) قال: إنَّ إمعان النظر في ظاهرة الفقر المعقَّدة، يقودنا إلى إدراك منشأها الأصلي، في عدم احترام كرامة الإنسان الفطرية.... [٢].

ويرى المسيحيون أنَّ الكنيسة تهتم بحقوق الفقير والضعيف، وهذا التفضيل للفقراء والضعفاء، لم يكن تميِّزاً وتفرقة بين البشر، بل شهادة لكرامة الشخص البشري، وتأكيداً صريحاً أنَّ قيمة الإنسان هي بما يكون، لا بما يملك[٣]

وورد في الأناجيل ما يؤكِّد أنَّ إطعام الفقير والمسكين وكسوتهما، وزيارة المريض أجرها عظيم عند الله، حيث يتكلَّم الملك في حشود من الملائكة وأمام جميع الشعوب، ويقول الملك للذين عن يمينه:((تعالوا يا مَن باركهم أبي[٤]، رِثوا الملكوت الذي هيَّأه لكم منذ إنشاء العالم، لأنِّي جُعتُ فأطعمتموني، وعطشتُ فسقيتموني، وكنتُ غريباً فآويتموني، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فزرتموني، وسجيناً فجئتم إليَّ. فيجيبه الصالحون: يا ربُّ متى رأيناك جوعان فأطعمناك، أو عطشان فسقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو سجيناً فزرناك؟. فيجيبهم الملك: الحقَّ

---

(١) سفر التثنية (١٥:٧).

(٢) نصُّ الرسالة منشور في موقع: www.saadashraf.net. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٤/٧/ ٢٠١١.

(٣) ينظر : مجمع العقيدة والإيمان. مذكرة حول الحرِّية المسيحية والتحرُّر. رقم (٦٨).

(٤) في عقيدة المسيحيين أنَّ ابن الإنسان، وهو المسيح عليه السلام يدين ويحاسب الخلائق يوم القيامة، القيامة، وهو جالس الآن عن يمين الربِّ.

أقول لكم: كلَّ مرَّة عملتم هذا لواحد من أخوتي هؤلاء الصغار، فليَ عملْتموه. ثمَّ يقول للذين عن شماله: ابتعدوا عنِّي يا ملاعين، إلى النَّار الأبدية المهيَّأة لأبليس وأعوانه، لأنِّي جعتُ فما أطعمتموني، وعطشتُ فما سقيتموني، وكنتُ غريباً فما آويتموني، وعرياناً فما كسوتموني، ومريضاً وسجيناً فما زرتموني، فيجيبه هؤلاء: يا ربُّ متى رأيناك جوعان أو عطشان، غريباً أو عرياناً، مريضاً أو سجيناً، وما أسعفناك؟. فيجيبهم الملك: الحقَّ أقول لكم، كلَّ مرَّة ما عملتم هذا لواحد من أخوتي، هؤلاء الصغار، فليّ ما عملتموه، فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي، والصالحون إلى الحياة الأبدية)) [1].

المطلب الثالث: محاربة الفقر في القرآن الكريم

كلُّ الأديان السَّماوية تدعو إلى محاربة الفقر ومساعدة المحتاجين، ورفع الظلم عن المستضعفين، إلاَّ أنَّ الإسلام سلك للوصول إلى هذه الغاية النبيلة، مسلكاً يختلف في تفاصيله ووسائله، عن المسالك التي وضعتها اليهودية والمسيحية.

---

(١) إنجيل متى(٢٥:٣١-٤٦). وهذا الكلام الوارد في الإنجيل يذكِّرنا بالحديث القدسي الذي رواه أبو هريرةﷺ, الوارد في صحيح مسلم, كتاب البِّر والصلة, باب فضل عيادة المريض, رقم(٤٦٦١) :((يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني. قال: يا ربُّ كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مرض ولم تعده, أما علمتَ أنَّك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني, قال: يا ربُّ وكيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه, أما علمتَ أن لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي, يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني, قال: ياربُّ كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقيه, أما إنَّك لو أسقيته لوجدتَ ذلك عندي)). قال العلماء: إنَّ إضافة (المرض) إلى الله, المراد به العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له, وقالوا: أنَّ معنى(وجدتني عنده) , أي وجدتَ ثوابي وكرامتي. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم. النووي. ١٢٦/١٦.

ذلك أنَّ الإسلام هو آخر الرسالات السَّماوية، فكـان لزامـاً أن يحتـوي علـى المبادئ والنصوص التي يمكن مـن خلالهـا إقامـة مجتمـع متكافـل، وفي جميـع العصور، ولتحقيق هذا الهدف في القضـاء علـى الفقـر، تميَّـز المسـلك الإسـلامي بميزتيْن[1]:

الأولى: أنَّه لم ينظر إلى مشكلة الفقر علـى أنَّهـا مشـكلة قائمـة بـذاتها، بـل متصلة بغيرها، من شؤون الحياة، فلا بدَّ من معالجـة شـؤون الحيـاة حتّـى تـتمَّ معالجة الفقر.

الثانيـة: أنَّـه لم يقتصـر علـى المـواعظ والوصـايا الأخلاقيـة-كمـا فعلتهـا المسيحية-بل وضع قـوانين وأحكامـاً واضـحة، تحـدِّد الواجبـات، وربـط بينهـا وبين العبادات، وجعل بعض الوسائل التي يمكن من خلالها القضاء على الفقـر، فروضاً دينية، يترتَّب عليها الثواب الأخروي.

ومشكلة الفقر لازمتْ الإنسانية عبر التـاريخ، ولا ينتظـر مـن الإسـلام إلغـاء الفقر في هذا الوجود، وإنَّما يضـع الإسـلام طرقـاً علاجيـة للتخفيـف مـن ويلاتـه وآلامه، وتجفيـف منابعـه، ووجـود مشـكلة الفقـر لـيس لتعـدد الحاجـات ونـدرة الموارد، وإنَّما هي سوء توزيع الثروة، والتنظيم الاقتصادي، الأمر الذي تداركـه الإسلام على أسـاس العنايـة بالعامـل المـاديِّ، وهـو قضـاء الحاجـات الماديِّـة، وبالعامل المعنوي، وهو قضاء الحاجة الدينية والثقافية[2].

وقد حاول الإسلام معالجة الفقر ومساعدة المحتـاجين والضـعفاء، والحفـاظ على كرامتهم الإنسانية، بأساليب متنوعة وطرق مختلفة منها:

---

(١) ينظر : مشكلات وحلول. مصدر سابق. ص٣٠-٣١.

(٢) ينظـر: حـق الحرية.مصـدر سـابق. ص٢٠٤-٢٠٩. وموسـوعة الاقتصـاد الإسـلامي.د.محمد الجمال. ص٣٥.

أولاً : تثبيت مبدأ الإخاء الإنساني: إنَّ مبدأ:(الإنسان أخ للإنسان)، أوَّل مظهر من مظاهر الكرامة، وهو ما حرص عليه القرآن الكريم في أكثر من آيـة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2]، وقـال الرسولﷺ في حجّة الوداع:((أيُّها النَّـاس إنَّ ربكـم واحـد، وإنَّ أبـاكم واحـد، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمـر علـى أسـود، ولا لأسـود علـى أحمـر إلاّ بـالتقوى))[3]، وقـال أيضـاً:((الخلـق كلُّهـم عيـال الله، وأحبهم إلى الله، أنفعهم لعياله))[4].

ثانيـاً: مبدأ التكافل الاجتماعي: يتجلّى مبدأ التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم والسنّة المطهَّـرة في نصـوص كـثيرة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5]، ودعـا القـرآن إلى البرِّ والإحسان بأجود ما يملكه الإنسان، وما يطيـب إليـه نفسـه،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[6].

وورد عن الرسول ﷺ أحاديث كـثيرة تـدعو إلى التـآلف والتعـاون، ومـدِّ يـد

---

(١) سورة الأنبياء (٩٢).

(٢) سورة الحجرات (١٠).

(٣) سبق تخريج الحديث في صفحة(١٤٤) من هذه الأطروحة.

(٤) المعجـم الكـبير. الطبرانـي. ٨٦/١٠.رقـم(١٠٠٣٣).والجـامع الكبير.السـيوطي. ١١٩٩٠/١.رقـم(٢٣).ومسـند البـزار. ٣٢٤/٢. رقـم (٦٩٤٧). ومسـند شـهاب. ٢٥٥/٢.رقـم(٨١٣).وإسـناده ضـعيف.ينظـر: مجمـع الزوائـد. ٣٤٩/٨. وضـعيف الجـامع. ٤٨٨/١٤.

(٥) سورة المائدة (٢).

(٦) سورة آل عمران (٩٢).

العون والمساعدة، وأكّد أنّ المؤمن الحقيقي هو الذي يكون سنداً وعوناً لأخيه، حيث ورد عن أبي موسى‏ أنّ الرسول ﷺ قال:((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)) [1]، وعن النعمان بن بشير قال: قالﷺ:((مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى)) [2]، وعن أنس أنّه قالﷺ:((لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه)) [3]، والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

ثالثاً: مبدأ الأمر والترغيب في الإنفاق: حثَّ القرآن الكريم كثيراً على الإنفاق في سبيل الخير، وشوّق النفس في الثواب الذي يناله الإنسان من الإنفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [5]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.باب نصر المظلوم. ٨٦٣/٢.رقم(٢٣١٤).ومسلم في صحيحه.باب التراحم. ٢٠/٨.رقم(٦٧٥٠).

(٢) رواه البخاري. باب رحمة النّاس بالبهائم. ٢٢٣٨/٥.رقم(٥٦٦٥). ومسلم في صحيحه. باب التراحم. ٢٠/٨. رقم(٦٧٥١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه.باب ما لأخيه المسلم. ١٤/١.رقم(١٣). ومسلم في صحيحه.باب خصال الإيمان. ٤٩/١. رقم(١٧٩).

(٤) سورة البقرة (٢٦١).

(٥) سورة البقرة (٢٦٧).

وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]،

وحذَّر القرآن الكريم الذين يُتْبِعون المنَّ والأذى والرياء في الإنفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾[2].

وشجَّع القرآن الكريم الإنفاق في السرِّ، لأنَّه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء وأحفظ لكرامة الفقراء والمحتاجين وخواطرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ ﴾[3].

وورد عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تدعو إلى الإنفاق، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قالﷺ:((من فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة.))[4].

وعن أبي هريرة أيضاً، ﷺ قال: قالﷺ:((ما من يوم يصبح العباد فيه، إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللَّهم أعطِ منفقاً سلفاً، ويقول الآخر: اللَّهم أعطِ

---

(١) سورة البقرة (٢٧٤).

(٢) سورة البقرة (٢٦٣-٢٦٤).

(٣) سورة البقرة (٢٧٠-٢٧١)

(٤) السنن الكبرى. النسائي. ٣٠٩/٤. رقم(٧٢٨٧). وصحيح ابن حبان. ٢٩٢/٢. رقم(٥٣٤). وسنن الترمذي. ٣٤/٤. رقم(١٤٢٦).وهو حديث صحيح ورجاله ثقات. ينظر:مجمع الزوائد. ٣٥٣/٨. وصحيح وضعيف الجامع الصغير. ١٥٣/٢٤.

ممسكاً تلفاً)) [1]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليلَ والصائم النهارَ)) [2].

رابعاً: مبدأ الترهيب من عدم الإنفاق: لقد حذَّر الله الذين لا ينفقون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾[3].

وسلك القرآن الكريم مسلكاً آخر في الترهيب من عدم الإنفاق، وهو ذكر مصير من أمسكوا عن الإنفاق، وما حلَّ بهم من العذاب، من خلال قصص قرآنية هادفة، فقد جاء في سورة القلم(١٧-٣٦)، قصةٌ تصوِّر نتيجة الإمساك عن الإنفاق، وقصة قارون الذي بغى على قومه، في سورة القصص(٧٦-٨٣)، وقصة الرجليْن في سورة الكهف (٣٢-٤٤)، التي ضربها الله حول معاني الإنفاق والبخل.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال ﷺ:((أيُّما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائع، فقد برئتْ منهم ذمّة الله)) [4]، وعن أبي هريرة أنَّه قال ﷺ:((السخي السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من النَّاس بعيد من النّار، والبخيل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.باب قول الله.... ٥٢٢/٢.رقم(١٣٧٤). ومسلم في صحيحه. باب الإنفاق. ٨٣/٣.رقم(٢٣٨٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه.باب فضل النفقة. ٢٠٤٧/٥.رقم(٥٠٣٨).ومسلم في صحيحه.باب الإحسان. ١٢١/٨.رقم(٧٦٥٩)

(٣) سورة التوبة (٣٤-٣٥).

(٤) المستدرك على الصحيحين. الحاكم. ١٤/٢. رقم(٢١٦٥). قال الذهبي: فيه لين.

بعيد من الله بعيد من النَّاس قريب من النّار))[1].

خامساً: وضع وسائل لمعالجة الفقر: فضلاً عن الدعوة إلى الإنفاق والترغيب فيه، فقد وضع الإسلام وسائل وطرقاً متنوعة لتحقيق التكافل الاجتماعي، وحدّد موارد مالية لضمان تنفيذ ذلك، وإلاّ ظلّتْ دعوة الإنفاق مواعظ ووصايا أخلاقية، ومن هذه الوسائل والطرق:

١- الزكاة: فقد أوجب الله الزكاة حقاً للفقراء في أموال الأغنياء، وهي ركن من أركان الإسلام، وفرض ديني في الأموال النقدية وعروض التجارة والمواشي والزروع والثمار، وبشروط ونسب معلومة.

والزكاة ليستْ تكريساً للفقر وإبقاء له، كما يزعم بعض أعداء الدِّين، بل هي فريضة وطهارة وتنمية، فهي طهارة للضمير والذمّة بأداء الواجب أو الحق المفروض، وطهارة للنفس والقلب من فطرة الشحّ وغريزة حبِّ المال، وطهارة للمال بأداء حقه[2].

وهو حقٌّ ثابت من الغني للفقير، لا منّة فيه، بل لا يملكه الغنيّ[3]، تشرف الدولة على استيفائها وتوزيعها[4]، لقوله تعالى:﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[5].

---

(١) سنن الترمذي. ٢٤٢/٤. رقم(١٩٦١). وشعب الإيمان. البيهقي. ٢٩١/١٣.رقم(١٠٣٥٢). قال الترمذي: حديث غريب. ينظر:

المسند الجامع. ١١٤/٤١. وقال الألباني: ضعيف جداً. ينظر: ضعيف سنن الترمذي. الألباني. ٤٦١/٤.

(٢) ينظر : العدالة الاجتماعية. سيد قطب. ص١٥٠.

(٣) ينظر : حق الحرية. مصدر سابق. ص٢٠٧.

(٤) ينظر : مشكلات وحلول. مصدر سابق. ص١٨١.

(٥) سورة الذاريات (١٩).

ونصَّ الشافعي(رحمه الله) على أنَّه يجوز للفقير أن يأخذ مقدار الزكاة، إذا ظفر به، وكان صاحبه قد امتنع عن أدائه[1]. وفي هذا إخراج للزكاة من أن تكون مظنَّة الذُّل والمهانة للفقير، وحتَّى لا يكون تكدُّس الثروات في أيدي فئة معينة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2].

وقد حدَّد القرآن الكريم الفئات التي يجب أن تصرف لها الزكاة، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

فإذا روعيتْ الزكاة، كما بيَّنه الله تعالى، وصرفتْ في وجوهها، فإنَّه يؤدي إلى الإنعاش، والإسهام في التخلُّص من الفقر، وذُل السؤال، والحفاظ على كرامة الإنسان.

٢- الوقف: هو عبارة عن حبس العين والانتفاع بالريع في وجوه الخير والإحسان، بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره[4]، وقد ثبت مشروعية الوقف في السنَّة، قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :((إنْ شئتَ حبستَ أصلها وتصدَّقتَ بها))[5]، ونظام الوقف يتميَّز به التشريع الإسلامي دون باقي

---

(١) ينظر : المجموع شرح المهذب. النووي. ٥/٣٣٧.

(٢) سورة الحشر (٧).

(٣) سورة التوبة (٦٠).

(٤) ينظر : مغني المحتاج. ٢/٣٧٦. والمغني. ابن قدامة. ٦/٢٦٢-٢٦٦. وموسوعة الفقه الإسلامي. د. وهبة. ٧/٥٢٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه. باب الوقف. ٢/٩٨٢. رقم(٢٥٨٦). ومسلم في صحيحه. باب

الأنظمة.

وقد سار المسلمون على هذا المنهج، في العمل بالوقف قديماً، وإلى يومنا هذا. فقام الأغنياء والتّجار والأمراء، إلى وقف العقارات الكبيرة، والأراضي الشاسعة لوجه الله تعالى، لتنفق على أعمال الخير والإحسان، حتّى خُصِّصتْ وزارات خاصة بها، وتشرف هذه الوزارات على الأوقاف المرصودة، وتساهم في الرعاية والتضامن والتكافل الاجتماعي.

٣- بيت المال: وهي خزينة الدولة التي تبقى حيِّز الاحتياط للموارد السابقة، وتغطية الحاجات الأخرى[(١)].

وكانت واردات بيت المال في عهد رسول الله ﷺ قاصرة على أموال الزكاة والغنائم والعشور، وكانت كلُّها تنفق على المستحقين، وفي زمن عمر ﵁ دُوِّن الدواوين وسجِّل ذوي الأعمال والمستحقين، وقال قولته المشهورة :(ما من أحد من المسلمين إلاّ وله حق في هذا المال...) [(٢)]، وجعل عمر لكلِّ المحتاجين نصيباً من بيت المال، حتَّى غير المسلمين. وتصرف هذه الأموال إلى دواء الفقراء والمرضى وعلاجهم، وأكفان الموتى الذين لا مال لهم، وإلى اللقيط، وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب، ومن ليس له من تجب له نفقته[(٣)].

٤- الصدقات المتنوعة: وتشمل الكفّارات والغنائم والنذور والوصية

الوقف.٥/٧٣.رقم(٤٣١١).

(١) ينظر : أركان حقوق الإنسان.مصدر سابق. ص٣٢٧. وإشتراكية الإسلام. مصدر سابق. ص١٨٧.

(٢) المجموع شرح المهذب. النووي. ٣٧٨/١٩.

(٣) ينظر : المجموع شرح المهذب.النووي. ١٩٠/٥. وبدائع الصنائع.الكاساني. ٦٩/٢.و١٢٤/٧

والفطر....الخ وقد ثبتت هذه الصدقات بآيات وأحاديث كثيرة منها،قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، والعفو: هو الفضل، أي ما يفضل عن أهلك، وقيل: أطيب ما عندك[2]، عن أبي هريرة ﷺقال: قال ﷺ:((من كان معه فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له، ومن كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، وإلى أن عدّد من أصناف المال ما عدَّ، حتَّى رأينا أن لا حق منَّا في فضل)) [3].

قال ابن حزم(٣٨٤-٤٥٦هـ): فرض على الأغنياء من كلِّ بلدٍ، أن يقوموا بفقرائها، ويجبرهم السلطان على ذلك، إنْ لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بدَّ منه، ومن اللباس في الشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنُّهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارَّة[4].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في مسألة الفقر

الفقر مشكلة قديمة لازمتْ الإنسانية عبر العصور، ولا ينتظر من أحد إزالتها نهائيّاً، ووجودها ليس لكثرة حاجات الإنسان وقلّة الموارد، وإنَّما تعود إلى سوء توزيع الثروة، والظلم الاقتصادي والاجتماعي.

---

(١) سورة البقرة (٢١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير. ٥٨٠/١.

(٣) سنن أبي داود. ٥٠/٢.رقم(١٦٦٥). وصحيح ابن حبان. كتاب اللباس. ٢٣٨/١٢.رقم(٥٤١٩). وورد في مسلم. ١٤٨/٤.رقم(٣٥٧٤). بلفظ :((من كان له فضل زاد فليأتنا به)).

(٤) المحلّى. ابن حزم. ١٥٦/٦.

ولم تأتِ الأديان لإزالة الفقر، بل جاءتْ وحاربتْ الفقر ودعتْ إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين، ورفع الظلم عنهم، وحرَّمتْ الطرق التي تؤدّي إلى تكدّس وجمع الأموال في أيدي قليلة، وفتحت المجالات التي يمكن من خلالها مساعدة الفقراء والمحتاجين، وربطتْ بين محاربة الفقر والثواب الأخروي، والأديان الثلاثة متفقة في هذه الجوانب

-**أمَّا عن وجوه الاختلاف**، فالتوراة والإنجيل على الرغم من دعوتهما إلى محاربة الفقر ومساعدة المحتاجين في نصوص كثيرة، فإنَّهما لم يضعا منهجاً وطرقاً علاجية عن كيفية تخفيف معاناة الفقراء، بل بقي التوراة منحازاً لصالح اليهود حتَّى في مجال المساعدة الإنسانية، وبقي الإنجيل رهين الوصايا والمواعظ الأخلاقية. بينما القرآن الكريم نظر إلى الفقر على أنَّها مشكلة إنسانية عامة، فوضع منهجاً عملياً لمحاربة الفقر، فهو يحتوي على المبادئ التي تؤدي إلى إقامة مجتمع متكافل، واعتبر الفقر مشكلة مرتبطة بغيرها من مجالات الحياة المختلفة، وحاول تخفيف معاناة الفقراء من خلال طرق وأساليب محددة وثابتة، وأكّد أوَّلاً على تثبيت مبدأ الإخاء الإنساني دون استثناء، ووضع نظاماً اجتماعياً فريداً من نوعه، ورغّب في الإنفاق من خلال ربطه بالثواب الأخروي، وجعل من الوسائل-وهو الزكاة- التي تؤدّي إلى القضاء على الفقر، من أركان الإسلام، وأمر بالصدقات المتنوعة، واخترع نظام الوقف وبيت المال، وأمر بصرفها في المصالح العامة، دون التفريق بين المسلمين وغير المسلمين.

المبحث الثالث
الخطيئة البشرية والتكريم في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: الخطيئة في التوراة

إنَّ المفهوم التوراتي للخطيئة[1]، يدلُ على أنَّها كانتْ السبب في إخـراج آدم وحوّاء من الجنَّة، وحمّل كتبة التوراة حوَّاء وزر هـذه الخطيئـة، واعتبروهـا هـي وحدها المسؤولة عن ارتكاب المعصية، وأنَّ فكرة الخطيئـة المنسـوبة إلى حـوَّاء قد تدرَّجتْ، حتّى جعلوا منها السبب الذي أورث البشرية وزر هـذه الخطيئـة:((ها آنذا بالأثم صوِّرتُ وبالخطيئة حَملَتْ بي أمِّي)) [2].

فالمرأة وفق قصة الخلق التوراتية، هي المسؤولة عن الخطيئـة الأولى، ومـا

---

(١) الخطيئة والخطيَّة بمعنى واحد, أي تشـدد اليـاء, لأنَّ كـلَّ يـاء سـاكنة قبلـها كسـرة, أو واو ساكنة قبلها ضمَّة, زائدتان للمد, لا للإلتحاق ولا هما من نفس الكلمة, فإنَّك تقلب الهمزة بعد الياء ياءً, وبعد الواو واواً وتدغم. ينظر: لسان العرب. ٩٧/٥.

(٢) سفر المزامير(٥:٥١).

ترتَّب عليها من شقاء للبشرية، حيث جاء:((فقال آدم: المرأة التي أعطيتني لتكون معي، هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ)) [1]، إلاَّ أنَّ فكرة الخطيئة في اليهودية تختلف عن فكرة الخطيئة في المسيحية، حيث في اليهودية ليس تدميراً كلّياً للإنسان، وأنَّ الإنسان يعاقب عندما يخطئون، وأنَّهم لا يرثون الخطيئة المتأصِّلة في طبيعتهم، بينما في المسيحية، أنَّ النَّاس يرثون الخطيئة المتأصِّلة، وأنَّهم مخطئون بالفطرة. وسنوضح الفكرة أكثر عند الحديث عن الخطيئة في المسيحية.

فالمرأة أخطأتْ وسبَّبتْ في المعصية، وكتب الله عليها الإنجاب عقوبة لها:((وقال للمرأة: أزيد تعبكِ حين تحبلين، وبالأوجاع تلدين البنين، وإلى زوجكِ يكون اشتياقكِ، وهو عليك يسود)) [2]، فهي بطبيعتها، دون الرجل قيمة وكرامة[3].

ومن المفروض والمعقول، أن يكون الإنجاب مهمة تكريم وتكليف، لا عقوبة، إلاَّ أنَّ اليهود جعلوا الإنجاب عقاباً لها، على معصية ارتكبتها تجاه آدم، ولكن أليس كلُّ الحيوانات تحمل وتلد بمتاعب وأوجاع، فهل من الجائز أن نقول أنَّ ذلك يحدث بسبب خطيئة ارتكبتها جدّاتها من الحيوانات؟[4].

وهكذا نشأتْ في اليهودية عقيدة دونية للمرأة، أساسها العهد القديم، الذي يؤكّد أنَّ المرأة هي التي أغوَتْ آدم، وانتهكتْ الأوامر الإلهية، فبالتالي تكون ضحية الشرور والخطيئة، ويكون لها دور ثانوي، حيث ورد:((ليس حسناً أن

---

(١) سفر التكوين(٣:١٢).

(٢) سفر التكوين(٣:١٦).

(٣) المرأة عبر التاريخ. مصدر سابق. ص١٤٦.

(٤) ينظر: المرأة في التاريخ والشريعة. د.أسعد السحمراني. ص٤٤. ومفاهيم اجتماعية. د.حسن نورالدين. ص١٣٣. وتعدد نساء الأنبياء. اللواء أحمد عبدالوهاب. ص١٩.

يكون الرجل وحده، أريد أن أصنع له عوناً، يكون كفوءاً له)) [1]، من هذا يفهم أنَّ المرأة تبدو مخلوقاً ثانوياً، خلقتْ لأجل الرجل، وبسبب الخطيئة، استحقّتْ المرأة اللّعنة الأبدية:((أمرٌ من الموت، المرأة التي هي شباك، وقلبها أشواك، ويداها قيود)) [2]، وجاء:((كلُّ خبث، ولا خبث المرأة)) [3]، واعتبرتْ السلطة الدِّينية المرأة دون الرجل مرتبة، وجرَّدوها من حقوقها، وحرَّموا عليها تعليم التوراة، والأفضل أن تحترق كلمات التوراة في النَّار، من أن تنتقل إلى النِّساء[4].

وحسب التوراة أنَّ المرأة التي تلد ولداً، تكون نجسة أسبوعاً، وتستمر نجاستها، ثلاثة وثلاثين يوماً، أمَّا إذا ولدتْ أنثى، فإنَّها تكون نجسة أسبوعيْن، وتستمر نجاستها ستة وستين يوماً[5]، وفي حالة الحيض أيضاً، تكون المرأة نجسة سبعة أيّام، ومَن يلمسها يكون نجساً، بل وكلُّ ما تنام وتجلس عليها أثناء حيضها، تكون نجسة[6].

وفي حالة اللّعان، أو الاتهام بالزنا، ولم يكن هناك شهود، فإنَّ المتهم الأول والأخير هي المرأة[7]، وتخضع لطقس ديني، يقوم به الكاهن[1]، ويعطي المرأة

---

(١) سفر التكوين(٢:١٨).

(٢) سفر الجامعة(٧:٢٦).

(٣) سفر يشوع بن سيراخ(٢٥:١٣).

(٤) ينظر: حوّاء والخطيئة. مصدر سابق. ص٥٢. واليهودية والعبرية. مصدر سابق. ص٧٤.

(٥) سفر اللاويين(١٢:١–٦).

(٦) سفر اللاويين(١٥:١–٢٨).

(٧) وحكم اللّعان في الإسلام, في حالة عدم وجود الشهداء, ليس مقصوراً على المرأة فقط, بل يشهد الرجل والمرأة كلاهما, ويدفعان التهمة عن أنفسهما دون اتهام أحدهما للآخر, وقد ورد في ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. { سورة النور الآيات(٦–

المرأة الماء المقدَّس بعد خلطه بالغبار الموجود بالمعبد، ويكشف الكاهن عن رأسها، دون تكليف الرجل بذلك، وهذا التطهير في حدٍّ ذاته، إهانة وتحقير للمرأة، لأنَّها تقوم أو تؤمر بالقيام بأعمال لم يكن لها أن تقوم بها في حياتها العامة، وأنَّ هذا الطَّقس يجرى في حقها بمجرد اتهام الرجل زوجته، دون أن يكون هناك إجراء ما في حق الرجل، ولا يعاقب بشيء، حتَّى لو كان كاذباً، وبانتْ براءة الزوجة[٢].

المطلب الثاني: الخطيئة في الإنجيل

إنَّ الخطيئة حسب المفهوم المسيحي، تسري من الآباء إلى الأولاد، وهي دخلتْ إلى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت وسرى إلى الجميع، لأنَّهم أخطأوا:((ببرٍّ واحد صار الجميع أبراراً، كما بذنب واحد صار الجميع خطاة)) [٣].

والخطيئة ثلاثة أنواع: **الأولى:** الخطيئة الأصلية، وهي تعبير لاهوتي يشير إلى حالة الإنسان كونه متأثراً بالشرّ الذي هو صنعه، فهي تسبق وجود الإنسان. **الثانية:** الخطيئة المادية، وهي حالة تجاوز القوانين والتشريعات، عبر سلوكيات خاطئة، كالقتل والزنا....

الثالثة: الخطيئة الاجتماعية، وهي تبعيات قرارات واختبارات، اتخذها

---

٩)}.

(١) للتعرُّف على كيفية إجراء هذا الطقس, ينظر: سفر العدد(٥:١١–٣١).

(٢) الذي يقرأ شريعة التوراة, وخاصة في إجراء طقس تطهير المرأة من الاتهام بالزنا, لا يجد عقوبة مقررة للرجل, للتأكيد على وجود هذه الحقيقة ينظر: سفرالعدد (٥:١١–٣١).

(٣) رسالة رومة (٥:١٢–٢٠). ووردت تفصيلات هذه الخطيئة في إصحاحات(٨,٧,٦) في الرسالة نفسها.

أفراد، وشكلتْ فيما بعد، حالة اجتماعية ظالمة كالعنصرية.... [1]، وتأتي بمعاني كثيرة منها: الذنب، العصيان، التمرد، الانحراف، عدم الاستقرار، الخيانة...الخ[2]، وفي المعتقد المسيحي الخطيئة تعني: التعدِّي على شريعة الله وأحكامه، أو عدم الامتثال لله[3]، بدليل قول الإنجيل:((كلُّ من يفعل الخطيئة، يفعل التعدِّي أيضاً، والخطيئة هي التعدِّي)) [4].

وتعني الثورة والتمرُّد على أوامر الله، فهي ليست حماقة، بل عصيان وإرادة شريرة جامحة، ليست موجَّهة إلى تقليد أو نظام، بل إلى الله الحيِّ ذاته[5].

والذي يهمنا، في هذه الدراسة، هي الخطيئة الأصلية، التي تسري في الإنسان دون ذنب اقترفه، وهو ما عبَّر عنها بشَّار متّى وردة، عميد كليَّة بابل الحبرية بقوله: نحن مجروحون بالخطيئة، وفينا ميل الشرِّ والخطيئة، لأنَّنا

---

(١) ينظر: المدخل إلى اللاّهوت الأدبي .مصدر سابق. ص٧٢-٧٣. وشرح أصول الإيمان. أندراوس وطسون. ص١١٨. وهناك من يجعل الخطيئة نوعين: الأصلية, وهي التي يولد الإنسان بها. والفعلية: التي يرتكبها الفرد, وهو الذنب الشخصي, الذي يتطلب الاعتراف به أمام القسيس للتكفير عنه. ينظر: الخلاص في مفهومه الكتابي والتطبيقي.صموئيل حبيب.ص٢٢. والخلاص المسيحي. د.أحمدعجيبة. ص١٧٤. ومبادئ العقيدة بين الكتاب المقدَّس والقرآن الكريم. سعيد إسماعيل. ص١٥.

(٢) ينظر: قضايا المسيحية الكبرى. القس الياس مقار.ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣) ينظر : قاموس الكتاب المقدس. ص٣٤٤. وشرح أصول الإيمان. مصدر سابق.ص١٠٣.وتفسير أصول الإيمان وليمسون.ترجمة فايز فضيل. ٥٢/١. وعلم اللاّهوت النظامي. ص٨١٩.

(٤) رسالة يوحنا الأولى(٣:٤).

(٥) ينظر: الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات.د.عزت زكي.ص١٢٧. وأديان العالم.حبيب سعيد.ص٢٨٠. وطريق الخلاص. عوض سمعان.ص١٢.

ولدنا في جوّ ملوَّث بالخطيئة[1]، ومعنى هذا أنَّ الإنسان يولد وهو مخطئ، يحمل يحمل تبعات الخطأ الذي ارتكبه آدم وحوَّاء في الجنَّة، فأصبحتْ خطيئته متوارثة، ولا يعني أنَّ الإنسان الأول خلق بها، بل خلق بريئاً، ثمَّ دخلتْ الخطيئة إلى حياته وفكره بعد السقوط[2]، والمتفق عليه[3]، أنَّ السقوط هو الذي أوصل الجنس البشري إلى الخطيئة والشقاوة، وجلب الدَّمار على البشرية، وأفقد الإنسان البِّر والقداسة والصلاح، فأصبحوا يولدون بالخطيئة[4]، والفساد بسبب الخطيئة يمسُّ كلَّ أحوال وقوى النفس وميولها، ولا يمسُّ جوهر النَّفس،

---

(١) ينظر: المدخل إلى اللاّهوت الأدبي.مصدرسابق.ص٢٩. وملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام. عبدالمجيد الجندي. ص١٣٦. ولا يخفى أنَّ عقيدة ولادة الإنسان وهو ملوَّث بالخطيئة ينافي تماماً تكريم الله للإنسان, لأنَّ من سنن الله تعالى أن خلق الإنسان على الفطرة, طاهر القلب والنفس, مبرَّءاً من الخطيئة, فضلاً من أن يحمل وزر غيره, وأنَّ مبدأ المسؤولية الفردية يتفق مع مبدأ الكرامة الإنسانية, التي كرَّم الله بها الجنس البشري. أمَّا القول بوراثة الخطيئة, فإنَّه, ولا شك, قول يؤثر تأثيراً سيِّئاً على الإنسان في نظرته لنفسه, فهو يوحي بالمهانة الإنسانية, ويثير القلق والفزع في النفوس, بل يؤثر تأثيراً سيِّئاً على المجتمع. ينظر: المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم. د.محمد إبراهيم الشافعي.ص١٠٢.

(٢) إنَّ سقوط آدم ﷺ في الخطيئة وهبوطه إلى الأرض ليس عقوبة له, كما يتوهم المسيحيون, لأنَّه تاب بعد الخطيئة وأنَّ الله تعالى قبل توبته, بل كان هبوطه تكريماً له وتشريفاً, حيث باشر مهمة استخلافه في الأرض, كما أخبر الله الملائكة من قبل:((...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...)). {سورة البقرة من الآية :(٣٠)}.

(٣) أجمع المسيحيون –ما عدا النظام البيلاجي أو العقلاني الذين يقولون أنَّ خطيئة آدم أضرَّ نفسه فقط– على أنَّ خطيئة آدم أضرَّ بجميع نسله, واختلفوا في الكيفية, هل بسبب إشتراكهم في نتاج معصيته, أو ماهية الخطيئة التي ورثها في نسله. تفاصيل أوفى ينظر: علم اللاّهوت النظامي.ص٦٣٦–٦٤٨.

(٤) ينظر : تفسير أصول الإيمان. وليمسون. ترجمة فايز فضيل. ٥٦/١. وشرح أصول الإيمان. د.أندراوس وطسون ترجمة د.إبراهيم سعيد.ص١١٥. والخلاص المسيحي. د.أحمد علي.مصدر سابق.ص٢٤٦.

فهي تميت النَّفس روحياً[1]، وحتى الخطايا الفعلية التي تصدر عن الإنسان، بعد ولادته، تكون نتيجة للخطيئة الأصلية:(إنَّ الخطيئة ليست مجرد الأعمال الخاطئة التي تصدر عن الإنسان، بل هي حالة الفساد التي في الإنسان، والتي بسببها تصدر الخطايا الأخرى) [2]. ومن أجل التخلّص من هذه الخطيئة، صُلب المسيح عليه السلام وأصبح كفّارة وقرباناً من أجل خطايا البشر، وهذا مخالف لما جاء في سفر التثنية والملوك الثاني وأرمياء، من أنَّ الله قال لبني إسرائيل:((لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولايقتل الأولاد عن الآباء، كلُّ إنسان بخطيئته يقتل)) [3]، وفي أخبار الأيام الثاني:((لا يموت الآباء لأجل البنين، ولا البنين لأجل الآباء، بل كلُّ واحد يموت لأجل خطيئته)) [4]، وفي سفر حزقيال:((أنَّ النفس التي تخطئ هي تموت))[5]. وحاول المسيحيون القائلون بمبدأ الكفّارة والخطيئة، أن يجدوا حلاًّ منطقياً بين عدل الله ومحبته، فخرجوا بفكرة الإنسان السَّماوي، الذي يموت من أجل آثام النَّاس، ويُعدُّ صلب[6]، المسيح وقتله وقيامته–كما يزعم النصارى–من أجل تكفير خطايا البشر، من أهم الركائز التي تقوم عليها الدِّيانة المسيحية، فإنَّ الإنسان يحمل ويتوارث

---

(١) ينظر : علم اللاهوت النظامي. مصدر سابق. ص٦٧٣.

(٢) الخلاص في مفهومه الكتابي . صموئيل حبيب.ص٢١. والخلاص المسيحي. د.أحمد عجيبة.ص١٧٤.

(٣) سفر تثنية (١٦:٢٤). والملوك الثاني (٦:١٤). وإرميا (٣١:٢٩–٣٠).

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني (٤:٢٥).

(٥) سفر حزقيال (٢:٣). و(١٨:٢٠–٢٤).

(٦) لم تكن مسألة صلب المسيح وموته متفقاً عليه بين المسيحيين, فكانت هناك فرق وطوائف وطوائف تنكر صلب المسيح منها: الباسيليديون والسرنثيون وفرق أخرى, وقالوا بأنَّ الصلب لا يليق بشرف المسيح ومنزلته, وفي العصر الحاضر أصبحتْ قضية الفداء والصلب تؤرّق المسيحيين, وأنَّها لم تعد مقبولة عند كثيرين منهم.

الخطايا، بسبب خطيئة آدم، وأنَّ الله أرسل ابنه الوحيد–كما يقولون–فداءً لمحوِ هذه الخطيئة، وهذا ما لا يقبله العقل والنقل، فما هو ذنب المسيح أن يكون فداءً؟! وهل هذا يتناسب مع كرم الله للإنسان وفضله لأنبيائه؟.

ويعتقد النصارى أنَّ خطايا الإنسان فصلتْ بينه وبين الله، فلم يعد يسمع صلاتهم: ((آثامكم صارتْ فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترتْ وجهه عنكم، حتّى لا يسمع))[1]، وأنَّ الله لن يغفر للإنسان الخاطئ حتّى يأخذ عقابه:((حرام عليك أن تفعل مثل هذا الأمر، فتهلك الصديق مع الشرير))[2]، وكذلك:((ولأنَّ أجرة الخطيئة هي الموت)[3]، فأراد الله أن يعيد الإنسان الخاطئ إليه، ويحرِّره من آثامه، ولن تنفع صلاته، لأنَّه أنفصل عن الله، فلن يرجع عن حكمه، فأنزل الله ابنه المسيح على هيئة البشر، يحمل آثامهم على الصليب:((بهذا ظهرتْ محبة الله فينا، وأرسل ابنه الوحيد إلى العالم، لكي نحيا به، هذه هي المحبة، ليس لأنَّنا أحببنا الله ، بل إنَّه هو أحبّنا، وأسل ابنه كفارة لخطايانا))[4]، ولأنَّ في عقيدة النصارى ليس هناك مغفرة للذنوب إلاَّ بسفك دماء وليس بدم التيوس والعجول، بل بدم إنسان:((بدمه كسب لنا الخلاص الأبدي....دم المسيح الذَّي قدَّم نفسه الى الله بالروح الأزلي قرباناً...))[5]،

---

(١) سفر أشعياء (٢١:٥٩).

(٢) سفر التكوين (٢٥:١٨).

(٣) رسالة رومة (٢٣:٦).

(٤) رسالة يوحنا الأولى (٤:٩–١٠). والمسيحية الحقيقية نظرتْ إلى الإنسان على أنَّه خيِّر بطبعه, بطبعه, ثمَّ أنَّها فقدتْ جوهرها, عندما تحالفتْ مع الأمبراطورية الرومانية, فأصبح الإنسان ينظر إليه على أنَّه يولد مع الخطيئة, وتبنَّتْ مفهوم الخطيئة, ما جعل الإنسانية تعيش عقدة الذنب. ينظر: الإسلام ومشكلات الحضارة . سيد قطب . ص٥٤.

(٥) رسالة العبرانيين(٩:١٠–١٥). ورسالة بطرس الأولى(١:١٨).

وجاء :((كما أحبَّنا المسيح أيضاً، وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله)) [1].

والخطيئة في العُرف المسيحي هي مرض، يحتاج إلى العلاج بالفداء:((لا يحتاج الأصحاء إلى الطبيب، بل المرضى)) [2]، فالإنسان في حاجة لا إلى الخلاص من الخطيئة كدين، بل كمرض أيضاً[3]، والخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطيئة ومرضها وسلطانها واستعبادها نفساً وروحاً وجسداً[4]، وكلمة الخطيئة على الدوام مقارنة وملاصقة للعار والخزي، إذ أنها تهدر في الإنسان كل ما هو آدمي وإلهي إذ تقتل المروءة والشرف والكرامة والنبل والإنسانية وتسفل به إلى الحيوانية[5].

هذا هو حال المسيحية بقيتْ قروناً، ولا تزال، حبيسة هذا المفهوم الخاطئ، حيث جعل الإنسان المكرَّم ذا الإرادة الحرة، أسير عقدة الخطيئة، التي توارثها عن آدمعليه السلام وكانت الخطيئة أكبر عدو يهدد كيان الكنيسة، بسبب انشغال المبشرين بها.

قال الأب متّى المسكين[6]: إنَّ أوروبا لم تتقدم إلاّ بعد أن كفّرتْ بالكنيسة والمسيحية وتحرَّروا من خطيئة الإنسان، وانشغلوا بحياتهم

---

(١) رسالة أفسس (٥:٢).

(٢) إنجيل متى(٩:١٢).

(٣) طريق الخلاص. عوض سمعان. ص٣٣. وسر الفداء. باسيليوس. ص١٥ وص٢٧٠.

(٤) ينظر: قضايا المسيحية الكبرى.القس الياس مقار.ص٣٨٧.وشرح أصول الإيمان.د.أندراوس وطسون. ترجمة د.إبراهيم سعيد.ص٤٥١.

(٥) ينظر: رجال الكتاب المقدس. ١/١٣. وقضايا المسيحية الكبرى. ص٣٧٦. كلاهما للقس الياس مقار. ومحمد الرسالة والرسول. د. نظمي لوقا. ص٧٥-٧٨.

(٦) هو يوسف أسكندر(١٩١٩-٢٠٠٦م) رجل دين ولاهوتي قبطي, ولد في بنها في محافظة القليوبية-مصر من عائلة غنيّة, باع كلَّ ما يملك وأخذ حياة الرهبنة, ثمَّ ترك الدير لأسباب تتعلق بالإيمان المسيحي, وعاش في وادي الريّان للتوحُّد.ينظر موقع الموسوعة الحرة: http||ar.wikipedia.org. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٤.

الاجتماعية[1].

ويقول وليم باركلي[2]: إنَّ مجهودات القرون الأربعة التي استغرقتها البشرية، لم تأتنا بدين يقبله عقل الإنسان[3]، وقال السيد فهيم عزيز-لاهوتي مسيحي معاصر- الدِّين المسيحي: وكلٌّ ما فيه لا يقبلها العقل، وليس فيه من مقومات أساسيات الدِّين شيء، فهو غير نافع للبشرية، ولا فائدة فيه، ومن المدهش أنَّ هذه القضية الخاصة بيسوع ابن الله ليست محبوبة في العصر الحاضر، ويقال عن حمله خطايانا وقتله ورفعه أنَّه عمل غير عادل، وغير لائق، ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء[4].

وإذا كان العهد القديم يؤكِّد على أنَّ النفس التي تخطئ هي تموت، وأنَّ الأبن لا يحمل إثم الأب، وأنَّ برَّ البار يكون عليه، وشرَّ الشرير يكون عليه، فإنَّ المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب من أجل خطايا البشر، وأنَّ وجود الأبرار قبل المسيح، يدل على أنَّ البشر لم يرثوا خطيئة آدم.

وهل من العدل أن يخطئ آدم ويحكم عليه بالطَّرد من رحمة الله ، ثمَّ ينفذ العقاب في المسيح، وهو بريء؟ ولماذا لم تمتدّ الوساطة إلى إبليس، وهوالسبب في غواية آدم؟ ألم يصلب كثيرون من أبناء آدم، في كلِّ ملَّة ودين، دفاعاً عن الحق؟ ولماذا المسيح بالذات؟ ولماذا لم يكن هابيل؟ وما ذنب أبناء آدم ولم

---

(١) مقالات في السياسة والدِّين .الأب متى المسكين .ص٩.

(٢) وليم باركلي (١٩٠٧م-١٩٧٨م), لاهوتي أسكتلندي وأستاذ علم اللاّهوت, حيث عمل أستاذاً مدة ٢٨ عاماً في جامعة غلاسكو. وهو من أشهر اللاّهوتيين في نقد الكتاب المقدَّس. له مؤلفات عديدة في نقد الكتاب المقدَّس. ينظر مواقع: www.cristiancourier.com وwww.thewords.com|articles .تاريخ الدخول في المواقع: ٢٠١١/٥/١٥.

(٣) ملكوت الله في المسيحية واليهودية والإسلام .عبدالمجيد الجندي .ص١٩١.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

يخطئوا؟ وكيف يكون الأنبياء المعصومون؟!هل اتخذ الله (عزّوجلّ) القرار ضد آدم متسرِّعاً، ثمَّ ندم-حاشا لله-؟ أما كان يكفي أن نقبل القصة كماجاءتْ في التوراة:((فيوم تأكل منها موتاً تموت)) [1]، فمات آدم، ومرضوا وعانوا، وبذلك نفذ الوعد[2]،؟.

لأنَّه لا يوجد متديِّن، أيّاً كان مذهبه أو فرقته، يعتقد أنَّ الله العظيم أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية، لكي يعاني موتاً مشيناً لترضية النقمة الإلهية على البشرية، ولكي يساعد في أن يغفر للبشرية، على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي الذي لا يستصيغه عقل[3].

المطلب الثالث: الخطيئة في القرآن الكريم

إنَّ قصَّة آدم وحوَّاء واضحة وجليَّة في القرآن الكريم، بحيث يقبلها العقل والمنطق، فبعد خلقهما، أسكنهما الله الجنَّة، وأمرهما من عدم الاقتراب من الشجرة المحرَّمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[4]، ودلّتْ الآيات أنَّ الشيطان الشيطان وسوس لهما، وأمرهما بالأكل من الشجرة المحرّمة، بدعوى أنَّ الله ما نهاهما إلاّ أن يكونا ملكيْن أو يكونا من الخالدين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿

---

(١) سفر التكوين (٢:١٧).

(٢) ينظر: قراءات في الكتب المقدسة . عبدالرحيم محمد . ص١٢٥-١٢٦.

(٣) ينظر: الخلاص من المسيحية إلى الإسلام . د.عبدالرحمن السحيم .ص٢٦. وملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام. عبدالمجيد الجندي. ص١٣٦-١٣٨.

(٤) سورة البقرة(٣٥).

(٥) سورة طه(١٢٠).

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[1].

ويُفهم من الآيات، أنَّ التمرُّد والعصيان والتسبُّب في الأكل أوّلاً، لم يكن من طرف حوّاء، كما يشير إليه التوراة والإنجيل، بل إنَّ آدم وحوّاء كليهما أكلا من الشجرة المحرّمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2]، وتمرّدا على الأوامر الإلهية، فأخذا عقابهما العادل، ولا يُفهم من الآيات أيضاً، أنَّ سبب طردهما هو الأكل من الشجرة المحرّمة، بل هو العصيان وعدم الامتثال لأوامر الله.

وأنَّ الطرد من الجنّة قد يكون عقوبة لهما في الظاهر، ولكن في الحقيقة هو حكمة إلهية ، بل تكريم وتشريف، حيث باشرا مهمة الخلافة، كما وعد الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3].

وليس في القرآن الكريم ما يؤيِّد مذهب التوراة والإنجيل من أنَّ آثار خطيئة آدم بقيتْ في نسله، وأصبحتْ البشرية رهينة عقدة الذَّنب، نتيجة الخطيئة التي قام بها آدم وحوّاء، بل الآيات تؤكّد أنَّهما أخذا عقابهما، ثمَّ تابا عن تلك الخطيئة، وقُبلتْ توبتهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، ومن جهة أخرى، يؤكّد القرآن الكريم، أنَّ لا أحد يؤاخذ بذنب أحد، ولا يعاقب أحد بجريرة أحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

---

(١) سورة الأعراف(٢٠).

(٢) سورة طه(١٢١).

(٣) سورة البقرة من الآية(٣٠).

(٤) سورة البقرة(٣٧).

كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾[1]، فالإنسان في الإسلام ليس أسيراً لذنب لم يقترفه، لأنَّ هذا ينافي مبدأ الحرِّية والكرامة الإنسانية التي أقرّها الإسلام للإنسان.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في مسألة الخطيئة

أمَّا عن وجوه الاتفاق، فإنَّ كلَّ الأديان مشتركة في ذكر الخطوط العامة لقصة آدم وحوّاء، من أنَّهما دخلا الجنَّة، وطردا منها، وتسبَّبا في المعصية. **أمَّا عن وجوه الاختلاف**، فيمكن أن نوجزها فيما يأتي:

١- يذكر التوراة والإنجيل أنَّ سبب خروج آدم وحوّاء من الجنّة هو اقتراف الخطيئة، بينما القرآن الكريم يؤكّد أنَّ التمرّد والعصيان على أوامر الله هو الذي أدّى إلى ذلك.

٢- ورد في التوراة والإنجيل، في نصوص قاطعة أنَّ حوّاء هي التي أغويتْ من قبل الحيّة وأكلتْ أوّلاً من الشجرة المحرَّمة، وبالتالي تسببّتْ في المعصية وطردتْ من الجنّة، وهي المسؤولة عن العقاب، وأصبحتْ المرأة منبوذة إلى قيام الساعة وتستحق اللعنة. أمَّا في القرآن فقد ورد ما يناقض ذلك، بحيث أكّد أنَّ آدم وحوّاء، كلاهما، تسبَّبا في المعصية وأكلا من الشجرة المحرّمة، وكلاهما أصبحا مسؤوليْن عن تلك الخطيئة.

٣- ويذكر التوراة والإنجيل أنَّ الله قد عاقب آدم وحوّاء والحيّة، بالإضافة إلى الطّرد، فقد عاقب آدم بالعمل الشّاق بيديه، وعاقب المرأة بالولادة بألم،

---

(١) سورة الأنعام(١٦٤). وسورة الإسراء(١٥). وسورة فاطر(١٨). وسورة زمر(٧). وسورة النجم(٣٧).

وأنَّها تكون خاضعة للرجل وخادمة له، وعاقب الحيّة بالمشي على البطن، والأكل من التراب، بينما هذا العقاب غير وارد في القرآن الكريم بتاتاً، فقد اكتفى القرآن بذكر الطَّرد من الجنّة والهبوط إلى الأرض، فكان الهبوط تكريماً وتكليفاً وتحقيقاً لوعد الله، وليس عقوبة كما يتوهم النصارى، ويشير إليه الكتاب المقدَّس.

٤- أكَّد المفهوم المسيحي للخطيئة على أنَّ آثار هذه الخطيئة باقية في النسل البشري، ولا يغفر هذا الذنب إلاَّ بدم الإنسان، لذا صلب المسيح عليه السلام من أجل كفّارة الخطيئة البشرية، وهذا المفهوم غير وارد في التوراة والقرآن الكريم، بل يؤكِّدان على أنَّه لا يؤآخذ أحد بذنب أحد، بل كلٌّ واحد بذنبه يُقتل ويحاسب.

٥- يذكر التوراة والإنجيل أيضاً، أنَّ الحيّة هي التي أغوتْ حوّاء، وكانت السبب في أكلها من الشجرة، وفي هذا العصر حاول بعض مفسِّري الكتاب المقدس تأويل ذلك، وقالوا بأنَّ الشيطان هو الذي أغوى حوَّاء على صورة حيّة. بينما القرآن الكريم يخبرنا أنَّ الشيطان هو الذي قام بإغواء آدم وحوّاء.

المبحث الرابع
الصَّلب والتكريم

كان الصلب[1]، على عهد عيسى عليه السلام وقبله في البيئة اليهودية وبعده أيضا، وعند غير النصارى، علامة الذُّل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الإهانة[2].

ووردتْ في الأناجيل ما يدل فعلاً على أنَّ الصلب كان يحمل معنى الإهانة،

---

(١) من الثابت تاريخياً أنَّ أوائل المسيحيين لم يعرفوا الصليب, ولا رسمه بالأصابع على وجوههم في الصَّلاة وأثناء الدُّعاء, بل ظهر في زمن قسطنطين(٢٧٤-٣٣٧م) , الملك الروماني الذي دخل في المسيحية بعد أن-كما يحكى- رأى صليباً من الذَّهب في السَّماء وملك يقول له: إنْ كنت تريد غلبة أعدائك, فاجعل هذه الصورة علامة قدامك, ففعل ذلك وانتصر, ثمَّ آمن. ويقال أنَّه(وفي رواية زوجته, وفي أخرى أمّه) بحث عن صليب المسيح فوجده مدفوناً, وعمل من المسامير التي كانت فيه, لجاماً لفرسه وزيَّن جبينه بصليب من الذهب, فاستمر ذلك علامة على الظفر. ينظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح. ابن تيمية. ٣/٣٠ و ٣/١٤١. : هداية الحيارى. ص٢١٢. وإغاثة اللهفان. ٢/٢٩٥. كلاهما لابن القيِّم.

(٢) ينظر : قاموس الكتاب المقدس. ص٥٤٦. وتفسير أعمال الرسل. وليم باركلي. ص٥٧.

فضلاً عن العقوبة[1]، وعندما جاء المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل، كان يدرك تماماً، أنَّهم لا يعرفون كرامة لنبي، فهم قتلة الأنبياء، ولذا قال لهم: ((لا نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه، وفي بيته)) [2].

وكان المسيح يهاجم اليهود، في كثير من الأوقات:((املأوا أنتم مكيال آبائكم، أيُّها الحيّات، أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم)) [3].

ويعلّق أحمد عبدالوهاب على موقف اليهود من المسيح ويقول: اليوم وبعد مضي ألفي عام، يتعرَّض المسيح لأحطّ الإهانات والبذاءات والسخرية والتجريح، وإذا كان ما حدث له في الماضي لم يتعدَّ قرية أو مدينة، فإنَّ عصر العالمية اليوم يطوف بهذه الإهانات في الآفاق[4].

ولقد كرَّم القرآن الكريم السيد المسيح عليه السلام أعظم تكريم، بحيث أعطاه صفة العبودية التي هي صفة جميع الأنبياء والرسل، ونفى عنه الألوهية والصَّلب والقتل في أكثر من آية، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾[6]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَهْلَ

---

(١) ينظرعلى سبيل المثال والتأكد: متى(٢٧:٣٧-٣٨).ومرقس(١٥:٢٦). ولوقا(٢٣:٣٨).ويوحنا(١٩:١٩-٢٠). وكورنثوس الأولى (١:٢٣). ورسالة غلاطية (٣:٢).

(٢) إنجيل متى (١٣:٥٧). ومرقس (٦:٤-٥).

(٣) إنجيل متى (٢٣:٣٢-٣٣).

(٤) إسرائيل حرفتْ الأناجيل وأقترفتْ أسطورة السامية. اللواء أحمد عبدالوهاب . ص١٢١.

(٥) سورة آل عمران (٥٩).

(٦) سورة النساء (١٥٧).

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [2].

وهذا الموقف العظيم الذي أبداه القرآن الكريم من المسيح، دفع ببعض المسيحيين المنصفين إلى أن يعترفوا بهذه المكانة،(إنَّ لعيسى في القرآن الكريم مكاناً مستثنى) [3].

الصلب هو محور المسيحية، والركن الركين في عمل المسيح الفدائي من أجل البشر، يقول الدكتور فهيم عزيز: إنّ للصلب وللآلام مركزاً أساسياً في عمل الله الفدائي [4].

فالصليب هو رافع العقوبة، ومطهِّر من اللّوثة والطبيعة الفاسدة [5]، حيث ورد:((ودم المسيح ابنه، يطهرنا من كلِّ خطية)) [6]، ويقول بولس:((الله الذي

---

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة المائدة (١١٦).

(٣) حاضر العالم الإسلامي. لوثروب ستيوارد .ترجمة عجاج نويهض. ٦٣/١.

(٤) المدخل الى العهد الجديد. د.فهيم عزيز.ص٨٨.

(٥) ينظر: قضايا المسيحية الكبرى. الياس مقار. ص٣٩٨.

(٦) رسالة يوحنا الأولى(١:٧).

لم يبخل بابنه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً))[1]، فموت المسيح على الصليب ذبيحة كعادمٍ للشرِّ، لكي يستعطف الله[2]، وموته كان بديلياً، وقهَّر الموت والخطيئة على الصليب[3]، بل يعتقد المسيحيون أنَّ الصليب ليس فقط على الخطيئة الأصلية، بل كفَّارة عن الخطايا الفعلية[4]، وأنَّه ليس حدثاً عارضاً، بل كان في خطة الله الأزلية[5]، حيث جاء:((وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا الخطايا وغلّف جسدكم، أحياكم معه مسامحاً لكم جميع الخطايا)) [6].

وفي عقيدة المسيحيين أنَّ قيامة المسيح بعد الصَّلب واجبة، حتَّى يعلن انتصاره على الموت، فلو توقفت عملية الفداء عند الموت على الصليب، لم يكن مخلِّصاً:(إنَّ مسيحاً ميِّتاً لا يمكن أن يكون مخلِّصاً، فقيامة المسيح أكّدتْ أنَّ الله قد يقبل عمله الكفَّاري على الصليب) [7]، وجاء: ((إنْ لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم))[8].

---

(١) رسالة رومة(٨:٣٢). من المعروف تاريخياً أنَّ رسائل بولس دونت قبل الأناجيل.فمن هذه الرسائل سرتْ هذه العبارة إلى الأناجيل.

(٢) الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية.أفلاطون موسكو.ترجمة يوحنا حزبون.٩٥.

(٣) ينظر: هذه عقائدنا. كلايد تارنر.ص٨٣. وسرّ الفداء باسيليوس. ص٢١. والخلاص المسيحي.د.أحمد.ص٤٩١.

(٤) الخلاص المسيحي. نفس المصدر. ص٤٩٢.

(٥) ينظر: تفسير أعمال الرسل. وليم باركلي. ترجمة جوزيف صابر. ص٤٥-٤٦. والمدخل إلى العهد الجديد.ص٨٨.

(٦) رسالة كولوسي(٢:١٣).

(٧) هذه عقائدنا. كلايد تارنر.مصدر سابق. ص٩٢.والمدخل الى العهد الجديد. مصدر سابق. ص٨٩.

(٨) رسالة كورنثوس الأولى(١٥:١٧).

ويرى المسيحيون أنَّ موت المسيح على الصليب يميت الجسد، ويموت معه كلُّ الشهوات والأهواء ويموت العالم داخل النفوس، ويخلِّص الإنسان من الطوفان[1]، بهذا يكون الصليب أسمى تعبير عن محبَّة الله للمسيحيين[2]، وصار الصليب علامة المسيحية وفخرها، وعنوان التلمذة المسيحية، وسرَّ قوتها ومجدها[3].

لا شك أنَّ النصارى يعظِّمون عيسى عليه السلام وأمَّه مريم ، ولكنَّهم شوَّهوا هذا التعظيم، وغالوا فيهما، ونسب إليهما-كما يقول الإمام القرافي- أموراً لاتليق بجلال الربوبية، ولا بدناءتْ البشرية، من الأبوة والبنوة والحلول والاتحاد[4].

يقول ابن القيِّم(٦٩١-٧٥١هـ): من المعلوم أنَّ هذه الأمَّة (النصارى) ارتكبتْ محظوريْن عظيميْن، لا يرضى بهما لا عقل ولا معرفة، **أحدهما:** الغلو في المخلوق، حتَّى جعلوه شريك الخالق، وجزءاً منه، إلهاً آخر معه، ونفوا أن يكون عبداً له. **الثاني:** تنقُّص الخالق وسبِّه ورميه بالعظائم ، حيث زعموا أنَّه-سبحانه وتعالى-نزل من العرش، عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة....ثمَّ صار إلى أن لطم اليهود خدَّيْه وربطوا يديْه، وبصقوا في وجهه[5]، وأخذوه واستوثقوا منه، وربطوه بالحبل، فجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحي الموتى، وتنتهر الشيطان، وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا

---

(١) ينظر:القيامة والصعود.الأب متى المسكين.ص١٨٧.

(٢) سرُّ الفداء حسب الإنجيل والآباء.باسيليوس.ترجمة بيت التكريز.القاهرة.مصدر سابق. ص٢٠.

(٣) ينظر: في ذكرى شهداء المسيحية. شنودة السرياني. ص٤.

(٤) الأجوبة الفاخرة للأسئلة الفاجرة .الإمام القرافي . ص٥٠.

(٥) هداية الحيارى .مصدر سابق. ص٢٠٩. وإغاثة اللهفان . مصدر سابق. ٢/٢٨٢-٢٨٤.كلاهما لابن القيِّم.

الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون إليه الشوك[1]، وتصوره الأناجيل على أنَّه غير راضٍ بالقضاء والتسليم لأمر الله تعالى: ((إيلي إيلي لماذا شبقتني))[2]، أي تركتني، وعيسى منزَّه عن ذلك، وهم يقولون أنَّ جميع الأنبياء-عليهم السلام-كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بإنقلابهم إلى سعيهم، لم ينزعجوا من الموت ولاعابوه، مع أنَّهم عبيده، والمسيح -بزعمهم- ولد وربٌّ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم[3]،؟!

وقد رأى بولس، بوضوح، أنَّ المشركين لم يكونوا ليقبلوا كلَّ القبول (فضيحة الصليب وميتة يسوع المشينة)، إلاّ بفكرة واضحة تجعل المسيح ابن الله، أرسله ليتعذب ويصلب ويموت، تلك الميتة المشينة لينقذ البشر ويخلِّصهم من الخطايا الأبدية، فأصبحت الفضيحة الكبرى السرَّ الأعظم، والهدف والعلة الأولى لمجيء المسيح، وكان تفسير بولس ذاك نوراً ساطعاً وسط دياجير الحيرة المطلقة التي رانت على عقول الناس[4].

تقول دائرة المعارف البريطانية: إنَّ الحقيقة المزعومة بأنَّ يسوع مات من أجل خطايانا، وبهذا وقانا لعنة الله، إنَّما هي مرفوضة قطعاً، إنَّ الاعتقاد في أنَّ يسوع كان له هذه النتيجة، إنَّما يعني الطَّعن في أخلاق الله، إنَّ الدِّين يجب ألاّ يُعرف عن طريق اللّعنة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة، إنَّ الآب الحكيم والمحبّ لبنيه، لا يهلك الولد المخطئ الذي يقع في المعاصي، لكنَّه يعلِّمه

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري. ٣٦٩/٩.

(٢) إنجيل متى (٢٧:٤٦). ومرقس (١٥:٣٥).

(٣) ينظر : الأجوبة الفاخرة. مصدر سابق. ص٨١.

(٤) ينظر : دراسات معاصرة في العهد الجديد. مصدر سابق. ص٢١٤. والمسيحية نشأتها وتطورها. شارل جنيبر. ترجمة عبدالحليم محمود. ص١٠٥-١٠٨. ومعالم تاريخ الإنسانية. ولز.ترجمة عبدالعزيز توفيق. ٧٠٦/٣.

ويعوده في طريق الحكمة والفضيلة، إنَّ الموت الدّموي على الصليب، من أجل إطفاء لعنة الإله، لَهو أمر مناقض للحلم الإلهي، والصبر والمحبة التي لا نهاية لها، إنَّ الموحدين ينظرون إلى المسيح باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة، وإنَّ المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة، يفقد كلَّ ذرة من القيمة، حيث إنَّه يمتلك قوى لا نملكها، إنَّ الإنسان لا يستطيع تقليد الإله[1].

وهذا شنيع على المسيح عليه السلام إظهار شعائر الإهانة العظيمة الحاصلة، لمن يزعمون أنَّه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه، فكيف لبنيه، وكيف لربِّه[2].

وفي الحقيقة ما ورد في الأناجيل حول المسيح عليه السلام ومكانته وحقيقته، يتنافى تماماً مع مكانة الأنبياء عليهم السّلام، بل يتنافى مع مكانة الإنسان العادي، الذي خلقه الله في أحسن صورة وأكرم منزلة، وسخر له الكون وما فيه، لأجل سعادته والقيام بما هو مكلَّف به، على الوجه الذي يريده رب العزة.

فينبغي أن ينصف المسيح بإعادة النظر فيما نسب إليه، من الصفات البشرية والتي تتنافى مع منزلة النبوة، من توجُّع وصراخ وكآبة، وعدم الرضى بقضاء الله والندم ....الخ. وكذلك بما وصفوه من صفات فوق البشرية، لأنَّ وصف المرء بما ليس فيه من صفات الألوهية، إهانة وذم له وأعطائه منزلة أرفع من منزلته، فلو قيل لجاهل: إنَّك من العلماء، ولفقير: إنَّك من الأغنياء، لما سرَّه ذلك، لعدم مطابقته الواقع، مع أنَّ الصفتين، البشرية والألوهية،

---

(١) ينظر: دائرة المعارف البريطانية. ٢٧/٢٩٤-٣١٠.نقلاً عن: دراسات معاصرة. نفس المصدر .ص٢١٥.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة . مصدر سابق . ص١٤٧.

ليستا صفة ذم، ولكن وصف ما خلا منهما يدل على الذَّم[1].

وجاء في كتاب(قانون الإيمان)، الذي وضعه علماء المسيحية، بعد مؤتمر(نيقية) [2]، سنة ٣٢٥م، وأصبح قانوناً ثابتاً ملزماً لجميع الكنائس إلى يومنا هذا، حول حقيقة المسيح ما يأتي: فالذي حبلتْ به مريم، هو الله، وابن الله، وكلمة الله، وهو الذي ولد ورضع وفطم، وأخذ وصلب وصفع وكتفتْ يداه، وسمر وبصق في وجهه، ومات ودفن وذاق الألم والتسمير والقتل، لأجل خلاص النصارى من خطاياهم، وليس المسيح عند طوائفنا الثلاث نبي ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبياء، وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم، ورب الملائكة[3].

---

(١) ينظر: التصريح بإثبات الأناجيل الأربعة الاعتقاد الصحيح في المسيح.د.عبدالشكور العروسي العروسي .ص٢٢٧.

(٢) نيقية مدينة قديمة بآسيا الصغرى(تركيا اليوم) إسمها (أزنيق) , أسستْ سنة (٤ ق.م), وكانت عاصمة الأمبراطورية البيزنطية(١٢٠٤م–١٢٠٦م), وهي المدينة التي اجتمع فيها علماء المسيحية وأقروا عقيدة الكنيسة سنة (٣٢٥م) , فقد أجمع(٣١٨) أسقفاً على أنَّ المسيح إله, وأيَّدهم الملك قسطنطين. ينظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي. ٣٣٣/٥. والمنجد في اللغة والأعلام. ص٧٢١. والموسوعة الميسرة. الندوة العالمية.ص١٨٦٧.

(٣) هذا القانون أو العقيدة موجود في مقدمة معظم المؤلفات المسيحية, كالبسملة والحمدلة عندنا نحن المسلمين.

المبحث الخامس
أهل الذّمّة والتكريم

الذمَّة تعني: العهد والكفالة والأمان، وفلان له ذمَّة، أي: حق[1]، وهذا العهد ينبثق من طبيعة المجتمع الإسلامي، وهو مجتمع متنوّع في المواطنة، تشريعاً وتطبيقاً، يتسع للمسلمين وغير المسلمين، وهم متساوون في الحقوق...

وشاءت إرادة الله أن تتكوَّن الدولة الإسلامية، منذ نشأتها بالمدينة وتحت قيادة الرسول ﷺ من مختلف الديانات، المسلمين واليهود وبقايا مشركي المدينة[2]، وعلى هذا التنوّع، قدَّمتْ الدولة الإسلامية، طوال تاريخها، نموذجاً إنسانياً عن التعايش السلمي بين مواطني الدولة المختلفي الديانات والقبائل[3]، وهذه المواطنة بنيتْ على أساس الإيمان والولاء، فالمسلمون يرتبطون بالدولة على أساس الإيمان والولاء، وغير المسلمين يرتبطون بها على أساس الولاء(الجنسية)، بدخولهم في عقد الذمَّة، والذمَّة لغير المسلمين تكون إمَّا

---

(١) لسان العرب. ٦/٤٣-٤٤. مادة(ذمم).

(٢) ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام. د.محمد أبو زهرة. ص٦٥.

(٣) ينظر: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم. سورحمن هدايات. مصدر سابق. ص٣١٨.

بالميلاد والتبعية، أو بالاكتساب[1]، ويقوم هذا العقد على التأبيد لا التوقيت، حيث يشاركون المسلمين مشاركة مؤبدة، لا تنتهي بموتهم، حيث اكتسب أولادهم ونسائهم هذه المشاركة طردياً، أو بالتبعية[2]، ولا يجوز للدولة الإسلامية، بأيِّ حال نقض هذا العقد، ويحق لأهل الذمَّة نقضه في أي وقت[3].

وقد وضع القرآن الكريم قاعدة عظيمة في معاملة غير المسلمين على أساس موقفهم من المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[4]، وأوجب على المسلمين البرَّ والعدل مع أهل الذمَّة وغيرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[5].

وعامل الرسول ﷺ يهود المدينة معاملة كريمة، وأقرَّ بحقوقهم في دستور المدينة، وأعطاهم الحرِّية الدِّينية الكاملة، حتَّى نقض اليهود العهد، وبرهنوا أنَّه لا أمان لهم، فأمر بإخراجهم من المدينة[6]، وعامل النصارى معاملة كريمة

---

(١) ينظر: المغني. ابن قدامة. ٨/٥٠٥. وأحكام أهل الذمَّة. ابن القيِّم. ٢:١٥-١٦. وأحكام أهل الذمَّة. د.عبدالكريم زيدان. ص٨٩. ومعالم الثقافة الإسلامية. د.عبدالكريم عثمان. ص٢٢٩.

(٢) ينظر: أحكام أهل الذمَّة. ابن القيِّم. ٢/٨٧٤-٨٧٦.

(٣) وينتهي عقد الذمَّة في حال حدوث أحد الأمور الثلاثة التالية: إسلام الذمّي,أو ألتحاقه بدار الحرب, أو الامتناع عن الالتزام بما يوصيه عقد الذمَّة. ينظر: بدائع الصنائع. ٧/١١٣. والأحكام السلطانية.الماوردي. ص١٦٤.

(٤) سورة الممتحنة (٨).

(٥) سورة المائدة (٨).

(٦) ينظر: السيرة النبوية. ابن هشام. ٣/٢٤-٦٣. ومجموعة الوثائق السياسية. حميدالله. ص٥٩-٦٢. ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي. القاسمي. ١/٣٢-٣٦.

أيضاً، وعقد الصلح مع وفد نجران[1]، وأعطاهم الحرِّية الدِّينية والأمان على أنفسهم وأموالهم[2].

وصدرتْ عنه ﷺ وصايا وأوامر بالإحسان إلى أهل الذمَّة، ونهى عن إيذائهم وظلمهم، عن ابن مسعود ﷺ أنَّه قال: قالﷺ:((من آذى ذمِّياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة))[3]، وقال:((من قذف ذمِّياً، حُدَّ له يوم القيامة بسياط من نار))[4]، وعن عبدالله بن عمروﷺ قال: قال ﷺ:((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً))[5].

وأمر بالعدل مع الجميع، حيث قالﷺ:((ألا مَن ظلم معاهداً، أو أنتقصه حقاً، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة))[6].

---

(١) وفد إلى رسول الله ﷺ في المدينة أربعة عشر رجلاً وهم من أشراف وعلماء النصارى من أهل نجران،(ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكَّة, بناها نجران بن زيدان بن سبأ) دخلوا المسجد وهم يلبسون الحرير ويحملون الصليب, وحصل بينهم وبين الرسول ﷺ مناقشة ومباهلة, ودعاهم إلى الإسلام فامتنعوا, ثمَّ تصالحوا على دفع الجزية ورجعوا إلى ديارهم, ثمَّ رجع اثنان منهم وأعلنوا إسلامهم. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر. ٣/٢٣٦. والطبقات الكبرى. ابن سعد. ١/٣٥٧.

(٢) كتاب الخراج. أبو يوسف. ص٨٥-٨٦. وزاد المعاد. ابن القيِّم. ٣/٦٢٩-٦٣٨. ومجموعة الوثائق السياسية. مصدر سابق. ١٧٥-١٧٦.

(٣) الجامع الكبير. السيوطي. ١/٢١٨٥٣.رقم(٣٩٥٢). قال الخطيب البغدادي في تاريخه. ٨/٣٧٠: منكر بهذا الإسناد.

(٤) المعجم الكبير. الطبراني. ٢٢/٥٧.رقم(١٣٥). والجامع الكبير. السيوطي. ١/٢٣٩٩٢ .رقم(٦٠٨٩). وفي إسناده محمد العكاشي وهو متروك. ينظر: مجمع الزوائد. ٦/٤٣٥. وقال الألباني: موضوع. ينظر: ضعيف الجامع. ٢٦/١٧٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه. باب من قتل معاهداً. ٣/١١٥٥.رقم (٢٩٩٥). وابن حبان في صحيحه. ١٦/٣٩٢.رقم(٧٣٨٣).

(٦) السنن الكبرى. البيهقي. ٩/ ٢٠٥.رقم(١٨٥١١). وسنن أبي داود. باب أهل الذمة.

وذهب الفقهاء إلى أنَّ الجزية التي تؤخذ منهم، تعصم من القتل، وهي تقرير وإلزام عن حمايتهم والدِّفاع عنهم[1]، قال الإمام علي(كرَّم وجهه): وإنَّما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا[2].

والذمَّة تضمن لهم حقين: الكفُّ عنهم، والحماية لهم، لأنَّ عقد الذمَّة يلزمنا الكفَّ عنهم بأن لا يتعرض أنفسهم وأموالهم للإتلاف، ولا تتلف خمورهم وخنازيرهم، ويتركون وما يدينون، ويجب الدفاع عنهم في حالة التعرُّض إلى الظلم والعدوان، ويلزم المسلمين أن يضمنوا على أهل الذمِّة ما أتلفوه، سواء كان نفساً أو مالاً[3].

وهكذا فوصف الذمَّة ودفع الجزية لا يحمل إثارة من تحقير أو إهانة، بل تأكيد وتغليظ للميثاق الذي ترتبط به الدولة الإسلامية مع هؤلاء المستأمنين، لأنَّ هذا العقد يوجب لهم حقوقاً ، لأنَّهم في جوار وحماية المسلمين وذمَّتهم وذمَّة الله ورسوله ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم، فقد ضيَّع ذمَّة الله، وذمَّة رسول الله وذمَّة دين الإسلام.

وبهذا حافظ الإسلام على خصوصيات الأقلية واعتبر حمايتها ذمَّة الله ورسوله، وهذا أكبر ضمان لهم، من قبل الشريعة، وهذه الشريعة لا تضع لمبدأ المعاملة بالمثل، فلا يجوز انتهاكها في حالة انتهاك غير المسلمين لحقوق

١٣٦/٣.رقم(٣٠٥٤). حديث صحيح. ينظر: صحيح وضعيف الجامع. الألباني. ٣٦٧/١٠. والمقاصد الحسنة. السخاوي. ٦١٦/١.

(١) ينظر: مغني المحتاج. الشربيني. ٢٤٣/٤. وفتح القدير. ابن الهمام. ٣٦٨/٤ . وكشّاف القناع. البهوتي. ١١٦/٣.

(٢) المغني. ابن قدامة. ٤٨٨/١٠ .

(٣) ينظر: مغني المحتاج. الخطيب الشربيني. ٢٥٣/٤. وروضة الطالبين. النووي. ٣٢١/١٠. والجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١١٣/٨. والأحكام السلطانية . الماوردي . ص١٤٣.

الأقليات المسلمة المقيمة لديهم[1].

وعلى هذا يكون الإسلام قد قام بحماية هـؤلاء مـرتين، مـرة عنـدما سـاوى بينهم وبين المسلمين، ومرة حين ضمن خصوصياتهم، وحافظ على عدم ذوبان عقيدتهم.

(١) ينظر: حقوق أهل الذمَّة. المودودي. ص٦٩.

المبحث السادس
الأقوال والأفعال التي تمسُّ الكرامة الإنسانية[1]

كما أنَّ الإسلام أمر بتكريم الإنسان، أمر أيضاً بعدم إيذائه، بأيّة صورة من صور الإيذاء، فعلاً أو قولاً، بل حرَّم كلَّ عمل أو قول يمسُّ كرامة الإنسان، ونصوص الإسلام واضحة في النهي عن كلِّ ما يخدش الكرامة الإنسانية، ابتداءً من تسمية الإنسان بما يكره، إلى مسِّ عضوٍ من أعضائه، مروراً بانتقاص شرفه وعِرضه والسخرية منه.....والشريعة الإسلامية طافحة بما يزيِّن الإنسان ويلبسه ثوب الكرامة، ولا يسع المجال لذكرها، ونكتفي بذكر بعض الأمور التي تمسُّ الكرامة الإنسانية، وقد نهى عنها الإسلام، منها:

---

(١) إنَّ الأمور والمسائل التي نتناولها في هذا المبحث، نجد الأديان الثلاثة متفقة في النهي عنها، لأنها تمس كرامة الإنسان، وتؤذي الإنسانية، ولم نجد فيها خلافاً يذكر، لذا نكتفي بالبحث في نصوص القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، لوضوح وشمولية تلك النصوص من جهة، وخوفاً من تكرار نصوص التوراة والإنجيل، التي مررنا على ذكرها أكثر من مرة، متمثلة بالوصايا العشر والآداب والأخلاق التي أكّدنا عليها من جهة أخرى. الأمر الذي يوقعنا في التكرار ولزوم ما لا يلزم.

أولاً/ الظلم: إنَّ الظلم أكبر معول لهدم الشعوب، بل لهدم كيان الإنسان نفسياً وجسدياً، لذلك حرَّمتْ الشرائع السَّماوية الظلم بكلِّ أشكاله، وجعلت حماية الإنسان من الظلم واجبة، بل حمايته من الظلم لا يقل أهمية عن حقه في العدل، وهي إقامة موازين الحق بين البشر[1].

وجاء تحريم الظلم قاطعاً، في نصوص كثيرة، حيث نفى الله عن نفسه الظلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3]، وجاء في الحديث القدسيّ عن أبي ذرّ الغفّاريﷺ قال: قال الرسولﷺ:((يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي فلا تظالموا)) [4].

وورد عن النبيِّ ﷺ في حقيقة الظلم ونتيجته، فقد جاء عن جابر بن عبدالله،رضي الله عنهما، أنَّ رسول اللهﷺ قال:((إتقوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم)) [5]،

وعن أبي عبدالله الأسدي، قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول اللهﷺ :((إتقِ دعوة المظلوم، فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب)) [6]،

---

(١) ينظر : موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام. خديجة النبراوي. ص٣٠٥.

(٢) سورة الكهف (٤٩).

(٣) سورة يونس(٤٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه. باب تحريم الظلم. ١٦/٨.رقم(٦٧٣٧). والإمام أحمد في مسنده. ١٦٠/٥. رقم(٢١٤٥٨).

(٥) رواه مسلم في صحيحه. باب تحريم الظلم. ١٨/٨.رقم(٦٧٤١). والإمام أحمد في مسنده. ٤٣١/٢.رقم(٩٥٦٥). وابن حبان في صحيحه. ١٤١/١٤.رقم(٦٢٤٨).

(٦) رواه البخاري في صحيحه. باب الإتقاء من دعوة المظلوم. ٨٦٤/٢. رقم(٢٣١٦).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :((أنصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يارسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإنَّ ذلك نصره)) [1].

ثانياً/ الترويع والتعذيب: أعطت الشريعة الإسلامية لحياة الإنسان حرمة بالغة، تمنع الاقتراب منها بشيء يهدِّدها، أو ينقص من كرامتها، مؤكِّدة بذلك حق كلِّ إنسان من أن يحيى آمناً مطمئنّاً ومكرَّماً.

فقد أمر النبيُّ ﷺ المارَّ في المسجد أن يمسك بيده نصل النبال، حتّى لا يكون ذريعة إلى تأذِّي رجل مسلم، حيث جاء عن أبي بردة عن أبيه أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول:((مَن مرَّ في شيء من مساجدنا، أو أسواقنا بنبل، فليأخذ على نصالها، لا يعقر بكفِّه مسلماً)) [2]، ونهى النبيُّ ﷺ عن أن يشير الرجل على أخيه بالسلاح، وهو نهي عن إيذائه وتخويفه، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:((لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنَّه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النَّار)) [3]، ونهى النبيُّ ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً [4].

والتعذيب محرَّم في الإسلام، فقد وردت آيات وأحاديث، تحثُّ في مجموعها، على التعاون والمحبة والأخوة، وهذا التوجيه ينصرف إلى عدم التعرض لبعضهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب يمين الرجل لصاحبه. ٦/٢٥٥٠. رقم(٦٥٥٢). والإمام أحمد في مسنده. ٣/٩٩. رقم(١١٩٦٧). والترمذي في سننه. ٤/٥٢٣.رقم(٢٢٥٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب المرور. ١/١٧٣. رقم(٤٤١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه.باب النهي... ٦/٢٥٩٢. رقم(٦٦٦١). ومسلم في صحيحه. باب النهي عن الإشارة. ٨/٣٤.رقم(٦٨٣٤).

(٤) مسند الإمام أحمد. ٣/٣٠٠. رقم(١٤٢٣٩). وصحيح ابن حبان. ١٣/٢٧٥.رقم(٥٩٤٦). قال شعيب: إسناده صحيح.

البعض، بأي نوع من أنواع الإيذاء أو العدوان أو التعذيب[1].

وأكَّد القرآن الكريم على سلامة الفرد، وعدم تعرضه للتعذيب أو المعاملات القاسية التي تحطُّ من كرامته، حتَّى في حالة إنزال العقوبات الرادعة،قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ﴾[2].

وذهب ابن القيّم (٦٩١–٧٥١هـ) إلى أنَّه لا يجوز ضرب المتَّهم، حتَّى لو كان من ذوي السوابق الجنائية، ويجوز حبسه بعد أن يحكم القاضي بإدانته، أمَّا من لم يكن معروفاً بسوء السلوك المشين، فلا يجوز حبسه اتفاقاً، وحصر الضرب المشروع في الحدود والتعزير بقوله: إنَّ الضرب المشروع، هو ضرب الحدود والتعزير، وذلك إنَّما يكون بعد ثبوت أسبابها وتحقُّقها[3]، وجعل الإسلام الإقرار الناجم عن التعذيب باطلاً، كما فعل عمرﷺ عندما قرَّر عدم الأخذ بإقرار الخائف، وقد أثر عنه أنَّه قال: (ليس الرجل بمأمون على نفسه، إنْ أجعته، أو أخفته أو حبسته، أن يعترف على نفسه)[4]. وقد عمَّم الإسلام عدم التعذيب والأذى، حتَّى شمل المشركين،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[5].

وورد في الصحيحين عن عائشة(رضي الله عنها)، أنَّها قالت:((ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط ، إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله

---

(١) ينظر: حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان. د.أحمد حافظ نجم. ص١٠٩.

(٢) سورة البقرة (١٧٨).

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ابن القيِّم الجوزية. ص١٥٢.

(٤) ينظر: عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة. سليمان الطماوي. ص٣٢٥.

(٥) سورة التوبة (٦).

ولا نيل منه شيء قط، فانتقم لنفسه، إلاّ أن تنتهك محارم الله، فينتقم لله))[1]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: {خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ قط، وما قال لي لشيء فعلته لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله، لِمَ لم تفعله، وكان بعض أهله إذا عاتبني على شيء يقولﷺ: ((دعوه، فلو قضي شيء لكان)) }[2].

ثالثاً/ القذف والسَّب: لقد حمى الإسلام أعراض الإنسان أقوى حماية، وتظهر هذه الحماية في العقوبات القضائية الشديدة، التي يوقعها في حالات: الزنا، وهتك العرض، والقذف والسّبِّ، وكلُّ ما يمسُّ عرض الإنسان وكرامته، وجعل لمقترف هذه الآثام تحقيراً وحدّاً في الدنيا، وتوعده بأشدِّ العذاب في الآخرة، لأنَّ جراحات اللّسان لا تلتئم.

لذا قرَّرت الشريعة الإسلامية الحدَّ لمن يقترف جريمة القذف،(وهذه الحدود ليس الغرض منها القسوة، ولكن الغرض منها، المحافظة على حقوق الإنسان وحمايتها، والحفاظ على عرض الإنسان وشرفه وكرامته)[3].

فمن قذف رجلاً محصناً، أو امرأة محصنة[4]، في العرض، ولم يستطع الإتيان بالدليل القاطع[5]، توقع عليه عقوبتان مهينتان[1]، **أحدهما:** عقوبة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب مباعدته للآثام. ١٣٠٦/٣.رقم(٣٣٦٧). ومسلم في صحيحه. باب صفة النبي ٨٠/٧. رقم(٦١٩٥). واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب حسن الخلق ٢٢٤٥/٥.رقم(٥٦٩١). وابن حبان في صحيحه. ١٥٣/٧.رقم(٢٨٩٤).

(٣) كرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام. أحمد محمد عركز. ص١٠٢.

(٤) المقصود بالمحصن والمحصنة هنا, العفيف والعفيفة من فعل الزنا, وليس المقصود بهما المتزوج والمتزوجة.

(٥) والدليل القاطع الذي يتطلبه الإسلام في هذا الصدد, يتعذر الاتيان به, لأنّه لا يتحقق إلاّ إذا أتى القاذف بأربعة شهود عدول, يشهدون بأنَّهم رأوا الفعل بأعينهم, وفي صورة لا تحتمل

موقوتة تناله في جسمه، وهي جلده ثمانين جلدة. **والأخرى:** عقوبة دائمة، تناله في مكانته وكرامته، والثقة به، وهي أن يعتبر ساقط الشهادة، أي لا تقبل منه شهادة في أمر ما طول حياته، حتَّى لو تاب[2]، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

على الرغم من أنَّ الآية لم تفرِّق بين مسلمة وكافرة ، وأنَّ العقوبة على الجميع، على كلِّ مَن سبَّ المرأة والرجل، فقد ذكرتْ الآية المحصنة، إنطلاقاً من رفع شأن المرأة.

ولا يفرِّق الإسلام في ذلك بين أن يكون القاذف شريفاً أو وضيعاً، معروفاً عنه الصدق أو غيرمعروف، فهو لا يفرِّق بين أحد في إقامة الحدود، لأنَّه تطبيق لحكم الله.

واتفق الفقهاء على أنَّ التوبة لا تسقط حدَّ القذف، لأنَّه حقُّ آدميٍّ[4]، لأنَّ حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة، ما لم تُردُّ المظالم إلى أصحابها، كما أنَّه لا يغفرها الباري سبحانه، إلاَّ بمغفرة صاحبها، ولا يسقطها إلاَّ بإسقاطه[5]، وهو

الشكّ, كالميل في المكحلة، وفي هذا التشدُّد مصلحة للمقذوف حتَّى لا يكون هناك احتمال للاتهام في شرفه وكرامته وهو بريء.

(1) ينظر: حقوق الإنسان. د. علي الوافي.مصدر سابق. ص216.

(2) هذا ما ذهب إليه الحنفية, ودليلهم كلمة,(أبداً) في قوله تعالى:(وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا). وأمَّا قوله تعالى:(إلاّ الّذينَ تَابوا وَأصْلحُوا), فهو عطف على قوله تعالى:(وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) , لا على قوله تعالى:(وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً). ينظر : الهداية شرح البداية. علي الرشداني. 3/122.

(3) سورة النور(4).

(4) ينظر: بداية المجتهد. ابن رشد الحفيد. 2/443. والمغني. ابن قدامة. 10/ 310.

(5) ينظر: أحكام القرآن.ابن العربي. 4/100.و3/171.والجامع لأحكام القرآن. القرطبي.

اعتبار القذف حقاً آدمياً يجوز العفو عنه، وهو مذهب الشافعية والحنابلة والمالكية في رواية، ومذهب صاحبي أبي حنيفة[1].

رابعاً/ الإهانة والسخرية: لا يحق للإنسان أن يذِّل نفسه، أو أن يقبل الذُّل، أو يذِّل الآخرين، وهذا يعني أنَّه لا يحق للإنسان أن ينزل عن مستوى كرامته وحرِّيته، أو مستوى كرامة وحرِّية الآخرين.

فقد حرَّم الإسلام تحريماً قاطعاً، في آيات بليغة، كلَّ ما يخدش من كرامة الإنسان، من السخرية والغيبة والنميمة والتجسُّس والهمز واللَّمز والتنابز بالألقاب وسوء الظَّن... قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾[2]. قال القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ): لا ينبغي أن يجترئ أحد على الاستهزاء، بمن يقتحمه بعينه، إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبق في محادثة، فلعلَّه أخلص ضميراً وأنقى قلباً، ممَّن هو ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير مَن وقَّره الله، والاستهزاء بمن عظَّمه الله[3].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[4]، وقال تعالى مخاطباً نبيَّهﷺ: ﴿ وَلَا

١٨/٢٠٠.والمغني.ابن قدامة. ١٢/٨٥.

(١) ينظر: بدائع الصنائع. الكاساني. ٧/٥٦.

(٢) سورة الحجرات (١١-١٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ١٦/٣٢٥.

(٤) سورة الهمزة (١).

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ:((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إنْ كان في أخي ما أقول؟ قال: إذا كان فيه ما تقول، فقد أغتبته، وإنْ لم يكن، فقد بهَّته))[2].

خامساً/ حرمة المساكن والبيوت: قرَّر الإسلام حرمة المساكن والبيوت، وحرَّم الاطلاع عليها دون إذن أهلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[3]. وقرَّر أيضاً، أنَّ هناك أوقات خاصَّة يستريح فيها أهل البيت، فأوجب الاستئذان، حتَّى في حقِّ الخدم الذين يعيشون في تلك البيوت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم .... ﴾[4].

---

(١) سورة القلم (١٠-١٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه. باب تحريم الغيبة. ٢١/٨.رقم(٦٧٥٨). والإمام أحمد في مسنده. ٢٣٠/٢.رقم(٧١٤٦). وابن حبان في صحيحه. ٧١/١٣.رقم(٥٧٥٨).

(٣) سورة النور (٢٧-٢٨).

(٤) سورة النور من الآية (٥٨).

الفصل الخامس

المرأة والتكريم في الكتب السّماوية

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأوّل: منزلة المرأة في الكتب السّماوية

المبحث الثاني: الزواج في الكتب السّماوية

المبحث الثالث: تعدد الزوجات في الكتب السّماوية

المبحث الرابع: الطلاق في الكتب السّماوية

المبحث الخامس: شهادة المرأة في الكتب السّماوية

المبحث السادس: ميراث المرأة في الكتب السّماوية

المبحث الأوّل
منزلة المرأة في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: منزلة المرأة في التوراة

عاشتْ المرأة في الحضارات القديمة، قبل اليهودية، مهضومة الحقوق ومنحطّة الكرامة، ومسلوبة الحرية، وكانت تباع وتشترى كالمتاع.

وعندما جاء موسى عليه السلام بالبيِّنات وأنزل عليه التوراة، وفيه ما يؤكّد على التسوية بين الرجل والمرأة:((ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله، وقال لهم: إثمروا وأكثروا واملأوا الأرض.. ..)) [1]، أصبح للمرأة مركزٌ اجتماعيٌّ، تسود فيه الألفة والاحترام والعدالة والمساواة بين الذكر والأنثى[2].

---

(١) سفر التكوين(١:٢٧-٢٨).

(٢) ينظر: حوّاء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن. د.فتنت مسيْكة بُرّ. ص٤٤.

ولم تكن مكانة المرأة هزيلة، بل كانت تحترم وتبجّل، ولا سيما إذا كانت أمّاً، لأنّه ورد في الوصايا:((أكرم أباك وأمّك)) [1]، على الرغم من تأثُّر البداوة في النظم الاجتماعية العبرية القديمة[2].

وفي مجال التاريخ والأحداث، لعبتْ المرأة اليهودية دوراً حسّاساً، ومارستْ نشاطاتها المختلفة، فقد أصبحتْ (دبّورة) نبيَّة[3]، وقاضية في آن واحد، وعُرفتْ بخططها العسكرية وتدريباتها البارعة للجيوش، التي تكفّل النصر لبني إسرائيل على الكنعانيين[4].

ومريم أخت موسى وهارون قامتْ بدور النبوة[5]، وكذلك (حنّة) أمُّ صموئيل النبي، وكانت (خِلدة) النبيّة تتنبأ للملك يوشيا (٦٤٠–٦٠٦ق.م)، و(نوعادية) النبيَّة التي كانت تخيف الملوك من تنبآتها[6].

---

(١) سفر الخروج(٢٠:١٢).

(٢) ينظر: بنو إسرائيل. د.محمد بيومي. مصدر سابق. ٤/٢٤٠.

(٣) دبورة اسم عبري معناه النخلة، وكانت هذه المرأة نبية وقاضية لأسرائيل، وكانت تجلس تحت نخلة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء. ينظر: سفر القضاة(٤:٥). وموقف التوراة من النبوة يختلف تماماً عن موقف القرآن الكريم, لأنّه لم يرد في القرآن ما يثت نبوة المرأة, بل ورد ما يدل على أنَّ أمر الرسالة منحصر في الرجال,قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.{ سورة النحل(٤٣)}. وكذلك في سورة يوسف(١٠٩) , وسورة الأنبياء(٧) , وهذا ربَّما يعود إلى تصورهم للنبوة, فهم لم يفرِّقوا بين النبوة والكهانة والعرّافة والسحر, والمرأة كانت تمارس هذه المهن كالرجل. وقد إختلف علماء المسلمين في إشتراط الذكورة في النبوة، حيث يرى القرطبي وابن حزم وآخرون أنّ مريم كانت نبيّة.إلاّ أنّه لم يرد دليل صريح في القرآن والسنة على نبوة المرأة.

(٤) سفر القضاة الأصحاحان الرابع والخامس, وكذلك سفر الملوك الأول(١:١–٥٣).

(٥) سفر الخروج(١٥:٢–٥).

(٦) سفر نحميا(٦:١٤).

وقصَّة (إستير) [1]، معروفة في التاريخ، حيث تبوَّأتْ سدّة الحكم والرياسة، وقد أفرد لها كتبة التوراة سفراً عُرف بـ(سفر إستير)، تخليداً للنصر الذي حققته لشعبها، وجعل اليهود يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار من كلِّ سنة عيداً، سمي بـ(عيد الفوريم) وكذلك (عثّليا) ابنة (إزابئيل) وزوجة الملك(يهوذا)،(٨٤٩-٨٤٢ ق.م)، قتلتْ أبناء الأسرة المالكة في يهوذا، وأعلنتْ نفسها ملكة، وحكمتْ ست سنوات، وأعلنتْ عبادة (بعل) ديانة رسمية في مملكة يهوذا[2]، وأصبحتْ (سالومي ألكسندرا)، ملكة على عرش يهوذا ولمدة تسع سنوات (٧٦-٦٧ق.م) [3].

ولكن هذه المثالية في شأن المرأة، وظهور شخصيات نسوية معدودة في التاريخ لا يعني احترام المرأة[4]، عند اليهود.

ويصف وول ديورانت هذه الحالة في حياة اليهود بقوله: من واجبنا أن نذكر أنَّها كانتْ طوبى كهنوتية، ولم تكن وصفاً صادقاً للحياة اليهودية، وكانتْ كلُّ القوانين تعظّم في عين أصحابها حين يخرقونها، ويمتدحونها كلّما اعتدوا عليها[5].

---

(١) إستير كلمة هندية في الأصل, وتعني(سيدة صغيرة). ثمَّ انتقلت إلى الفارسية وأصبحتْ معناها(كوكب). ويعتقد بعض العلماء أنها ترجع إلى (عشتار) إحدى الآلهة الأكدية. وهي امرأة يهودية جميلة, تزوّجتْ الملك الفارسي (أحشو يروش). فنالتْ منه العفو لأبناء شعبها من اليهود. وسمح لهم الملك بالعودة إلى أورشليم, بعدما ذاقوا ويلات السبيٍّ في بابل. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام. ص٤٤. ومكانة المرأة في الكتاب المقدّس.مصدر سابق. ص٧١. وكذلك سفر إستير.

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني(٢٢:٥-١٢).

(٣) حوَّاء والخطيئة. د.فتنت. مصدر سابق. ص٥٢.

(٤) المدخل لدراسة التوراة. د. محمد على البار.مصدر سابق. ص١١٤.

(٥) قصة الحضارة. ول ديورانت. مصدر سابق. ٢/٢٨٣-٢٨٤.

ورغم ذلك، ظلّتْ المرأة اليهودية تحتفظ ببعض حقوقها، فكانتْ الزوجة أحياناً تبقى مع أهلها، ويتردد إليها الزوج[1]، وكانتْ الخيمة ملكاً للزوجة لا للرجل، باعتبار أنَّ الزوج ينتقل إلى زوجته[2]، وكانتْ تأتي إلى بيت زوجها ومعها المنحة التي منحتها لها أسرتها، فضلاً عن جارياتها[3]، وكانتْ موانع الزواج تأتي من جهة الأمِّ لا الأب[4]، وظلّتْ سلالات تنسب إلى الأم، وأنَّها بقيتْ قروناً تحتفظ بنسبة بنيها إليها[5].

ولكن لا يستطيع أحد أن يجد آثاراً لسيطرة الأمِّ في التاريخ اليهودي، لأنَّ الرجل ظلَّ بعلاً وسيداً لزوجته، وكان يتمتع بقدر كبير من السلطة، بسبب طبيعة المجتمع الزراعي الذي يهيمن عليه[6]، حيث كان يستطيع الرجل أن يلغي نذور ابنته، والزوج نذور زوجته[7]، ويستطيع الرجل أيضاً، أن يبيع ابنته:((وإنْ باع رجل ابنته جارية)) [8]، كخادمة أو زوجة، إذا كانت دون الثانية عشرة، أو جعلها تمتهن البغاء، أو تهب بكارتها[9]،

ونظر اليهود إلى المرأة على أنَّها مخلوق أقل درجة من الرجل، بل وضعتْ بعض الطوائف اليهودية المرأة في مكانة السِّلع التي تباع وتشترى وتوهب،

---

(١) سفر القضاة(٨:٣١) و(١٥:١). وسفرالخروج(٤:١٨-٢١).

(٢) سفر التكوين(٢٤:٦٧) و(٣١:٣٣). وسفر القضاة(٤:١٧).

(٣) سفر التكوين(١٦:١-٢).

(٤) سفر التكوين(٢٠:١٢).

(٥) ينظر: النبوة والأنبياء. د.محمد بيومي. ٥/٧١-٧٢.

(٦) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٤/٢٠٩.و ٤/٥٩٨.

(٧) سفر العدد(٣٠:٤-١٣).

(٨) سفر الخروج(٢١:٦). وسفر راعوث(٤:٩-١٠).

(٩) ينظر: المراة عبر التاريخ. مونيك بيير.ص٣٤.

واستندوا إلى قصَّة يعقوب عليه السلام مع ابنتيْ خاله لابان، ليئة وراحيل[1]، اللتيْن تزوجتا[2]، يعقوب عليه السلام واشتكتا والدهما عند يعقوب، لأنَّه باعهما وأكل ثمنهما، فلم يعلِّق يعقوب على شكواهما، ولم ينكر على والدهما[3].

تقول الدكتورة سوزان دينفي، عميدة كليَّة اللاَّهوت في كالفورنيا في أمريكا: أنَّ سبب احتقار المرأة في النصرانية، هو تأثُّر النصرانية بما سبقتها من القوانين والتقاليد الدينية اليهودية، التي تشجِّع على احتقار المرأة، والحطِّ من قدرها[4].

ورغم وجود المساواة الإنسانية الكاملة بين الرجل والمرأة في التشريع اليهودي، وخاصة في العقوبات والحدود[5]، نجد الاختلاف بينهما في العبادات، فلم يكن هناك كاهنات، ولم تكلَّف المرأة بأداء شعائر الحج، وأداء الصَّلوات في المعابد، وليست لهنَّ قيمة بالنسبة للدِّين، ولا يسمح لها بالالتحاق بالمدارس

---

(١) سفر التكوين(٢٩:٢٥-٣٠).

(٢) كان الجمع بين الأختين جائزاً في بني إسرائيل, قبل نزول التوراة, وقد جمع يعقوب بين ليئة ليئة وراحيل. ينظر:سفر التكوين(٢٩:٢٣-٣٠). وكذلك الزواج من الأخت لأب, كما فعل إبراهيم عليه السلام وتزوج سارة, ثمَّ نسخ هذا الحكم بعد نزول التوراة:((وعورة أختك,ابنة أبيك وابنة أمِّك المولودة في البيت أو خارجها لا تكشفها.....ولا تأخذ امرأة مع أختها)). ينظر: سفر اللاويين(١٨:١٩). والزواج من العمَّة كان جائزاً أيضاً:((وتزوَّج عمران يوكابد عمَّته, فولدتْ له هارون وموسى)).ينظر: سفر الخروج(٦:٢٠)، ثمَّ نسخ هذا الحكم:((وعورة أخت أبيك لا تكشف)). ينظر:سفر اللاويين(١٨:١٢).

(٣) ينظر : تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام. د.عزِّية طه. ص٢٩.

(٤) ينظر: نفس المصدر. ص١٣.

(٥) ليس هناك مساواة كاملة بين الرجل والمرأة في العقوبات والحدود, بل هناك عقوبات خاصة بالمرأة, على سبيل المثال: إذا تخاصم رجلان وتقدَّمتْ زوجة أحدهما وساعدتْ زوجها وأمسكتْ بعورة الآخر, فإنَّ يدها تقطع.ينظر: سفر التثنية(٢٥:١١). وكذلك إذا تدنَّستْ ابنة الكاهن بالزنا, فإنَّها تحرق بالنَّار وهي حيِّة. ينظر: سفر اللاويين(٢١:٩).

الدِّينيـة، وشـهادتها لا تقبـل، حيـث منزلتهـا مـع الأطفـال والعبيـد في بعـض الأحيـان[1]، إلاَّ أنَّ ابــن ميمــون(١١٣٥–١٢٠٤م) أجـاز لهـا تعلـيم القــانون المكتوب(التوراة) وليس من حقها تعليم القانون الشفوي(التلمـود)[2]، والواقـع الاجتماعي هو انعكاس لموقعها الدِّيني، فهي قاصـر أبـدي، معزولـة عـن الحيـاة العامة، وقضائياً هي ثروة الرجل[3]، ويمتدُّ هذا الحق، إلى كلِّ مَن يعيش في كنف كنف الأب[4].

ولم يعتبر القانون اليهودي المرأة شخصاً له كيان، بل كانتْ بكـلِّ مـا لهـا، تحت أمر أبيها أو زوجها، ولم يُساوى بينها وبـين الرجـل إلاَّ في أحكـام الزنـا[5]، بل كانـتْ عقوبتهـا أشـدُّ مـن عقوبـة الرجـل في بعـض الحـالات، وقـد أشـرنا إلى بعضها في مبحث شريعة التوراة، في صفحة(١٤٦) وما بعدها.

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية. مصدر سابق. ٢٠٢/٥. وموجز تـاريخ الأديـان. فيليسـيان شالي. ترجمة حافظ الجمالي. ص١٨٥. والعقائد المشتركة. خالد رحَّال. ص٢٨٠.

(٢) ينظر: شرح أحكام التوراة . مصدر سابق. ص٣٢.

(٣) مـن الجـدير بالـذكر أنَّ كلمـة (Family) الإنجليزيـة, الـتي تعـني العائلـة, جـاءتْ مـن كلمة(Familia)، عند قدماء الرومان, وكانـتْ تعـني: الحقـل والبيـت والنقـود والعبيـد, أي: التركة التي تنتقل بالوراثة, وكانتْ المرأة جزءاً مـن الـ (فاميليـا) , أي ثـروة الرجـل. وكـان العبرانيـون يطلقـون علـى الزوجـة إسـم:(بولة) , أي: المملوكـة. ينظـر: نظـام الأسـرة بـين الاقتصـاد والـدِّين. ثـروة الأسـيوطي. ص١١٥. وأبحـاث في تـاريخ الشـرائع. د.علـي بـدوي. ص٧٣١و ص٧٤٦. وقصة الحضارة. مصدر سابق. ١٩٢/٩و ١٢٣/٢.

(٤) ينظر: شـرح أحكـام التـوراة. مصـدر سـابق. ص٣٢. واليهوديـة والغيريـة . مصـدر سـابق. ص٧٤–٧٥.

(٥) ينظر: مكانة المرأة في الكتاب المقدَّس. القـس صـموئيل زكـي. ص١٠٣.وحـوَّاء والخطيئـة. مصدر سابق. ص٥٢.

المطلب الثاني: منزلة المرأة في الإنجيل

لقد قلّل العهد القديم من شأن المرأة كثيراً، وهذا التقليل لا يستهان به في المسيحية أيضاً، فالعهد القديم مليء بالنصوص التي تدل على أنَّ البغي والفاحشة، كانت شخصية مقبولة في المجتمع اليهودي، وذكر نصوصاً كثيرة، وأسندها إلى الأنبياء عليهم السلام وانتهك كرامتهم، وأهدرت الكرامة الإنسانية باسم شريعة الله، وأصبحتْ المرأة التي كرَّمها الله، أمة لأكثر من سيِّد، وجارية في أحضان الرجال، وهذا التقليل، في شأن المرأة، وارد في المسيحية كذلك، إلاّ أنَّه تجب الإشارة إلى موقفيْن مختلفيْن، في التعامل مع المرأة في المسيحية، موقف المسيح عليه السلام المتمثل في تعامله مع النساء التي ورد ذكرهنَّ في الأناجيل، وموقف بولس الرسول، الذي جعل المرأة مصدر الخطيئة والشرِّ.

من المؤكّد أنَّ المسيح عليه السلام قد أرسى مبادئ أخلاقية روحية، فيما يتعلق بالسلوك الإنساني، وأنَّه لم يفرِّق بين الرجل والمرأة، من جانب التعامل الإنساني، وأنَّه قام بشفاء عدد من النساء، في القرى اليهودية[1]. أمَّا ما يتعلق

---

(١) ورد في الإنجيل أنَّ امرأة كنعانية توسَّلت إلى المسيح لكي يشفي ابنتها, إلاَّ أنَّ المسيح رفض رفض أول الأمر أن يشفيها, لأنَّها ليستْ من اليهود, وقال لها: ((ما جئت إلاّ لهداية بيت إسرائيل الضالّة, ولكن المرأة جاءت وسجدتْ وقالت: يا سيد ساعدني؟ فأجابها: لا يجوز أن يؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب, فقالت له المرأة: نعم يا سيد ولكن حتَّى الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط عن موائد أصحابها....فقال: عظيم إيمانك, ليكن ما تريدين, فشفيتْ ابنتها)). { إنجيل متّى (١٥:٢٤-٢٨)} , إلاّ أنَّ المسيحيين يدافعون عن ذلك, ويقولون: أنَّ عدم شفاء المسيح للمرأة ليس لأنَّها غير يهودية, وإنَّما كان بدافع امتحان إيمان المرأة. مقابلة مع الأب بشَّار متّى في عنكاوة بتاريخ: ٢٠١٠/١/٢٥م. ونقول: أنَّه ليس من أخلاق الأفاضل, فضلاً عن الأنبياء, أنَّ يشبِّه مَن ليس من بني جلدته بالكلاب, وأن يحرمهم من الهداية والخير الذي جاء به, فلو كان ذلك صحيحاً لما تراجع واستجاب لطلبها, ولذا نشك أن يكون هذا كلام المسيح.

بـاللاّهوت والتشـريع، فقـد أكّـد علـى العـودة إلى التـوراة، فقـال في آخـر وصـية لـه:((على كرسـي موسـى جلـس الكتبـة الفريسـيون فكـلُّ مـا قـالوا لكـم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنَّهم يقولـون ولا يفعلون)) [1].

وأمَّا ما جاء في الأناجيل، وأعمال الرسل، حول اللاّهوت والأحكام وألوهية المسيح فإنَّها من إضافات بولس الرسـول، لأنَّـه في الحقيقـة المؤسِّـس الحقيقـي للمسيحية الحالية[2].

وتتحـدَّث الأناجيـل عـن عـدد مـن النسـاء، في زمـن المسـيح عليه السلام منهـا: أليصابات، والدة يوحنا المعمدان(يحيى)، وأنَّها امرأة يباركها الله[3]، وعن مـريم العذراء باعتبارها والدة عيسى عليه السلام وتمنحها صفة والدة الإله[4]، وعن حنَّة الـتي لم تفارق الهيكل، متعبِّدة ليلاً ونهـاراً[5]، وعـن حمـاة بطـرس المريضـة، وأنَّهـا شفيتْ على يد المسيح[6]، وكـذلك أرملـة نـايين، الـتي طمأنهـا المسـيح، وأحيـا ابنها الوحيد[7]، وعن المرأة التي زنتْ، واعترفتْ بزناها أمـام المسـيح، ولم يقِـم عليها الحدَّ[8]، وعن مريم المجدلية والنِّساء اللَّواتي أتيْن إلى قبر المسيح للبحـث

---

(١) إنجيل متى (٢٣:٢-٣).

(٢) ينظر : الإسلام والأديان. مصدر سابق.ص١٧٠.

(٣) إنجيل لوقا (١:٣٩-٤٥).

(٤) إنجيل متى (١:١٨-١٩).ولوقا (٢:١-٧).

(٥) إنجيل لوقا (٢:٣٦-٣٨).

(٦) إنجيل متى (٨:١٤-١٥).ومرقس(١:٢٩).

(٧) إنجيل لوقا (٧:١١-١٥).

(٨) إنجيل يوحنا (٨:١-١١).

عنه[1]، ونساء كثيرات، آمنَّ بالمسيح وتعامل المسيح معهنَّ وأكرمهنَّ.

وقد طعن المسيح في الكتبة الذين يأكلون أموال الأرامل[2]، وعظَّم المسيح أيضاً المرأة التي ألقتْ درهميْن إلى الهيكل، وجعلها أكثر خيراً من الأغنياء[3].

ولا نشك بعد هذا، أنَّ المسيح، والمسيحيين من بعده، لم يقدروا المرأة، ولم يحترموا عِفَّتها،بل قدّر المرأة واحترم عفّتها، إلاّ أنَّ المسيحية بعد زمن بولس، طعنتْ في منزلة المرأة ومكانتها، وترى المسيحية الحقيقية أنَّ ما زرعه الشيطان في الغرب هو زندقة ودعوة إلى الوثنية الانحلالية وتحقير للنِّساء[4].

أمَّا المرأة في مسيحية بولس، فقد ذكر أسماء نساء وبارك عملهنَّ، وشاركنَ في العمل التبشيري، وواجهنَ أقسى العقوبات بشجاعة، ومن جهة أخرى، فهي مسؤولة عن الخطيئة البشرية الأولى وخادمة للرجل، وأنَّ الوسيط بين الله والمرأة هو الرجل[5]: ((أمَّا المرأة فتعكس مجد الرجل، فما الرجل من المرأة، بل المرأة من الرجل، وما خلق الله الرجل من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل)) [6].

يقول علماء الكتاب المقدَّس، في تعليقاتهم على قصة الخطيئة: المرأة لا تكون شريكة الرجل، ولا مساوية له، بل تمسي فتنة الرجل، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد[7].

---

(١) إنجيل متى (٢٨:١-١٠).ومرقس (١٦:١-٨).

(٢) إنجيل متى (٢٣:١-٢٦). ومرقس (١٢:٣٨-٤٠). ولوقا (٢٠:٤٥-٤٧).

(٣) إنجيل مرقس (١٢:٤٢-٤٥).ولوقا (٢١:١-٤).

(٤) ينظر : المرأة في الكنيسة .أسبيرو جبور .ص٤٨.

(٥) ينظر : المرأة عبر التاريخ .مونيك بيير. ترجمة هزييت عبودي. ص١٠٦.

(٦) رسالة كورنثوس الأولى(١١:٧-١٠).

(٧) ينظر : الإسلام والأديان الأخرى .مصدر سابق.١٦٨.

فالمرأة–حسب المعتقد المسيحي–هي سبب بلاء الجنس البشري، وعقوبتها أن يستعبدها الرجل، يقول بولس:((لستُ آذن للمرأة أن تعلّم، ولا أن تسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأنَّ آدم جُبل أوّلاً، وآدم لم يغوَ، لكن المرأة أغويتْ، فحصلتْ في التعدّي)) [1].

ويقول أيضاً:((أريد أن تعلموا أنَّ رأس كلِّ رجل هو المسيح، وأمَّا رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله، كلُّ امرأة تصلي أو تتنبَّأ ورأسها غير مغطًّى فتشين رأسها...الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل)) [2]، وقال:((لتصمت نسائكم في الكنائس، لأنَّه ليس مأذوناً لهنَّ أن يتكلمْنَ، بل يخضعْنَ...ولكن إنْ كنَّ يردن أن يتعلمن شيئاً، فليسألنَ رجالهنَّ في البيت، لأنَّه قبيح بالنِّساء أن تتكلمن في كنيسة)) [3]، وقال:((أيتها النِّساء إخضعن لأزواجكن، كما للرَّب، لأنَّ الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح رأس الكنيسة، كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النِّساء لرجالهنَّ في كلِّ شيء)) [4].

وبولس هنا، يأمر المرأة بأن تطيع الرجل طاعة كاملة، وأن لا ترد عليه، وأن تتعلّم منه، وأن تحتشم في لبسها، ووظيفتها الأولى هي الإنجاب، لأنَّ بآلام الولادة والحمل وتربية الأولاد، تتخلّص من خطيئتها الكبرى، فهي رأس الخطايا ومنبع الإثم وأحبولة الشيطان[5].

---

(١) رسالة تيموثاوس الأولى (٢:١٢–١٤).

(٢) رسالة كورنثوس الأولى (١١:٣–٩).

(٣) نفس الرسالة (١٤:٣٤).

(٤) رسالة أفسس (٥:٢٣–٢٤). ورسالة كولوسي (٣:١٨).

(٥) ينظر : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية .د.محمد علي البار. مصدر

وورد في العهد القديم:((وقال للمرأة :أزيد تعبك حين تحبلين، وبالأوجاع تلدين البنين، إلى زوجك يكون اشتياقك، وهو عليك يسود)) [1]. وقد دافع وليم باركلي، عن موقف بولس من المرأة وقال: إنَّ هذه النصوص أُعطيتْ لظروف خاصة ولمجتمعات خاصة، وليستْ مباديء عامة للكنيسة في كلِّ حياتها[2]. ولكن هذا القول مردود، فالظلم ظلم فليست هناك خصوصية لزمان ومكان، وخاصة إذا كانت النصوص مقدسة.

وحرصتْ الكنيسة [3]على التأكيد على أنَّ المرأة مصدر الخطيئة والشرّ، ومن ثمَّ يجب قهرها إلى أقصى حدّ، واستهلاكها نفسيّاً، تحت وطأة الشعور بالخزي والعار، واغتنم القساوسة كلَّ فرصة، تتعلق بالمرأة، لبثِّ روح الأحباط فيها، فقد كتب ترتليان[4]، في القرن الثالث، حول زي المرأة وقال: لقد كان

سابق. ص٢٣٦.

(١) سفرالتكوين (١٦:٣).

(٢) ينظر : مكانة المرأة في الكتاب المقدس .القس صموئيل زكي .ص١٠٣.

(٣) قد يقول قائل إنّك خرجتَ من الإنجيل وبدأتَ بآراء المسيحيين ونظرتهم إلى المرأة، ولم تفعل ذلك مع القرآن الكريم ولم تتعرض إلى آراء غير صحيحة لبعض علماء المسلمين، مثال ذلك تعريفهم للزواج بأنّه: عقد تمليك. أو قول آخرين بأنّ المرأة لا تخرج من بيت أبيها إلاّ مرتين، مرة إلى بيت زوجها، ومرة إلى القبر.أو قول آخرين بأنّه إذا احترتَ في أمر فاستشر إمرأة، ثمَّ إعلم بأنّ الحق في مخالفتها.أقول أنَّ هذه الأقوال ليست مستوحاة من نصوص القرآن، بعكس آراء المسيحيين فإنّها مستوحاة من نصوص الأناجيل، التي تؤكد على تحقير المرأة.

(٤) ترتليانوس أو ترتليان (١٦٠م-٢٢٠م) , كاهن ومؤلف مسيحي, له مؤلفات باللّغة اللاتينية, وهو أوّل مَن كتب في الدِّفاع عن المسيحية, وكان أكبر سبب لشهرته، صياغته كلمة الثالوث, وأعطاء أوّل شرح للعقيدة المسيحية, ومن الأفكار التي تظهر في كتاباته: ثلاثة أشخاص أو أقانيم, في مادة واحدة, وعبارة: العهد القديم والعهد الجديد, أعتنق في آخر حياته مذهب المونتانية, ويوصف بأنّه أوّل بروتستانتي. ينظر:الموسوعة الحرّة في موقع:

حرياً بها أن تخرج في زي حقير، وتسير مثل حوّاء، يُرثى لحالها، نادمة على ما كان، حتّى يكون زيُّها الذي يتَّسم بالحزن، مكفِّراً عمَّا ورثته حوّاء من الخطيئة الأولى، ثمَّ الخزي من الهلاك الأبدي للإنسانية ....ألستنَّ تعلمْنَ أنَّ كلَّ واحدة منكنَّ حوّاء؟! إنَّ قضاء الله على جنسكنَّ بالعقوبة موجود في هذا العصر بـ(الولادة بألم) [(١)]، وبالتالي، فإنَّ الشعور بالإثم يجب أن يكون موجوداً أيضاً، أنتنَّ المدخل الذي يلجأ إليه الشيطان، فأنتنَّ باكورة من ذاق الشجرة المحرَّمة، وأنتنَّ أوَّل مَن تمرَّد على القانون الإلهي...وبسبب استحقاقكنَّ للعقوبة، التي هي الموت، كان على ابن الإنسان أن يموت أيضاً[(٢)].

وقد كان أوغسطين[(٣)]، يتساءل إن كان هناك سبب، على الإطلاق، من أجله خلق الله النِّساء، وأنَّ العلَّة الوحيدة التي من أجلها

---

www.ar.wikipedia.org . تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٥/١٣.

(١) سفر التكوين (٣:١٦).

(٢) ينظر: الإسلام والأديان الأخرى .مصدر سابق .ص١٧٥-١٧٦. ويعلّق د.عصام الدين حفني على عقوبة الولادة بألم في العقيدة المسيحية بقوله: أمَّا أوجاع الحمل والولادة فهي من معقبات المدنية والترف, ويزداد شعور الناس بها على قدر حظهم من رفاهية العيش ورفاهية الشعور, على حين لا يشعر بها المتوحشون إلاّ هوناً منها, وهذا التباين يلاحظ بين الحيوانات الوحشية والمستأنسة.ينظر: اليهودية في العقيدة والتاريخ.د.عصام الدين حفني.ص١٦٢.

(٣) أوغسطين(٣٥٤م-٤٣٠م) , كاهن وراهب مسيحي, ولد في تاغست بالجزائر, درس في قرطاجة, وأصبح أستاذاً فيها, سافر إلى روما وميلانو, سلك حياة الرهبنة سنة(٣٨٧م) , وانتخبه المسيحيون كاهناً وأسقفاً سنة(٣٩٥م). له مؤلفات عديدة في الفلسفة واللاّهوت, تهدف إلى تصويب الأخطاء, ومن مؤلفاته: (الاعترافات) و(مدينة الله). ينظر: موسوعة الأديان في العالم-المسيحية- ص٩٣.

خُـلقتْ المـــرأة، هـــي الـــولادة[1].

وكان مارتن لوثر[2]، يشارك هذا الرأي، وكتب يقول: إذا تعبتْ النِّساء، أو حى ماتتْ،
فكلٌّ ذلك لا يهم، دعهنَّ يمتنَ في عملية الولادة، فقد خلقهنَّ من أجل ذلك، وكان توما
الأكويني متحيراً مثل أوغسطين ويقول:أنَّ المرأة مخلوق معيب، وجدير بالإزدراء[3].

وهذا الموقف من المرأة سببه الخطيئـة الـتي أحـدثت العـداوة بـين الرجـل والمرأة، وهذا يتبين عنـدما حـاول آدم أن يلقـي تبعـة الأكـل مـن الشـجرة علـى حواء، وأنَّ حبَّه لها لم يعد كمـا كـان، وهـذا يظهـر مـن قـول آدم: المـرأة الـتي أعطيتني هي التي جعلتني آكل مـن الشـجرة، ولم يقـل زوجـتي، ممّـا يعـني أنَّ المحبَّة لم تعد في قوَّتها الأولى[4]. وقـد دفـع هـذا الأمـر، بـبعض المسـيحيين إلى التساؤل هـل المـرأة إنسـان؟. وفي عـام ١٥٨٦م عقـد القساوسـة مجمعـاً لبحـث قضية المرأة، وبعد محاولات طويلة قرَّر المجتمعون، أنَّ المـرأة إنسـان، ولكنهـا

(١) ينظر: قضايا المسيحية. مصدر سابق. ص٣٧٧.

(٢) مارتن لوثر(١٤٨٣-١٥٤٦م) , راهب أوغسـطيني لاهـوتي, مفكّـر وكاتـب مسـيحي ألمـاني, حارب سلطة الكنيسة على تفسير الكتاب المقدَّس, وكانت آراءه سـبباً في انشـقاق الكنيسـة, وهو مؤسِّس الكنيسة البروتستانتية أو الاحتجاجية ينظر: موسـوعة عـالم الأديـان. مجموعـة من المؤلفين. ١١/١٦.

(٣) ينظر : الإسلام والأديان الأخرى. مصدر سابق .ص١٧٧.

(٤) ينظر : رجال الكتاب المقدس. ١/١٤-١٥.وقضايا المسيحية. مصدر سابق.ص٣٧٧.كلاهما للقس الياس مقار.

خلقتْ لخدمة الرجل، ويرى لوثر أنَّ الزواج هو عقاب للمرأة، نتيجة الخطيئة الأولى، وأنَّ السلطة بيد الرجل تجبر المرأة على طاعته، حسب وصية الله....والمرأة مثل المسمار يدقُّ في حائط يجب أن تبقى في البيت وترعى الحاجات المنزلية[1].

وهذه الصورة الحقيقية تكشف لنا مكانة المرأة وقيمتها، في التصور المسيحي، في العصور الوسطى، وملخَّص انطباع المسيحيين، حول المرأة في تلك العصور، أنَّ الله لم يخلِّص النِّساء، أو لم يمت المسيح من أجلهنَّ، ولهذا أسلمهنَّ إلى الجنس، ومن ثمَّ إلى الشيطان[2]، فهي ليست على صورة الله، وإنَّما على صورة الإنسان الذي صنعت منه، وخاضعة للرجل، لأنَّها علَّة الخطيئة الأصلية[3].

---

(١) ينظر:الإسلام والأديان. مصدر سابق.ص١٧٧-١٧٩.

(٢) الشيطان كلمة عبرية وتعني: العدو, أو المقاوم. وسماه بولس الرسول(بليعال) , وتعني: الشرير أو عديم الفائدة, والشيطنة أو حركة الشيطنة ظهرت في إنجلترا وأوروبا عموماً في القرن الخامس عشر, قوامها الرُّعب من الأمور الجنسية وكراهية النساء, وكانوا يعتقدون أنَّ هناك شيطاناً يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة, واعتقدوا أن النِّساء المتشيطينات يطرنَ في الهواء, ويمارسنَ طقوساً جنسية, وأنَّ هؤلاء النسوة يمتلكن قوى سحرية ويتحالفنَ مع الشيطان, وفي القرن التاسع عشر ظهرتْ حركة عبادة الشيطان, أو القيام بممارسات شيطانية, وأفكارها المعلنة لا تتضمن عبادة الشيطان, وقامت الكنيسة بإعدام كثير من الناس, وخاصة النِّساء, بدعوى أنَّهم يمارسون عبادة الشيطان. وقد أنشأ في أوروبا كنيسة باسم: كنيسة الشيطان. ينظر: موسوعة عالم الأديان. مجموعة من المؤلفين. ١٢٣/٢٤. والإسلام والأديان الأخرى. مصدر سابق. ص١٨١. ورسالة كورنثوس الثانية (٦:١٥). وقاموس الكتاب المقدَّس. ص ١٨٩ وص٥٣٣.

(٣) ينظر: العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل .أحمد الباش ٢٣٨/٢.و٢٢٢/٢. والمرأة عبر التاريخ.مصدر سابق. ص١٤١

تقول كارن آرمسترونج[1]، في كتابها(إنجيل المرأة): أنَّ الإنجيل تعني،أخباراً سارَّة، ولكن على الرغم من أنَّ المسيحية، في فجر تاريخها، قد قدَّمتْ للمرأة رسالة إيجابية، إلاّ أنَّه يجب القول أنَّه منذ القرن الثاني لم تكن المسيحية أخباراً سارَّة للنِّساء على الإطلاق، فقد كانت مدمِّرة لهنَّ إلى أقصى حد"[2].

وفي العصر الحديث، حاولتْ المسيحية التخلُّص من هذه النظرة الدونية للمرأة، متمثلة في الهيئات الرسمية، كالفاتيكان والكنائس باختلاف أنواعها، وتقف من المرأة موقفاً محافظاً على كرامة المرأة وكرامة الرجل، وأنَّهما متساويان في الحقوق والواجبات، وأنَّ بركة الله والسلطان منح لهما معاً[3]. وقد جاءت دعوات الكنيسة في العصر الحاضر، متمثِّلة بالباباوات، متكرِّرة إلى الدفاع عن كرامة الإنسان، التي تجعل من التاريخ الحالي، انفتاحاً على ملكوت الله، فالكنيسة تؤمن بكرامة الإنسان، ولها ملئ الثقة بالشخص البشري، بالرغم من خطاياه، لأنَّه صورة الله ومخلّص بالفداء[4].

ولا شك أنَّ هذا التغيير في موقف الكنيسة، فيما يتعلق بالمرأة، جاء نتيجة

---

(١) مؤلفة بريطانية من مواليد(١٩٤٤م), لها عدّة كتب في مقارنة الأديان وعن الإسلام, كانت راهبة كاثوليكية, ولكنها تركت الكاثوليكية, وهي عضوة في:(حلقة الدراسة عن المسيح). ينظر مواقع: http||ar.wikipedia.org وwww.weghatnszar.com . تاريخ الدخول في المواقع: ٢٠١١/٧/٢٥م.

(٢) تعدُّد نساء الأنبياء ومكانة المرأة .أحمد عبدالوهاب. ص٢٢١. ومكانة المرأة في الكتاب المقدّس. ص٦٨.

(٣) ينظر: العقيدة النصرانية. مصدر سابق. ٢/٢٢٢. والمرأة عبر التاريخ. مصدر سابق. ١٤١.

(٤) ينظر : رسالة البابا بولس السادس.(٣٠) كانون الأول ١٩٨٧م. والمبادئ الأساسية .مصدر سابق,ص٢٧٥.

التغـيرات الجذريـة الـتي حصـلتْ في أوروبـا، جـرَّاء نجـاح الثـورة الإصـلاحية، وفصل الدِّين عن الدولة، وظهور ما يسمَّى بحركات التحرَّر والتنوير، ورفع شعار الحرِّية والمساواة، وحقـوق الإنسـان، ممَّـا اضـطرتْ الكنيسـة إلى تبنِّـي مواقـف أكثر إيجابية، ورفض الدعوات القديمة التي كانتْ تجعل من المرأة أقلُّ شأناً من الرجل، وخادمة له، وأنَّها مصدر الشرور في العالم.

المطلب الثالث: منزلة المرأة في القرآن الكريم

إنَّ القرآن الكريم من أشـدُّ الكتـب حرصـاً وإنصـافاً في الحفـاظ علـى كرامـة المرأة وعزّتها، فقد جاء في القـرآن سـورة باسـم سـورة النِّسـاء، وسـورة أخـرى باسم سورة مريم، وجاء في حقِّها أيضـاً، وصـف صـدِّيقة، وأنَّ هـذا الوصـف لم يرد في القـرآن إلاّ في حـقِّ الأنبيـاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[1]، وجـاء في القرآن الكريم أنَّ الله سمع قول المرأة المشتكية[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[3]، وأنَّ

---

(١) سورة المائدة (٧٥).

(٢) وهي خولة بنت ثعلبة, وقيل: هي خولة بنت حكيم, وقيل: كانت امرأة إسمها جميلـة, الـتي ظاهر منها زوجها أوس بن الصَّامت, وكان به لمم, فاشتدَّ لممه, وقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي, فندم على ذلك, لأنَّ الظِّهار في الجاهلية كان طلاقاً, واشتكت المرأة ذلك إلى النبيِّ ﷺ فأنزل الله: ((قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...)). {سورة المجادلة: (١)} . ينظر: جامع البيان. الطبري. ٢٢٦/٢٣. وفتح القدير. الشوكاني. ٢٥٥/٥

(٣) سورة المجادلة (١).

الله قد ضرب المثال في قوة إيمان امرأة فرعون،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وراعى القرآن الكريم طبيعة المرأة في الأحكام والعبادات والآداب العامة.

ونستطيع أن نقول أنَّ أقدس ما جاء به الإسلام للمرأة هو أنَّه صان كرامتها الإنسانية، وجعل لها شخصيَّتها المستقلة، وأعطاها حرِّيتها في العمل والتملُّك وإبداء الرأي، وجعلها مسؤولة كالرجل تماماً في الأعمال الخاصة بها[2].

والقرآن الكريم قد ساوى بين الرجل والمرأة في أصل الخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3]، وعن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت:قال ﷺ:((... النِّساء شقائق الرجال))[4]، وهذه المساواة هي مساواة الشقَّيْن المتكاملَيْن، لا مساواة الندَّيْن المتماثلَيْن[5]، ورفع الإسلام عن المرأة اللَّعنة الأبدية التي ألصقها اليهود والنصارى بها، فهي وآدم في الخطيئة سواء،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[6]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

---

(١) سورة التحريم (١١).

(٢) ينظر : حق الحرِّية. مصدر سابق. ص٢٥٨.

(٣) سورة النساء (١).

(٤) مسند الإمام أحمد. ٢٥٦/٦. رقم(٢٦٢٣٨). وسنن أبي داود. ٩٥/١. رقم(٢٣٦). قال شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره

(٥) ينظر : الإسلام والتحديات المعاصرة. د.محمد عمارة. مصدر سابق. ص١٤٤.

(٦) سورة الاعراف (٢٠).

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[1]، وساوى بينهما في الكرامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[2]، لأنَّ ألفاظ: بني آدم، النَّاس، الإنسان، من ألفاظ العموم، تشمل الذكر والأنثى.

وجعل حقوقها مثل واجباتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]، وساوى بينهما في المصير ونتائج الاعمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[5]، وحرَّم القرآن الكريم وأد البنات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[6]، وذمَّ القرآن الكريم هؤلاء الذين يَسودُّ وجوههم بولادة الأنثى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[7].

وبعد هذا كلِّه، قرَّر القرآن الكريم المبدأ الخالد والميزان الحق، بأنَّ الدَّرجة بحسب العمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[8]، إذ لا فرق بين الذكر والأنثى في ذلك.

---

(١) سورة البقرة (٣٦).

(٢) سورة الإسراء (٧٠).

(٣) سورة البقرة (٢٢٨).

(٤) سورة آل عمران (١٩٥).

(٥) سورة النحل (٩٧).

(٦) سورة التكوير (٨-٩).

(٧) سورة النحل (٥٨).

(٨) سورة الأنعام (١٣٢).

وكانت المرأة في زمن النبيِّ ﷺ مكرَّمة، ولها دور لا يقل أهمية عن دور الرجل، في مجالات الحياة المختلفة، فكانت مربِّية تربِّي الرجال، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ الرسولﷺ قال:((خير النساء ركبن الأبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده)) [1]، والمرأة راعية ومسؤولة، ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّه قالﷺ:((...والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها)) [2]، وفي مجال العلم، فقهاً وتفسيراً ورواية وفهماً، ظهرتْ نساء كثيرات، أمثال أمهات المؤمنين.

وفي مجال الإيمان والعمل والعبادة زاحمتْ الرِّجال، وفي الجهاد كان لها دور مشرَّف في التداوي وإعداد الطعام،قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

وعلى هذا، فالإسلام وفَّر للمرأة كرامة رفيعة، في المجالات الإنسانية والاجتماعية، وأثبت لها من الحقوق ما لا يوجد في الأديان الأخرى، وهذا لا يعني أنَّ الأديان الأخرى لا تقرُّ لها الحقوق المشروعة والضرورية، ولكن نعني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب أي النساء خير. ٥/١٩٥٥. رقم(٤٧٩٤).ومسلم في صحيحه. باب فضائل النساء.

١٨١/٧ . رقم(٦٦١٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب المرأة راعية. ٥/ ١٩٩٦. رقم(٤٩٠٤). ومسلم . باب الإمام العادل. ٦/٧. رقم(٤٨٢٨)

(٣) سورة الأحزاب(٣٥).

أنَّ الصورة التي ارتضاها الإسلام في بيان استقلال المرأة وحقوقها غير موجودة في التوراة والإنجيل الحاليين.

ومن أجل بيان هذه الحقيقة، نقتصر على ضرب بعض الأمثلة من تلك الحقوق وكيفية إقرارها في الإسلام، مع بيان موقف الأديان الأخرى، إنْ وجد، وعلى النحو الآتي:

١-حقُّ المرأة في الاستئذان في الزواج: لقد انفرد الإسلام في إعطاء حرِّية اختيار المرأة زوجها دون إكراه، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:((لا تنكح الأيمّ حتَّى تستأمر، ولا تنكح البكر حتَّى تستأذن. قالوا يا رسول الله وكيف أذنها؟.قال: تسكت)) [1]، وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت: يا رسول الله إنَّ البكر تستحي؟ قالﷺ: ((رضاها صمتها)) [2].

وعن عبدالله بن بريدة عن عائشة رضي الله عنها، قالت:((أنَّ فتاة دخلت عليها فقالتْ: إنَّ أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع خسيسته وأنا كارهة، فقالتْ إجلسي حتَّى يأتي النبيُّ ﷺ، فجاء رسول الله فأخبرته، فأرسل إلى أبيها، فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالتْ: يا رسول الله قد اخترتُ ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أعلم أنَّ للنِّساء من الأمر شيء)) [3].

٢- حقُّ المهر: تشترك الأديان السَّماوية في إقرار حقِّ المهر للزوجة، إلاَّ أنَّ اليهودية جعلتْ هذا المهر حقاً لوالد الفتاة، وفي بعض الحالات قد حدَّدتْ الشريعة اليهودية مقدار المهر، كحالة فضّ البكارة، وهي خمسون شاقل فضة،

(١) رواه البخاري في صحيحه. باب النكاح. ٢٥٥٦/٦. رقم(٦٥٦٩). ومسلم. باب استئذان الثيب. ١٤٠/٤. رقم(٣٥٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه. باب لاينكح الأب. ١٩٧٤/٥. رقم(٤٨٤٤).

(٣) السنن الكبرى. البيهقي. باب إنكاح الآباء. ١١٨/٧. رقم(١٤٠٤٤). والسنن الكبرى.النسائي. باب البكر يزوجها.

يدفعها لوالد الفتاة ويتزوّجها. ويسمّى في الإسلام أيضاً، الصداق، وهو حق خاص بها، لا يشاركها أحد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾[1].

وهو واجب وحقٌّ من حقوق المرأة، ولها حقُّ التصرف فيه، بهبته أو غيره، ولا يجوز أخذه ولا تحديده[2]، وهذا يظهر عندما أراد عمر ﷺ أن يحدِّد المهر بعد أن غالتْ المهور، فقامتْ إليه امرأة وقالتْ: يا عمر يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله يقول: ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[3]، فقال عمر: كلُّ النَّاس أفقه منك يا عمر، وفي رواية: أصابت امرأة وأخطأ رجل[4]، وهو شرط من شروط صحَّة الزواج، ولا يجوز الاتفاق على تركه[5]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[6].

والمهر ليس عوضاً عن البضع، كما فهم بعض النَّاس، لأنَّ المرأة أكبر من أن تباع وتشترى، فلو كان المهر ثمن البضع، لما صحَّ ارجاع نصف المهر، إنْ حصل طلاق قبل الدخول. قال ابن الهمَّام(٧٩٠-٨٦١هـ): إنَّه شرع إبانة

٢٨٤/٣. رقم (٥٣٩٠). ومسند الإمام أحمد. ١٣٦/٦. رقم(٢٥٠٨٧). قال شعيب: صحيح الإسناد.

(٢) سورة النّساء(٤).

(٣) ينظر : الأم . الشافعي. ٨٣/٥. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٢٥/٥.

(٤) سورة النساء (٢٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٩٩/٥.

(٥) ينظر : بداية المجتهد. ابن رشد الحفيد. ٢١/٢-٢٢. وفتح القدير. ابن الهمّام. ٦/ ٣٠١ وما بعدها.

(٦) سورة النساء (٢٥).

لشرف عقد الزواج، إذ لم يشرع بدلاً كالثمن والأجرة[1]، وهو هدية لتأليف القلوب وتطييب النفوس، حتَّى تزال الوحشة وتحلّ السَّكينة[2].

٣- حقُّ النفقة: وهي ما تحتاج إليها المرأة من طعام وكسوة وسكن وخدمة وعلاج... وهي واجبة في كلِّ الأديان، على أهل المرأة قبل الزواج، وعلى الزوج بعد الزواج، وقد ثبت ذلك في الإسلام بالكتاب والسنَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[4].

واتفق الفقهاء على أنَّه يلزم للزوجة نفقة الخادم، إذا كان الزوج موسراً، والزوجة ممن تخدم في البيت، من ذوي الأقدار، أو كانت مريضة، واتفقوا على وجوب أجرة القابلة وآلات التنظيف، واختلفوا في أدوات التجميل ومتاع البيت[5].

٤- حقُّ التصرف في مالها: المرأة في الإسلام لها شخصِّية مستقلة، ولها حقُّ التملُّك، بعد أن كانتْ تُملك ولا تَملك، عند الأمم السابقة للإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ

---

(١) فتح القدير. ابن الهمّام. ٧/ ١٠٣.

(٢) ينظر : عقد الزواج د. محمد أبو زهرة. ص٢٢٨.

(٣) سورة البقرة (٢٣٣).

(٤) سورة الطلاق (٦).

(٥) ينظر : المهذَّب. ٢/٢٦٢. والبدائع. ٤/٢٣-٢٤. والدرّ المختار. ٣/٥٨٨. ومغني المحتاج. ٣/٤٣٢.

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[1]. والمراد نصيبها من الثواب والعقاب، وقيل: من الميراث، ويدخلوا في ذلك، أنَّ الرجال يختصون بما كسبوا، والنِّساء يختصنَ بما أكتسبنَ من الأموال، ويحتمل أنَّ المعنى،أنَّ كلَّ شخص مستحق حظه من منافع الدنيا، المنجز له ممَّا سعى إليه بجهده، رجلاً كان أو امرأة[2]

٥-حقُّ المرأة في النسب: أنَّ المعروف في المجتمعات الغربية، أنَّ المرأة إذا تزوجتْ، تفقد نسبها الأصلي، وتنتسب إلى زوجها، بينما في الإسلام، أنَّ من لوازم كرامتها، أنَّها تحتفظ بنسبها الأصلي، وهذا ما عليه الشرع والفطرة،قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾[3].

٦- حقُّ المرأة في الخلع: هذا الحق انفرد به الإسلام، والخلع والفدية والصلح والمبارأة، كلِّها بمعنى واحد، وهو: بذل المرأة العوض على طلاقها، إلاّ أنَّ الخلع يختص ببذلها له جميع ما أعطاها، والصلح ببعضه، والفدية، بأكثره، والمبارأة، بإسقاطها له حقاً لها عليه[4].

---

(١) سورة النساء (٣٢).

(٢) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ٥/٣١-٣٢.

(٣) سورة الأحزاب (٥).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٣/١٤٤. وفتح الباري. ابن حجر. ٩/٣٩٥. والقاموس الفقهي. ص١٢٠.

حيث جعل الشرع الخلع حقاً للمرأة، في حالة كون الكراهية من جهة المرأة، فأباح لها التخلُّص من الزوجية بطريق الخلع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ ﴾[1].

ولكن الخلع ليس ميدان لعب للمرأة في تمزيق الأسرة وتشريد الأولاد، دون سبب شرعي، عن ثوبان ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال:((أيُّما إمرأة سألتْ زوجها الطّلاق في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنَّة))[2].

٧- **حقُّ حسن العشرة:** لقد دعا القرآن الكريم إلى حسن معاشرة الزوجة في نصوص كثيرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[3]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ ﴾[4]، وعن عمرو بن الأحوص ﷺ أنَّه قال: قال ﷺ:((إستوصوا بالنِّساء خيراً، فإنَّهنَّ عوان عندكم، لا تملكون منهن شيئاً إلاَّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة...وحقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ))[5].

---

(١) سورة البقرة (٢٢٩)

(٢) مسند الإمام أحمد. ٢٧٧/٥.رقم(٢٢٤٣٣). والسنن الكبرى. البيهقي. ٣١٦/٧.رقم(١٥٢٥٨). قال الحافظ: رواه أصحاب السنن ورجاله ثقات.ينظر: الفتح. العسقلاني. ٤٠٣/٩. وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح وضعيف الجامع. ٣٦٧/١٠.

(٣) سورة النساء: (١٩).

(٤) سورة البقرة (٢٣١).

(٥) السنن الكبرى. النسائي. ٣٧٢/٥. رقم(٩١٦٩). وسنن الترمذي. ٢٧٣/٥.رقم(٣٠٨٧). وفي

وورد في صحيح مسلم في باب الفضائل، أنَّ رسول اللهﷺ،((ما ضرب امرأة ولا خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلاّ في سبيل الله، أو تنتهك حرمات الله، فينتقم لله))[1].

٨–حقُّ الأمومة: وهذا الحق يشمل الأب والأمّ، لأنَّهما شريكان في إنجاب الأولاد، وسبب أفرادنا الأمّ هنا، هو ما ورد من النصوص الكثيرة التي تؤكّد على رعاية الأمِّ وتكريمها، ونبَّه على تفرُّدها عن الأب، وقد نبّهتْ نصوص التوراة والإنجيل إلى أهمية الأمِّ، بل ذهب التوراة إلى أعطاء الأمِّ حق إنتساب الأولاد إليها.

وحقوق الوالدين في الشريعة الإسلامية لا مثيل لها في تاريخ الأمم والشعوب، فقد قرنَ القرآن الكريم برَّ الوالدين بعبادة الله،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[3]،

وشدَّد القرآن الكريم على الوصية بالوالدين أوَّلاً، وبمكانة الأمّ ثانياً،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ

لفظ البخاري ومسلم: ((إنَّ أحق ما أوتيتم من الشروط, أن تؤتوا ما استحللتم به الفروج)). صحيح البخاري.باب الشروط في النكاح. ١٩٧٨/٥.رقم(٤٨٥٦). وصحيح مسلم. باب الوفاء بالشروط في النكاح. ١٤٠/٤. رقم(٣٥٣٧).

(١) رواه مسلم في صحيحه. باب مباعدته للآثام. ٨٠/٧. رقم(٦١٩٥).

(٢) سورة الإسراء (٢٣).

(٣) سورة النساء (٣٦).

ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]، ودعا القرآن الكريم إلى طاعة الوالدين، وإلى الإحسان في العشرة والمخاطبة، واحترام الرأي والعمل بقولهما ورعايتهما، وإلزام خدمتهما والدعاء لهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[2]، وحصر عدم الطاعة لهما في حال دعوة الأولاد إلى الشرك بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وورد عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تحثُّ على الإحسان إلى الوالدين، وأفرد ببعض الأحاديث الأمّ، منها: أنَّه سئل رسول الله عن أحق النَّاس بالبرِّ والصحبة؟ فأجاب:((أمّك، قال ثمَّ من؟ قال: أمَّك، قال ثمَّ من؟ قال: أمَّك، قال ثمَّ من؟ قال: أبوك، ثمَّ أدناك فأدناك)) [4]، وعن المغيرة ﷺ أنَّه قالﷺ :((:((إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)) [5].

هكذا حثَّ الإسلام على إكرام المرأة وحسن التعامل معها، ومن جانب آخر،

---

(١) سورة لقمان (١٤).

(٢) سورة الإسراء (٢٣-٢٤).

(٣) سورة لقمان(١٥). وسورة العنكبوت(٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه. باب بر الوالدين. ٨/٢. رقم (٦٦٦٤و ٦٦٦٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه. ٥/٢٣٧٥.رقم(٦١٠٨) و٢/٨٤٨.رقم(٢٢٧٧).والإمام أحمد في مسنده. ٤/٢٤٦. رقم(١٨١٧٢).

فإنَّ الشريعة الإسلامية ميَّزتْ بين الرجل والمـرأة في بعـض الحقـوق والواجبـات، بسبب وجود الفروق الطبيعية القائمة بين الرجل والمرأة، وقد أقام الإسلام هذه الفروق على أساس العدل والفطرة والرحمة، يقول عبّاس محمود العقّـاد: بنيـتْ حقوق المرأة في القـرآن الكـريم علـى أعـدل أسـاس، يتقـرَّر بـه إنصـاف الحـق، وإنصاف سائر النّاس، وهو أساس المساواة بين الحقوق والواجبات[1].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في مكانة المرأة

-وجـوه الاتفـاق: ظلّـتْ المـرأة في الحضـارت القديمـة مهضـومة الحقـوق، ومسلوبة الإرادة، وبعد ظهور الديانات السَّماوية، عادتْ للمـرأة عزَّتهـا وكرامتهـا، بعدما أقّرتْ هذه الديانات بمساواتها الإنسانية مع الرجل، وحصلتْ علـى بعـض الحقوق التي كانتْ محرومة منها، وساوتْ بينها وبين الرجل في كثير من الحقـوق والواجبات، مراعياً في ذلك طبيعتها.

وفي تاريخ الديانات السَّماوية، ظهرتْ شخصـيات نسـوية كـثيرة، لهـا تـأثير ودور فاعل في الدعوة وطلب العلم والعمل والجهاد.

وأقرَّ التوراة بمكانة المرأة ودورها في الحياة، خاصة إذا كانتْ المـرأة أمَّـاً، حيث ورد في التوراة الأمر بإكرام الوالدين، ووضع عقوبات شـديدة للولـد العـاق، وجاء في القرآن الكريم التأكيد على دور الأمِّ ومكانتها العظيمة، حيث ربـط بـين عبادة الله والإحسان إليها.

ومن جهة أخرى، يظهر في الكتـب السَّـماوية أنَّ الرجـل هـو السـيِّد، وبيـده مقاليد الأمور رغم التأكيد على دور المـرأة وأهميّتهـا، ربّمـا بسـبب طبيعـة كـلّ

(١) ينظر : المرأة في القرآن. عبّاس محمود العقّاد. ص٦٢.

منهما، وطبيعة المجتمع، ومتطلبات الحياة التي تحتاج إلى مزيد من الجهد والكدح..

-**وجوه الاختلاف:** من خلال عرضنا لمنزلة المرأة في ضوء نصوص الكتب المقدَّسة، يمكن ملاحظة بعض وجوه الاختلاف في نظرة كلّ منها إلى المرأة:

١- وفقاً لنصوص التوراة، فقد ظهرتْ في التاريخ اليهودي نساء نبيِّات وقاضيات، ووصل بعضهنَّ إلى سدّة الحكم والرياسة، وهذا الأمر غير وارد في التاريخ الإسلامي، وآيات القرآن الكريم لا تقرُّ هذا الأمر.

٢- يؤكّد التشريع التوراتي، أنَّ موانع الزواج تأتي من جهة الأمِّ، وأنَّ الأولاد ينسبون إلى الأمِّ، بينما في الإنجيل والقرآن، تأتي موانع الزواج من الطرفين، وأنَّ الأولاد ينسبون إلى الأب.

٣- ورد في التوراة أنَّ الرجل يستطيع أن يلغي نذور زوجته، وأن يبيع ابنته جارية، وأن تجبرها على البغاء، بينما في القرآن الكريم الرجل لا يملك هذا الحق، حيث تكون للمرأة شخصية مستقلة، ولها مطلق الحرِّية في التصرف في مالها، وليس له الحق في بيع ابنته، وحرَّم القرآن الكريم وأد البنات، وإكراههنَّ على البغاء.

٤- إنَّ ما يلاحظ في نصوص التوراة والإنجيل، أنَّ المرأة مخلوق أقلُّ درجة من الرجل، وأنَّها خلقت لتكون في خدمته، وهذا المفهوم غير وارد في القرآن الكريم، بل تدُل الآيات على أنَّهما متساويان في الخلق والتكوين، وأنَّ لكلٍّ واحدٍ منهما حقوقاً حسب الحاجة، وواجبات حسب القدرة والاستطاعة.

٥- ليس للمرأة اليهودية الحق في تعليم الشريعة، وأن تصبح كاهنة، وأنَّها

غير مكلّفة ببعض العبادات، مثل الحج والصلوات في المعابد، وهذا الإتجاه وارد في الإنجيل أيضاً. أمَّا القرآن الكريم فلا يفرِّق بين الرجل والمرأة في هذه الحقوق، بل على العكس من ذلك، يأمر القرآن الكريم الرجل والمرأة، دون استثناء، بالتفكّر وطلب العلم، وفتح الباب للمرأة المسلمة بأن تصبح عالمة في شؤون الدِّين، وأمور الحياة، وفي الفروض الدِّينية، فليس هناك فرق بين الرجل والمرأة، ولا تحرَّم من أداء واجباتها الدِّينية في المساجد ودور العبادة، بل هي حرَّة في إقامة واجباتها الدِّينية في المسجد أو البيت.

٦- في المفهوم اليهودي والمسيحي، أنَّ المرأة تعتبر من ضمن ثروة الرجل التي يمتلكها، على الرغم ممَّا ورد في التوراة من أنَّ الله خلقها لكي تعين الرجل، ولا يكون وحده. ويلاحظ أيضاً، أنَّ عقوبة المرأة هي أشد من عقوبة الرجل في بعض الجرائم. بينما في الإسلام أنَّ المرأة أكبر من أن تكون سلعة وثروة للرجل، بل هي معينة ومساندة ومكمِّلة للرجل، وهي شريكة في بناء الأسرة وتربية الأجيال، وتعوَّل عليها استمرارية الحياة.

٧- يوجد في الإنجيل موقفان مختلفان عن المرأة، موقف المسيح عليه السلام الذي عامل المرأة على أسس إنسانية، وأعاد لها اعتبارها، ولم يفرِّق بين المرأة والرجل في المعاملة. وموقف بولس الرسول، الذي هو بدوره وقع في تناقض في تعامله مع المرأة، بحيث يؤكِّد في نصوص أنَّ المرأة مشاركة في العمل التبشيري، وأنَّها مباركة من قبل الله، وخاطبها في كثير من رسائله على أنَّها إنسانة لا تقلُّ أهمية عن الرجل، في العمل والكرازة، ونصوص أخرى تخاطبها بالخضوع للرجل، وأنَّها سبب الخطيئة والبلاء الذي وقع على البشرية، وأنَّها محتقرة ويجب ازدرائها.

٨- لقد أفرد القرآن الكريم ببعض الحقوق للمرأة، لم يرد لها مثيل في الكتب السَّماوية الأخرى، ممًّا يعني اهتمام القرآن بالمرأة وإنصافها في إعطاءها حقوقها المشروعة.

المبحث الثاني
الزواج في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: الزواج في التوراة

الزواج عند اليهود أمر إلهي، أو واجب ديني لكلِّ قادر عليه[1]، فضلاً عن إشباع حاجة الرجل والمرأة الطبيعية، أو طبيعة المجتمع البشري الذي يتطلّب الإنجاب والتكاثر، ولهذا ورد في التوراة:((فقال لهم: إثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها)) [2].

فالزواج عند اليهود، فرض على كلِّ يهودي[3]، والسِّن المفروضة للزواج،

---

(١) قصة الزواج والعزوبة في العالم. د.علي عبدالواحد وافي. ص٦.

(٢) سفر التكوين(١:٢٨).

(٣) باستثناء فرقة الحسيديم اليهودية, التي تدعو إلى التبتُّل وعدم الزواج. يقول د.علي عبدالواحد وافي: من أهم ما تمتاز فرقة الحسيديم, فيما يتعلّق بنظام الأسرة, أنَّها تحرِّم الزواج وتوجب التبتُّل والبعد عن النساء. ينظر: اليهود واليهودية. د.علي عبدالواحد.

هي الثالثة عشرة للرجل، والثاني عشرة للمرأة، ومَن بلغ هذا السِّن ولم يتـزوّج، استحقَّ اللّعن، فقد جاء في الفقه الجنائي اليهودي:(إنَّ كلَّ يهودي يجب عليه أن يتـزوَّج، وأنَّ الـذين يبقـون عزّاباً، يتسـبَّبون في أن يتخلّـى الله عـن شـعبه إسرائيل) [1].

وقد شجَّع التوراة على الإكثار من الأولاد، وأكّد أنَّ سعادة الرجل في زوجته وأولاده:((أبناء الإنسان في شبابه كسهام بيد الجبَّار، هنيئاً لمَن يمـلأ جعبته منهم.. ..ومثـل كرمـة مثمـرة تكـون امرأتـك في جوانـب بيتـك، ومثـل أغـراس الزيتون يكون بنوك حول مائدتك)) [2].

وأنَّ الذي يمتنـع عن الزواج والإنجاب، يرتكب خطيئـة كـبرى، عقابهـا إلهـي يصل إلى حدِّ الموت:((وعلم أونـان[3]،أنَّ النسـل لا يكـون لـه، فكـان إذا دخـل على امرأة أخيه أفرغ منيَّه إلى الأرض، لئلاّ يجعل لأخيـه نسـلاً، فاسـتاء الـربُّ بما فعله أونان، فأماته أيضاً)) [4].

إلاَّ أنَّ التلمود قلّل من واجب الأنسال المطلق بما لا يقـل عـن ولـدين، كما

ص٩٨-١٠٠.

(١) الفقـه الجنـائي اليهـودي المـادة (٣٩٣) , نقلاًعـن: أبحـاث في الشـرائع اليهوديـة والنصـرانية والإسلام. فؤاد عبدالمنعم. ص٩٢. والأحكام الشرعية في الأحـوال الشخصـية للإسـرائيليين. م. حاي بن شمعون. ص٧.

(٢) سفر المزامير(٤:١٢٧) و(٣:١٢٨).

(٣) أونان هو أحد أبناء يهوذا بن يعقوب عليه السلام كان له أخ أسمه عير, وكان شريراً, وزوَّجه يهوذا من امرأة إسمها ثامار, ولم يكـن لـه ولـد. وبعـد مـوت عـير, زوَّجهـا يهـوذا مـن أونـان, وفي الشريعة اليهودية أنَّ الأخ يتزوَّج من أرملة أخيه, وإنْ لم يكن للأخ الميِّـت ولـد, فالولـد الأول ينسب إلى الأخ الميِّت, وبسبب ذلك, كان أونان يعزل عند النـزول, فأماتـه الله بسـبب ذلـك, كما أخبر التوراة بذلك. ينظر للتفاصيل: سفر التكوين(٦:٣٨-١٢).

(٤) سفر التكوين(٩:٣٨-١٠).

فعل موسى إذْ كان له ولدان، (جرشوم وأليعازر)[1]، أو صبي وصبية، قياساً على أنَّ الله خلق النَّاس ذكراً وأنثى[2].

وكان اليهود يكرهون إنجاب الأنثى[3]، ويسرُّون بإنجاب الذكور، لأنَّ الذكر يحمل إسم أبيه والأسرة، أمَّا المرأة فتتزوَّج من بيت غريب[4].

ولا تعدُّ المرأة زوجة شرعاً، إلاَّ بعقد الزواج الرسمي، والصَّلاة عند عشرة رجال على الأقل والشاهديْن والمهر، إلاَّ أنَّ المهر لم يكن حقاً خالصاً للزوجة، بل ملكاً لأبيها، بعد الزواج، تصبح المرأة كالقاصر والصبي والمجنون، لا يجوز لها البيع والشراء إلاَّ بإذن زوجها، وأنَّ جميع ما تملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في العقد، وتطالب به بعد موته، أو عند الطّلاق[5].

وحسب التوراة، فإنَّ الأب كان له الحق في أن يختار زوجة لابنه[6]، وأخذ

---

(١) ينظر: سفر الخروج(١٨:٣-٤).

(٢) ينظر: نظام الأسرة . ثروت الأسيوطي. مصدر سابق. ص٢٠٤.

(٣) وكانت هذه العادة موجودة عند عرب الجاهلية, قبل ظهور الإسلام, وجاء القرآن الكريم وأنكر على العرب هذه العادة المنبوذة, قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾. { سورة النحل الأيتان(٥٨-٥٩)}.

(٤) قصة الحضارة . مصدر سابق. ١٤/٣٥-٣٦.

(٥) ينظر: الأديان المعاصرة. راشد عبدالله الفرحان. ص٦١. والعقائد المشتركة. مصدر سابق. ص٢٨١. وتأملات في مكانة المرأة . د.عزِّية. مصدر سابق. ص٣٠. وللتأكيد على وجود هذه الحقائق يراجع قصة حمور بن شكيم في سفر التكوين(١٢:٣٤) , وكذلك قصة يعقوب عليه السلام مع خاله لابان في فدام آرام, سفر التكوين(١٥:٢٩-٣٠). وفي عصر القضاة أصبح المهر معلوماً وهو خمسون شاقل من الفضة. ينظر: سفر التثنية(٢٢:٢٨-٢٩).

(٦) كما فعل يهوذا وأخذ ثامار زوجة لابنه عير. ينظر: سفر التكوين(٦:٣٨).

رأي الطرفيْن في الزواج ليس شرطاً لانعقاد الزواج[1]. وكانتْ المرأة تجبر– إذا مات زوجها –من الزواج بأخي الميِّت[2]، من دون أن يسأل الزوجة إنْ كانتْ راضية أم لا، إذا لم تنجب من زوجها أولاداً، فإذا تزوَّجها أخو الميِّت وأنجب منها الولد، فإنَّه ينسب إلى أخيه الميِّت ويحمل إسمه، وإذا رفض الأخ أن يتزوَّج من امرأة أخيه، فتتقدَّم المرأة وتخلع نعله من رجله، أمام شيوخ بني إسرائيل، وتبصق في وجهه، ويسمَّى هذا الرجل بعد ذلك بـ (المخلوع النعل) [3].

وإذا لم يكن له أخ، تكون المرأة حبيسة في بيت أبيها، ويمنع عليها الاتصال بالرجال، وإنْ فعلتْ، عوقبتْ بالحرق[4].

ولعلَّ السبب في هذا الزواج، أنَّ المرأة تعتبر جزءاً من ثروة الرجل، ومالاً ينتقل بالوراثة، وقد استمر هذا الزواج بين اليهود إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ثمَّ أصدر أحبار اليهود في أمريكا سنة ١٩٦٩م، وفي بريطانيا سنة ١٩٧١م قراراً بتحريم زواج اليبوم(الحاليصاه)، الزواج من أخ الميِّت، بدعوى أنَّه لا يلائم مع الحياة العصرية[5].

ومن ناحية أخرى، فقد ميَّز التوراة بين عوام النَّاس والكهنة في الزواج،

---

(١) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٢١٨/٤. فقد كان يؤخذ أحياناً, رأي الزوجين, لابان أخذ رأي أخته رفقة. ينظر: سفر التكوين(٢٤:٥٧–٥٨) , وأحياناً دون أخذ الرأي, فقد أخذ عيسو امرأتيْن حثِّيتيْن, دون موافقة أبيه إسحاق. ينظر: سفر التكوين (٢٦:٣٤–٣٥).

(٢) ويسمَّى هذا الزواج بزواج اليبوم, أو (الحاليصاه) , وهو زواج المرأة بأخي الزوج إذا مات زوجها, وكانت المرأة تجبر على هذا الزواج, وكذلك أخو الميِّت, للتفاصيل ينظر: سفر التثنية(٢٥:٥–١٠).

(٣) ينظر: سفر التثنية(٢٥:٥–١٠).

(٤) سفر التكوين(٣٨:٢٤–٢٥).

(٥) ينظر: نظام الأسرة . مصدر سابق. ص١٣٦وص٢١٦. وبنو إسرائيل. مصدر سابق. ٢٣١/٤.

حيث خصَّص زواج الكهنة بالعذراء، أمَّا الزانية والمطلَّقة، فلا:((بإمراة زانية أو مدنَّسة فضَّتْ بكَارتها، أو مطلَّقة من بعلها، لا يتـزوج الكـاهن....وعلى الكـاهن أن يأخذ امرأة بكراً من قومه)) [1].

ولا يخفى إجحاف هذه القوانين في حق المرأة، أو الحطّ من كرامتها، وكذلك تمييز الكهنة عن بقية النَّاس.

والزواج بغير اليهود حرام بنَّص التوراة[2]، ورغم هذا التحـريم، فقـد ورد أنَّ معظم أنبياء بني إسرائيل تزوَّجوا من غير اليهود، إبراهيم عليه السلام تزوَّج من هاجر المصـرية، يعقـوب مـن ليئـة وراحيـل، وهـنَّ مـن كنعانيـات، ودان مـن موآبيـة، ويوسـف عليه السلام مـن مصـرية، وزبولـون وموسـى عليه السلام مـن مديانيـة، إلاَّ أنَّ زواج هؤلاء كان قبل نزول التوراة.

المطلب الثـاني: الزواج في الإنجيل

الزواج في المسيحية هـو اقـتران رجـل واحـد بـامرأة واحـدة اقترانـاً شـرعياً لمدى حياة الزوجين، ويتصف بصفتين: استمرارية العلاقة ، وانفراد العلاقة مـع شريك واحد[3]، وهذا الزواج ذو رابطة ثلاثية، فالمسـيح هـو الـرابط بـين الـزوج والزوجة، وإنْ لم يكن المسيح الشخص الثالث بينهما، فإنَّ زواجهما لا يمكـن أن يدعى زواجاً مسيحياً[4].

وورد في العهد القديم دعوة الله إلى آدم عليه السلام ، إلى التناسل والتكـاثر، وكـذلك

---

(١) سفر اللاويين(٢١:١-١٣).

(٢) سفر التكوين(٢٤:١-٦٠). وسفر التثنية(٧:٣). وسفر الملوك الأول(١٦:٣).

(٣) ينظر : روحانية الزواج المسيحي. د.سالم ساكا.ص١٢١.

(٤) ينظر : نفس المصدر. ص٥-٦.

دعوته لنوح وبنيه،((إثمروا واكثروا واملأوا الأرض)) [1]، إلاّ أنَّ المسيحية تحبذ عدم الزواج، وتدعو إلى أن يترهب النَّاس، رجالاً ونساءً، فليس في التشريع المسيحي أصل يدعو إلى الزواج، بل دعا بولس الرسول إلى عدم الزواج، إنْ أمكن:((حسنٌ للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا، ليكن لكلٍّ واحد إمرأته، وليكن لكلٍّ واحدة رجلها....أريد أن يكون جميع النَّاس كما أنا)) [2]، أي بلا زواج.

إنَّ مثل هذه التعاليم، وبهذا الإطلاق، كفيل بهدم الأسرة، وإلحاق الأذى بالمرأة، والمساس بكرامتها، فضلاً عن أنَّ هذه التعاليم تخالف، تماماً، ما ورد في العهد القديم، ولمّا كان هذا الأمر مستحيلاً، أن يترهب النَّاس جميعاً، أُجيز الزواج بواحدة.

واختلفتْ الفرق المسيحية في شأن الزواج لمن ترهبن، فقد ذهب الكاثوليك إلى أنَّ الزواج حرام لمن ترهبن، وذهب البروتستانت إلى جوازه.

وترى المسيحية أنَّ الزواج سرٌّ من أسرار الكنيسة، وأنَّ الله هو الذي يؤسِّس هذا الزواج، وعلى هذا، فالزواج فعل إلهي غير قابل للانفساخ–إلاّ في حالة الزنا–ويبقى غيرخاضع لاعتبارات أخرى، مثل: الإنجاب أوعدمه، فبالزواج يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً، متساويين في الحقوق والواجبات، فلا يخضع أحدهما للآخر:((ومن أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، والذي جمعه الله لا يفرِّقه الإنسان)) [3].

ويرون أنَّ بركة الكنيسة إلزامية، لإقامة الزواج، ويكون الزواج صحيحاً إذا

---

(١) سفر التكوين (١:٢٨ و١:٩).

(٢) رسالة كورنثوس الأولى (٧:١–٧).

(٣) إنجيل متى (١٩:٣–٦). ومرقس (١٠:٦–٩).

أقرَّته القوانين الكنَسية والمدنية[1].

أمَّا بالنسبة للأرامل، فقد قال بولس:((لا تُكتب امرأة في سجل الأرامل، إلاّ التي بلغتْ ستين سنة، ولم تتزوج غير مرة واحدة، أمَّا الأرامل الشابات، فلا نقبلهنَّ، فإنهنَّ إذ أعتاهنَّ الترق عن المسيح، رغبنَ في الزواج واستوجبنَ القضاء لأنَّهنّ نقضنَ عهدهنَّ الأول)) [2]. وتعلّق الترجمة الكاثوليكية على هذا النَّص: دعا بولس الأرامل، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: ((وأقول لغير المتزوجين والأرامل إنَّه خير لهنَّ أن يبقوا مثلي)) [3]، أي الامتناع عن الزواج، ولكن الخبرة علمته بأنَّه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوَّجنَ[4].

المطلب الثالث: الزواج في القرآن الكريم

لقد جعل الإسلام، وفقاً لآيات القرآن الكريم، الحفاظ على النوع الإنساني، وبقاء النسل والتوالد، وحفظ النسب، وتكوين الأسرة، من الضروريات. وهذه الأمور لا تتمّ إلاَّ من خلال الزواج الصحيح، والعلاقة الجنسية المشروعة، ولهذا وغيره من الأمور وضع الفقهاء قاعدة: (ما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به، فهو واجب) [5]، ولكن وجوب الزواج في الإسلام ليس فرض عين، وإنَّما توجبه الضرورات، ومجمل الآيات والأحاديث في هذا الجانب، تحمَّل على الترغيب والإستحباب، حيث هناك ترغيب في الزواج وكثرة النسل، ولم يحرِّمه الإسلام في حق أحد، ولم

---

(١) ينظر : العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل. مصدر سابق .ص٢٢١–٢٢٣.

(٢) رسالة ثيموثاوس الأولى (٥:٩–١٢).

(٣) رسالة كورنثوس الأولى (٧:٨–٩).

(٤) ينظر : العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل .مصدر سابق .ص١٧٤.

(٥) القواعد والفوائد الأصولية. ابن اللحام الحنبلي. ص١٠٢. ونيل الأوطار. الشوكاني. ٢/٢٢٩. والفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة. ٢/٤١.

يستحب تركه، أو يأثم من تركه، بل الزواج متروك للرغبة والقدرة والإمكانيات المادِّية والمعنوية للشَّخص، وقد ورد عن ابن مسعودﷺ أنَّه قال: قال الرسول ﷺ:((يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة[1]، فليتزوّج، فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنَّه له وجاء[2]))[3]

والقرآن الكريم يدعو إلى الزواج في آيات عديدة منها، قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[5].

وذكر القرآن الكريم أنَّ الله خلق الإنسان من نفس واحدة، ثمَّ خلق منها زوجها، ومن هذيْن الزوجين جاءتْ البشرية، من خلال العلاقة بين الذكر والأنثى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

---

(١) الباءة: النكاح والتزويج. ينظر: لسان العرب. ١/١٧٤, مادة(بوأ). أو مؤن الزواج وتكاليفه, والأصحُّ أنَّه الجماع, وتقدير الكلام: مَن استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه, فليتزوَّج. ينظر: حاشية إعانة الطالبين. الدمياطي. ٣/٢٩٧. والوجيز في الفقه الإسلامي. د.وهبة الزحيلي. ٣/ ٢٧.

(٢) الوجاء: الخصيُّ. وهو رضُّ الأنثيين, وضعف شهوة النكاح. ينظر: لسان العرب. ١٥/ ١٦٤.مادة(وجا).

(٣) رواه البخاري في صحيحه. باب قول النبيﷺ.... ٥/ ١٩٥٠. رقم(٤٧٧٨). ومسلم في صحيحه. باب إسحباب النكاح. ٤/١٢٨. رقم(٣٤٦٤).

(٤) سورة النور(٣٢).

(٥) سورة النساء(٣).

مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، وجعل بين الجنسيْن من المودَّة والرَّحمة ما يدعم استمرارية العلاقة، بل علّل أنَّ هذه العلاقة، من خلال الزواج، يزيل الوحشة ويجلب السكينة والطمئنينة والتقارب والتآلف بين الجنسين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وعلى هذا، فالزواج في الإسلام مشروع، والحكمة منه هو العفّة والحفاظ على النوع الإنساني وحفظ النسب وتكوين الأسرة والمجتمع، وبناءً على هذا، وبحسب قواعد أصول الفقه يكون لمشروعية الزواج أحكام خمسة[3]: فقد يكون **فرضاً**، إذا تيقّن الإنسان الوقوع في الحرام لو لم يتزوّج، وكان قادراً على نفقات الزواج. وقد يكون **حراماً**، إذا تيقّن الرجل ظلم المرأة والإضرار بها إذا تزوّج، بسبب عجزه عن تكاليف الزواج. وقد يكون **مكروهاً**، إذا خاف الشخص الوقوع في الجور، خوفاً لا يصل إلى مرتبة اليقين إذا تزوّج لعجزه عن الإنفاق، أو فتور الرغبة في النساء، أو إساءة العشرة. وقد يكون **مستحبّاً أو مندوباً**، في حال الاعتدال، بحيث لا يخشى الوقوع في الزنا إذا لم يتزوّج، ولا يخشى أن يظلم المرأة إذا تزوّج. وقد يكون **مباحاً**، إذا أراد التفرُّغ للعبادة، أو الاشتغال بالعلم، لأنَّ العلم أفضل من الزواج[4]، وقد مدح الله يحيى عليه السلام لتركه الزواج،

---

(١) سورة النساء(١).

(٢) سورة الروم(٢١).

(٣) ينظر: مغني المحتاج. الشربيني. ٣/١٢٦. وإعانة الطالبين. الدمياطي. ٤/٣٤. والحاوي الكبير. الماوردي. ٩/٧٠. والوجيز في الفقه الإسلامي. مصدر سابق. ٣/٢٧.

(٤) رجّح الإمام النووي كون الزواج أفضل من تركه, لمَن لم يشتغل بالعبادة, فإن لم يتعبَّد فالنكاح

والاشتغال بالعبادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]، والحصور: الذي لا يأتي النِّساء، لأنَّه حبس عن النكاح ومنع، أو الذي لا يشتهي النِّساء ولا يقرِّبهنَّ مع القدرة على اتيانهنَّ[2].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في أمر الزواج

تتفق شريعتا التوراة والقرآن في الترغيب والدعوة إلى الزواج، وإكثار الأولاد، وأنَّه أمر ضروري لقيام المجتمع، إلاَّ أنَّ الشريعة التوراتية تجعل من الزواج أمراً إلهياً واجباً على كلِّ يهودي، والذي يتخلَّى عن الزواج، يستحق الموت، أويستحق أن يتخلَّى الله عنه. أمَّا الإسلام، فقد ترك أمر ذلك للحاجة والضرورة والإمكانيات، وأنَّ أحوال الزواج تختلف باختلاف الأحوال، دون أن يترتَّب على مَن يترك الزواج أيَّ عقاب. والمسيحية تحبِّذ عدم الزواج، فليس هناك نصٌّ يدعو إلى الزواج والترغيب فيه، بل بولس الرسول يدعو أتباعه إلى أن يكونوا مثله، أي لم يتزوجوا، وأكّد أنَّ الزواج سرٌّ من أسرار الكنيسة، وأنَّ الله هو الذي يؤسِّس هذه العلاقة، ومن جهةٍ أخرى، حرَّم بولس على الأرامل الزواج، واستحب لهنَّ الترهبن.

أفضل. ينظر: مغني المحتاج. ٣/١٢٦.

(١) سورة آل عمران(٣٩).

(٢) لسان العرب. ٤/١٣٩.مادة (حصر).

المبحث الثالث
تعدّد الزوجات في الكتب السماوية

المطلب الأوّل: تعدّد الزوجات في التوراة

تخبرنا الروايات التاريخية أنَّ معظم الشعوب مارسوا التعدد، المصريون، الفرس، العرب، وغيرهم من الشعوب البدائية، وكذلك أصحاب الديانات السَّماوية، وعلى الرغم من وجود التعدّد بين الشعوب، فقد اعتبروا نظام تعدّد الزوجات نظاماً بدائياً، ناقصاً لحال المرأة وانحطاطاً من قيمتها، وتحرير المرأة منه، إنَّما هو خطوة في سبيل تقدمها. وقد كان مبدأ تعدّد الزوجات شائعاً عند اليهود، ولم يرد نصٌّ بتحريمه، أو تحديده. لا في العهد القديم، ولا في التلمود، بل أجازه وأباحه.

فقد كان لليهودي أن يأخذ من النِّساء ما طاب له، بلا قيد أو شرط[1]،

---

(١) ينظر: العقائد المشتركة. خالد رحّال. مصدر سابق. ص٢٨٢.

وقد مارسوا التعدّد لرغبتهم في كثرة الأولاد، لأنَّ التوراة يأمرهم بالإكثار[1] من الأولاد.

والتوراة يؤكّد أنَّ الأنبياء عليهم السلام، قد تعدَّدوا دون قيود، يتفاوت بين القلَّة والكثرة. فقد ورد أنَّه:((صار لجدعون[2]، سبعون ابناً خرجوا من صلبه، لأنَّه تزوَّج نساءً كثيرات)) [3].

وأنَّ داود عليه السلام (ت٩٦٠ق.م)، قد تزوَّج نساءً كثيرات، دون الإماء والسراري[4]، وكان لسليمان عليه السلام (٩٦٠-٩٢٢ق.م)، حسب ما ورد في التوراة:((سبع مائة زوجة من الأميرات، وثلاث مائة جارية، فأزاغتْ نساؤه قلبَه)) [5]، وتزوّج رحبعام بن سليمان(٩٢٢-٩١٥ ق.م) نساء كثيرات:((وكان له ثماني عشرة زوجة وستون جارية)) [6].

وظلَّ تعدُّد الزوجات مباحاً عند اليهود، ولكن في القرون الوسطى ظهر الحاخام جرشوم بن يهوذا[7]، فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود،

---

(١) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٢٣٤/٤. وتنظيم الأسرة . الشيخ محمد أبو زهرة. ص٦.

(٢) هو جدعون بن يوآش, كان مزارعاً جبَّاراً, فأوحى الله إليه وأصبح نبيّاً، بعدما أذّل المديانيون بني إسرائيل, وأذاقوهم مرَّ العذاب, فجمع جدعون بني إسرائيل وقادهم في معارك مع المديانيين حتَّى انتصروا عليهم. ينظر: سفر القضاة الإصحاحان(٦و٨).

(٣) سفر القضاة(٣:٨).

(٤) سفر صموئيل الأول(٢٧:٢٨) و(٣٩:٢٥-٤٣). وسفر صموئيل الثاني(١٣:٥).

(٥) سفر الملوك الأول(٣:١١).

(٦) سفر أخبار الأيّام الثاني(٢١:١١).

(٧) جرشوم بن يهوذا(٩٦٠-١٠٤٠م) هو فقيه ومفسِّر يهودي, ولد في مدينة ميتس بأقليم اللورين في شمال شرق فرنسا, وتوفي في ألمانيا, يُعدُّ من أهم المفكرين الدِّينيين اليهود بلا منازع. ينظر: موسوعة اليهود في موقع: www.thawabojuba.org|static . تاريخ الدخول

بسبب ما كان يلاقيه الجاليات اليهودية في أوروبا من احتقار واضطهاد لوجود تعدُّد الزوجات، حيث جاء في الفقه الجنائي اليهودي: تعدُّد الزوجات وإنْ كان جائزاً، إلاَّ أنَّ الرّاب جرشوم حرَّمه، لضيق أسباب المعيشة هذه الأيّام، والتي أصبح أمر القيام بلوازم المرأة الواحدة غير هيِّن، ولا يخلو من صعوبة[1].

المطلب الثاني: تعدّد الزوجات في الإنجيل

أجمعتْ الطوائف المسيحية على أن يقتصر الزواج على واحدة، ولا بدَّ من اتحاد الدِّين والمذهب، فلا يتمُّ الزواج بين الطوائف المختلفة، وأكثرهم تشدُّداً في هذا الأمر الأرثوذكس، وخالفهم المذهب الكاثوليكي[2]، ولكن الكنيسة لم تبطل الزواج إلاَّ عند اختلاف الدِّين، وهي وإنْ كانت تحرِّم ذلك دينياً، إلاَّ أنَّها تبيحه قانوناً[3].

أمَّا تحريم تعدُّد الزوجات عند المسيحيين، فقد كان لرجال الكنيسة من الكهنة والقساوسة فحسب، قياساً على ما ورد في التوراة في حق الكهنة، فقد جاء: ((فعلى الأسقف أن يكون منزَّهاً عن اللَّوم، زوج امرأة واحدة....وعلى الشمامسة أن يكون كلُّ واحدٍ منهم زوج امرأة واحدة)) [4]، وهذا يعني أنَّ

في الموقع: ٢٦/٧/ ٢٠١١.

(١) الفقه الجنائي اليهودي المادة (٣٩٥) , نقلاً عن: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام. مصدر سابق. ص٩٣-٩٤.

(٢) ينظر : أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود من المصريين. عبدالناصر توفيق العطّار. ص١٠٢.

(٣) ينظر : الأديان المعاصرة. مصدر سابق. ص٦٣.

(٤) رسالة تيموثاوس الأولى (٣:٢, ١٢).

الزيادة على الواحدة لغير الأسقف والشمامسة جائزة، لأنَّ التعدُّد لم يحـرَّم علـى غيرهم من المسيحيين إلاَّ في وقت لاحق[1].

وهذه الصيغة الموجودة في الأناجيل، تعني بداهة أنَّ الاقتصار علـى امـرأة واحدة إنَّما هومتعلـق بطبيعـة الأكلـيروس[2]، أمَّـا الآخـرون وبقيـة الشـعب، فـلا يخضعون لنظام الزوجة الواحدة، وبالتـالي فـإنَّ لهـم نظامـاً آخـر يسـمح بتعـدُّد الزوجات، سواء زوجات أو سراري، لأنَّه لم يرد نصٌّ صريح يحرِّم التعدُّد[3].

وذهب أحمد عبدالوهاب إلى أنَّ تعاليم المسيح المتعلِّقـة بـالزواج والطَّـلاق، ليس ملزماً التقيُّد بها، بل حسب استطاعة النَّاس واستحسانهم[4]، ودليلـه قـول المسيح بعد أن ذكر أمر الزواج والطلاق:((....مـن اسـتطاع أن يقبـل فليقبـل)) [5].

ولايخفى أنَّ دعوة بولس إلى عـدم الـزواج واستحسـانه للتبتُّـل، والاقتصـار

---

(١) الأديان المعاصرة. مصدر سابق. ص٦٣.

(٢) الأكليروس مصطلح جديد ظهر في بداية القـرن الثـامن عشـر, كـان يطلـق علـى رجـال الـدِّين المسـيحي, بعـد أن أخـذ التجديـد يعطـي ثمـاره, بحيـث قضـت المسـيحية علـى معظـم الإمبراطوريات الغربية, وفتحت الكنيسة الباب أمام رجال السياسة الـذين فقـدوا ملكهـم, مـن الملوك والنبلاء, ليدخلوا السلك الديني, فأصبحت الكنيسة تقاد من قبل رجال الدِّين ورجال السياسة, فأطلق على هذا الخليط إسـم: (الأكلـيروس). ينظـر: موسـوعة الأديـان في العـالم- المسيحية- ص١٦٩.

(٣) ينظر : تعدُّد زوجات الأنبيـاء ومكانـة المـرأة . أحمـد عبـدالوهاب .ص١٤٣. وبـين الإسـلام والمسيحية. أبي عبيدة الخزرجي. تحقيق وتعليق د.محمد شامة . ص٨٠.

(٤) تعدُّد زوجات الأنبياء ومكانة المرأة. نفس المصدر. ص١٤٣.

(٥) إنجيل متى(١٩:١٢).

علـى الزوجـة الواحـدة، والـدعوة إلى عـدم الـزواج بعـد الطّـلاق، أدَّتْ إلى انتشـار الرهبنـة، وشيوع الإحتقار والإزدراء والاستغلال البشع لحقـوق المـرأة، وإلى علـو أصوات القائلين أنَّ المرأة ما هي إلاَّ رجس الشيطان تسير بين النَّاس[1].

(١) ينظر: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام . محمود عبدالسميع شعلان .ص٤١٩.

المطلب الثالث: تعدّد الزوجات في القرآن الكريم

إنَّ نظام تعدُّد الزوجات ليس من اختراع الإسلام، بل كان نظاماً سائداً في شعوب كثيرة قبل ظهور الإسلام، عند اليهود وعرب الجاهلية والهنود، والزرادشتيين[1]، وعند الشعوب الأوروبية قبل ظهورالمسيحية، وحتَّى في المسيحية فليس هناك نصٌّ يحرِّم التعدُّد[2].

ولسنا بصدد بيان العوامل الطبيعية التي تبرِّر التعدُّد، كما جاء به الإسلام، وإنَّما الهدف هو أن نثبت أنَّ التعدُّد ليس هضماً لحقوق المرأة وإهداراً لكرامتها، وإنَّما هو حكم الله في الحاجة التي تقتضيه الطبيعة البشرية، وأنَّ الإسلام قد نظَّم التعدُّد ووضع له شروطاً وضوابط شرعية، تمنع هضم حقوق المرأة إذا طبِّقتْ هذه الشروط والضوابط.

ويلاحظ أنَّ نظام الزوجة الواحدة كان سائداً في الشعوب الأكثر تأخُّراً وبدائية، ولم تتقدم عن بدائيتها، وهي تعيش على الصيد، وما تجود به الطبيعة، وحديثة العهد بالزراعة، في حين أنَّ نظام التعدُّد بدى واضحاً لدى الشعوب التي قطعتْ شوطاً كبيراً في الحضارة، وتجاوزتْ مرحلة الصيد[3].

وجاء الإسلام وحدَّد التعدُّد في حدود أربع زوجات، وقيَّده بالعدالة،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾[4].

وذهب مجمع البحوث الإسلامية إلى أنَّ تعدُّد الزوجات مباح بصريح القرآن

---

(١) ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. ص١٣٦.

(٢) ينظر: المرأة بين الفقه والقانون. د.مصطفى السباعي. ص٧٤.

(٣) ينظر : حقوق الإنسان. د.علي الوافي. مصدر سابق. ص١٤١

(٤) سورة النساء (٣).

وبالقيود الواردة فيه[1].

وذهب الشيخ محمد المديني[2]، إلى إضافة قيد آخر، وهو قيد الضرورة[3]، التي تقتضيه سياق الآية في الخوف من عدم العدالة في اليتامى، والحقيقة أنَّ الإسلام لم ينشئ التعدُّد، وإنَّما نظَّمه وحدَّده، ولم يأمر بالتعدُّد، وإنَّما رخصَّ فيه وأباحه وقيَّده بالعدالة[4]، والذين يأخذون حكم الله في الإباحة، يجب أنَّ يلزموا أنفسهم بحكم الله أيضاً في العدالة[5]، والتعدُّد مباح ولكن ليس كلُّ مباح مطلوباً تحقيقه[6].

والعدالة التي أوجبها الإسلام على الزوج أن يحقِّقها بين زوجاته، هي العدالة التي يستطيع الإنسان بطبيعته أن يعدل فيها، في الأمور المتعلقة بالمأكل والمشرب والمسكن والملبس والمبيت والمعاشرة، أمَّا العدالة المتعلقة

---

(١) مجمع البحوث الإسلامية –القاهرة. سنة ١٩٦٥م. (تعدد الزوجات في الإسلام).

(٢) هو محمد محمد المديني(١٩٠٧–١٩٦٨م) , عالم أزهري وهو أوّل مَن أدخل دراسة القانون والفقه الشيعي في كلّية الشريعة بالأزهر, وله مؤلفات عديدة في مجالات الشريعة المختلفة, وحاول ربط دراسة علم النَّفس بالأديان. ينظر موقع: -http||almadany.com|cv ar.php. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١١/٧/٢٧.

(٣) ذهب الشيخ محمد محمد المديني إلى أنَّ القرآن لا يقيِّد جواز التعدُّد في العدالة فحسب, بل يقيِّده كذلك بالضرورة التي تقتضيه, والتي صرَّحت بها الآية, أو ضرورة أخرى تشبهها وتقاس عليها. ينظر: المجتمع الإسلامي كما تنظِّمه سورة النِّساء. محمد محمد المديني. ص٢٦٢–٢٧٦. إلاَّ أنَّ العلماء ردُّوا عليه وقالوا بأنَّ هذا الوجه يجعل تركيب الآية ركيكاً, ولا يتفق مع الأساليب السليمة للّغة العربية, ولا يتضمّن حلاً سليماً لمشكلة التعدُّد. ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة. مصدر سابق. ص١٧٥–١٧٦. وحقوق الإنسان.د. علي الوافي. مصدر سابق. ص١٣٣–١٤٠.

(٤) في ظلال القرآن. سيد قطب. ٥٨٢/١.

(٥) تفسير الشعراوي. الشيخ محمد متولي الشعراوي. ٢٠٠٩/٤.

(٦) موسوعة الفقه الإسلامي. د.وهبة الزحيلي. ٥٠١/٢.

بالقلب(المحبَّة القلبية)، والتي لايستطيع الإنسان أن يعدل فيها، كالميل النفسي والحبِّ، فهي غير مقصودة في الآية، لأنَّها ليست بمقدور الإنسان، ولا هو مكلَّف بها، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾[1]، وقد أكَّد الرسول ﷺ أنَّ الميل القلبي لا يملكه الإنسان، جاء عن عائشة رضي الله عنها، أنَّه ﷺ قال:((اللَّهم هذا قَسْمي فيما أملك، ولا تلمني فيما تملك ولا أملك)) [2]. ولكن حتَّى في الميل القلبي يجب مراعاة الجانب النفسي للزوجات، بحيث لا يظهر ابتسامة لأحداهنّ ويعبس في وجوه الأخريات.

وذهب طائفة من المسلمين إلى إلغاء التعدُّد[3]، وزعموا أنَّ القرآن نفسه يحرِّم التعدُّد، واستدلوا بالآية التي تبيح التعدُّد، والآية التي تقول:﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾[4]، وقالوا في تفسير الآيتين: إنَّ الله قد أباح التعدُّد ولكنَّه اشترط

---

(١) سورة البقرة (٢٨٦).

(٢) مسند الإمام أحمد. ١٤٤/٦. رقم(٢٥١٥٤). قال شعيب: رجاله ثقات غير حماد بن سلمة. والسنن الكبرى. البيهقي. ٢٩٨/٧.رقم(١٥١٤٢). وسنن أبي داود. ٢٠٨/٢.رقم(٢١٣٦). وسنن الترمذي. ٤٤٣/٣. رقم(١١٤). قال الألباني في تعليقه على سنن أبي داود : حديث ضعيف.ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داوود. ١٣٤/٥.

(٣) قال الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه الديمقراطية وحقوق الإنسان، ص٢٣٧: (إنَّ إلغاء التعدُّد اليوم من الأمور التي تقبل التفكير فيه, في ضوء مبدأ المساواة في الإسلام, بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات, ما دام العدل أمراً صعباً, إنْ لم يكن مستحيلاً, وإلغاء تعدُّد الزوجات لن يكون مناقضاً لتعاليم الإسلام). إلاَّ أنَّ هذا الرأي لا يتفق مع مفهوم الآية التي تبيح التعدّد، بالإضافة إلى إمكانية تحقيق العدالة المطلوبة، التي ربطتْ الآية بها التعدّد، في الأمور غير القلبية.

(٤) سورة النساء (١٢٩).

لإباحته العدل بين الزوجات، ثمَّ ذكر في الآية الثانية أنَّ هذا العدل متعذِّر ومستحيل، فتكون النتيجة، أنَّ التعدُّد حرام!.

وهل من المعقول أن يبيح القرآن الكريم التعدُّد، ثمَّ يشترط لإباحته شرطاً يستحيل تحقيقه؟، وإنَّما المعقول أن يكون العدل الذي كُلِّفوا به بين الزوجات، مقصوراً على الأمور التي تخضع لإرادة الإنسان، ويستطيع البشر أن يعدلوا فيها، في الأمور المادية والمعنوية، أمَّا الأمور القلبية، فليس بمقدور الإنسان العدالة فيها، وهذا الجانب هو المقصود بالآية ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ... ﴾. قال ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) في تفسير هذه الآية، عن ابن عباسﷺ: أنَّ العدل المشار إليه في هذه الآية، هو العدل في الحبِّ والجماع[1].

وقد شرح هذه الحقائق الشيخ محمود شلتوت(١٨٩٣-١٩٦٣م) بقوله: وقد يكون من أعجب ما استنبط من هذه الآيات، أنَّها تدل على أنَّ التعدُّد غير مشروع، بحجة أنَّ العدل جعل شرطاً فيه، بمقتضى الآية الأولى، وأنبأت الآية الثانية أنَّ العدل غير مستطاع، وبذلك يصبح الحال: يباح التعدُّد بشرط العدل، والعدل غير مستطاع، فلا إباحة للتعدُّد، وهذا عبث بآيات الله وتحريف لها عن مواضعها، فما كان الله ليرشد إلى تزوُّج العدد من النِّساء، عند الخوف من ظلم اليتامى، ويضع العدل شرطاً في التعدد، بأسلوب يدل على استطاعته والقدرة عليه، ثمَّ يعود وينفي استطاعته عليه. إذن فتخريج الآيتين، الذي يتفق وجلال التنزيل وحكمة التشريع، ويرشد إليه سياقهما، أنَّه فهم في الآية الأولى أنَّ العدل بين الزوجات واجب، وتبادر إلى النفوس أنَّ العدل بإطلاقه ينصرف إلى معناه

(١) فتح الباري. العسقلاني. ٣١٣/٩.

الكامل، الذي لا يتحقق إلاّ بالمساواة في كلِّ شيء، ما يملك ومالا يملك، فتحرَّج المؤمنون بذلك، وحقَّ لهم أن يتحرَّجوا، لأنَّ العدل بهذا المعنى الذي يتبادر إلى أذهانهم، غير مستطاع، فجاءت الآية الثانية ترشد إلى العدل المطلوب في الآية الأولى، وترفع عن كاهلهم هذا الحرج الذي تصوروه....وبهذا يتضح جليّاً أنَّ الآية الثانية تتعاون مع الآية الأولى على تقرير مبدأ التعدُّد[1]. وبعد هذا البيان في المقصود من العدل في الآيتين، فإذا خاف الشَّخص من عدم العدل بين الزوجات، حرَّم عليه أن يتزوَّج بأكثر من واحدة[2].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في تعدُّد الزوجات

إنَّ نظام تعدد الزوجات كان موجوداً عند معظم شعوب الحضارات القديمة، قبل ظهور الديانات السَّماوية، وبقي هذا النِّظام سارياً عند اليهود، ولم يقيِّده التوراة، ولم يرد نصٌّ بتحريمه أو تحديده، وظلَّ هذا التعدُّد موجوداً حتّى القرون الوسطى، ثمَّ حرَّمه بعض أحبار اليهود، بسبب ما كانوا يلاقونه من المهانة والذل والإزدراء في المدن المسيحية في أوروبا، أي أنَّ تحريمه جاء نتيجة ظروف اجتماعية قاهرة.

وفي المسيحية رغم أنَّه لا يوجد في الأناجيل ما يحرِّم أو يحدِّدْ التعدد، إلاَّ أنَّ المسيحيين مجمعون على الاقتصار على زوجة واحدة، وخاصة الكهنة، وأكَّد بولس استحسانه للتبتُّل وعدم الزواج، وإلاَّ فإنَّه يجب الاقتصار على واحدة.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة. د.مصطفى السباعي. مصدر سابق. ص١٧٢–١٧٥.

(٢) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي. د.وهبة الزحيلي. ٥٠٨/٢. وتعدّد الزوجات في الإسلام. د.محمد الزهراني. ص٢. منشور في موقع المشكاة: www.mishkat.net.. تاريخ الدخول في الموقع: ١٠/٥/ ٢٠١١م.

وبعد ما جاء الإسلام، تغيَّر الموقف من التعدُّد، حيث رخَّص القرآن الكريم فيه، ولم يأمر بالتعدُّد، بل حدَّده في أربع زوجات، وقيَّد هذه الرخصة والإباحة بتحقيق العدالة بين الزوجات، وجعل العدالة المطلوبة منحصرة في الأشياء المادية التي يستطيع الإنسان أن يعدل فيها، أمَّا الميل القلبي، فليس مطلوباً، لأنَّه ليس بمقدور الإنسان.

ورغم ذلك، نرى أنَّ الإسلام متَّهم بسبب إباحته للتعدُّد، ولا يتهمون اليهودية التي إباحته دون قيد أو شرط، أو المسيحية التي منعته دون سبب معقول، بل ضربتْ المطالب والحاجات الإنسانية عرض الحائط.

ونقول: إنَّ التعدد الذي أباحه الإسلام ليس طعناً في كرامة المرأة، بل استجابة لطبيعة وحاجة الإنسان، وأيُّها أعدل وأقرب إلى العقل والمنطق، التعدُّد اليهودي دون قيْد أو شرط ، أوالتحريم المسيحي، أم الإباحة في حدوده وقيوده المعروفة في الإسلام؟ ولا يشكُّ عاقل متأمِّل أنَّ الأخير هو اللائق بالأخذ والقبول.

المبحث الرابع
الطّلاق في الكتب السّماوية

المطلب الأوّل: الطّلاق في التوراة

الطّلاق مكروه في ضوء التوراة حيث جاء: ((...فاحذروا ولا يغدر أحد بامرأة شبابه، فمَن أبغض فطلّق، قال الرَّبُّ إله إسرائيل، يلبس لباس العنف، فاحذروا ولا تغدروا)) [1]، وبالمقابل أباح التوراة الطّلاق، واشترط أن يكون أمام الشهود، وأن يكون موثّقاً في أوراق:((إذا تزوَّج رجل بامرأة، ولم يجد حظوة عنده، لعيب أنكره عليها، فعليه أن يكتب لها كتاب طلاق، ويسلّمه إلى يدها ويصرفها)) [2]، ولم يذكر التوراة أي حقٍّ لها على زوجها بعد الطّلاق.

وحسب ما ورد في الأناجيل، فإنَّ المسيح عليه السلام أجاب الذين سألوه عن سبب إباحة الطّلاق عند اليهود، أنَّ موسى عليه السلام أباح الطّلاق بسبب قساوة اليهود تجاه الزوجات حيث جاء:((فقال لهم يسوع: لقساوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية، فمن بدأ الخليقة جعلهما الله ذكراً وأنثى..فيصير الاثنان جسداً واحداً..وما جمعه الله لا يفرِّقه الإنسان)) [3].

ولم يجعل التوراةُ الطّلاقَ بسبب الزنا– كما في المسيحية– لأنَّه لا بقاء لزانية بعد زناها، إذ لها الرجم حدّاً [4]، ووفق الشريعة اليهودية، فإنَّه ليس للمرأة أن تطلب الطّلاق، مهما كانتْ عيوب زوجها، وحتّى لو ثبت عليه الزنا، وفي حالة

---

(١) سفر ملاخي(٢:١٥–١٦).

(٢) سفر التثنية(١:٢٤).

(٣) إنجيل متى(١:١٩–١٢). ومرقس(١١:١٠–١٢). ولوقا(١٨:١٦).

(٤) شرح أحكام التوراة. مصدر سابق. ص٤٨٦.

بقــاء الزوجــة عشــر ســنوات ولم تنجــب أولاداً، يجــب علــى الــزوج أن يطلّــق زوجته[1].

وبوسع الرجل اليهودي أن يطلّق زوجته لأتفه الأسباب، لأنَّ الطّلاق بيده، ولأنَّ كلمة(عيب)–الوارد في النَّص– كلمة غامضة، حيث يمكن تأويله بسهولة، وأنَّه يستطيع أن يطلّـق زوجتـه، إذا رأى زوجـة أجمـل منهـا، أو عصـتْ أوامـر الشريعة، أوسارتْ أمـام النَّـاس عاريـة الـرأس، أو غزلـتْ الخـيط في الطريـق، أو كانتْ عالية الصوت[2]، ويعلّق الدكتور حسن ظاظا على كيفية الطّلاق وحقيقتـه عنـد اليهـود ويقـول: إنَّ الطّـلاق في التـوراة حـقٌّ موضـوع بيـد الرجـل وحـده، يسـتعمله بـلا قيـد أو شـرط، وكـان الاسـتعمال اللّغـوي نفسـه، لا يعـرف كلمـة الطّلاق، وإنَّما يستعمل كلمة(طرد) [3].

وقبول المرأة الطّلاق ليس شرطاً، ولا يعلّق الطّلاق على دفع حقوق المرأة، إذا كان معسراً، والمرض لا يمنع الطّلاق، حتَّى لو كان مرض الموت[4].

والزوجة المطلّقة يجوز لها أن تتزوَّج من رجل آخر، ولا يحـق لهـا أن تعـود إلى زوجها الأول، حتَّى لو طلّقها الرجل الثاني، أو مات:((....ومتى خرجتْ مـن بيت زوجها، وصارتْ لرجل آخر، فـإنْ أبغضـها الرجـل الآخـر وكتـب لهـا كتـاب طـلاق...أو مـات الرجـل الآخـر، لا يقـدر زوجهـا الأول الـذي طلّقهـا، أن يعـود ويأخذها بعد أن تنجَّستْ)) [5]، ولا يجـوز للرجـل اليهـودي أن يطلّـق زوجتـه في

---

(١) ينظر: الطّلاق في الشريعة الإسلامية والقانون. د.أحمد الغندور. ص٢٤.

(٢) ينظر: قصة الحضارة. مصدر سابق. ٣/٣٧٥.و ٤/٣٣–٣٤. ونظام الأسرة. مصدر سابق. ص١٦١–١٦٢. والمرأة عبر التاريخ. مصدر سابق. ص٣٥.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي –أطواره ومذاهبه– د.حسن ظاظا. ص١٩٥.

(٤) ينظر: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام. محمود عبدالسميع. ص٤٧٠.

(٥) سفر التثنية(٢٤:١–٥).

حالتيْن: **الأولى:** إذا ادّعى أنَّ زوجته ليستْ بكراً، فعلى أبيها وأمِّها أن يأخذا علامة بكّارتها إلى شيوخ المدينة، ويبسطا الثوب أمامهم، الذين عليهم أن يؤدِّبوا الزوج ويغرِّمونه مائة من الفضة، لتعطى لوالد الزوجة، وتكون له زوجة، ويمنع تطليقها كلَّ أيّام حياته. **الثانية:** إذا كانتْ الفتاة عذراء، وعاشرها الرجل قبل الزواج منها، يلتزم بأن يسلِّم إلى أبيها خمسين من الفضة، وأن يتزوَّجها، ولا يطلِّقها كلَّ أيّام حياته[1].

وهكذا كان ينظر إلى المرأة على أنَّها مال موروث للرجل، يحق له أن يطلِّقها في أي وقت شاء، وليس لها حق في وراثته، بل زوجها يرثها:((....فيسقط ميراثهنَّ من ميراث آبائنا، ويُزاد على ميراث السبط الذي يتزوَّجنَ منه)) [2]، ولكن لا يستطيع أن يبيع امرأته، كما كان يبيع أمته وبنته، وبنته، وكذلك لا يجوز له أن يبيع أمته أو يستعبدها، في حالة إذا اتخذها سرية له[3].

المطلب الثاني: الطّلاق في الإنجيل

لقد شدَّدتْ المسيحية على عدم الطّلاق، وهذا التشدُّد في أمر الطّلاق لا يتنافى مع الإسلام والفطرة السليمة، إنْ كان الهدف منه الحفاظ على كيان الأسرة، وكرامة المرأة. ولكن الذي يتنافى، هو جعل المسيحية الرجل أو المرأة يتطلّقان ويتزوَّجان مرة أخرى زانييْن، وهذا الحكم مجحف في حقهما، لأنَّ ثبوت الزنا يستحق عقوبة الرجم، كما نصَّ عليه العهد القديم، وعدم السماح للمطلّقة

---

(١) ينظر: سفر التثنية(٢٢:١٣-١٩). و(٢٢:٢٨-٢٩).

(٢) سفر العدد(٣٦:٣).

(٣) ينظر: سفر التثنية(٢١:١٤).

بالزواج يفتح باب المفاسد والانحراف، فضلاً عن الظلم والقسوة في حقها.

ويلاحظ في التشريع المسيحي، الخاص بالمرأة ، أنَّ معظمه جاء من خلال المجامع المسيحية، الذي أُقرّ من قبل رجال الدِّين واللاّهوت، حيث هناك قضايا عديدة متعلّقة بالمرأة لم ترد في الأناجيل، بل اجتهد فيها رجال اللاّهوت، وطبَّقها جميع المسيحيين.

فقد ذهب الكاثوليك إلى أنَّ الطّلاق حرام، ولا يبيح الطّلاق، لأي سبب كان، وحتَّى الخيانة الزوجية نفسها، لا تعدُّ مبرراً للطّلاق، وكل ما يبيحه هو التفرقة الجسدية، مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية[1]، وربَّما لهذا يصبح الزوجان في حالة الزنا، إنْ طلَّق وتزوج بأخرى، فقد جاء: ((مَن طلّق امرأته وتزوَّج بأخرى يزني عليها، وإنْ طلَّقتْ امرأة زوجها وتزوَّجتْ بآخر، زنتْ)) [2]، لأنَّه ورد: ((لا يصح أن يفرِّق الإنسان ما جمعه الله)) [3]، وجاء أيضاً:((يصبح الزوجان، بعد الزواج، جسماً واحداً فلا يعودان بعد ذلك اثنين، هما جسم واحد، فالذي جمعه الله لا يفرِّقه الإنسان)) [4].

أمَّا مذهبا الأرثوذكس والبروتستانت، فيبيحان الطّلاق في بعض الحالات، اهمها: الخيانة الزوجية، ولكن يُحرَّم عليهما أن يتزوجا بعد ذلك أيضاً، وقد اعتمد هذان المذهبان على ما ورد في إنجيل متّى:((مَن طلَّق امرأته إلاّ لعلة الزنا، يجعلها تزني، ومَن تزوَّج مطلَّقة، فإنَّه يزني)) [5].

---

(١) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام .د. علي عبدالواحد وافي .ص١٠٦.

(٢) إنجيل مرقس (١٠:١٢).ولوقا (١٤:٢٠).

(٣) إنجيل متى (١٣:٦).

(٤) إنجيل مرقس (١٠:٨-٩).

(٥) إنجيل متى (٥:٣٢).

وكـــذلك:((وأقول لكم: من طلّق امرأته إلاّ بســـبب الزنـا، وتـــزوج بأخرى، يزني)) [1].

ويجوز للمرأة أن تشترط على الرجل عدم الانفصال، حتّى لو حصلتْ في قلوبهما الكراهية الشديدة، إلاّ أنَّ هذا الشرط موجود في القانون الكنسي، بدون أن تطلبه المرأة، إذ يقول لهما: أنتما تقترنان لتكونا سعيديْن، فلْتعلما أنَّكما تدخلان سجناً سيحكم غلق بابه، ولن أسمح بخروجكما، وإنْ تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء[2]. ويعلّق أحد الفلاسفة الإنجليز على الطّلاق بقوله: ولو كان الموت وحده هو المخلّص من زواج هذا شأنه، لتنوعتْ صنوف القتل واتسعتْ مذاهبه[3].

وتحريم الطّلاق للمطلّق والمطلّقة، اعتمد على ما ورد في الإنجيل:((من يتزوج بمطلّقة يزني)) [4]، إلاّ أنَّ الواقع أثبتَ استحالة الاستغناء عن الطّلاق، بدليل أنَّ الدول المسيحية سنتْ قوانين تبيح الطّلاق، لأنَّه يطرأ على الواقع حالات تجعل الطّلاق ضرورة لازمة، بل وسيلة للاستقرار العائلي نفسه، وكثيراً ما تحدث أشياء تجعل من المتعذّر أن يسيروا على تعاليم الأناجيل، في شؤون الطّلاق.

---

(١) إنجيل متى (٩:١٩).

(٢) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام.د.علي عبدالواحد .مصدر سابق.ص١١٠.

(٣) نقلاً عن: نفس المصدر. ص١١٠.

(٤) إنجيل متى (٣٢:٥). وتعتبر مسألة إباحة الطّلاق في إنجيل متّى, في نظر الكاثوليك, من أقسى صعاب العهد الجديد, لأنَّ إنجيل مرقس ولوقا تحرِّمه, فقد ذهب بعضهم إلى القول بوجود خلل في النسخ, وآخرون إلى مجرد تعثُّر في الأسلوب .ينظر : معجم اللاّهوت. مادة (زنى). ص٢٢٦. أمَّا إنجيل يوحنا فلم يتعرَّض لموضوع الطّلاق إطلاقاً.

وأنَّ ما ينسب إلى المسيح من منع الطّلاق يعتبر نقضاً واضحاً للناموس(التوراة)، وخلافاً لما أعلنه المسيح حيث يقول:((ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء بل لأكمل)) [1]، وجاء في الترجمة الفرنسية المسكونية في تعليقها على قول الإنجيل:((لكن زوال السماء والأرض أسهل من أن تسقط نقطة واحدة من الشريعة)) [2]: إنَّ هذا التحريم للطّلاق التقليدي، يعتبر من أكثر تعاليم المسيح نقضاً صريحاً لناموس موسى[3].

ولهذا استحدث المسيحيون قوانين مدنية ما يفتح لهم أبواباً للطّلاق، يختلف عن تعاليم الدِّين، وهذا السير بخلاف الدِّين، كما يقول د.علي الوافي، يتميَّز به المسيحيون، فجميع الأمم والملل، الوثنيون، والبوذيون، والمجوس...يسيرون وفق تعاليم أديانهم، ونجد أنَّهم استحدثوا أحوالاً، تختلف عن تعاليمهم، إلاّ أنَّنا لا نجد أنَّهم استحدثوا في الأحوال الشخصية (الزواج والطلاق) غير المسيحيين، ولم يستطع رجال الدِّين صدَّ هذا التيار[4].

ونجد أنَّ المسيحيين قد توسَّعوا في أسباب الطّلاق، ولم يقفوا عند علّة الزنا، كما تؤكّده الأناجيل، بل أضافوا إلى علّة الزنا: جنون أحد الزوجين، ورغبة أحد الزوجين بالتفرُّغ في الكهنوت والرهبنة، واعتناق أحد الزوجين ديناً آخر[5].

---

(١) إنجيل متى(١٧:٥-١٨) ولوقا(١٦:١٦-١٧).

(٢) إنجيل لوقا(١٦-١٧).

(٣) نقلاً عن: تعدّد نساء الأنبياء ومكانة المرأة. أحمد عبدالوهاب .ص١٤٧.

(٤) حقوق الإنسان .د.علي الوافي .مصدر سابق.ص١١٠-١١١.

(٥) ينظر : نفس المصدر ص١١٣. والعقيدة النصرانية .مصدر سابق .ص٢٢٥

المطلب الثالث: الطّلاق في القرآن الكريم

إنَّ الزواج رابطة مقدَّسة، لا تقوم ولا تستمر، إلاّ على الرضا والقبول، وأنَّ الله أباح الطّلاق علاجاً لحالات ضرورية، خاصة عندما تصل الحياة الواقعية بين الزوجين إلى حدّ يستحيل الصلح بينهما، فهو آخر حلّ يلجأ إليه الزوجان، في سبيل الاستقرار العائلي والنفسي، فهو ليس إهانة للمرأة، ولا إهداراً لحقوقها ولكرامتها، بل قد يكون الطّلاق، في بعض الأحيان، وسيلة ناجحة للحفاظ على كرامة المرأة، وتخلُّصاً من جحيم الحياة الزوجية المستعصية، يصعب فيها الحصول على أدنى مستوى من الحقوق والكرامة.

ونظام الطّلاق الذي وضعه الإسلام، كفيل ببقاء هذه الرابطة الزوجية على أصولها الكريمة، وإذا انفصمتْ عرى هذه الرابطة، فإنّها غير صالحة للبقاء، وخير لهما التفرقة.

وقد مرَّ معنا أنَّ اليهود أباحوا الطّلاق، ولم يضعوا له شروطاً، بل ربطوه بمزاج الزوج، فهو حرٌّ في طلاق زوجته متى شاء ودون قيود، ومهما كانت الأسباب تافهة. وعندما جاءت المسيحية، أرادت إصلاح هذا الخلل، فشدّد وحرَّم الطّلاق على المسيحيين إلاّ في حالة الزنا، فكان الأمر بين الإفراط والتفريط.

وجاء الإسلام، ومن منطلق حرصه على وقاية الفرد والأسرة والمجتمع، فرفع كلَّ ما يؤدِّي إلى الحرج والضَّرر، فأباح الطّلاق ولكن ضمن أحكام وقيود، تكفل عدم إيقاعه إلاّ في حالة الضرورة، وعندما يصل الصلح إلى طريق مسدود. وذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ الأصل في الطّلاق المنع والحظر وخلاف الأوْلى،

والأوْلى أن يكـون لحاجـة[1]، وأهـم الأحكـام والقيـود الـتي وضـعها الإسـلام لتحقيقه، ألاّ يكون الطّلاق إلاّ لضرورة نلخّصها فيما يأتي:

١- لقد أحاط الإسلام بعقد الزواج قدسية، وأضفى عليه مـن الجـلال مـا يميّـزه عن سائر العقود، وأنزله في النفوس منزلة المهابـة، ووصـفه القـرآن الكـريم بالميثاق الغليظ، ولم يرد لفظ الغلـيظ مـع الميثـاق إلاّ في عقـد النكـاح،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[2].

٢- جعـل الإسـلام الطّـلاق أبغـض الحـلال، حيـث روي عـن ابـن عمـرﷺ أنّـه قال:قال رسول الله ﷺ:((أبغض الحلال عند الله الطّلاق)) [3].

٣- حرَّم الإسلام الطّلاق لأسباب يمكـن علاجهـا، أو لأمـور يمكـن أن تتغيَّـر في المستقبل مثل: الكراهية، والعاطفة، وتغيُّر المـزاج. وهـذه العواطـف تـتغير ولا يمكن أن تبنى عليها أمور خطيرة، تتعلق بكيان الأسـرة، ولا يمكـن أن يكره الرجل مـن زوجتـه خلقـاً واحـداً، ويتغاضـى عمَّـا فيهـا مـن الأخـلاق الفاضـلة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[4]، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ الرسـولﷺ

---

(١) ينظر : الوجيز في الفقه الإسلامي. د.وهبة الزحيلي. ١٣٧/٣.

(٢) سورة النساء (٢١).

(٣) المستدرك على الصحيحين. الحاكم. كتاب الطّلاق. ٢١٤/٢. رقم(٢٧٩٤). قال الذهبي: تصحيح الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والسنن الكبرى البيهقي. ٣٢٢/٧.رقم(١٤٦٧٣). وسنن أبي داود. ٢٢٠/٢.رقم(٢١٨). وسنن ابن ماجه. ٦٥٠/١. رقم(٢٠١٨).

(٤) سورة النساء (١٩).

قال:((لايفرك[1]، مؤمنٌ مؤمنةً، إنْ كره منها خلقاً ورضي منها آخر))[2].

٤- أن يكون الطّلاق لحاجة مقبولة شرعاً وعرفاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[3]، وعن ثوبان ﷺ أنّه قال: قال الرسول ﷺ:((أيُّما امرأة سألتْ زوجها الطّلاق في غير ما بأسٍ، فَحرامٌ عليها رائحةُ الجنَّةِ))[4].

٥- يأمر الإسلام الزوجيْن في حالة الشقاق بينهما أو النفور، أن يعملا على إزالته، وإثارة الوئام والصلح، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[5].

٦- يوجب الإسلام على الزوجين، في حالة لم يستطيعا الصلح وبوسائلهما الخاصة، أن يعرضا أمرهما على حكَم من أهل المرأة وحكَم من أهل الزوج، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا

---

(١) الفرك: هو بغضة وكراهية الرجل لأمرأته, أو بغضة وكراهية المرأة لزوجها. ينظر: لسان العرب. ١١/١٧٢

(٢) رواه مسلم في صحيحه. باب الوصية بالنساء. ٤/١٧٨. رقم(٣٧٢١). والإمام أحمد في مسنده. ٢/٣٢٩. رقم(٨٣٤٥).

(٣) سورة النساء (٣٤).

(٤) مسند الإمام أحمد. ٥/٢٧٧. رقم(٢٢٤٣٣). قال شعيب الأرناؤوط: صحيح ورجاله إسناده ثقات. وسنن أبي داود. ٢/٢٣٥. رقم(٢٢٢٨). والمستدرك على الصحيحين. الحاكم. ٢/٢١٨. رقم(٢٨٠٩). قال الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) سورة النساء (١٢٨).

﴿مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[1].

٧- رتَّب الإسلام على الطّلاق مبالغ مالية وأعباء ثقيلة على عاتق الزوج، وأوجب على الزوج، إذا طلّق زوجته، أن يوفيها مؤجل صداقها، ويقوم بنفقتها من مأكل ومسكن ما دامت في العدَّة، وينفق عليها حتَّى تضع حملها إن كانت حاملة، أو مرضعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ﴾[2].

٨- أن يكون الطّلاق في طهر لم يحدث فيها اتصال بينهما، ولا يجوز إخراج الزوجة من البيت، بعد الطّلاق، إلاَّ في حالة الاتيان بالفاحشة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[3].

٩- يستحبُّ أن يكون الطّلاق مفرَّقاً، الواحد بعد الآخر، ويكره إيقاع الطّلاق دفعة واحدة[4]، حتَّى لا يكون الطّلاق نزوة عابرة، وحتَّى يتمكّن الزوجان

---

(١) سورة النساء (٣٥).

(٢) سورة الطلاق (٦).

(٣) سورة الطلاق (١).

(٤) ذهب جمهور الفقهاء إلى وقوع الطّلاق في قول:(أنتِ طالق ثلاثاً) , واستدلوا بأدلة كثيرة, وذهب الحنفية والمالكية وابن تيمية وابن القيِّم إلى أنَّ الطلقات بكلمة واحدة, أو بألفاظ

فرصة للتراجع، ويستطيع أهل الزوجين التدخل لحلِّ المشاكل بينهما، وهذا ما دلَّ عليه ظاهر الآية: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ ﴾[2].

١٠- الإشهاد على الطّلاق[3]، وهو ما يدل عليه ظاهر الآية: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ﴾[4]، نقل الآلوسي(١٢١٧-١٢٧٠هـ) عن الطبرسي قوله: أنَّ الظّاهر من النَّص أمر بالإشهاد على الطّلاق، وأنَّه مروي عن أهل البيت، وأنَّه أمر للوجوب، وشرط على صحَّة الطّلاق[5].

أخرج السيوطي(٨٤٩-٩١١هـ) عن عبدالرزاق وعبد بن حميد عن عطاء

متفرقة, في طهر واحد, كان طلاقاً بدعياً, ولا يحرم ولا يكره عند الشافعية والحنابلة, بل يكون تاركاً للأفضل. ينظر: إعانة الطالبين. الدمياطي. ٢٣/٤. والحاوي الكبير. الماوردي. ٣٨٣/١٠. والمدونة الكبرى. الأصبحي. ٢٩٠/٢. مجموع الفتاوى. ابن تيمية. ٧٧/٣٣. وإغاثة اللهفان. ٣٠٨/١. ابن القيِّم. والوجيز في الفقه الإسلامي. د.وهبة الزحيلي. ١٣٨/٣.

(١) سورة البقرة (٢٢٩).

(٢) سورة الطلاق (١).

(٣) ذهب جمع من الأقدمين إلى وجوب الإشهاد على الطّلاق, منهم: علي بن أبي طالب, وعمران بن الحصين, وعطاء, وجريج, وابن سيرين, وهو مذهب الشيعة الإمامية, والظاهرية. ينظر: الدر المنثور. السيوطي. ٨/ ١٩١-١٩٢. وتفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ١٤٥/٨.

(٤) سورة الطلاق (٢).

(٥) تفسير روح المعاني. الآلوسي. ١٣٤/٢٨

قال: النكاح بالشهود والطّلاق بالشهود والمراجعة بالشهود[1].

وروى ابن كثير(٧٠٠-٧٧٤هـ) في تفسيره عن ابن جريج: أنَّ عطاء كان يقول في تفسير،(وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ): لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا إرجاع في طلاق، إلاَّ شاهدا عدل، كما قال عزَّوجلَّ إلاَّ من عذر[2]، وبعد استنفاد هذه الأحكام والقيود، يجيز الإسلام الطّلاق لمصلحة المرأة والأسرة ولتحقيق الصالح العام.

---

(١) الدر المنثور. السيوطي. ١٩٤/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ١٤٥/٨.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في الطّلاق

تتفق شريعتا التوراة والقرآن على إباحة الطّلاق، مع الإبقاء على الأصل، وهو كراهية اللُّجوء إلى الطّلاق، وتتفق الأديان الثلاث على أنَّ الطّلاق يكون بيد الرجل، وتتفق أيضاً، في عدم جواز طلب المرأة الطّلاق، إلاّ أنَّ الإسلام أباح لها ذلك في حالة وجود سبب شرعي، وإلاّ فهي آثمة في طلب الطّلاق دون سبب.

وتختلف الأديان الثلاثة في مسألة الطّلاق في عدة وجوه منها:

١- إنَّ التوراة يعطي للرجل الحق في الطّلاق لأتفه الأسباب، بينما القرآن الكريم وضع قيوداً وضوابط، ولا يجوز للرجل، شرعاً، اللُّجوء إلى الطّلاق إلاّ بعد استنفاذ هذه القيود والضوابط، وبالمقابل نجد أنَّ الإنجيل يشدِّد في أمر الطّلاق ولا يبيحه، إلاّ في حالة ثبوت الزنا من أحد الزوجين، بل يذهب الكاثوليك إلى أنَّ الطّلاق حرام حتّى في حالة الزنا، وأجازوا في هذه الحالة التفرقة الجسدية فقط، لأنَّ الإنجيل يؤكِّد أنَّ الزواج يؤسِّسه الله، وما جمعه الله لا يفرِّقه الإنسان.

٢- لم يذكر التوراة والإنجيل أيَّ حقٍ للمرأة على الرجل بعد الطّلاق، بخلاف القرآن الكريم الذي يعطي للمرأة حق النفقة والبقاء في البيت إلى ما بعد انتهاء العدَّة، وفي حالة الطّلاق – بعد الدخول- أوجب لها كامل المهر، مع إعطائها ما يملكها من أموال.

٣- ولم يذكر التوراة والإنجيل الأحكام المتعلّقة بالمرأة بعد الطّلاق، بينما القرآن الكريم ذكر أنَّ عليها أن تتربَّص أربعة أشهر وعشراً، إنْ لم تكن حاملة، وإنْ كانت حاملة، فعدَّتها أن تضع حملها، وأوجب على الزوج رعايتها مدّة حملها.

٤- وفي شريعة التوراة أنَّ الزوجة لا تستطيع أن تعود إلى زوجها الأوَّل، حتّى

إذا تزوَّجتْ من رجل آخر، وطلّقها، أو مات عنها. ويؤكِّد الإنجيل أنَّ المطلّقة إذا تزوّجتْ فهي تزني. بينما القرآن أعطى للمرأة العودة إلى زوجها الأوّل، إذا طلّقها الثاني، عن قناعة وتراضَيا على العودة، وأنَّ المرأة المطلّقة لها الحق أن تتزوّج.

٥- حرَّم التوراة على اليهودي الطّلاق في حالتيْن: في حالة ادّعاء الرجل أنَّ زوجته ليستْ بكراً، وثبت عدم صحَّة ذلك، وفي حالة إذا عاشر فتاة عذراء قبل الزواج، فعليه أن يتزوّجها، ولا يطلِّقها أبداً.

المبحث الخامس
شهادة المرأة في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: شهادة المرأة في التوراة

كانت المجتمعات اليونانية لا تقبل شهادة المرأة، واليهود كذلك لم يقبلوا شهادة المرأة، ولم يرد في التوراة ما يؤكِّد أهلية المرأة القانونية، وأهليَّتها للشهادة، فاليهود لم يقبلوا شهادة المرأة.

وكانتْ تتمتَّع بقدر من الأهلية القانونية في إدارة أموالها، إلاَّ أنَّه كان يحق لوالدها أو زوجها فسخ التزاماتها، أمَّا شهادة المرأة أمام المحاكم، فمطعون فيها، شأنها شأن القاصرين والعبيد والمجانين والصبيان[1]، بل يرى اليهود أنَّ المرأة خفيفة العقل، وأنَّ شهادة الرجل تعدل شهادة مائة امرأة[2].

---

(١) ينظر: المرأة عبر التاريخ. مصدر سابق. ص٣٦.

(٢) ينظر: بنو إسرائيل. مصدر سابق. ٣٧٣/٣.

المطلب الثاني: شهادة المرأة في الإنجيل

ولم يرد في الإنجيل ما يتعلق بشهادة المرأة، وحتّى إنَّ النِّساء اللَّواتي شاهدنَ قيامة المسيح:((وبعدما قام يسوع في صباح الأحد، ظهر أوَّلاً لمريم المجدلية ...فذهبتْ وأخبرتْ تلامذه، وكانوا ينوحون ويبكون، فما صدَّقوها عندما سمعوا أنَّه حيٌّ وأنَّها رأته)) [1]، لم يقبل اليهود شهادتهنَّ، لأنَّه ليس لهنَّ لهنَّ اعتبار في الشهادة، وأنَّ بولس الرسول في كشف شهود القيامة[2] يقدِّم الرجال، ولا ذكر لهؤلاء النسوة اللَّواتي شاهدن المسيح[3]، والسبب الأكبر في ذلك، هو أنَّ بولس كان يرى شهادة النِّساء، في مثل هذه الحالة، لا قيمة لها، وقد أكدَّ هذا الأمر بقوله:((لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنَّه ليس مأذوناً لهنَّ أن يتكلمن، بل يخضعْنَ)) [4]، وهذا صريح في رأي بولس في قيمة النِّساء، وأنَّ شهادتهنَّ ماكان يعوِّل عليها عند قومه اليهود، حتَّى ما كانوا يقبلونها في محاكمهم[5].

المطلب الثالث: شهادة المرأة في القرآن الكريم

إنَّ المرأة في القرآن الكريم لها شخصيَّتها المستقلة، في نفسها ومالها، وهي مستقلة ومعتبرة في قضايا اجتماعية وتشريعية، حيث وردتْ آيات تؤكِّد تلك المنزلة للمرأة، وأكّدتْ أنَّ شهادتها معتبرة ومقبولة في القضايا التي تهم المرأة،

---

(١) إنجيل متى(٩:٢٨-١٠).ويوحنا(١١:٢٠-١٨). ومرقس (٩:١٦-١٢)

(٢) رسالة كورنثوس الأولى .الإصحاح(١٥).

(٣) ينظر: المرأة في الكنيسة والمجتمع. د.القس صموئيل حبيب. ص٨٥-٨٦.

(٤) رسالة كورنثوس الأولى(١٤:٣٤).

(٥) ينظر: نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية. محمد توفيق . تحقيق خالد محمد .ص٨٥-٨٦.

ومعتبرة أيضاً، في قضايا عديدة متعلقة بالمجتمع، حيث جاء أنَّ المرأة تستطيع بشهادتها أن تدرأ العذاب عن نفسها،قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[1]، وشهادتها معتبرة في قضايا أخرى،قال تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[2].

إنَّ جعل القرآن شهادة امرأتين بدل رجل واحد، ليس طعناً في كرامة المرأة وأهليتها، وإنَّما مراعاة لطبيعة المرأة والعوارض التي تعترضها. فقوله:(أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) يؤكّد وجود العوارض في طبيعة المرأة، منها غلبة العاطفة على العقل، وكثرة الخطأ والنسيان،(والخطأ والنسيان ليسا من طبيعة المرأة دون الرجل، بل يرجعان فقط الى الوضعية الاجتماعية التي كانت عليها) [3]، فالمرأة أكثر تعرضاً للخطأ والنسيان من الرجل، فشهادة المرأتين كشهادة رجل واحد، مبنيٌّ على أساس نفسيّ سليم، ممّا ركّبه الله في طبيعة المرأة من أن يكون وجدانها وعاطفتها أقوى مظاهر حياتها النفسية، حتّى يتاح لها أن تؤدّي أهم وظيفة، وهي وظيفة الحضانة والأمومة، على خير وجه، ولا يخفى أنَّ هذه الوظيفة تحتاج إلى العاطفة والحنان والرحمة، أكثر ممّا تحتاج إلى الإدراك والتفكير والتأمُّل[4].

---

(١) سورة النور(٨)

(٢) سورة البقرة (٢٨٢).

(٣) ينظر : الديمقراطية وحقوق الإنسان . مصدر سابق. ص٢٣٥.

(٤) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام. د.علي الوافي. مصدر سابق.ص٨٤–٨٥.

وذهب بعض الفقهاء إلى أنَّ شهادة امرأتين بدل رجل واحد في هذه الآية ليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي، وإنَّما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان، على الحقوق بين المتعاملين، وقت التعامل، فالمقام مقام استيثاق على الحقوق، لا مقام قضاء بها[١].

واعتبار امرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد، ليس لنقص عقلها، الذي يتبع نقص إنسانيتها، ويكون أثراً له، وإنَّما هو لأنَّ المرأة ليس من عادتها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها في المعاوضات، ومن هنا يكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية[٢].

ومن جانب آخر، فقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على عدم قبول شهادة المرأة في الحدود والجنايات لخطورتها وضرورة التأكّد من ثبوتها، ولأنَّ في شهادة المرأة بدلاً من الرجل شبهة البدلية، والحدود تدرأ بالشبهات. قال الزهري[٣]: مضت السنَّة من رسول الله ﷺ والخليفتيْن من بعده، ألاّ تجوز شهادة النساء في الحدود[٤]، في حين يقرّ الإسلام بشهادة المرأة الواحدة، في حالات لا يقبل فيها شهادة الرجل، فيما يختص بشؤون المرأة، و(هذا اعتراف

---

(١) هذا رأي الإمام محمود شلتوت. ينظر : الإسلام والتحديات المعاصرة. د.محمد عمارة. ص١٤٥.

(٢) ينظر : نفس المصدر. ص١٤٥.

(٣) الزهري هو, محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب بن الحرث بن زهرة بن كلاب. عاصر خلاف بني أميَّة, عبدالله بن مروان, وهشام بن عبدالملك, واستقصاه يزيد بن عبدالملك. توفي في شهر رمضان سنة (١٢٤هـ). ينظر: المعارف. ابن قتيبة الدينوري. ص٢٦٧

(٤) ينظر : نصب الراية. جلال الدين الزيلعي. ٧٩/٤. وذهب الشافعية والمالكية والحنابلة, إلى عدم قبول شهادة النِّساء مع الرجال إلاّ في المعاملات وتوابعها. ينظر: المهذب. ٣٣٣/٢. والمغني. ابن قدامة ١٧٨/١٠. وبداية المجتهد.ابن رشد. ٤٦٥/٢. ومغني المحتاج. الشربيني. ٤٤٢/٤.

واضح بأهلية المرأة تماماً كالرجل أو أكثر، لأنَّ المنطق يفرض احترام خصوصيات المرأة التي توجب التنوُّع في التعامل والتعاطي) [1].

وقد كانت وما زالتْ مسألة شهادة امرأتين بدل شهادة رجل واحد مثار جدل واتهام للإسلام، بدعوى أنَّها إقرار بأنَّها أقل درجة من الرجل، يتهمون الإسلام الذي أعطى للمرأة مركزها ومكانتها، ولا يذكرون التوراة والإنجيل اللّذين حرّما المرأة من هذا الحق، واتهموا الإسلام في مسائل أخرى قريبة من مسألة الشهادة، منها: مسألة قوامة الرجل على المرأة، ومسألة تولي المرأة القضاء. وسنفصِّل القول في هاتيْن المسألتيْن، لأنَّ لهما علاقة بموضوع المرأة وحقوقها، وعلى النحو الآتي:

أوّلاً/ القوامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[2]، فقد صرَّح القرآن الكريم في هذه الآية، بيان سبب إعطاء الرجل درجة زائدة على المرأة، بما أعطوا من مواهب وإمكانات، وبما أنفقوا من أموالهم وهذه القوامة لاتعني إطلاقاً أن يتصرَّف الرجل تجاهها بغير ضوابط ولا قواعد[3]، وأن يسيطر عليها سيطرة تامة، بل المقصود من القوامة، هو الرعاية والقيادة وتدبير المصالح الزوجية في البيت وخارجه، وتشير إلى توفير وسائل العيش، فهي تعني تحميله نصاب المسؤولية الكامل، وقيادته الأسرة نحو بَرِّ الأمان والسلامة[4].

---

(١) مفاهيم اجتماعية بين الإسلام والنظم الوضعية. مصدر سابق. ص١٥٧.

(٢) سورة النساء (٣٤).

(٣) ينظر : مفاهيم اجتماعية مصدر سابق. ص١٥٩.

(٤) ينظر : حق الحرية في العالم. مصدر سابق. ص٢٦١. والإسلام وحقوق النِّساء. دكتورة

والفوارق بين العنصريْن تكمن في توزيع المسؤوليات والواجبات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، وهـذه الدرجة هي للتكليف والمسؤولية، وليس الإمتياز المطلق، لأنَّ الأسرة مؤسَّسة لابدَّ من رأس يتولّاها ويديرها، ودور المرأة لايقل خطورة عن دور الرجل في الأسرة، وقد أعطى الإسلام الرجل هذا الحق وهذه الدرجة لسببيْن[2]: **الأول:** أنَّ الرجل مكلَّف بالإنفاق على الأسرة، ولا يستقيم مع العدالة في شيء، أن يكلَّف فرد الإنفاق على هيئة ما، بدون أن يكون له القيام عليها بالإشراف على شؤونها، وهذه الرياسة مبنية على المودَّة والمحبة والإرشاد، ممَّا تحفظ للمرأة كرامتها وتصون حقوقها. **الثاني:** أنَّ المرأة مرهفة العاطفة قويَّة الانفعال، وأنَّ الوجدان يسيطر عليها في مختلف نواحي الحياة النفسية، حتَّى يكون لها طبيعتها، ويتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية، وهي الحضانة والأمومة، وهذه العاطفة وهذا الوجدان في المرأة مظهر من مظاهر كمالها وأنوثتها، وليست نقصاً في حقها.

ثانياً/ الإمامة والقضاء:

لقد أثبت الإسلام جميع الحقوق للمرأة باستثناء الإمامة العظمى، وهي رئاسة الدولة، لقول الرسولﷺ عن أبي بكرةﷺ :((لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة)) [3]، وهذا حكم أغلبي، فإنْ وجدتْ امرأة صالحة للحكم فهو نادر[1].

رفعت حسّان. ترجمة جهان الجندي. ص٢٩.

(١) سورة البقرة (٢٢٨).

(٢) ينظر : حقوق الإنسان في الإسلام. د. علي الوافي. مصدر سابق.ص٨١–٨٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. باب كتاب النبي. ٤/١٦١٠.رقم(٤١٦٣). وباب الفتنة. ٦/٢٦٠٠.رقم(٦٦٨٦). والإمام أحمد في مسنده. ٥/٣٨. ومن المعلوم أنَّ الرسول ﷺ قال هذا الكلام, عندما سمع أنَّ أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى.

وللمرأة الولاية المطلقة على نفسها ومالها وحقوقها، ولها حق التعبير والمشاورة والمبايعة، والاجتماعات السياسية، ضمن الآداب والأحكام الشرعية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾[2]، ولها إعطاء حق الأمان كالرجل، قالت أم هانئ للنبيّ ﷺ -وهي بنت عمه- يوم فتح مكّة: إنّني أجرتُ رجليْن من أحمائي؟ فقال الرسولﷺ:((قد أجرنا من أجرتِ يا أمّ هانيء)) [3].

أمّا القضاء، ففيه تفصيل واختلاف، فقد أجازه مطلقاً بعض الفقهاء، منهم ابن حزم[4]، وابن جرير الطبري[5]، وغيرهما. ومنعه الجمهور مطلقاً، باعتباره كالولاية العظمى، وفصّل الحنفية، فأجازوا للمرأة القضاء في جميع الحالات، إلاّ في الحدود والقصاص[6].

---

(١) ينظر: حق الحرّية في العالم. مصدر سابق. ص٢٦٢.

(٢) سورة التوبة (٧١).

(٣) روته البخاري في صحيحه. باب أمان النساء. ١١٥٧/٣.رقم(٣٠٠٠). ومسلم في صحيحه. باب استحباب صلاة الضحى. ١٥٧/٢. رقم(١٧٠٢). وفي زيادة عند أبي داود. ٣٩/٣.رقم(٢٧٦٥) : ((وأمّنا مَن أمّنت)).

(٤) ينظر: المحلى. ابن حزم. ٤٢٩/٩-٢٣٠.

(٥) جامع البيان. الطبري. ٤٥٣/١٩. والبحر المحيط. الأندلسي. ٦٤/٧. وروح المعاني. الآلوسي. ١٤/ ٤٥٥.

(٦) ينظر: بدائع الصنائع.الكاساني. ٣/٧. ومغني المحتاج. الشربيني. ٣٧٧/٤.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في الشهادة

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ شهادة المـرأة غـير معتـبرة في التـوراة والإنجيـل، وأنَّـه ليس للمرأة أيُّ اعتبار في مجال الإشـهاد والاسـتيثاق. بينمـا في القـرآن الكـريم، الآيات صريحة في إثبات حق المـرأة في الشـهادة، وقـد فصَّـل الفقهـاء القـول في شهادة المرأة وأكّدوا أنَّ لها الحق والخصوصية في المجالات التي تخُـص المـرأة، وأنَّ شهادة الرجل ليس لها اعتبار في تلـك المجـالات، وقـالوا بـأنَّ جعـل شـهادة امرأتيْن بدل رجل واحد،إنَّما روعي في ذلك طبيعة المرأة ونفسيتها.

المبحث السادس
ميراث المرأة في الكتب السَّماوية

المطلب الأوّل: ميراث المرأة في التوراة

إنَّ عقيدة اليهود عنصرية حتَّى في الميراث، حيث يعتبرون أنفسهم الوريث الشرعي للشعوب غير اليهودية، فهم غنيمة وإرث لهم حيث جاء:((حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعيها للصُّلح، فإنْ أجابتك للصُّلح وفتحتْ لكم أبوابها، فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية، ويخدمونكم، وإنْ لم تصالحكم، بل حاربتكم.. ..فاضربوا كلَّ ذكر فيها، بحدِّ السيف، وأمَّا النِّساء والأطفال والبهائم، وجميع ما في المدينة غنيمة لكم)) [1].

أمَّا الميراث، فإنَّ أوَّل مَن يرث الميِّت، في الشريعة اليهودية، هو الولد

(١) سفر التثنية(٢٠:١٠-١٥).

الذكر، وإذا تعدّدَ الذكور، فللبكر حظُّ اثنيْن من أخوته[1].

أمَّا البنت، فلها النفقة والتربية، حتَّى تبلغ الثانية عشرة، ولا ميراث لها مع وجود الولد الذكر، فقد جاء:((أيُّ رجلٍ مات ولا ابن له، فانقلوا ميراثه إلى ابنته. فإنْ كان لا بنت له، فاعطوا ميراثه لأخوته...))[2]، ويتضح من هذا، أنَّ البنت لا ميراث لها مع وجود الولد الذكر، والذكر يشمل الأبن وابن الأبن، وإنْ لم يكن له ابن ولا ابن ابن، فالميراث للبنت، وعند فقد البنت، ينتقل الميراث إلى أخوته.

وحسب التوراة ، فإنَّ البنت لا يجوز لها أن تتزوَّج من غير سبطها، خوفاً من تحوُّل الميراث من سبط أبيها ، حيث ورد:((....يتزوَّجنَ بمَن يطيب لهنَّ، لكن يجب أن يكون من عشيرة سبط أبيها، حتَّى لا يتحوَّل ميراث بني إسرائيل من سبط إلى سبط آخر))[3].

والحكمة من حصر المواريث في الأولاد الذكور عندهم، هي لحفظ قوام العائلات على التعاقب إلى ما شاء الله، كما هو الحال في جميع الشرائع القديمة، وتظهر هذه الحكمة ظهوراً جليَّاً من تمييز بكر العائلة، وزيادة نصيبه عن أخوته[4].

---

(١) ينظر: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام. مصدر سابق. ص١١٠. حيث ورد في سفر التثنية (١٧:٢١) : ((...بل يقرُّ لأبن المكروهة فيعطيه سهميْن من جميع ما يملكه, لأنَّه هو أوَّل بنيه وله حقُّ البكورية)).

(٢) سفر العدد(٢٧:٨-٩).

(٣) سفر العدد(٣٦:٦-٨).

(٤) ينظر: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام. مصدر سابق. ص١١٠

وعند اختلاف الدِّين، يرث اليهودي أقاربه من غير اليهود، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي[1].

ولا ترث الزوجة زوجها في اليهودية، وكلُّ ما لها هو مؤخر الصداق، ولها أنَّ تطالب به، أمَّا إذا لم تطالب به، فلها أن تعيش مع الورثة في مال التركة[2].

المطلب الثاني: ميراث المرأة في الإنجيل

ليس في المسيحية تشريع خاص بالميراث، فضلاً عن ميراث المرأة، وهذا ما أكَّده الإنجيل حيث جاء: ((يا معلم، قلْ لأخي يقاسمني الميراث؟ فقال له: يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسِّماً)) [3]، وما جاء في التوراة، فيما يتعلق بالميراث، يطبِّقه المسيحيون، حيث أكَّد التوراة أنَّ الميراث يكون للذكور، في الغالب، دون الإناث، فقد ورد: ((أيُّ رجل مات ولا ابن له، فانقلوا مراثه إلى ابنته، فإنْ كان لا بنت له، فاعطوا مراثه لأخوته، فإنْ كان لا أخوة له، فاعطوه لأعمامه، فإنْ كان لا أعمام له، فاعطوه لنسيبه الأقرب إليه في عشيرته)) [4].

وجاء في القانون اليهودي:(إنْ لم يكن للميِّت ولد ذكر، فميراثه لابن أخيه، وإنْ لم يكن له ابن ابنٍ، فالميراث للبنت) [5]. وهكذا يلاحظ أنَّ البنت لا ترث إلاّ عند فقد الذكور.

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان –اليهودية– مصدر سابق. ص٢٩٨.

(٢) ينظر: نفس المصدر. ص٣٠٢.

(٣) إنجيل لوقا (١٢:١٣).

(٤) سفر العدد (٢٧:٨–١١).

(٥) ينظر : المادة (p31) من القانون اليهودي. نقلاً عن : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام. محمود شعلان. ص٧١١.

والأناجيل لم تهتم بتنظيم علاقات النَّاس إلاَّ فيما يتعلَّق بالطّلاق، ولهذا فإنَّه لا يوجد أيُّ نصٍّ في الأناجيل ولا في أعمال الرسل ما يشير إلى حكم من أحكام الميراث، يقول محمود عبدالسميع شعلان: إنَّ أحكام المواريث في المسيحية مستمدة من التشريعات اليهودية، ومن القوانين الوضعية، مثل قانون الملوك والبطاركة وقرارات المجامع الكنَسية[1].

المطلب الثالث: ميراث المرأة في القرآن الكريم

المرأة في الحضارات القديمة–ما عدا الحضارة الفرعونية– كانت محرومة من الميراث، وكانت تُملك ولا تَملك، وفي اليهودية والمسيحية ظلَّتْ المرأة محرومة في معظم الحالات، بل كانت حتَّى في عهد قريب، في أوروبا وأمريكا تباع وتشترى كالأحذية والدواب[2].

وعندما جاء الإسلام، أثبت في نصٍّ صريح، حق الميراث للمرأة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[3]، ونهى القرآن الكريم عن ظلم النساء، وأخذ أموالهنَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

---

(١) نقلاً عن : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام. محمود شعلان. نفس المصدر. ص٧١٢. والعقائد المشتركة. مصدر سابق. ص ٢٨٨.

(٢) ينظر : المجتمع المثالي. د.محمد المسيري. ص٣٠٦.

(٣) سورة النساء(٧).

﴾[1]. قال ابن عباس ﷺ في الآية: كانوا إذا مات الرجل، كان أوليائه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجوها، وإن شاءوا زوَّجوها، وإن شاءوا لم يزوِّجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلتْ الآية[2]. وقال القرطبي(٦٠٠-٦٧١هـ): هذا خطاب للأولياء والمقصود، نفي الظلم عنهنَّ وإضرارهنَّ[3].

وحذَّر القرآن الكريم من حرمان المرأة من الميراث، وأكَّد أنَّ الميراث فريضة من الله ويجب الالتزام بها، فقال تعالى بعد بيان أحكام الميراث مباشرة: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4].

والذي يثار حول ميراث المرأة، هو جعل حق المرأة نصف حق الرجل معتبرين ذلك ظلماً للمرأة، وبالتالي انتقاصاً من كرامتها وقيمتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾[5]، إلاَّ أنَّ هذا المبدأ ليس مطلقاً، وفي كلِّ الأحوال، بل هناك حالات يكون ميراث المرأة مساوياً للذكر، أو أكثر في بعض الحالات، نوجزها فيما يأتي[6]:

---

(١) سورة النساء (١٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح الخاري. ابن حجر. ٢٤٧/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ٩٤/٥.

(٤) سورة النساء(١٣-١٤).

(٥) سورة النساء من الآية(١١).

(٦) للتفاصيل في معرفة هذه الحالات يراجع على سبيل المثال: الأمُّ. الشافعي. ٤/ ٧٧-١٥٥. وحاشية إعانة الطالبين الدمياطي. ٣/ ٢٢٢- ٢٢٤. الحاوي الكبير.الماوردي. ٢٦٦/٨.

١- يكون نصيبها مثل نصيب الذَّكر، في الأخوات لأمّ، والأخ لأمّ، وهي السدس، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ ﴾[1]، والجدُّ والجدَّة مع وجود ابن فأكثر، والأب والأمّ عند وجود ابن فأكثر، وهي السدس، قال تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ ﴾[2].

٢- ترث النساء دون الرجال في حالات، كالجدّة لأمٍّ، دون الجدِّ لأمّ، والأخت الشقيقة مع البنات، دون الأخ لأب فأكثر.

٣- ويرث الرجال دون الأناث في حالات، كالعمّ دون العمّة، وابن الأخ دون بنت الأخ وابن العمّ دون بنت العمّ.

٤- يكون للذكر مثل حظ الأنثيين في حالات: كالبنت فأكثر مع الأبن فأكثر، وبنت الأبن مع ابن الأبن، والأخت الشقيقة فأكثر مع الأخ الشقيق، والأخت لأب فأكثر مع الأخ لأب عند عدم الأولاد، والأب مع الأم عند عدم الولد. وهذه النقطة الأخيرة هي مثار الجدل والاتهام للإسلام، ولكن بعد التدقيق والتمحيص، نجد أنَّ الفضل فعلياً وعملياً هو للمرأة، لأنَّ التبعة التي يتحمَّلها الرجل على كاهله في الحياة، من عبئ الزواج والمهر والنفقة وإعالة الزوجة والأولاد، تجعله يستحق ضعف الأنثى. في حين أنَّ المرأة لا يكلّفها الإسلام حتَّى الإنفاق على نفسها.

والانصاف.الدمشقي. ٧/٢٢٨- ٢٧٩

(١) سورة النساء (١٢).

(٢) سورة النساء من الآية (١١).

فلو تأمّلنا ما يزاح من أعباء عن المرأة، وما يحمله الرجل، نرى الحكمة والعدل في التقسيم الشرعي للميراث، دون أدنى ظلم، كما يدّعي دعاة الباطل[1].

وهذه التفرقة قد بنيتْ على أساس الأعباء الاقتصادية في الحياة، فالزوج هو الذي يتحمَّل النفقة، وبالتالي هو يحتاج إلى الأموال ومصادر العيش، بينما المرأة غير مكلفة بالنفقة حتَّى على نفسها، فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها، وتنمِّيه لنفسها، فلو لم يكن للوارثين إلاَّ ما يرثونه من أموالهم، لكان أموال النساء دائماً أكثر من أموال الرجال[2].

قال غوستاف لوبون عن ميراث المرأة في الإسلام: إنَّ مبادئ الميراث التي نصَّ عليها القرآن الكريم، على جانب عظيم من العدل والانصاف، فلو قارنّا بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية، نجد أنَّ الشريعة الإسلامية منحتْ الزوجات حقوقاً، في الميراث لا تجد لها مثيلاً في القوانين الغربية[3].

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في الميراث

الشريعة اليهودية – كما تقدَّم بيانه– تجعل ميراث جميع الشعوب ملكاً لبني إسرائيل، أمَّا ما يتعلق بالميراث الشخصي، فإنَّ أوّل من يرث الميِّت هو الولد الذكر، ويكون للبكر ضعف نصيب أخوته الآخرين، ولا ترث البنت إلاَّ عند فَقد الذكور. أمَّا الإنجيل، فلا يوجد ما يؤكِّد على أنَّ المرأة ترث، والمسيحيون يعتمدون في الميراث على العهد القديم،

(١) ينظر : المرأة بين الفقه والقانون. د.مصطفى السباعي. ص٢٤–٢٥.

(٢) ينظر : حقوق النساء في الإسلام. محمد رشيد رضا. تعليق. ناصر الدِّين الألباني.ص٣٦–٣٧. والمرأة في التاريخ والشريعة. د.أسعد السحمراني.ص٢١٢–٢١٣. ومفاهيم اجتماعية. مصدر سابق. ص١٥٥.

(٣) حضارة العرب. غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. ص٣٩٧.

ومـــا تصدره المجـــامــع الكنســـية من قوانين.

وعندما جاء الإسلام، أثبت للمرأة حقَّ الميراث في نصوص عديدة، وبنِسَب مختلفة، بل حذَّر القرآن الكريم من حرمان المرأة من الميراث، ويثار حول الإسلام من أنَّه يجعل نصيب المرأة نصف نصيب الولد، إلاَّ أنَّ هذا الحكم ليس عاماً وفي كلِّ الأحوال، بل توجد حالات تأخذ المرأة أكثر من الرجل، وحالات تتساوى فيها مع الرجل.

....

وفي ختام هذه الدراسة نقول: هذا جهدنا وما رأيناه صواباً، ويتناسب مع ما يوحي إليه عنوان الرسالة، فإنْ كان ما قلناه صواباً، فهو من الله وتوفيقه، وإن كان خطئاً، فهو منِّي. وأرجو من الله القبول مع صالح الأعمال...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

" الخاتمة وأهمّ النتائج "

وفي نهاية هذه الرِّحلة الشّاقة من البحث، عن الإنسان (حقيقةً ومنزلةً وكرامةً وحقوقاً)، فى ضوء النصوص الدِّينية المنزَّلة، نسجِّل أهمَّ النتائج التى توصَّلتْ إليها الدراسة:

١- إنَّ الكرامة والحقوق شيئان ملازمان لحياة الإنسان، إذْ أن الإنسان خلق وهو مكرَّم. وله حقوق طبيعية، لا يمكن أن تتحقق إنسانية الإنسان دون الحصول على الحقوق وتحقيق الكرامة. فالكرامة، هي الإحساس المعنوي بالشخصية الإنسانية، والحق، هو الإحساس المادي بهذه الشخصية.

٢- الأصل في تحقيق الذات، هو الكرامة. وهي قيمة موضوعية متعلقة بالذات الإنسانية، لا تدرُّج فيها ولا انقسام في ذاتها. بينما الحقوق متنوعة ومتفاوتة، وتأتي تبعاً للكرامة، وأنَّها ثابتة، وليستْ منحة من أحد، ولا يستأذن فيها سلطة ما، وليس من حقها أن تمنح أو تمنع، فهي تظلُّ موجودة وإنْ انتهكت من قبل سلطة ما.

٣- إنَّ الكرامة التي أعطيتْ للإنسان، نستطيع أن نقسِّمها -في ضوء الآيات القرآنية- إلى الكرامة الفطرية التي أعطيتْ للإنسان منذ الولادة، وهي كرامة بلا استحقاق. والكرامة المكتسبة، التي تأتي من خلال التقوى والعمل الصالح.

٤- الكرامة الفطرية يتساوى فيها جميع النَّاس، العاقل وغير العاقل، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والمؤمن والكافر. . . . . . لأنَّها

لصيقة بحياة الإنسان، وكذلك الحقوق يتساوى فيها الجميع. أمَّا الكرامة المكتسبة، فيتفاوت فيها النَّاس بحسب ما يقدِّمون من أعمال خيِّرة.

٥- قد تتحقق كرامة الإنسان، دون أن يحصل على الحقوق، بينما الحصول على الحقوق قد لا تحقق للإنسان الكرامة. وخاصة إذا حصل هذا الإنسان على تلك الحقوق بطرق غير مشروعة، ولا إنسانية.

٦- إنَّ الكرامة إذا فقدتْ، فإنَّها لا تعوَّض بشيء، أمَّا الحقوق فإنَّها قد تعوَّض، أو يفقد بعض الحقوق، ويحصل على البعض الآخر.

٧- إنَّ الكرامة الطبيعية أو الفطرية لا تسقط بمجرد ارتكاب الإنسان الأخطاء والمعاصي، بينما الكرامة المكتسبة والحقوق، فيمكن أن تفقد، بسبب تلك الأخطاء والمعاصي.

٨- الرسالات السَّماوية في الأساس، بغضّ النظر عن التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل، رسالات حقيقية تكرِّم الإنسان، كعضو في الأسرة البشرية، بصرف النظر عن مميِّزاته الفردية، وتدافع عن حريات الإنسان، في الضمير والتديُّن والاختيار وإبداء الرأي.

٩- إنَّ القرآن الكريم من أكثر الكتب السَّماوية اهتماما بالإنسان، من حيث بيان حقيقته وأصله، وميوله ورغباته، والتأكيد على كرامته وحقوقه.

١٠- لقد تبيَّن لنا أنَّ الأديان الثلاثة متفقة في أنَّ الإنسان مخلوق مكرَّم، إلاَّ أنَّ الأساس الفكري لتكريم الإنسان في اليهودية والمسيحية، هو أنَّ الإنسان خُلق على صورة الله. وفي الإسلام الأساس الفكري لجميع الحقوق، هو التكريم الإلهي له، بما وهب من حسن صورة، وإعطائه المواهب والإمكانات، وجعله خليفة وسيِّد المخلوقات وحمْلِه الأمانة.

١١- فساد الجانب الأخلاقي لدى اليهود، حيث حوّلوا الوصايا الأخلاقية والأوامر الإلهية التي جاء بها موسى عليه السلام، إلى وصايا خاصة باليهود، دون غيرهم، وغالوا في تقديس الكهنة والأحبار على حساب الأنبياء وتحقيرهم، حتّى اشتهروا بأنّهم قتلة الأنبياء. واشتهروا بفساد الجانب التشريعي، حيث تحلّلوا من شريعة موسى وتخبّطوا وشدّدوا على أنفسهم، وميّزوا بين اليهود وغيرهم في تطبيق أحكام التشريع، وأنّ هذه الشريعة تغلب عليها الشدّة والصرامة والخروج عن الحدّ المألوف والمعقول والمعتدل، ومشتملة على أحكام شاقّة، وتغلّظ في الحكم في أمور هيّنة.

١٢- حاول اليهود ربط العبادات والعقائد بمناسبات قوميّة وتاريخية، وأكّدوا على نقاء الجنس اليهودي، وتحقير الآخرين.

١٣- افتقار المسيحية إلى التشريع، بحيث لا يوجد في الأناجيل ما يسمّى تشريعاً، وإنّما أكّدتْ على الجانب الروحي والأخلاقي والزهد والتسامح والإحسان، على حساب الجوانب الأخرى. فهي تعتمد على التشريع اليهودي في معظم المسائل، والإنجيل ركّز على تحريم الأشياء التي تؤدي إلى القتل والزنا والفواحش التي تترتّب عليها العقوبات. وأعاد الإنجيل الأحكام التي لم ترد في التوراة، أو أهملها اليهود، مثل المغفرة والصلح والتوبة.

١٤- إنّ ما يجمع بين المسيحية والإسلام، هو التأكيد على تحقيق الكرامة الإنسانية، دون أيّ اعتبار. فالنصوص في الجانبين تؤكّد على كرامة الإنسان وحقوقه،بمجرّد أنّه إنسان، بغضّ النظر عن إنتماءه.

١٥- وتبيَّن أنَّ الإسلام اهتمَّ بقضية الإنسان بالفعل أكثر من القول، بدليل ما قدَّمه الإسلام من حلول لمشاكل الإنسان في مبدأ ظهوره وإلى قيام الساعة. وتبيَّن أيضاً، أنَّ القرآن الكريم قد اهتمَّ بالإنسان وقضاياه المهمة، أكثر بكثير ممَّا اهتمَّ به وقدَّمه التوراة والإنجيل. فالقرآن حرص على تحقيق مبدأ الكرامة الإنسانية في التشريع والعقوبات أكثر من حرصه على تطبيقها، بحيث أكَّد على قدسية الحياة، وأجاز الشفاعة في الحدود قبل وصولها إلى الحاكم، وأن تدفع هذه العقوبات بالشبهات، وأكَّد أيضاً على حفظ الضرورات التي هي قوام الحياة. بينما هذه الأمور لا وجود لها في شريعة التوراة.

١٦- إنَّ مهمة الإنسان في ضوء التوراة والإنجيل تنحصر في الإكثار من الأولاد، وحراسة الأرض وتسخيرها. بينما القرآن الكريم يؤكِّد أنَّ مهمة الإنسان الأولى هي العبادة، ثمَّ الخلافة وحمل الأمانة وإعمار الأرض وإصلاحها.

١٧- إنَّ مبدأ التكريم الذي أقرَّته الكتب السَّماوية، نجد في التوراة ما يناقض أو يهدم هذا المبدأ، حيث ورد في حق الأنبياء، الذين هم صفوة البشرية، ما لا يقبله العقل والذوق السليم، من أنَّهم يرتكبون الفواحش والموبقات، ويُهانون ويُقتلون، ويناقض هذا المبدأ أيضاً، تأكيد التوراة على نقاء الجنس اليهودي، وأنَّهم المختارون، وأنَّ الآخرين من غير اليهود لا قيمة لهم. والمسيحية أيضاً، هدمتْ هذا المبدأ، من خلال إيمانها بما ورد في العهد القديم في حقِّ الأنبياء.

١٨- تؤكِّد الكتب السَّماوية حرِّية الإنسان في الاختيار، وأنَّها من لوازم الكرامة

الإنسـانية. إلاّ أنّ إقـرار الإنجيـل لمبـدأ الخطيئـة الأصـلية، وأنّ الإنسـان أسير الخطيئة، ولا يتخلّص منها إلاّ بالتضحية بدم الإنسان، يقضي علـى هذه الحرِّية.

١٩- وتؤكّد الكتب السَّماوية أيضاً، العدالة والمساواة الإنسانية، إلاّ أنَّ مبـدأ شـعب الله المختـار، وتمييـز اليهـود عـن الآخـرين في الأحكـام في التـوراة، وتأكيد الإنجيل على صلب المسيح وقتله، دون أن يقـترف ذنبـاً، وحمْـل البشـرية وزر خطيئــة آدم وحـوّاء، يقضـي أيضـاً علـى مبـادئ العدالـة والمساواة الواردة في التوراة والإنجيل.

٢٠- وتتفق الكتب السَّماوية على أنَّ الرِّق ينافي القيم الإنسـانية، وأنَّ الإنسـان خُلق ليكون حرّاً. ودعتْ هذه الأديان إلى الإحسـان إلى الرقيـق، لأنَّ هـذه الأديان جاءتْ ونظام الرِّق مستشرٍ في المجتمع. ولكن التـوراة والإنجيـل أقرّتا الرِّق على أنَّه ضرورة اجتماعيـة، أو أمـر فطـري تتطلبـه ضـرورات الحياة. ولم يرد فيهما ما يدعو إلى تحرير العبيـد، أو القضـاء علـى الـرِّق. ومن جهة أخرى، فرَّق التوراة بـين الرقيـق اليهـودي وغـير اليهـودي، فـلا يجوز أن يسترق اليهودي. وفي حالة وجود الرقيق اليهـودي، فإنَّـه يتحـرّر تلقائياً في السنة السابعة. أمَّا غير اليهود، فيبقون عبيداً إلى الأبـد. بينمـا القـرآن الكـريم دعـا إلى الإحسـان إلى العبيـد، ووضـع الطـرق المناسـبة للقضاء على الرِّق، من خلال تجفيف منابعه، وتوسيع المنافذ التي تؤدّي إلى العتق، ولم يفرِّق بين العبد المسلم وغيره.

٢١- الفقـر مشـكلة تـؤرِّق الإنسـانية، وكـان ومـا زال مستشـرياً في جميـع المجتمعـات. وكـلُّ الأديـان تحـارب الفقـر، وتـدعو إلى مسـاعدة الفقـراء

والمحتاجين. ولكن الملاحظ من نصوص التوراة والإنجيل، أنّه لا يوجد منهج عملي أو كيفية معقولة لمواجهة الفقر ومحاربته، كما يوجد في القرآن الكريم.

٢٢- إنَّ من أكبر العوامل التي تشوِّه مفهوم التكريم في التوراة والإنجيل، هو الإقرار بوجود الخطيئة الأصلية، وأنَّ الإنسان رهين الخطيئة وأنَّها تسري من الآباء إلى الأولاد رغم تأكيد التوراة على أنَّ الإبن لا يحمل وزر أبيه. وكذلك قضية صلب المسيح، فإنَّ كلا العامليْن يطعنان في العدل الإلهي، الذي لا يظلم أحداً من خلقه، بدون جرم اقترفه.

٢٣- إنَّ المرأة ومنزلتها في الكتاب المقدَّس، يطعن أيضاً في مفهوم التكريم، بحيث نجد أنَّ المرأة لها منزلة أقلُّ من منزلة الرجل، وأنَّها خلقتْ لتكون خادمة له. وليس هذا فحسب، بل هي السبب في جلب البلاء والشقاء إلى البشرية، وهي التي تسبَّبتْ في أكل آدم من الشجرة المحرَّمة، وهي مصدر الشرِّ والخطيئة. لذا فهي محرومة من بعض الحقوق، وهذه المواقف من المرأة غير موجودة في القرآن الكريم.

٢٤- تتفق الكتب السَّماوية في أنَّ الزواج أمر ضروري للحفاظ على النسل البشري واستمرار الحياة، إلاَّ أنَّ المسيحية تحبِّذْ الترهبن وعدم الزواج. وفيما يتعلَّق بالتعدّد، فإنَّ التوراة والقرآن متفقان في إباحته، في التوراة دون قيد وحدود، وفي القرآن في حدود أربع زوجات. وفي الإنجيل لا يوجد ما يحرِّم التعدّد، إلاّ أنَّ الطوائف المسيحية متفقة في الاقتصار على زوجة واحدة، وحرَّموا التعدّد. ويتفق التوراة والقرآن أيضاً، في أنَّ الطّلاق مكروه. ولكنّ الإنجيل يذهب إلى منع الطّلاق إلاَّ في حالة ثبوت الزنا في حق

أحد الزوجين.

٢٥- في مجال الاشهاد والاستيثاق، فإنَّ المرأة محرومة من هذا الحق في التوراة والإنجيل، وليس لها أيُّ اعتبار في الشهادة. إلاَّ أنَّ القرآن الكريم أعاد للمرأة هذا الحق، بل أعطاها حق الخصوصية دون الرجل، في المجالات التي تخصُّ المرأة، وفي المجالات الأخرى، أقرَّ القرآن الكريم شهادة امرأتيْن بدل رجل واحد، مراعياً في ذلك طبيعة المرأة ونفسيّتها، ولا يعني هذا إهانة المرأة والطعن في منزلتها وقيمتها.

٢٦-في مجال الميراث، فإنَّ المرأة لا ترث إلاَّ في حالة عدم وجود الولد الذكر، والزوجة لا ترث زوجها، في ضوء أحكام التوراة، وفي الإنجيل لا يوجد تشريع خاص بالميراث، فضلاً عن ميراث المرأة. أمَّا القرآن الكريم فقد أثبت حقَّ الميراث للمرأة، في الأحوال كلّها، وحذَّر من حرمان المرأة من الميراث. فلها الحق فيه، سواء كانت زوجة أو أمّاً أو بنتاً أو أختاً. . . . وبنسب متفاوتة.

" التوصيات والمقترحات "

١- يوصي الباحث بمزيد من الدراسات حول الإنسان وحقيقته من خلال الكتب المقدّسة، لإزالة الشبه والإتهام التي وُجِّهت إلى الأديان، بشكل عام، مدّعين أنَّ الدِّين لا يساير التطور، ولا يلبِّي حاجات الإنسان الروحية والمادية، ولا يقدِّم ما يخدم الإنسانية، ولا يواكب التغيُّرات والتقدم العلمي في العصر الحديث.

٢- كما يوصي بمزيد من الدراسات المقارنة بين النصوص المقدّسة، بهدف الوقوف على العظمة التي تشتمل عليها نصوص القرآن الكريم في المجال الإنساني.

٣- الإهتمام بمثل هذه الموضوعات في الدراسات الأولية، والتركيز على المبادئ الإنسانية في الكتب السماوية، وإدخالها في مناهج التعليم سواء كان في الإعداديات او الجامعات، والتّعمُّق فيها في الدراسات الأكاديمية، وخاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه.

٤- تشجيع طلاب الدراسات الإسلامية على الإهتمام بمادة مقارنة الأديان وربطه بمجالات الحياة المختلفة، العقدية والثقافية والإنسانية.... وعدم الخوف من النقد وإبراز السلبيات، بل إدخاله في تلك الميادين بكل حزم وثقة وإعتزاز.

٥- نظراً لتنوُّع الثقافات والأديان في أقليم كوردستان، أقترح بفتح قسم خاص بمقارنة الأديان في إحدى الكلّيات في جامعات الأقليم. حيث

يدرس فيه جميع هذه الأديان، كمطلب تتطلبه طبيعة المجتمع.

" المصادر والمراجع "

أولاً/ الكتـــب:

- القرآن الكريم

ـ الكتاب المقدَّس –العهد القديم– الاصدار الثاني. ١٩٩٥م. ط٤ –العهد الجديد– الاصدار الرابع. ١٩٩٣. ط٣٠. جمعية الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط. بيروت– لبنان.

١. أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام. فؤاد عبدالمنعم. مؤسسة شباب الجامعة– الأسكندرية. بدون تاريخ.

٢. أبحاث في تاريخ الشرائع. د. علي بدوي. جمعية القانون والاقتصاد– القاهرة. ١٩٣١م.

٣. الآحاد والمثاني. أحمد بن عمرو بن الضحّاك الشيباني. تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة. دار الراية– الرياض. ط١. ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

٤. أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود من المصريين. عبدالناصر توفيق العطار. مجمع البحوث الإسلامية– القاهرة. ١٩٧٢م.

٥. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. المكتبة التوفيقية– القاهرة. بدون تاريخ.

٦. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين. م. حاي بن شمعون. مطبعة كوهن روزنتال. مصر. ١٩١١م.

٧. أحكام الصيام وفلسفته. د. مصطفى السباعي. دارالشروق– بيروت. ١٩٩٩م.

٨. أحكام القرآن. أبوبكر محمد بن عبدالله ابن العربي. دار الفكر المعاصر– بيروت. بدون تاريخ.

٩. أحكام القرآن. أحمد بن أبوبكر بن علي الرازي الجصاص. تحقيق: محمد صادق قمحاوي. دار إحياء التراث العربي– بيروت. ط١. ١٤٠٥هـ.

١٠. أحكام أهل الذمة والمستأمنين في دار الإسلام. د. عبدالكريم زيدان. مؤسَّسة الرسالة. بيروت ـ لبنان. ط١. ١٩٨٢م.
١١. أحكام أهل الذِّمة. أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ). تحقيق د. صبحي صالح. دار العلم للملايين– بيروت. بدون تاريخ.
١٢. أحكام أهل الذمَّة. محمد بن أبي بكر ابن القيِّم الجوزية. تحقيق يوسف أحمد البكري. وشاكر توفيق الفارودي. دار ابن حزم– الدّمام– بيروت. ط١. ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
١٣. الإحكام في أصول الأحكام. علي بن محمد الآمدي. د. سيد الجميلي. دار الكتاب العربي– بيروت. ط١. ١٤٠٤هـ.
١٤. أخلاق اليهود. وفاء صادق. دار الفرقان. بدون تاريخ.
١٥. الأخلاق دعوة. الأب بشّار متّى وردة. منشورات دار نجم– بغداد. ٢٠٠٨م.
١٦. الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية. د. يعقوب المليجي. مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
١٧. الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات. د. عزت زكي. دار التأليف والنشر الأسقفية– القاهرة. بدون تاريخ.
١٨. الأدب المفرد. محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار البشائر الإسلامية– بيروت. ط٣. ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.
١٩. آدم–عليه السلام– فلسفة تقويم الإنسان وخلافته. البهي الخولي– القاهرة. ط٣. ١٩٧٣م.
٢٠. أديان العالم . د. هوستن سميث. ترجمة سعد رسم. دار الجسور الثقافية– الأردن. ط٣. ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٢١. أديان العالم. حبيب سعيد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية– القاهرة. بدون تاريخ.
٢٢. الأديان المعاصرة. راشد عبدالله الفرحان. بدون تاريخ.

٢٣. الأديان في القرآن. د. محمود الشريف. مطبعة دار المعارف– مصر. ١٩٧٠م.
٢٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. حمد بن محمد العمادي أبو السعود. دار إحياء التراث العربي. بيروت. بدون تاريخ.
٢٥. أركان حقوق الإنسان د. صبحي المحمصاني. دار العلم للملايين – بيروت – ط١. ١٩٧٩ م.
٢٦. الإرهاب بين التوراة والقرآن. اللواء شاكر الحاج. مؤسسة المعارف –بيروت. بدون تاريخ.
٢٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي– بيروت. ط٢. ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
٢٨. إستراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية. د. إبراهيم يحى الشهابي. منشورات إتحاد الكتاب العرب– دمشق. ١٩٩٧م.
٢٩. الاستقامة. أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني. تحقيق: محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– المدينة المنورة. ط١. ١٤٠٣هـ.
٣٠. إسرائيل حرَّفت الأناجيل واقترفت أسطورة السامية. أحمد عبدالوهاب. مكتبة وهبة– مصر. ط٢. بدون تاريخ.
٣١. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. بدون تاريخ.
٣٢. الإسقاط في مناهج المستشرقين. د. شوقي أبو خليل. دار الفكر– دمشق ودار الفكر المعاصر– بيروت. ط٢. ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٣٣. الإسلام عقيدة وشريعة. الإمام محمود شلتوت. دار الشروق– القاهرة. ط٦. ١٩٧٢م.
٣٤. الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة. أبو الأعلى المودودي. تعريب. خليل أحمد الحامدي. دار السعودية للنشر والتوزيع. بدون تاريخ.
٣٥. الإسلام والأديان –دراسة مقارنة– د.مصطفى حلمي. دار الكتب العلمية –

بيروت – لبنان. ط١. ٢٠٠٤ م.

٣٦. الإسلام والاستبداد السياسي. الشيخ محمد الغزالي. دار الكتاب العربي– القاهرة. بدون تاريخ.

٣٧. الإسلام والإنسان. د. محمد عبدالمنعم خفاجي. دار الوفاء– الأسكندرية. ط١. ٢٠٠٤م.

٣٨. الإسلام والحضارة الإنسانية د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني– بيروت. ١٩٩٢م.

٣٩. الإسلام والغرب الإسلام والعلمانية. بولس الخوري وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي– الإسلامي. المكتبة البولسية– لبنان. ١٩٩٧م.

٤٠. الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة. أحمد إسماعيل يحيى. مكتبة الدارالعربية للكتاب– القاهرة. ط١. ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٢م.

٤١. الإسلام واليهودية – دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين– د. عماد علي عبدالسميع. تقريظ. د. عبدالخالق إبراهيم إسماعيل. دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان. ط١. ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٤٢. الإسلام وتحرير الفكر الإنساني. محمد فريد وجدي. جمع ومراجعة د. محمد رجب البيومي. الدار المصرية اللبنانية. ط ١. ٢٠٠٦م.

٤٣. الإسلام وحقوق الإنسان– المشترك الأنساني للثقافات و الحضارات القديمة – د. عبدالحسين شعبان. مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر – كوردستان – العراق. ط١. ٢٠٠١ م.

٤٤. الإسلام وحقوق الإنسان. القطب طبلية. دار الفكر العربي=بيروت. ط٢. ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

٤٥. الإسلام وحقوق الإنسان. صبحي عبده سعيد. دار النهضة العربية– القاهرة. ١٤١٥هـ.

٤٦. الإسلام وحقوق النساء. د. رفعت حسان. ترجمة: جهان الجندي دار. الحصاد

للنشر والتوزيع– دمشق. ط١. ١٩٩٨م.

٤٧. الإسلام ومشكلات الحضارة. سيد قطب. دار الشروق. بيروت. ط٨. ١٩٨٣م.

٤٨. الإسلام يسائل المسيحية في شؤون اللاهوت والفلسفة. أندراوس بشته وعادل ثيودور وآخرون. مركز الأبحاث للحوار المسيحي– الإسلامي. المكتبة البوليسية– لبنان. ٢٠٠٠م.

٤٩. الإسلام. سعيد حوى. دار السلام للطباعة والنشر. ط٤. ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٠. إسلامنا. سيد سابق. دار الفكر– بيروت. ١٣٩٨هـ – ١٩٩٤م.

٥١. إشتراكية الإسلام. د. مصطفى السباعي. مؤسسة المطبوعات العربية– دمشق. ط٢. ١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م.

٥٢. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الجيل –بيروت. ط١. ١٤١٢هـ.

٥٣. الأصول العامة لوحدة الدين الحق د. وهبة الزحيلي. المكتبة العباسية– دمشق. ط١. ١٩٧٢م.

٥٤. أصول الفكر السياسي الإسلامي. د. محمد فتحي عثمان. مؤسسة الرسالة– بيروت. ط٢. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٥٥. أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى. د. ثروت بدوي . دار النهضة العربية. ١٩٦٧م.

٥٦. أصول القانون. عبدالرزاق أحمد السنهوري وآخرون. طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة. ١٩٥٠م.

٥٧. الأصول اليهودية. ديفيد لاندرو. ترجمة: مجدي عبدالكريم. مكتبة مدبولي– القاهرة. ط١. ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٥٨. أضواء على اليهودية. د. محمد أحمد دياب. دارالمنار– القاهرة. ١٩٨٥م.

٥٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن القيِّم الجوزية. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. دار الجيل– بيروت. ١٩٧٣م.

٦٠. إفحام اليهود. الإمام المهتدي السموأل بن يحى المغربي (ت ٥٧٠هـ). تحقيق. د. محمد عبدالله الشرقاوي. مكتبة الزهراء- القاهرة. ودار الجبل- بيروت. ط٣. ١٩٩٠م.

٦١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن تيمية. المكتبة القيِّمة- القاهرة. ط٢. ١٤٠١هـ.

٦٢. الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان . نجم الدين البغدادي تحقيق. د. أحمد حجازي السقا. مطبعة دار البيان – مصر. ١٩٨٣ م.

٦٣. الإنسان –دراسة في النوع والحضارة – د. محمد رياض. دارالنهضة العربية – بيروت. بدون تاريخ.

٦٤. الإنسان في القرآن. عباس محمود العقّاد. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. ٢٠٠٤م.

٦٥. الإنسان في مرآة القرآن. د. محمد أحمد سحلول. المؤسسة العربية الحديثة- القاهرة. بدون تاريخ.

٦٦. الإنسان والكون. د. زغلول راغب النجار. دار المعرفة- بيروت. ط١. ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م.

٦٧. الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم. عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي- القاهرة. ١٩٩٠م.

٦٨. الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف. علاءالدين أبو الحسن المرداوي الدمشقي. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت . ط١. ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٦٩. أنوار البروق في أنواء الفروق. أبو العباس أحمد بن إدريس شهاب الدين القرافي. تحقيق: خليل المنصور. دار الكتب العلمية- بيروت. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧٠. أنوار التنزيل وأسرارالتأويل (تفسير البيضاوي). تحقيق عبدالقادر عرفات العشا حسونة. دار الفكر- بيروت. ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٧١. إيماننا الحيّ. الأب درويبيركليمان. والأب أدمون يازجي. الناشر:دار المعارف- القاهرة. ١٩٦١م.
٧٢. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. ابن نجيم. دار المعرفة- بيروت. بدون تاريخ.
٧٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. علاء الدين الكاساني. دار الكتاب العربي- بيروت. ١٩٨٢م.
٧٤. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. أبو الوليد محمد بن أحمدبن رشد القرطبي الشهير بالحفيد(ت٥٩٥هـ). مطبعة البابي الحلبي وأولاده- مصر. ط٤. ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
٧٥. البصيرة الإسلامية. د. محمد شريف احمد. دار البشير ـ عمان ـ الأردن. ط١. ٢٠٠٠م.
٧٦. بنو إسرائيل-الحضارة -التوراة-التلمود. الجزء الثالث والخامس. د. محمد بيومي مهران. دار المعرفة الجامعية- الأسكندرية. ١٩٩٩م.
٧٧. البيان والتبيين. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: المحامي نوري عطوي. دار صعب- بيروت. ط١. ١٩٦٨م.
٧٨. بين الإسلام والمسيحية. أبي عبيدة الخزرجي (ت٥٨١هـ) تحقيق وتعليق د. محمد شامة. مكتبة وهبة- مصر. ١٩٧٩م.
٧٩. تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق عبدالكريم العزباوى. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ط١. ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.
٨٠. تاريخ الإسلام السياسي والديني. حسن إبراهيم حسن. دار النهضة ـ القاهرة. ط١. ١٩٥٩م.
٨١. تاريخ الأمم والملوك. ابن جرير الطبري. دار الكتب العلمية- بيروت.١٤٠٧هـ.
٨٢. تاريخ الفكر السياسي. إبراهيم أباظة وعبدالعزيز الغنّام. دار النجاح ـ بيروت ـ لبنان. ط١. ١٩٧٣م.
٨٣. تاريخ المسيحية- فجر المسيحية- حبيب سعيد. دار التأليف والنشر للكنيسة

الأسقفية– القاهرة. بدون تاريخ.
٨٤. تاريخ اليهود في بلاد العرب. إسرائيل ولفنسون– القاهرة. ١٩٢٧م.
٨٥. التاريخ اليهودي–الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة – إسرائيل شاحاك. ترجمة صالح علي سوداح. دار بيان للنشروالتوزيع– بيروت– لبنان. ط١. ١٩٩٥م.
٨٦. تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام د. عزية علي طه. دار القلم– الكويت. بدون تاريخ.
٨٧. التبيان في إعراب القرآن. أبي البقاء عبدالله العكبري. وضع حواشية محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
٨٨. تجديد الموقف الإسلامي في الفقه والفكر والسياسة. د. محمد شريف أحمد. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ودار الفكر– دمشق. ط١. ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤م.
٨٩. التحرير والتنوير. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. دار سمنون للنشر والتوزيع– تونس. ١٩٩٧م.
٩٠. التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة. مجموعة مؤلفين في علم اللاّهوت المسيحي. مجمع الكنائس الأرثوذكس– القاهرة. ط١. ١٩٩٧م.
٩١. التشريع الجنائي الإسلامي. عبدالقادر عودة. بدون تاريخ والطبعة والمطبعة.
٩٢. التصريح بإثبات الأناجيل الأربعة الاعتقاد الصحيح في المسيح د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي. بدون تاريخ والطبعة والمطبعة.
٩٣. تعدُّد نساء الأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. اللواء أحمد عبدالوهاب. مكتبة وهبة– القاهرة. ط١. ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٩٤. التعريفات. علي بن محمد علي الجرجاني. تحقيق ابراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي– بيروت. ط١. ١٤٠٥هـ.
٩٥. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. الشيخ محمد الغزالي. نهضة مصر. ط٦. ٢٠٠٥م.

٩٦. تفسير أصول الإيمان. وليمسون. ترجمة الشيخ فايز فضيل. دارالثقافة المسيحية– القاهرة. بدون تاريخ.

٩٧. تفسير أعمال الرسل. وليم باركلي. ترجمة جوزيف صابر.دار الثقافة المسيحية– القاهرة. بدون تاريخ

٩٨. تفسير الجلالين. جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. دار الحديث– القاهرة. ط١. بدون تاريخ.

٩٩. تفسير الشعراوي. الشيخ محمد متولي الشعراوي. مجمع البحوث الإسلامية. ١٩٩١م.

١٠٠. تفسير العهد الجديد (رسالة رومة). وليم باركلي. ترجمة د. منيس عبدالنور. دار الثقافة المسيحية– القاهرة. بدون تاريخ.

١٠١. تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل ين محمد بن كثير الدمشقي. (ت٧٠٠–٧٧٤هـ). تحقيق سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢. ١٣٢٠هـ– ١٩٩٩م.

١٠٢. التفسير المنير. د. وهبة الزحيلي. دار الفكر المعاصر– بيروت. ودار الفكر– دمشق. ط١. ١٩٩١ م.

١٠٣. تفسير النسفي. عبدالله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي. تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار. دار النفائس– بيروت. ٢٠٠٥م.

١٠٤. تفسير الوصايا العشر. سعديا غاؤون. تحقيق ودراسة د. محمد الهواري. دار الزهراء للنشر– القاهرة. ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٠٥. التقرير والتحبير في أصول الفقه. ابن أمير الحاج. تحقيق عبدالله محمود. دار الفكر المعاصر– بيروت. ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.

١٠٦. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث–اليهودية– المسيحية– الإسلام. سعد بن منصور بن كمونة اليهودي. تحقيق د. عبدالعظيم المطعني. توزيع دار الأنصار– القاهرة. ط٢.

١٠٧. تهذيب اللغة. ابو منصور محمد بن أحمد الأزهري. الدار الوطنية للتأليف والترجمة. بدون تاريخ.

١٠٨. التوراة الهيروغليفية. د. فؤاد حسنين علي. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر– القاهرة. بدون تاريخ.

١٠٩. التوراة تاريخها وغايتها. مؤلف أمريكي مجهول. ترجمة وتعليق: سهيل ديب. دار النفائس.بدون تاريخ

١١٠. التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ليو تاكسل. ترجمة د. حسان ميخائيل إسحاق. بدون تاريخ.

١١١. التوقيف على مهمات التعاريف. محمد عبد الرؤوف المنادي. تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر– بيروت. ودار الفكر– دمشق. ط١. ١٤١٠ هـ.

١١٢. جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن أحمد بن جرير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة– بيروت. ط١. ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

١١٣. الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ). تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب– الرياض.المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

١١٤. جدلية الإسلام. محمد شوقي الفنجري. دار الثقيف للنشر والتأليف– الرياض. ط١ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

١١٥. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. محمد خير هيكل. دار البيارق– بيروت. ط١. ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١١٦. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. ابن تيمية الحرّاني. تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر. دار العاصمة– الرياض. ط٢. ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

١١٧. حاشية إعانة الطالبين على الفاظ فتح المعين. أبوبكر الدمياطي. طبعة وتصميم محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١٥هـ –

١٩٩٥م.
١١٨. حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري. تأليف العلاّمة الشيخ سليمان الجمل. دار الفكر- بيروت. بدون تاريخ.
١١٩. حاشية الشرقاوي على شرح التحرير. زكريا الأنصاري. دار الكتب العلمية- بيروت. ١٢٦٢هـ.
١٢٠. حاضر العالم الإسلامي. لوثروب ستيوارد. ترجمة. عجاج نو يهض. دار الفكر -دمشق. بدون تأريخ.
١٢١. الحاوي الكبير في الفقه الشافعي. أبو الحسن الماوردي. دار الكتب العلمية- بيروت. ط١. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٢٢. حتّى لانخدع. د. عبدالودود شلبي. دار الشروق. ط٥. ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٢٣. حجية التوراة. د. أحمد الحوفي. مؤسسة الخليج العربي. ط١. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٢٤. الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة. د. كريم يوسف أحمد كشاكش. الأسكندرية. بدون تاريخ.
١٢٥. الحريات العامة نظرات في تطورها وضماناتها ومستقبلها. د. عبدالحميد متولي منشأة المعارف- الإسكندرية. ١٩٧٥م.
١٢٦. الحريات العامة وحقوق الإنسان. المؤسسة الحديثة. طرابلس. بدون تاريخ.
١٢٧. الحريات العامة وحقوق الإنسان. محمد سعيد مجذوب. جروس برسي. طرابلس- لبنان. ط١. ١٩٨٦م.
١٢٨. الحسام المحدود في الرد على اليهود - رسالتان في الردِّ على اليهود - أبو محمد عبدالحق الإسلامي والسلطان العلوي الشريف سليمان بن محمد بن عبدالله. دار الكتب العلمية- بيروت. ط١. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٢٩. الحسبة في الإسلام. ابن تيمية الحراني. طبعة الخانجي- القاهرة. ١٣٢٣هـ.
١٣٠. الحضارة الإسلاميّة. عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني. دار القلم- دمشق.

ط١. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٣١. حضارة العرب. غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. بدزن تاريخ.

١٣٢. حق الحياة البشرية. بوحدين أحمد بلختير. رسالة ماجيستر دار ابن حزم- بيروت. ط١. ٢٠٠٩ م.

١٣٣. الحق ومدى سلطات الدولة في تقييده. د. فتحي الدريني. مؤسَّسة الرسالة للطباعة والنشر- بيروت. ط٢. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٣٤. حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. القس فايز فارس. دار الثقافة المسيحية. ط١. بدون تاريخ.

١٣٥. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. عباس محمود العقاد. مطبعة مصر- القاهرة. ط١. ١٩٥٩م.

١٣٦. حقوق الإنسان - دراسة مقارنة بين النظرية والتطبيق - د. أحمد الرشيدي. مكتبة الشروق الدولية- القاهرة. ط١. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٧. حقوق الإنسان السياسية في الشريعة الإسلامية والنظم العالمية د. ساجر ناصر حمد الجبوري. دار الكتب العالمية- بيروت. ط١. ٢٠٠٥م.

١٣٨. حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي. الشيخ محمد علي التسخيري. -المعاونية الثقافية للمجمع العالي لأهل البيت. مطبعة أمير. ط١. ١٩٩٥م.

١٣٩. حقوق الإنسان بين الفكر الإسلامي والتشريع الوضعي. هايل عبدالمولى. دار الكندي- عمان- الأردن. ٢٠٠٧م.

١٤٠. حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي. د. فضل الله حمد إسماعيل. مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر. الأسكندية. ط٢. ٢٠٠٤ م.

١٤١. حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان د. أحمد حافظ نجم. دار الفكر العربي- بيروت. بدون تاريخ.

١٤٢. حقوق الإنسان بين المفاهيم الإسلامية وإعلان الأمم المتحدة. الشيخ محمد

الغزالي. نهضة مصر. ط٦. ٢٠٠٩م.
١٤٣. حقوق الإنسان في الإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. نهضة مصر. ط ٧. ٢٠٠٢م.
١٤٤. حقوق الإنسان في الإسلام. دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان د. محمد الزحيلي. دار ابن كثير. دمشق – بيروت. ط٥. ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
١٤٥. حقوق الإنسان في الحرب والسلام بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام. د. علي عبدالرحمن الطيار. مكتبة التوبة– الرياض. ط١. ١٤٢٢م.
١٤٦. حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي. حمد بن عبدالعزيز أبو سخيلة. مطابع الخط– الكويت. ١٩٨٥م.
١٤٧. حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية. د. حسن حامد حسان. مكتبة الشروق الدولية– القاهرة. ط١. ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
١٤٨. حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة. يسرى السيد محمد. دار المعرفة– بيروت. ط١. ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
١٤٩. حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية د. عبدالسلام الترمانيني. بدون تاريخ.
١٥٠. حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني. د. فيصل شطناوي. دار الحامد للنشر– عمان. ط٢. ٢٠٠١م.
١٥١. حقوق الإنسان وحرياته. علي محمد صالح الدبّاس وعلي عليان محمد. دار الثقافة للنشر والتوزيع– عمان– الأردن. ط١. ٢٠٠٥م.
١٥٢. حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام. أسامة الألفي. دار الوفاء– الأسكندرية. ١٩٩٩م.
١٥٣. حقوق الإنسان. د. كمال سعدي مصطفى. مطبعة التربية. أربيل– العراق. ط١. ٢٠٠٤م.

١٥٤. حقوق الإنسان. صبحي عبده سعيد. دار النهضة العربية– القاهرة. ١٤٢٥هـ.

١٥٥. حقوق المرأة بين التشريع الإسلامي والشرعة العالمية لحقوق الإنسان د. فتنت مسّيكه بُرّ. مؤسسة المعارف– بيروت. ط١. ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

١٥٦. حقوق النساء في الإسلام. محمد رشيد رضا. تعليق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي– بيروت. ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م.

١٥٧. حقوق وواجبات الإنسان العامة. د.منصور صالح العواملة. المركز العربي للخدمات الطلابية– عمان. ١٩٩٣م.

١٥٨. حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن. د. فتنت مسيِّكة بُرّ. مؤسسة المعارف– بيروت– لبنان. ط١. ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٥٩. الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام. د. وهبة الزحيلي. دار المكتبي– دمشق. ١٩٩٥م.

١٦٠. الخلاص في مفهومه الكتابي والتطبيقي. القس صموئيل حبيب. دار الثقافة المسيحية– القاهرة. بدون تاريخ.

١٦١. خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي. سراج الدين عمر بن علي الشافعي(ت٨٠٤هـ). تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. مكتبة الرشاد– الرياض. ط١. ١٤١٠هـ.

١٦٢. الخلاصة الشهية في أخصِّ العقائد والتعاليم الأرثوذكسية. أفلاطون مطران موسكو. تعريب يوحنا حزبون. بدون تاريخ.

١٦٣. دائرة المعارف الإنجليزية (البريطانية). ١٩٥٩م.

١٦٤. الدرّ المنثور. عبدالرحمن بن الكمال بن جلال الدين السيوطي. دار الفكر– بيروت. ١٩٩٣م.

١٦٥. دراسات في قانون حقوق الإنسان. د. حيدرأدهم عبدالهادي. دار الحامد للنشر– عمان– الأردن. ط١. ٢٠٠٩م.

١٦٦. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية د. محمد علي البار. دار

القلم- دمشق. ط١. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٦٧. دراسة في التوراة والإنجيل. د. كامل سعفان. دار الفضيلة للنشر والتوزيع. ١٩٨٩م.
١٦٨. الدراية في تخريج أحاديث الهداية. أبو الفضل أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: السيد عبدالله هاشم المدني. دار المعرفة- بيروت. بدون تاريخ.
١٦٩. دروس في أصول القانون. د. جميل الشرقاوي. دار النهضة العربية- القاهرة. ١٩٧١م.
١٧٠. دروس في الكتاب المقدَّس-الجزء الأول- ضمن سلسة كتب الدراسة الكتابية. القس حارث قريصة. دار الثقافة المسيحية- القاهرة. ط٤. ١٩٩٠م.
١٧١. دروس في نظرية الحق. د. محمد لبيب شنب. دار النهضة العربية- القاهرة. ١٩٧٧م.
١٧٢. الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد. ترجمة حسن إبراهيم وعبدالحميد عابدين وإسماعيل. بدون تاريخ.
١٧٣. الديمقراطية وحقوق الإنسان د. محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت. ط٣. ٢٠٠٤م.
١٧٤. دين الحق. عبد الرحمن بن حماد آل عمر. وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية. ط١. ١٤٢٠هـ.
١٧٥. الدين والحضارة الإنسانية. محمد البهي. دار الفكر المعاصر- بيروت. ١٩٧٤م.
١٧٦. الذريعة إلى مكارم الشريعة. الراغب الأصفهاني. مكتبة الكليات الأزهرية. مراجعة وتقديم: طه عبدالرؤوف. ط١. ١٩٧٣ م.
١٧٧. رجال الكتاب المقدس. الياس مقار. دار الثقافة المسيحية- القاهرة. ط١. ١٩٧٩م.

١٧٨. رد المحتار على الدر المختار. ابن العابدين. تحقيق محمد صبحي حلاق و عامر حسين. دار إحياء التراث العربي– بيروت. ط١. ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٧٩. الرسالة القشيرية في علم التصوف. دار الكتاب العربي– بيروت. بدون تاريخ.
١٨٠. رسالة في اللاّهوت والسياسة. باروخ أسبينوزا. ترجمة د. حسن حنفي. مراجعة د. فؤاد زكريا. المطبعة الثقافية– القاهرة. ١٩٧١م.
١٨١. الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها– ضمن موسوعة العقيدة والأديان– د. أحمد علي عجيبة. دار الآفاق العربية. ٢٠٠٤م.
١٨٢. روح الدين الإسلامي. عفيف عبدالفتاح طبارة. دار العلم للملايين– بيروت. ط٣. ٢٠٠٣م.
١٨٣. روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط. إيتن جلسون. ترجمة وتعليق. د. إمام عبدالفتاح إمام. دارالثقافة– القاهرة. ط٢. ١٩٧٤م.
١٨٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل محمود الآلوسي. دار إحياء التراث العربي– بيروت. بدون تاريخ.
١٨٥. روحانية الزواج المسيحي. الأب د. سالم ساكا. مكتب سركيس آغا جان– أربيل ط١. ٢٠٠٧م.
١٨٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين. الإمام النووي. المكتب الإسلامي– بيروت. ١٤٠٥هـ.
١٨٧. زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أيوب ابن قيِّم الجوزية. مؤسسة الرسالة– بيروت. ومكتبة المنار الإسلامية– الكويت. ط٢٧. ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.
١٨٨. سرُّ التدبير الإلهي (التجسُّد). أسبيرو جبّور. المنشورات الأرثوذكسية– طرابلس. ط١. ١٩٨٠م.
١٨٩. سرُّ الفداء حسب الإنجيل والآباء. باسيليوس. رئيس أساقفة بروكسل. ترجمة وإضافة: بيت التكريز لخدمة الكرازة. مؤسسة القديس أنطونيوس–

القاهرة. ١٩٨٢م.

١٩٠. سفر التاريخ اليهودي. رجا عرابي. دار الأوائل– دمشق. ط١. ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤.

١٩١. السلام والعدل والعوامل التي تهددهما في عالم اليوم. أندراس بشته والسيد أمير أكرمي والسيد عبدالمجيد ميردامادي. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي– والإسلامي. المكتبة البوليسية– لبنان. ٢٠٠٦م.

١٩٢. سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر المعاصر– بيروت. بدون تاريخ.

١٩٣. سنن البيهقي الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكر البيهقي. تحقيق: محجمد عبدالقادرعطا. مكتبة دار الباز– مكّة المكرّمة. ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

١٩٤. سنن الترمذي (الجامع الصحيح). محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي– بيروت. بدون تاريخ.

١٩٥. سنن النسائي الكبرى. أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري. وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١١هـ–١٩٩١م.

١٩٦. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني. دار المعرفة. بدون تاريخ.

١٩٧. السيرة النبوية. عبدالملك ابن هشام. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. دار الجيل– بيروت. ١٤١١هـ.

١٩٨. السيف الأحمر. دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة. د. جمال البدري. دار الأوائل– دمشق. ط١. ٢٠٠٣م.

١٩٩. الشخصية الإسرائيلية. عبده الراجحي دار المعارف– القاهرة. ١٩٦٨م.

٢٠٠. شرح أصول الإيمان. د. أندراوس وطسون. أتمّه وراجعه. د. إبراهيم سعيد. مطبعة النيل– القاهرة. ١٩٣٠م.
٢٠١. شرح الأحكام الشرعية في التوراة. مقارنة بين الأحكام الفقهية في التوراة والقرآن والسنة. فادي فرج درويش العطار. مركز ابن العطار للتراث– القاهرة. ط١. ٢٠٠٤م.
٢٠٢. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه. مسعود بن عمر التفتازاني. تحقيق زكريا عميرات. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
٢٠٣. شرح الحكم الطائية. عبدالمجيد الشرنوبي. تعليق: عبدالفتاح البزم. دار ابن كثير– دمشق. ط٤. ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٢٠٤. شرح تنقيح الفصول. القرافي. دار الفكر– بيروت. ط١. ١٤٨٠هـ – ١٩٩٧م.
٢٠٥. شريعة المحرقة. محمد نمر المديني. الدارالحديثة– دمشق. ط١. ٢٠٠٧م.
٢٠٦. شعب الإيمان. أحمد بن علي بن موسى الخراساني أبوبكر البيهقي(ت ٤٥٨هـ). تحقيق: د.عبدالعلي عبدالحميد حامد. مكتبة الرشد– الرياض بالتعاون مع دار السلفية بالهند. ط١. ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.
٢٠٧. صحيح ابن حبّان. محمد بن حبان التميمي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة– بيروت. ط٢. ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.
٢٠٨. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر). محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير– اليمامة–بيروت. ط٣. ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.
٢٠٩. صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر). أبو الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري. دار الجيل ودار الآفاق الجديدة– بيروت. بدون تاريخ.
٢١٠. الصهيونية العالمية. عباس محمود العقّاد. مكتبة غرب– القاهرة. ١٩٦٨م.
٢١١. الطبقات الكبرى.محمد بن سعد بن منيع أبوعبدالله البصري.دار صادر–

بيروت. بدون تاريخ.

٢١٢. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ابن قيِّم الجوزية. تحقيق: د. محمد جميل غازي. مطبعة المدني– القاهرة. بدون تاريخ.

٢١٣. طريق الخلاص. عوض سمعان. دار الثقافة المسيحية– القاهرة. ط٢. بدون تاريخ.

٢١٤. الطّلاق في الشريعة الإسلامية والقانون. د. أحمد الغندور. دار المعارف– مصر. ط١. ١٣٧٨هـ– ١٩٦٧م.

٢١٥. العبادات في الأديان السماوية–اليهودية والمسيحية والإسلام– عبدالرزاق رحيم صلال الموحي. دار صفحات للدراسات والنشر– دمشق. ط٢. ٢٠٠٧م.

٢١٦. العبادة في الإسلام. د. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة.– بيروت. ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢١٧. العدل فريضة إسلامية وضرورة إنسانية. د. أسعد السحمراني. دار النفائس– بيروت. ط١. ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٢١٨. العدل في العلاقات بين الدول والأديان في النظرة الإسلامية المسيحية. أندراوي بشته وعادل ثيودور. المكتبة البوليسية– لبنان. ٢٠٠٢م.

٢١٩. العدل في المسيحية والإسلام. عادل ثيودور ومشير باسيل عون وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي– الإسلامي. المكتبة البوليسية– لبنان. ١٩٩٦م.

٢٢٠. العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها. خالد رحّال الصلاح. دار العلوم العربية للطباعة والنشر– بيروت. بدون تاريخ

٢٢١. العقوبة. د. محمد أبو زهرة. دار الفكرالعربي– القاهرة. ١٩٩٨م.

٢٢٢. العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل. د. حسن الباش. دار قتيبة للنشر والتوزيع– دمشق. ط١. ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢٢٣. العلاقات الدولية في الإسلام د. محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي– القاهرة.

١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢٢٤. علم القانون والفقه الإسلامي. سمير عالية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع– بيروت. ط١. ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.

٢٢٥. علم اللاهوت النظامي. الهيئة القبطية الإنجيلية. دار الثقافة المسيحية– القاهرة. ط١. ١٩٧١م.

٢٢٦. علم اللاّهوت حسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية. القمّص ميخائيل مينا. مطبعة رمسيس. ١٩٧٤م.

٢٢٧. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. السمين الحلبي دار السيد. بدون تاريخ.

٢٢٨. عمر بن الخطاب وأصول السياسة والأدارة الحديثة. د. سليمان الطماوي. دار الفكر العربي. ١٩٦٩م.

٢٢٩. العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي.نواف هايل تكروري. دار الفكر– دمشق ط٤. ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٢٣٠. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحي المغربي ت (٥٧٠هـ). تحقيق د. إمام حنفي سيد عبدالله. دار الآفاق العربية– القاهرة. ط١. ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢٣١. غوستاف لوبون في الميزان. د. شوقي أبو خليل. دار الفكر– دمشق ودار الفكر المعاصر– بيروت. ط١. ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٣٢. فتاوى ابن تيمية الحراني. مطبعة الرئاسة العامة. الرياض. بدون تاريخ.

٢٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. تحقيق أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي. دار المعرفة– بيروت. ١٣٧٩هـ.

٢٣٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط٣. ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٢٣٥. الفتح الكبير في ضمِّ الزيادة الى الجامع الصغير. جلال الين بن عبدالرحمن

السيوطي. تحقيق: يوسف النبهاني. دار الفكر المعاصر- بيروت. ط١. ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٣٦. الفتوحات المكية. ابن عربي. دار صادر- بيروت. بدون تاريخ.

٢٣٧. الفضيلة والحق. مقال منشور في مجلة الفيصل. عن دار الفيصل الثقافية في السعودية. السنة: ١٣. العدد: ١٥٥. كانون الأول. ١٩٨٩ م.

٢٣٨. الفقه الإسلامي وأدلته. د.وهبة الزحيلي. دار الفكر- دمشق. ط٤. ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٩. الفكر الديني اليهودي- أطواره ومذاهبه- د. حسن ظاظا. دار القلم- دمشق ودار العلوم- بيروت. ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٤٠. فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي. الشيخ محمد أبو زهرة. طبع معهد الدراسات العربية العامة- القاهرة. ١٩٦٣م.

٢٤١. فلسفة القانون. د. حسن علي ذنون. مطبعة العاني- بغداد. ط١. ١٩٧٥م.

٢٤٢. في ذكرى شهداء المسيحية. شنودة السرياني. منشورات لجنة النشر والتأليف كنيسة مارجرجيس القبطية- القاهرة. ١٩٧١م.

٢٤٣. في ظلال القرآن. سيد قطب. دار الشروق- القاهرة. ط٣٥. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٢٤٤. القاموس الفقهي. سعدي أبو جيب. دار الفكر. دمشق. ط٢. ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤٥. قاموس الكتاب المقدّس. طبعة بيروت. ١٩٦٧م.

٢٤٦. قاموس الكتاب المقدس. منشورات مكتبة المشعل بيروت. ط٦. ١٩٨١م.

٢٤٧. القاموس المحيط. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق مؤسّسة الرسالة- بيروت. ط١. ١٩٨٦ م.

٢٤٨. قاموس(فهرست) الكتاب المقدس. د. جورج بوست. مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. ط٢. ١٩٦٩م. ومنشورات مكتبة المشعل- بيروت. ط٥. ١٩٨١.

٢٤٩. القانون الدستوري. د. محمد رفعت عبدالوهاب. منشأة المعارف – الأسكندرية. ١٩٩٠م.
٢٥٠. قتل المرتد. . . الجريمة التي حرمها الإسلام. محمد منير إدلبي. دار أوائل– دمشق. ٢٠٠٢م.
٢٥١. قراءات في الكتب المقدَّسة عبدالرحيم محمد. بدون ذكر التاريخ والطبعة والمطبعة.
٢٥٢. القرآن وقضايا الإنسان. عائشة عبدالرحمن(بنت الشاطئ)– بيروت. ط٢. ١٩٧٥م.
٢٥٣. قصة الحضارة. د. ول ديورانت. ترجمة زكي نجيب حمود. الهيئة المصرية العامة للكتاب.بدون تاريخ.
٢٥٤. قصة الديانات. سليمان مظهر. مكتبة مربولي– القاهرة. ط٢. ٢٠٠٣م.
٢٥٥. قصة الزواج والعزوبة في العالم. د. علي عبدالواحد وافي. منشورات نهضة مصر– الفجالة. بدون تاريخ.
٢٥٦. قصة الفلسفة. د. ول ديورانت. ترجمة أحمد الشيباني منشورات المكتبة الأهلية – بيروت – بدون تاريخ.
٢٥٧. قضايا المسيحية الكبرى. الياس مقار. دار الثقافة المسيحية– القاهرة. بدون تاريخ.
٢٥٨. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية. أبو الحسن علاءالدين بن محمد بن عباس الحنبلي المعروف بابن اللحام.(ت٨٠٣هـ). دار إحياء التراث العربي–لبنان.ط١. ٢٠٠٢م.
٢٥٩. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. العزُّ بن عبدالسلام الدمشقي. تحقيق: محمود الشنقيطي. دار المعارف– بيروت. بدون تاريخ.
٢٦٠. القيامة والصعود. متّى المسكين. مطبعة دير القديس أنبا مقّار– القاهرة. ط١. ١٩٨٢م.

٢٦١. القيم الحقوق. الواجبات. أندراوس بشته وعادل ثيودور. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي– الإسلامي– لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.
٢٦٢. قيمة الإنسان. د.عبدالمجيد عمر النجار. دار الزيتونة للنشر– الرباط. المغرب.ط١. ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.
٢٦٣. كتاب الأم. محمد بن إدريس الشافعي. دار المعرفة– بيروت. ١٣٩٣هـ.
٢٦٤. كتاب الخراج. القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم. المطبعة السلفية– القاهرة. ط٣. ١٣٨٢هـ.
٢٦٥. الكتب التاريخية في العهد القديم (محاضرات ألقاها د. مراد كامل). معهد البحوث والدراسات الغربية. الطبعة الفنية الحديثة. ١٩٦٨م.
٢٦٦. كرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام. أحمد محمد عركز. دار الوفاء للطباعة والنشر– الأسكندرية. ط١. ٢٠٠٧م.
٢٦٧. كشّاف القناع عن متن الإقناع. منصور بن يونس بن إدريس البهوتي. تحقيق: هلال مصيلحي. دار الفكر المعاصر– بيروت. ١٤٠٢هـ.
٢٦٨. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري. تحقيق: عبدالرزاق المصري. دار إحياء التراث العربي– بيروت. بدون تاريخ.
٢٦٩. كشّاف مصطلحات الفنون والعلوم. رفيق العجم وآخرون. مكتبة لبنان ناشرون– بيروت.ط١. ١٩٩٦ م.
٢٧٠. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. عبدالعزيز بن محمد علاءالدّين. تحقيق. عبدالله محمود محمد عمر. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
٢٧١. كشف الخفاء ومزيل الألباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. الشيخ محمد بن إسماعيل بن محمد العجلوني. دار الكتب العلمية– بيروت. ط٣. ١٤٠٨هـ– ١٩٩٠م.

٢٧٢. الكنز الجليل في تفسير الإنجيل. مجمع الكنائس في الشرق الأدنى- بيروت. ١٩٧٣م.
٢٧٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علي بن حسام الدين المتقي الهندي. تحقيق: بكري حيّاني وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة- بيروت. ط٥. ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٢٧٤. اللاّهوت المقارن.البابا شنودة الثالث.الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس- القاهرة. ط٥. ١٩٩٦م.
٢٧٥. اللاّهوت في إنجيل يوحنا. أفسطاسي شفيق. مكتبة مار جرجيس. ومكتبة المحبة- القاهرة. بدون تاريخ.
٢٧٦. لسان العرب. ابن منظور. دار صادر - بيروت. ط٣. ٢٠٠٤ م.
٢٧٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرارالأثرية لشرح السورة المضية. شمس الدين بن أحمد بن سالم السفاريني (ت ١١٨٨هـ). مؤسسة الخافقين- دمشق. ط٢. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٧م.
٢٧٨. ما الثقافة. سليم دولة. منشورات الدار البيضاء. ط٢. ١٩٩٠م.
٢٧٩. ما بعد اللامنتهي. كولن ولسن. ترجمة يوسف شورو. منشورات دار الآداب- بيروت. ١٩٨١م.
٢٨٠. مبادئ العقيدة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم. سعيد إسماعيل. الناشر. Amuslim Group. بدون تاريخ.
٢٨١. مثل الذين حملوا التوراة. . . . د. ليلى حسن سعدالدين. دار الفكر- الأردن.ط١. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٢٨٢. المجتمع الإسرائيلي. د. فؤاد حسنين. مطبعة الرسالة- القاهرة. ١٩٦٦م.
٢٨٣. المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء. الشيخ محمد محمد المدني بدون تاريخ والطبعة المطبعة.
٢٨٤. المجتمع الإنساني. د.محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي- القاهرة. بدون

تاريخ.
٢٨٥. المجتمع اليهودي د. زكي شنودة. مكتبة الخانجي- القاهرة. بدون تاريخ.
٢٨٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نورالدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الفكر-بيروت. ١٤١٢هـ.
٢٨٧. المجموع شرح المهذَّب. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. بدون مكان وتاريخ الطبع والمطبعة.
٢٨٨. محاسن التأويل، المشهور بتفسيرالقاسمي. محمد جمال الدِّين القاسمي. (١٣٣٢ هـ- ١٩١٤م). مطبعة البابلي الحلبي- القاهرة. ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٢٨٩. محاضرات في النصرانية - د.محمد أبو زهرة. دارالفكر العربي- القاهرة. بدون تاريخ.
٢٩٠. المحصول في علم الأصول. محمد بن عبدالرحمن بن الحسين الرازي. تحقيق: طه جابر العلواني. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض. ط١. ١٤٠٠هـ.
٢٩١. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. يوسف بن حسين بني عبدالهادي(ت٩٠٩هـ). تحقيق: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن. الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة. ط١. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٩٢. المحلى. ابن حزم الأندلسي.تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. المكتب التجاري- بيروت. بدون تاريخ.
٢٩٣. محمد الرسالة والرسول. د. نظمي لوقا. دار الكتب الحديثة- القاهرة. ط٢. ١٩٥٩م.
٢٩٤. مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. المطبعة الأميرية- مصر ط٣. ١٣٢٩هـ- ١٩١١م.
٢٩٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيِّم الجوزية. تحقيق محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي- بيروت. ط٢. ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٩٦. مدخل إلى العقيدة المسيحية. كوستلي بندلي وآخرون. منشورات النور- بيروت. بدون تاريخ.
٢٩٧. المدخل إلى العهد الجديد. د. فهيم عزيز. دار الثقافة المسيحية- القاهرة. بدون تاريخ.
٢٩٨. مدخل إلى اللاّهوت الأدبي. الأب بشار متّى وردة. كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاّهوت- أربيل - عناوة. ط١. ٢٠٠٩م.
٢٩٩. المدخل إلى دراسة التوراة والعهد القديم د. محمد علي البار. دارالقلم- دمشق. ودار الشامية- بيروت. ط١. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
٣٠٠. المدخل إلى نظرية الإلتزام العامة. د. مصطفى أحمد الزرقاء مطبعة جامعة دمشق. ط٤. ١٩٦٠م.
٣٠١. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. مصطفى الزلمي وآخرون. منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- العراق- ط١. ١٩٨٠ م
٣٠٢. المدخل للعلوم القانونية. توفيق حسن فرج. الدار الجامعية- بيروت. ط١. ١٩٨٨م.
٣٠٣. المدونة الكبرى. مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ). تحقيق زكريا عميرات. دار الكتب العلمية- بيروت. بدون تاريخ.
٣٠٤. المرأة عبد التاريخ. مونيك بيبري. ترجمة هزييت عبودي. دارالطليعة للطباعة والنشر- بيروت. ط١. ١٩٧٩م.
٣٠٥. المرأة في التاريخ والشريعة. د. سعد السحمراني. دار النفائس- بيروت. ط١. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٠٦. المرأة في القرآن. عباس محمود العقاد. منشورات المكتبة العصرية- بيروت. ١٩٨١م. أو دار الكتاب العربي- بيروت. ط٢. ١٩٦٧م.
٣٠٧. المرأة في الكنيسة والمجتمع. د. القس صموئيل حبيب. بدون تاريخ.
٣٠٨. المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم. د. محمد إبراهيم الشافعي. مطبعة السنة

المحمدية– القاهرة. ط١. ١٩٨٢م.

٣٠٩. المساواة في الإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. شركة مكتبات عكاظ للنشر– جدة. ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣١٠. المستدرك على الصحيحين. محمد بن علي الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

٣١١. المستصفى. أبو حامد الغزالي. تحقيق:محمد عبدالسلام عبدالشافي. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤١٣هـ.

٣١٢. المستطرف في كلٍّ فن مستظرف. شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية– بيروت. ط٢. ١٩٨٦م.

٣١٣. مسند الإمام أحمد. أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة قرطبة– القاهرة. بدون تاريخ.

٣١٤. مسند الشهاب. محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة– بيروت. ط٢. ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.

٣١٥. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود د. محمد علي البار. الدار السعودية للنشر والتوزيع. ط١. ١٩٨٧م.

٣١٦. المسيح إله أم إنسان. محمد مجدي مرجان. دار النهضة العربية– القاهرة. بدون تاريخ.

٣١٧. المسيح حياة النفس. دوم كولومبا مريون. ترجمة المطران نصر الله الصفير. المطبعة الكاثوليكية– بيروت. ١٩٦٩م.

٣١٨. المسيحية في الإسلام. د. إبراهيم لوقا. دار النشر القبطية ودار الكتاب القبطي. ط٢. بدون تاريخ.

٣١٩. المسيحية نشأتها وتطورها. شارل جنيبر. ترجمة د. عبدالحليم محمود. المكتبة العصرية. صيدا–بيروت. بدون تاريخ.

٣٢٠. المشترك الإنساني. –نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب– أ. د. راغب

السرخابي. مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة– القاهرة. ط١. ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٣٢١. مشكلات العقيدة النصرانية. د. سعدالدّين صالح. دار البيان– القاهرة. ط٢. ١٩٨٣م.

٣٢٢. مشكلات وحلول (الفقر. الجوع. الحرمان) د. مصطفى السباعي دار الورّاق – بيروت. ودار النيِّرين– دمشق. ط١. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٢٣. المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. المطبعة الأميرية– مصر ط٥. ١٩٢٢م.

٣٢٤. مصر والشرق الأدنى القديم. د. نجيب ميخائيل. دار المعارف– القاهرة. ١٩٦٤م.

٣٢٥. مصنفة النظم الإسلامية الدستورية والدولية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية. مصطفى كمال وصفي. مكتبة وهبة ـ القاهرة. ١٩٧٥م.

٣٢٦. مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم. د. الشاهد البوشيخي. منشورات المحجة– فاس– المغرب. ط١. ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

٣٢٧. المعارف. أبي عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية– بيروت. ط٢. ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٣٢٨. معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ). تحقيق وتخريج محمد عبدالله النمر. عثمان جمعة نميرية. سليمان مسلم. دار طيبة للنشر والتوزيع . ط٤. ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٢٩. معالم الثقافة الإسلامية. د. عبدالكريم عثمان. مؤسسة خوار– الرياض. ١٣٨٩هـ– ١٩٨٧م.

٣٣٠. معالم تاريخ الإنسانية. هـ. ج. ويلز. ترجمة: عبدالعزيز جاويد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٤م.

٣٣١. معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. د. مصطفى مسلم. دار القلم– دمشق.

١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٣٢. معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د. إدوارد غالي الذهبي. مكتبة غريب. ط١. ١٩٩٣م.

٣٣٣. معاني القرآن للفرَّاء.تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. دار السرور- بيروت. بدون تاريخ.

٣٣٤. المعجم الأوسط. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني. دار الحرمين- القاهرة. ١٤١٥هـ.

٣٣٥. معجم الصحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري وخليل محمود. دار المعرفة. بيروت. ط١. ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٣٦. المعجم الفلسفي. د. جميل صيلبا. دار الكتاب اللبناني- بيروت. ط١. ١٩٨١م.

٣٣٧. المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم- الموصل. ط٢. ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٣٣٨. المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وحامد عبدالقادر وأحمد الزيات ومحمد النجار. دار الدعوة. مجمع اللغة العربية. بدون تاريخ.

٣٣٩. معجم مقايس اللغة. أبو الحسين أحمد بن زكريا. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر المعاصر- بيروت. ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٤٠. مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم. عبدالوهاب عبدالسلام طويلة. دار القلم- دمشق. ط١. ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٤١. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. محمد الخطيب الشربيني. دار الفكر المعاصر- بيروت. بدون تاريخ.

٣٤٢. المغني. عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي. دار الفكر- بيروت. ط١. ١٤٠٥هـ.

٣٤٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). محمد بن فخر الدين الرازي. دار الكتب العلمية– بيروت. ط١. ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٣٤٤. مفاهيم اجتماعية بين الإسلام والنظم الوضعية. د. حسن محمد نور الدين. دار المواسم للطباعة والنشر– بيروت. ط١. ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

٣٤٥. المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان. د. ساسي سالم الحاج. دار الكتاب الجديدة المتحدة– بيروت. ط٢. ١٩٩٨م.

٣٤٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيِّم. دار الكتب العلمية– بيروت. بدون تاريخ.

٣٤٧. مفصَّل العرب واليهود في التاريخ. د. أحمد سوسة. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. دارالحرية للطباعة– بغداد. ط٥. ١٩٨١م.

٣٤٨. مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر. د. جاسم محمد زكريا. منشورات الحلبي الحقوقية– بيروت. ط١. ٢٠٠٦م.

٣٤٩. مقارنات الأديان. بحوث و دراسات. د. محمد عبدالله الشرقاوي. دار الجبل– بيروت ومكتبة الزهراء– القاهرة. ط٢. ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

٣٥٠. مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية. علي علي منصور. دار الطباعة والنشر– بيروت. ط١. ١٩٧٠م.

٣٥١. مقارنة الأديان –١– اليهودية – د. أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية– القاهرة ط٦. ١٩٨٨م.

٣٥٢. مقاصد الشريعة الإسلامية د. محمود زقزوق. مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. العدد (١٠٤). مصر.

٣٥٣. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. علال الفاسي. دار الغرب الإسلامي– بيروت ط٥. ١٩٩٣م.

٣٥٤. مقاصد الشريعة الإسلامية. الطاهر بن عاشور. تحقيق محمد طاهر العيساوي. دار النفائس– عمان. ط٢. ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٥٥. مقـال في الإنسـان – دارسـة قرآنيـة – عائشـة عبـدالرحمن(بنت الشـاطئ)– القاهرة. ١٩٦٩م

٣٥٦. مقالات في السياسة والدين. الأب متى المسكين. بدون تأريخ.

٣٥٧. مكانة المرأ ة في الكتاب المقدس. القس صحوئيل زكي. دار الثقافة– القاهرة. ط٢. ٢٠٠٥م.

٣٥٨. ملكـوت الله في المسـيحية واليهوديـة والإسـلام. عبـدالرحمن الجنـدي. دار الدعوة– الإسكندرية. ١٩٨٣م.

٣٥٩. من قضايا الرأي. أحمد حسن. المؤسسة المصرية للكتـاب– القـاهرة. بـدون تاريخ.

٣٦٠. المنجد في اللغة والأعلام. دار الشروق– بيروت. ط٢. ١٩٦٠م.

٣٦١. منهج الحضـارة الإنسـانية في القـرآن د. محمـد رمضـان البـوطي. دار الفكـر– دمشق. ودار الفكر المعاصر– بيروت. ط٣. ٢٠٠٠م.

٣٦٢. المهذَّب. إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي. دار الفكـر المعاصـر– بـيروت. بدون تاريخ.

٣٦٣. مواطنون لاذميون. فهمي هويدي. دار الشروق– بيروت. ط١. ١٩٨٥م.

٣٦٤. الموافقات في أصول الشريعة. إبراهيم بن موسى الغرنبطي الشاطبي. تحقيـق: د. محمد عبدالله درّاز. وعبدالسلام عبدالشـافي. دار الكتـب العلميـة– بـيروت. ط٧. ٢٠٠٥م.

٣٦٥. مواهب الجليل لشـرح مختصـر الخليـل. شمـس الـدين أبـو محمـد بـن محمـد الطرابلسـي المعـروف بالحطـاب. تحقيـق: زكريـا عمـيرات. دار عـالم الكتـب. ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

٣٦٦. موجز تاريخ الأديان. فيليسيان شالي. ترجمـة: حـافظ الجمـالي. دار طـلاس للدراسات والطباعة والنشر– دمشق. ط١. ١٩٩١م.

٣٦٧. موسـوعة الأديـان (الميسـرة). مجموعـة مـن المـؤلفين . دار النفـائس. ط٤.

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٦٨. موسوعة الأديان في العالم. دار كريبس إنترناشيونال. بدون تاريخ.
٣٦٩. موسوعة العقيدة والأديان - اليهود بين الوحي الإلهي والانحراف البشري. د. فرج الله عبدالباري. دار الآفاق العربية. بدون تأريخ .
٣٧٠. موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر. د. وهبة الزحيلي. دار المكتبي- دمشق. ط١. ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.
٣٧١. الموسوعة الفقهية الكويتية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت. ط٢. ١٤٠٤هـ- ١٤١٧هـ.
٣٧٢. الموسوعة الفقهية الميسرة. د. محمد رواس قلعه جي. دار النقائس- بيروت. ط١. ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٣٧٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. إشراف د. مانع بن حماد الجهني- الرياض. ط ٥. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٧٤. موسوعة القواعد الفقهية. د.محمد صدقي بن أحمد البرنو.مؤسسة الرسالة- بيرت. ط١. ٢٠٠٣م.
٣٧٥. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية -رؤية نقدية - د. عبدالوهاب المسيري. مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية- القاهرة. ١٩٧٥م.
٣٧٦. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. د. عبدالوهاب المسيري. منشور في موقع: PDF:http\\www. al-و.www. Almessiri. net .mostafa. com
٣٧٧. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام. خديجة النبراوي. دار السلام القاهرة - الأسكندرية. ط١. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٧٨. موسوعة عالم الأديان. مجموعة من كبار المؤلفين. نوبلس- بيروت. ط٢. ٢٠٠٥م.

٣٧٩. موسوعة علم النفس والتربية. فيصل عباس. دار الفكر- بيروت. ط١. ١٩٩٦م.
٣٨٠. موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب. فيرار جيهامي. مكتبة لبنان ناشرون- بيروت. ط١. ١٩٩٨م.
٣٨١. موسوعة مقدمات العلوم والمناهج. أنور الجندي. مطبعة التقدم. مصر. بدون تاريخ.
٣٨٢. موسى بن ميمون حياته ومصنفاته. د. إسرائيل ولفنسون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة. ١٩٣٦م.
٣٨٣. الموطأ. الإمام مالك بن أنس. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان. ط١. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٨٤. الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي- بيروت. ط٣. ١٩٧٣م.
٣٨٥. النبوات. أحمد بن عبدالله ابن تيمية الحرّاني. المطبعة. السلفية- القاهرة. ١٣٨٦هـ.
٣٨٦. نحو الإنسان الكامل. مهدي أمبيرش. كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس. ط١. ١٩٨٧م.
٣٨٧. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي. جمال الدين أبو محمد بن يوسف الزيلعي. تحقيق: محمد عوّامة. مؤسسة الرّيان- بيروت. ودار القبلة للثقافة الإسلامية. جدّة. السعودية. ط١. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٨٨. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين- الجماعات البدائية- (بنو إسرائيل). ثروة الأسيوطي- القاهرة. بدون تاريخ.
٣٨٩. نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام. محمود عبدالسميع شعلان. دارالعلوم للطباعة والنشر- الرياض. ط١. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٩٠. نظام التجريم والعقاب في الإسلام. علي علي منصور. مؤسسة الزهراء للإيمان

والخير– المدينة المنورة. ط١. ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.
٣٩١. نظرات في الإسلام. د. محمد عبدالله دراز. دار الجهاد. مصر. ١٩٥٨ م.
٣٩٢. نظرة في كتب العهد الجديد والعقائد النصرانية. د. محمد توفيق صدقي. تحقيق: خالد محمد عبده. مكتبة النافذة. بدون تاريخ.
٣٩٣. نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع. هنري لاروست. ترجمة محمد عبدالعظيم. دار الانصار– القاهرة. بدون تاريخ.
٣٩٤. النظم السياسية والقانون الدستوري. د. ثروت بدوي– القاهرة. ١٩٧٥م.
٣٩٥. النفس الإنسانية في ضوء القرآن والسنة. الشيخ محمد محمد المدني إعداد. أحمد مصطفى فضلية. دار القلم– دمشق. ط١. ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٣٩٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. ابن قيِّم الجوزية. تحقيق د. أحمد حجازي السقا. المكتبة القيِّمة للطباعة والنشر– القاهرة. ط٢. بدون تاريخ.
٣٩٧. الهداية شرح البداية. أبي الحسن علي بن أبي بكر الرشداني. المكتبة الإسلامية. بدون تاريخ.
٣٩٨. هذه عقائدنا. كلايد تارنر. المنشورات المعمدانية. ط٢. ١٩٧٢م.
٣٩٩. الوجيز في الفقه الإسلامي. د. وهبة الزحيلي. دار الفكر– دمشق. ط١. ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
٤٠٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي. بدون تاريخ.
٤٠١. الوجيز في حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. د. غازي حسن صباريني. مكتبة الثقافة للنشروالتوزيع. عمان. ١٩٩٧م.
٤٠٢. اليهود تاريخ وعقيدة. د. كامل سعفان. دار الاعتصام. بدون تاريخ.
٤٠٣. اليهود في القرآن. عفيف عبدالفتاح طبارة. دارالعلم للملايين– بيروت. ط٦. ١٩٧٨م.
٤٠٤. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. د. غوستاف لوبون. ترجمة: عادل زعتير.

طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– القاهرة. ١٩٧٠م.

٤٠٥. اليهود في كتابهم المقدَّس أعداء الحياة الإنسانية. كمال عون. دار الشعب– مصر. ١٩٦٩م.

٤٠٦. اليهود والغيرية– غير اليهود في منظور اليهودية – إلبرتو دانزول. ترجمة د. ماري شهرستان. دار الأوائل– دمشق. ط١. ٢٠٠٤م.

٤٠٧. اليهود واليهودية والمسيحية. د. فؤاد حسنين علي. معهد البحوث والدراسات العبرية– القاهرة. ١٩٦٨م.

٤٠٨. اليهودية في العقيدة والتاريخ. د. عصام الدِّين حفني. دار العالم الجديد– القاهرة. ط١. ١٩٧٧م.

٤٠٩. يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية. د. فرج الله عبدالباري. ضمن موسوعة العقيدة والأديان. دار الآفاق العربية. ٢٠٠٤م.

ثانياً/ الإعلانات والقرارات والمقابلات:

١– إعلان حقوق الإنسان الفرنسي الصادر سنة ١٧٨٩م.

٢– الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨م.

٣– إعلان حقوق الإنسان في الإسلام الصادر في القاهرة سنة ١٩٩٠م.

٤– قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد سنة ١٩٦٩م.

٥– مقابلة مع بشّار متّى وردة، عميد كلّية بابل الحبرية للفلسفة واللاّهوت–عنكاوة– أربيل. بتاريخ: ٢٥/١/٢٠١٠م.

ثالثاً/ مواقع الأنترنيت:

1. www. mishkat. net
2. www. cristian courier. com
3. www. the words. com\ articles
4. www. ar. Wakra. net\tomas. thn
5. www. wikipedia. org
6. www. Salafi. net
7. www. al-mostafa. com
8. ww. Alhewar- aljaree. com
9. www. Arab church. com
10. http\\ ar. wikipedia. org
11. www. Wikipedia. org
12. www. maarifa. org\index
13. www. weghat nazar.com
14. www. thawab ojuba. org/static
15. www. almarifa. org|index. php
16. www. facebook. com/gruop. php
17. http||www. zeidan. com. asp.
18. http://st-takla.org\full-free

The Dignity of Human Beings according to the Holy Books a Comparative Study

D.Fathi Jawhar Almzori

ABSTRACT

The Dignity of Human Being according to the Holy Books
(a Comparative Study)

Human beings are glorious and respected creature from their birth till their death، and the proof for this is the way of creating human himself and the things that God gives him like mind، thinking ،power ،succession ، controlling all the other creatures، etc. He is also given glory and respect through the style of his body، his power and all of these things that Allah gave him. Human being is also respected by God through his worshiping and putting rules of law and other rules for behaving generally... The only evidence for this respect from God to the human beings is the Holy books، because from the beginning of creating the human being، God wants them to have their dignity and respect that is why He sends His prophets to show the good way of life to their people.

Now there are many views about this subject، some think that the religion generally doesn't have any humanity and doesn't come with the human's likes and desires، but they think that humans are only obliged to

do some duties and worshipping. They think that the only thing which serves them and all the humanity is the developed way of thinking of now.

In the west، people think that protecting human rights comes to some west Christian thinkers and it doesn't have any relation with Muslims and Islam. For changing these thinking and showing the true side of the matter that Islam is the only religion that cares about humans' rights، his needs and desires more than any other religions when comparing among (Holy Quran، Bible (NewTestament) and Old Testament).to prove this truth we carred out this research under the name of (The Glory of Human Being according to The Holy Books As comparative study)